

أبو الفداء
الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ

البداية والنهاية

١٣

الجزء الرابع

١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذهبت بشروح
قامت بها هيئة باشراف الناشر

مكتبة المحاريف
بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة ثلاث من الهجرة

في أولها كانت غزوة نجد ويقال لها غزوة ذي أمر . قال ابن اسحاق : فلما رجع رسول الله (س) من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها ثم غزا نجداً يريد غطفان وهي غزوة ذي أمر . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عثمان بن عفان . قال ابن اسحاق : فأقام بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك ثم رجع ولم يلق كيداً . وقال الواقدي : بلغ رسول الله (س) أن جمعاً من غطفان من بني ثعلبة بن محارب تجمعوا بنذى أمر يريدون حربه ، فخرج اليهم من المدينة يوم الخميس لثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فقاتل أحد عشر يوماً وكان معه أربع مائة وخمسون رجلاً ، وهربت منه الأعراب في رموس الجبال حتى بلغ ماء يقال له ذو أمر فعسكر به وأصابهم مطر كثير فابتلت ثياب رسول الله (س) فنزل تحت شجرة هناك ونشر ثيابه لتجف وذلك بمراى من المشركين ، واشتغل المشركون في شئونهم ، فبعث المشركون رجلاً شجاعاً منهم يقال له غورث بن الحارث أو دعثور بن الحارث فقالوا : قد أمكنك الله من قتل محمد ، فذهب ذلك الرجل ومعه سيف صقيل حتى قام على رسول الله (س) بالسيف مشهوراً ، فقال : يا محمد من يمنعك مني اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريل في صدره فوق السيف من يده ، فأخذه رسول الله (س) ، فقال : من يمنعك مني ؟ قال لا أحد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والله لا أكرر عليك جمعاً أبداً . فأعطاه رسول الله (س) سيفه فلما رجع إلى أصحابه فقالوا : ويلك ، مالك ؟ فقال : نظرت إلى رجل طويل فدفع في صدري فوقعت لظهري فعرفت أنه ملك وشهدت أن محمداً رسول الله والله لا أكرر عليه جمعاً ،

وجعل يدعو قومه الى الاسلام . قال : ونزل في ذلك قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُروا نعمة الله عليكم إذ تم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ﴾ الآية . قال البيهقي : وسيأتي في غزوة ذات الرقاع قصة تشبه هذه فلعلهما قصتان ، قلت : ان كانت هذه محفوظة فهي غيرها قطعاً لأن ذلك الرجل اسمه غورث بن الحارث أيضاً لم يسلم بل استمر على دينه ولم يكن عاهد النبي (ص) أن لا يقاتله . والله أعلم

غزوة الفرع من جُرهم

قال ابن اسحاق : فأقام بالمدينة ربيعاً الاول كله أو الا قليلا منه ثم غدا يريد قريشاً ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . قال ابن اسحاق : حتى بلغ بجران وهو معدن بالحجاز من ناحية الفرع . وقال الواقدي : انما كانت غيبته عليه السلام عن المدينة عشرة أيام . والله أعلم

خبر يهود بني قينقاع في البرينة

وقد زعم الواقدي انها كانت في يوم السبت النصف من شوال سنة ثنتين من الهجرة فانه أعلم وهم المرادون بقوله تعالى ﴿ كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم ولم عذاب أليم ﴾ قال ابن اسحاق : وقد كان فيها بين ذلك من غزو رسول الله (ص) أمر بني قينقاع . قال وكان من حديثهم ان رسول الله (ص) جمعهم في سوقهم ثم قال : يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا فانكم قد عرقتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم . فقالوا : يا محمد انك ترى انا قومك لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة أما والله ان حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس . قال ابن اسحاق : فحدثني مولى يزيد بن ثابت عن سعيد بن جبيرة وعن عكرمة عن ابن عباس قال : ما نزلت هؤلاء الآيات الا فيهم ﴿ قل للذين كفروا ستعذبون ﴾ وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد * قد كان لكم آية في فتنتين القتلى يعني أصحاب بدر من أصحاب رسول الله (ص) وقريش فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم من قبلهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار ﴾ قال ابن اسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان بني قينقاع كانوا اول يهود نقضوا العهد وحاربوا فيما بين بدر وأحد . قال ابن هشام فذكر عبد الله بن جعفر [بن عبد الرحمن] بن المسور بن مخرمة عن أبي عون قال كان أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بحلب لها فباعته بسوق بني قينقاع وجلست الى صائغ هناك منهم فعملوا

يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فمقده الى ظهرها فلما قامت انكشفت
سوأتهما فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً فشدت اليهود على
المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فأغضب المسلمون فوق الشر بينهم وبين بني
قينقاع . قال ابن اسحاق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال فحاصرهم رسول الله (ص) حتى نزلوا على
حكمه فقام اليه عبد الله بن أبي ابن سلول حين أمكنه الله منهم فقال : يا محمد أحسن في موالى وكاتوا
حلفاء الخزر ج قال فأبطأ عليه رسول الله (ص) فقال يا محمد أحسن في موالى فأعرض عنه قال فأدخل
يده في جيب درع النبي (ص) قال ابن هشام وكان يقال لها ذات الفضول فقال له رسول الله (ص)
أرسلني وغضب رسول الله (ص) حتى رأوا لوجه طملاً ثم قال ويحك أرسلني قال لا والله لا أرسلك
حتى تحسن في موالى أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدكم في غداة
واحدة أنى والله امرؤ أخشى الدوائر . قال فقال له رسول الله (ص) هم لك . قال ابن هشام واستعمل
رسول الله (ص) في محاصرته أيام أبا لبابة بشير بن عبد المنذر وكانت محاصرته أيام خمس عشرة
ليلة . قال ابن اسحاق وحدثني أبي عن عبادة بن الوليد عن عبادة بن الصامت قال لما حاربت بنو
قينقاع رسول الله (ص) تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت
الى رسول الله (ص) وكان من بني عوف له من حلفهم مثل الذى لهم من عبد الله بن أبي فخلعهم الى
رسول الله (ص) وتبرأ الى الله والى رسوله من حلفهم وقال يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين
وابراً من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم قال وفيه وفى عبد الله بن أبي نزلت الآيات من المائدة
(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) الآيات حتى قوله
(فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) يعنى عبد الله
ابن أبي الى قوله (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) يعنى عبادة بن
الصامت . وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير

سرية زبير بن حارثة

الى غير قريش صحبة أبي سفيان أيضاً وقيل صحبة صفوان * قال يونس عن بكير عن ابن
اسحاق وكانت بعد وقعة بدر ستة أشهر . قال ابن اسحاق وكان من حديثها أن قريشاً خافوا
طريقهم التى كانوا يسلكون الى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلخوا طريق العراق
فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان ومعه فضة كثيرة وهى عظم تجارتهم واستأجروا رجلاً من بكر
ابن وائل يقال له فرات بن حيان يعنى العجلي حليف بنى سهم ليدهم على تلك الطريق . قال ابن

اسحاق فبعث رسول الله (ص) زيد بن حارثة فلقمهم على ماء يقال له القردة فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله (ص) فقال في ذلك حسان بن ثابت :
 دعوا فلجات الشام قد حال دونها جلاذ كفواه الخاض الاوارك
 يابدى رجال هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقاً وأيدى الملائك
 اذا سلكت للغور من بطن عاجل فقولا لها ليس الطريق هنالك

قال ابن هشام وهذه القصيدة في أبيات لحسان وقد أجابه فيها أبو سفيان بن الحارث. وقال
 الواقدي كان خروج زيد بن حارثة في هذه السرية مستهل جمادى الأولى على رأس ثمانية وعشرين
 شهراً من الهجرة وكان رئيس هذه العير صفوان بن أمية وكان سبب بعثه زيد بن حارثة أن نعيم
 ابن مسعود قدم المدينة ومعه خبر هذه العير وهو على دين قومه واجتمع بكنانة بن أبي الحقيق في
 بني النضير ومعهم سليط بن النعمان من أسلم فشريوا وكان ذلك قبل أن تحرم الخمر فتحدث
 بقضية العير نعيم بن مسعود وخروج صفوان بن أمية فيها وما معه من الاموال فخرج سليط من
 ساعته فأعلم رسول الله (ص) فبعث من وقته زيد بن حارثة فلقوم فأخذوا الاموال وأعجزهم
 الرجال وإنما أسروا رجلاً أو رجلين وقدموا بالعير فغشمها رسول الله فبلغ خمسها عشرين
 ألفاً وقسم أربعة أخماسها على السرية وكان فيمن أسر الدليل فرات بن حيان فأسلم رضى الله عنه .
 قال ابن جرير : وزعم الواقدي أن في ربيع من هذه السنة تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت
 رسول الله (ص) وادخلت عليه في جمادى الآخرة منها

مقتل كعب بن الأشرف

وكان من بني طيء ثم أحد بني نهبان ولكن أمه من بني النضير . هكذا ذكره ابن اسحاق قبل
 جلاء بني النضير وذكره البخاري والبيهقي بعد قصة بني النضير والصحيح واذكره ابن اسحاق
 يأتي فان بني النضير انما كان أمرها بعد وقعة أحد وفي محاصرتهم حرمت الخمر كما سنبينه
 بطريقه ان شاء الله . قال البخاري في صحيحه قتل كعب بن الأشرف حدثنا علي بن عبد الله حدثنا
 سفيان قال عمرو سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله (ص) من لكعب بن الأشرف
 فانه قد آذى الله ورسوله فقام محمد بن مسلمة فقال يا رسول الله أتحب أن أقتله قال نعم . قال فأذن
 لي أن أقول شيئاً قال قل . فأتاه محمد بن مسلمة فقال ان هذا الرجل قد سأننا صدقة وانه قد عذانا
 واني قد أتيتك أستسلفك . قال وأيضاً والله لئلمته . قال إنا قد اتبعناه فلأنحب أن ندعه حتى ننظر
 الى أي شيء يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا قال نعم ارهنوني قلت أي شيء تريد قال ارهنوني

نساء كم فقالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب قال فارهنوني أبناءكم قالوا كيف نرهنك
أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن نرهنك اللأمة . قال سفيان
يعنى السلاح . فواعده أن يأتيه ليلاً فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة فدعاهم إلى
الحصن فقتل اليهم فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ وقال غير عمرو قالت أسمع صوتاً كأنه يقطر
منه الدم . قال إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيى أبو نائلة . ان الكريم لو دعى إلى طعنة لبلى لاجاب
قال ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين فقال اذا جاءه فاني مائل بشعره فأشبهه فاذا رأيتموني
استمكنت من رأسه فبؤنكم فاضربوه وقال مرة ثم أقمكم فقتل اليهم متوشحاً وهو ينفخ منه
ريح الطيب فقال ما رأيت كالיום ريحاً أى أطيب وقال غير عمرو قال عندى أعطر نساء العرب
وأجل العرب قال عمرو فقال أتأذن لى أن أشم رأسك ؟ قال نعم . فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال
أتأذن لى ؟ قال نعم . فلما استمكن منه قال دونكم فقتلوه ثم أتوا النبي (ص) فاخبروه . وقال محمد
ابن اسحاق كان من حديث كعب بن الأشرف وكان رجلاً من طيء ثم أحد بنى نهبان وأمه من
بنى النضير أنه لما بلغه الخبر عن مقتل أهل بدر حين قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة قال
والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها . فلما تيقن عدو الله الخبر
خرج إلى مكة فقتل على المطلب بن أبي وداعة بن صبرة السهمى وعنده عاتكة بنت ابى العيص بن
أمية بن عبد شمس بن عبد مناف فأنزله وأكرمه وجعل يحرض على قتال رسول الله (ص)
وينشد الأشعار ويندب من قتل من المشركين يوم بدر فذكر ابن اسحاق قصيدته التى أولها :

طحننت رحي بدر لمهلك أهله ولشمل بدر تستهل وتدعم

وذكر جوابها من حسان بن ثابت رضى الله عنه ومن غيره . ثم عاد إلى المدينة فجعل يشب
بنساء المسلمين ويهجو النبي (ص) وأصحابه . وقال موسى بن عقبة : وكان كعب بن الأشرف أحد
بنى النضير أو فيهم قد آذى رسول الله (ص) بالهجاء وركب إلى قریش فاستغواهم ، وقال له أبو
سفيان وهو بمكة : أناشدك أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه ، وأينأ أهدى فى رأيك
وأقرب إلى الحق ؟ إنا نظم الجزور الكوماء ونسقى اللبن على الماء ونظم ماهبت الشمال . فقال له
كعب بن الأشرف : أنتم أهدى منهم سبيلاً . قال فأنزل الله على رسوله (ص) : ﴿ ألم تر إلى الذين
أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجلبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من
الذين آمنوا سبيلاً ﴾ أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجده نصيراً ﴿ وما بعدها . قل
موسى ومحمد بن اسحاق : وقدم للمدينة يلعن بالعداوة ويحرض الناس على الحرب ولم يخرج من
مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله (ص) وجعل يشب بأبى الفضل بن الحارث وبنبرها من

نساء المسلمين . قال ابن اسحاق : فقال رسول الله (ص) كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة من لابن الاشرف ؟ فقال له محمد بن مسلمة أخو بني عبد الاشيل : أنا لك به يارسول الله أنا أقتله ، قال فافعل إن قدرت على ذلك ، قال فرجع محمد بن مسلمة فكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله (ص) فدعاه فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟ فقال يارسول الله قلت لك قولاً لا أدرى هل أفي لك به أم لا . قال : إنما عليك الجهد . قال : يارسول الله ، إنه لا بد لنا أن نقول ، قال : فقولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك . قال : فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وقش وهو أبو نائلة أحمد بن عبد الاشيل . وكان أخا كعب بن الاشرف من الرضاة وعباد بن بشر بن وقش أحد بني عبد الاشيل والحارث بن أوس بن معاذ أحد بني عبد الاشيل وأبو عبس بن جبر أخو بني حارثة ، قال فقد موا بين أيديهم إلى عدو الله كعب سلكان ابن سلامة أبو نائلة فجاءه فتحدث معه ساعة فتناشدا شعراً — وكان أبو نائلة يقول الشعر — ثم قال : ويحك يا ابن الاشرف اني قد جئتك الحاجة أريد ذكرها لك فآتكم عني ، قال أفعل . قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء ، عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبيل حتى ضاع البيال وجُهِمت الأنفس وأصبحنا قد جهدنا وجُهد عيالنا . فقال كعب : أنا ابن الاشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر يصير إلى ما أقول ، فقال له سلكان : اني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونزهنك ونوثق لك ونحسن في ذلك ، قال ترهنوني أبناءكم ؟ قال لقد أردت أن تفضحننا ، إن معي أصحاباً لي على مثل رأيي وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن في ذلك ونزهنك من الحلقة ما فيه وفاء ، وأراد سلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاءوا بها . فقال : ان في الحلقة لوفاء . قال : فرجع سلكان إلى أصحابه فاخبرهم خبره ، وامرهم ان يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا اليه ، فاجتمعوا عند رسول الله (ص) . قال ابن اسحاق فحدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال : مشى معهم رسول الله (ص) إلى بقيع الغرقم وجههم وقال : « انطلقوا على اسم الله . اللهم أعينهم » ثم رجع رسول الله (ص) إلى بيته وهو في ليلة مقمرة ، فانطلقوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتهما وقالت : أنت امرؤ محارب وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة ، قال انه أبو نائلة لو وجدني قائماً ما أيقظني . فقالت : والله اني لأعرف في دوته الشر . قال : يقول لها كعب لو دُعِيَ الفتى لطلعتنا أجاب ، فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قالوا : هل لك يا ابن الاشرف أن نتأشى إلى شعب العجوز فتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال إن شئتم . فخرجوا فشوا ساعة . ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمان ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفودي رأسه ثم قال : اضربوا عدو الله ! فاختلقت

عليه أسياهم فلم تغن شيئاً . قال محمد بن مسلمة قد كرت مغولاً في سبني فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار ، قال فوضعت في ثنثيه ثم تحاملت عليه حتى بلغت عاتقه فوق عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رجله أو في رأسه أصابه بعض سيوفنا ، قال فخرجنا حتى سلكننا على بني أمية بن زيد ثم على بني قريظة ثم على بُعات حتى أسندنا في حرة العريض وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم فوقفنا له ساعة ثم أنانا يتبع آثارنا فاحتملناه فجننا به رسول الله (ص) آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله وتقل رسول الله (ص) على جرح صاحبنا ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدو الله فليس بها يهودي إلا وهو خائف على نفسه . قال ابن جرير : ورعم الواقدي أنهم جاءوا برأس كعب بن الأشرف إلى رسول الله (ص) . قال ابن اسحاق : وفي ذلك يقول كعب بن مالك :

فغودر منهم كعب صريعاً فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علته بأيدينا مشهورة ذكور
بأمر محمد إذ دس ليلاً إلى كعب أخا كعب يسير
فأكره فأنزله بمكر ومحمود أخو ثقة جسور

قال ابن هشام : وهذه الايات في قصيدة له في يوم بني النضير ستأتي . قلت : كان قتل كعب ابن الأشرف على يدي الأوس بعد وقعة بدر ، ثم ان الخرج قتلوا أبارافع بن أبي الحقيق بعد وقعة أحد كما سيأتي بيانه ان شاء الله وبه الثقة . وقد أورد ابن اسحاق شعر حسان بن ثابت :

لله در عصابة لاقيتهم يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم مرحاً كأسد في عرين مغرف
حتى أتوكم في محل بلادكم فسقوكم حتفاً ببيض ذفف
مستبصرين لنصر دين نبيهم مستصغرين لكل أمر مجحف

قال محمد بن اسحاق : وقال رسول الله (ص) ، « من ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه » فوثب عند ذلك حيصة بن مسعود الأوسي على ابن سنيّة — رجل من تجار يهود كان يلبسهم ويبيعهم — قتله ، وكان أخوه حويصة بن مسعود أسن منه ولم يسلم بعد ، فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أي عدو الله أقتلته ؟ أما والله لرب شحم في بطنك من ماله . قال حيصة : قتلت والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك ، قال فوالله إن كان لأول اسلام حويصة وقالوا لله لو أمرك محمد بقتلي لتقتلي ؟ قال : نعم ، والله لو أمرني بضرب عنقك لضربت بها . قال : فوالله ان ديناً بلغ بك هذا لعجب ، فاسلم حويصة . قال ابن اسحاق : حدثني بهذا الحديث مولى لبني

جارية عن ابنة محبسة عن أبيها . وقال في ذلك محبسة :

يلومُ ابنُ أمِّ لو أمرتُ بقتله لطبقتُ ذفره بأبيضِ قاربِ
حسامِ كلونِ الملحِ أخلصَ صفتهُ متى ما أصوبهُ فليسَ بكاذبِ
وما سَرَّني أني قتلْتُك طامعاً وأن لنا ما بينَ بُصرى وماربِ

وحكى ابن هشام عن أبي عبيدة عن أبي عمرو المدني أن هذه القصة كانت بعد مقتل بني قريظة فان المقتول كان كعب بن جهذا فلما قتله محبسة عن أمر رسول الله (ص) يوم بني قريظة قال له أخوه حويصة ما قال فرد عليه محبسة بما تقدم فأسلم حويصة يومئذ . والله أعلم

﴿ تنبيه ﴾ : ذكر البيهقي والبخاري قبله خبر بني النضير قبل وقعة أحد والصواب إيرادها بعد ذلك كما ذكر ذلك محمد بن اسحاق وغيره من أئمة المغازي ، وبرهانه أن الحر حرمت ليالي حصار بني النضير وثبت في الصحيح انه اصطبح الحر جماعة ممن قتل يوم أحد شهيداً فدل على أن الحر كانت اذ ذاك حلالاً وانما حرمت بعد ذلك فتبين ما قلناه من أن قصة بني النضير بعد وقعة أحد . والله أعلم

﴿ تنبيه آخر ﴾ : خبر يهود بني قينقاع بعد وقعة بدر كما تقدم وكذلك قتل كعب بن الاشرف اليهودي على يدي الاوس وخبر بني النضير بعد وقعة أحد كما سيأتي وكذلك مقتل أبي رافع اليهودي تاجر أهل الحجاز على يدي الخزرج وخبر يهود بني قريظة بعد يوم الاحزاب وقصة الخندق كما سيأتي

غزوة الحرة في شوال سنة ثلاث

﴿ فائدة ﴾ ذكرها المؤلف في تسمية أحد قال سمي أحد اُحداً لتوحده من بين تلك الجبال وفي الصحيح « أحد جبل يحبنا ونحبه » قيل معناه أهله وقيل لأنه كان يبشره بقرب أهله اذا رجع من سفره كما يفعل الحب وقيل على ظاهره كقوله ﴿ وأن منها لما يهبط من خشية الله ﴾ وفي الحديث عن أبي عبيس بن جبر « أحد يحبنا ونحبه وهو على باب الجنة ، وعير يفضنا ونفضه وهو على باب من أبواب النار » قال السهيلي مقولاً لهذا الحديث وقد ثبت أنه عليه السلام قال « المرء مع من أحب » وهذا من غريب صنع السهيلي فان هذا الحديث انما يراد به الناس ولا يسمى الجبل امراً . وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثلاث قاله الزهري وقناة وموسى بن عقبة ومحمد بن اسحاق ومالك قال ابن اسحاق للنصف من شوال وقال قناة يوم السبت الحامى عشر منه قال مالك وكانت الوقعة في أول النهار وهي على المشهور التي أنزل الله فيها قوله تعالى [روادف خدمت من أهلك تبوء المؤمنون مقاعد للقتال والله صميع عليم] اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل

المؤمنون * ولقد نصركم الله بيده وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون * إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين [الآيات وما بعدها الى قوله] ما كان الله ليدر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلمكم على الغيب [وقد تكلمنا على تفاصيل ذلك كله في كتاب التفسير بما فيه كفاية والله الحمد والمنة . ولنذكر هنا ملخص الواقعة مما ساقه محمد بن اسحاق وغيره من علماء هذا الشأن رح وكان من حديث أحد كما حدثني محمد ابن مسلم الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو ابن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث ببعض هذا الحديث عن يوم أحد وقد اجتمع حديثهم كلهم فيما سقت . قالوا أو من قال منهم : لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القلب ورجع فلهم الى مكة ورجع أبو سفيان بعيره مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أصيب أبائهم وأبناءهم وأخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة . فقالوا : يا معشر قريش ، ان محمداً قد وترككم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثاراً ، ففعلوا . قال ابن اسحاق : ففهم كما ذكر الى بعض أهل العلم أنزل الله تعالى [ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جحيم يحشرون] قالوا : فاجتمعت قريش للحرب رسول الله (ص) حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأدائيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي قد من عليه رسول الله (ص) يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة وكان في الاسارى ، فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة ، انك امرؤ شاعر فأعنا بلسانك واخرج معنا فقال : ان محمداً قد من على فلا أريد أن أظهر عليه . قال : بلى ، فأعنا بنفسك فلك الله ان رجعت أن أغنيك وان قتلت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر . فخرج أبو عزة يدبر في تهامة ويدعو بني كنانة ويقول :

يا بني عبد مناة الرزام أنتم حماة وأبوكم حام
لا يمدوني نصركم بعد العام لا تسلموني لا يحل إسلام

قال : وخرج نافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح الى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويقول :

يا مال مال الحسب المقدم أنشد ذا القربي وذا التميم
من كان ذا رحم ومن لم يرحم الحلف وسط البلد الحرم
عند حطيم الكعبة المعظم

قال : ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له وحشى يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال له : أخرج مع الناس ، فان أنت قتلت حمزة عم محمد بعى طعيمة بن عدى فانت عتيق . قال : فخرجت قريش بجديها وحديدها وأحايشها ومن تابعها من بنى كنانة وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن التماس المأوى وأن لا يفروا ، وخرج أبو سفيان صخر بن حرب وهو قائد الناس ومعه زوجته هند بنت عتبة بن ربيعة وخرج عكرمة بن أبي جهل بزوجه ابنة عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة وخرج عمه الحارث بن هشام بزوجه فاطمة بنت الوليد ابن المغيرة وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج وهى أم ابنه عبد الله بن عمرو وذكر غيرهم ممن خرج بإمرأته قال : وكان وحشى كلما مر بهند بنت عتبة أو مرت به يقول ويهاأبا دسمة اشف واشتف . يعنى تحرضه على قتل حمزة بن عبد المطلب . قال : فاقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل يبطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل المدينة ، فلما سمع بهم رسول الله (ص) والمسلمون قال لهم قد رأيتم الله خيراً رأيتم بقرآندج ورأيتم فى ذلب سيفى فلما رأيتم أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة . وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم جميعاً عن أبى كريب عن أبى أسامة عن بريد بن عبد الله بن أبى بردة عن أبى بردة عن أبى موسى الأشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « رأيتم فى المنام أنى أهاجر من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلى الى أنها اليمامة أو هجر فاذا هى المدينة يثرب ورأيتم فى رؤياى هذه أنى هرزت سيفاً فاقطع صدره فاذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هرزته أخرى فعاد أحسن ما كان فاذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتمع المؤمنين ، ورأيتم فيها أيضاً قرآً والله خير فاذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد واذا انماير ما جاء الله به من انماير وثواب الصدق الذى أمانا بعد يوم بدر » وقال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا الأصم أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرنا ابن وهب أخبرنى ابن أبى الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : تعقل رسول الله (ص) سيفه ذا الفقار يوم بدر قال ابن عباس وهو الذى رأى فيه الرؤيا يوم أحد وذلك ان رسول الله (ص) لما جاءه المشركون يوم أحد كان رأيهم أن يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدرآً فخرج يارسول الله اليهم فقاتلهم بأحد ورجوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أهل بدر فما زالوا يارسول الله (ص) حتى لبس أداته ثم ندموا وقالوا يارسول الله أقم فالرأى رأيك . فقال لهم ما ينبغي لنبى أن يضع أداته بعد ما لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه . قال وكان قال لم يومئذ قبل أن يلبس الاداة أنى رأيتم أنى فى درع حصينة فأولتها المدينة وأنى مردف كبشاً

وأولته كبش الكتيبة ورأيت أن سيفي ذا الفقار فلأولته فلا فيكم ورأيت بقرأ يذبح فبقر والله خير ،
رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه به . وروى البيهقي من
طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس مرفوعاً قال : رأيت فيما يرى النائم كأنني مردف
كبشاً وكأن ضبة سبي أنكسرت فأولت أني أقتل كبش القوم وأولت كسر ضبة سبي قتل
رجل من عترتي . قتل حمزة وقتل رسول الله (ص) ، طلحة وكان صاحب اللواء . وقال موسى بن
عقبة رح ورجعت قريش فاستجلبوا من أطاعهم من مشركي العرب وسار أبو سفيان بن حرب
في جمع قريش وذلك في شوال من السنة المقبلة من وقعة بدر حتى نزلوا بطن الوادي الذي قبلي
أحد وكان رجال من المسلمين لم يشهدوا بدرأ قد ندموا على ما قاتلهم من الساقة وتمنوا لقاء العدو
ليبلوا ما أبلى إخوانهم يوم بدر فلما نزل أبو سفيان والمشركون بأصل أحد فرح المسلمون الذين
لم يشهدوا بدرأ بقوم العدو عليهم وقالوا : قد ساق الله علينا أميتنا ثم إن رسول الله (ص) أرى
ليلة الجمعة رؤيا فأصبح فجاءه نفر من أصحابه فقال لهم « رأيت البارحة في منامي بقرأ تذبح والله
خير ورأيت سبي ذا الفقار انقص من عند ضبته . أو قل : به فلول فكرهته وهما مصيبتان
ورأيت أني في درع حصينة وأنني مردف كبشاً » . فلما أخبرهم رسول الله (ص) برؤياه ، قالوا :
يا رسول الله ، ماذا أولت رؤياك ؟ قال : أولت البقر الذي رأيت بقرأ فينا وفي القوم وكرهت ما
رأيت بسبي . ويقول رجال كان الذي رأى بسيفه الذي أصاب وجهه فان العدو أصاب وجهه
يومئذ وقصموا رباعيته وخرقوا شفته يزعمون أن الذي رماه عتبة بن أبي وقاص وكان البقر من
قتل من المسلمين يومئذ . وقال أولت الكبش أنه كبش كتيبة العدو يقتله الله وأولت الدرع الحصينة
المدينة فامكثوا واجعلوا الذراري في الآطام فان دخل علينا القوم في الأزقة قاتلناهم ورووا من فوق
البيوت وكانوا قد سكا أزقة المدينة بالبيان حتى [صارت] كالحصن . فقال الذين لم يشهدوا بدرأ :
كننا تمنى هذا اليوم وندعو الله فقد ساقه الله إلينا وقرب المسير وقال رجل من الانصار : متى قاتلهم
يا رسول الله اذا لم نقاتلهم عند شعبنا ؟ وقال رجال ماذا نمنع اذا لم نمنع الحرب برؤع ؟ وقال رجال
قولا صدقوا به ومضوا عليه منهم حمزة بن عبد المطلب قال : والذي أنزل عليك الكتاب
لنجدلهم . وقال نعيم بن مالك بن ثعلبة وهو أحد بني سالم : يا نبي الله لا تحرمنا الجنة فوالذي
نفسى بيده لأدخلنها . فقال له رسول الله (ص) : بيم ؟ قال : بآني أحب الله ورسوله ولا أفر يوم
الزحف . فقال له رسول الله (ص) : صدقت . واستشهد يومئذ . وأبي كثير من الناس إلا الخروج
إلى العدو ولم يتناهاوا إلى قول رسول الله (ص) ، ورأيه ولورضوا بالذي أمرهم كان ذلك ولكن
غلب القضاء والقدر وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدرأ قد علموا الذي سبق

لأصحاب بدر من الفضيلة فلما صلى رسول الله (ص) الجمعة وعظ الناس وذكرهم وأمرهم بالجد
 والجهاد ثم انصرف من خطبته وصلاته فدعا بلاءته فلبسها ثم أذن في الناس بالخروج فلما رأى ذلك
 رجال من ذوى الرأى قالوا : أمرنا رسول الله (ص) أن نمكث بالمدينة وهو أعلم بالله وما يريد ويأتيه
 الوحى من السماء فقالوا يارسول الله أمكث كما أمرتنا فقال : ما ينبغي لنبى إذا أخذ لأمة الحرب وأذن
 بالخروج الى العدو أن يرجع حتى يقابل وقد دعوتكم الى هذا الحديث فأيتهم إلا الخروج فعليكم بتقوى
 الله والصبر عند البأس اذا لقيتم العدو وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا . قال : فخرج رسول الله
 (ص) والمسلمون فسلكوا على البدائع وهم الف رجل والمشركون ثلاثة آلاف فمضى رسول الله (ص)
 حتى نزل بأحد ورجع عنه عبد الله بن أبى ابن سلول فى ثلثائة فبقى رسول الله (ص) فى سبعمائة قال
 البيهقى رح هذا هو المشهور عند أهل المغازى أنهم بقوا فى سبعمائة مقاتل قال والمشهور عن الزهرى
 أنهم بقوا فى أربعائة مقاتل كذلك رواه يعقوب بن سفيان عن اصبع عن ابن وهب عن يونس
 عن الزهرى وقيل عنه بهذا الاسناد سبعمائة فله أعلم . قال موسى بن عقبة وكان على خيل المشركين
 خالد بن الوليد وكان معهم مائة فرس وكان لواؤه مع عثمان بن طلحة قال ولم يكن مع المسلمين فرس
 واحدة ثم ذكر الوقعة كما سيأتى تفصيلها ان شاء الله تعالى . وقال محمد بن اسحاق لما قص رسول الله
 (ص) رؤياه على أصحابه قال لهم ان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا
 بشرّ مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأى عبد الله بن أبى ابن سلول مع رأى رسول الله
 (ص) فى أن لا يخرج اليهم فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن
 كان فاته بدر : يارسول الله أخرج بنا الى أعدائنا لا يرون أننا جئنا عنهم وضعفنا فقال عبد الله
 ابن أبى يارسول الله لا تخرج اليهم فوالله ماخرجنا منها الى عدو قط الا أصاب منا ولا دخلها
 علينا الا أصابنا منه . فلم يزل الناس برسول الله (ص) حتى دخل فلبس لأمته وذلك يوم الجمعة
 حين فرغ من الصلاة وقدمات فى ذلك اليوم رجل من بنى النجار يقال له مالك بن عمرو فصرى
 عليه ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا استكرهنا رسول الله (ص) ولم يكن لنا ذلك فلما خرج
 عليهم قالوا يارسول الله ان شئت فاقعد فقال ما ينبغي لنبى اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل .
 فخرج رسول الله (ص) فى ألف من أصحابه . قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم قال
 ابن اسحاق حتى اذا كان بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن أبى بثلث الناس وقال
 أطاعهم وعصاني ما ندرى علام تقتل أنفسنا ههنا أيها الناس . فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل
 النفاق والريب واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام السلمى والد جابر بن عبد الله فقال : يا قوم اذكركم
 الله أن لا تتخذوا قومكم ونبىكم عند ما حضر من عدوهم . قالوا لو نعلم انكم تقاتلون ما أسلمناكم

ولكننا لا نرى أن يكون قتال . فلما استمعوا عليه وأبوا إلا الانصراف قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم نبيه (س) . قلت : وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تعالى [وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا فأنزلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون] يعني انهم كاذبون في قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، وذلك لأن وقوع القتال أمره ظاهر بين واضح لاخفاء ولا شك فيه وهم الذين أنزل الله فيهم ﴿ فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا ﴾ الآية وذلك أن طائفة قالت قاتلهم وقال آخرون لا تقاتلهم كما ثبت وبين في الصحيح . وذكر الزهري أن الانصار استأذنوا حينئذ رسول الله (س) في الاستعانة بحلفائهم من يهود المدينة فقال لا حاجة لنا فيهم . وذكر عروة بن موسى بن عقبة أن بني سلمة وبني حارثة لما رجع عبد الله بن أبي وأصحابه همتا أن تفشلا فنبههما الله تعالى ، ولهذا قال ﴿ اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ قال جابر بن عبد الله ما أحب أنهما لم تنزل والله يقول ﴿ والله وليهما ﴾ كما ثبت في الصحيحين عنه . قال ابن اسحاق ومضى رسول الله (س) حتى سلك في حرة بني حارثة فذب فرسٌ بذنبه فأصاب كلاب سيف فاستله فقال رسول الله (س) لصاحب السيف شمس سيفك أي اغمده فاني أرى السيوف تسفل اليوم . ثم قال النبي (س) لأصحابه : من رجل يخرج بنا على القوم من كئيب (أي من قريب) من طريق لا يمر بنا عليهم فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث أنا يارسول الله فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم حتى سلك به في مال لمربع بن قيطى وكان رجلا منافقا ضرير البصر فلما سمع حس رسول الله ومن معه من المسلمين قام يحثي في وجوههم التراب ويقول ان كنيت رسول الله فاني لا أحل لك أن تدخل في حائطي . قال ابن اسحاق وقد ذكر لي أنه أخذ حفنة من التراب في يده ثم قال والله لو أعلم أني لأصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله (س) لا تقتلوه ، فهذا الاعمى أعمى القلب أعمى البصر ، وقد بدر اليه سعد بن زيد أخو بني عبد الاشهل قبل نهى رسول الله (س) فضر به بالقوس في رأسه فشجبه ومضى رسول الله (س) حتى نزل الشعب من أحد في عبوة الوادي وفي الجبل وجعل ظهره وعسكره الى أحد وقال لا يقاتلن أحد حتى أمره بالقتال وقد سرحت قریش الظير والكراع في زروع كانت بالصمغة من قناة كانت للمسلمين فقال رجل من الانصار حين نهى رسول الله (س) عن القتال أترعى زروع بنى قيلة ولما نضارب ؟ وتعباً رسول الله (س) للقتال وهو في سبعمائة رجل وأمر على الرماة يومئذ عبد الله بن جبير أخا بنى عمرو بن عوف وهو معلم يومئذ بثياب بيض والرماة خمسون رجلاً فقال انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ان كانت لنا أو علينا فثبت مكانك

لأنّوثين من قبلك . وسيأتى شاهد هذا في الصحيحين ان شاء الله تعالى . قال ابن اسحاق وظاهر رسول الله (ص) . بين درعين يعنى لبس درعاً فوق درع ودفع اللواء الى مصعب بن عمير أخى بنى عبد الدار قلت وقد رد رسول الله (ص) جماعة من الغلمان يوم أحد فلم يمكنهم من حضور الحرب لصغرهم منهم عبد الله بن عمر كما ثبت في الصحيحين قال عرضت على النبي (ص) يوم أحد فلم يجزني وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني وكذلك رد يومئذ أسامة بن زيد وزيد بن ثابت والبراء بن عازب وأسيد بن ظبير وعرابة بن أوس بن قيسى ذكره ابن قتيبة وأورده السهيلي ، وهو الذى يقول فيه الشماخ : -

إذا ما راية رُفعت لجدي تلقّاها عرابة باليمن

ومهم ابن سعيد بن خيشمة ذكره السهيلي أيضاً وأجازهم كلهم يوم الخندق وكان قد رد يومئذ سمرة بن جندب ورافع بن خديج وهما ابنا خمس عشرة سنة قليل يارسول الله ان رافعاً رام فأجازه قليل يارسول الله فان سمرة يصرع رافعاً فأجازه . قال ابن اسحاق رح وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف ومهم مائتا فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخليل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل بن هشام وقال رسول الله (ص) : من يأخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فأسكه عنهم حتى قام اليه أبو دجانة سمالك بن خرشة أخو بنى ساعدة فقال وما حقه يارسول الله؟ قال أن تضرب به فى العدو حتى ينحني . قال أنا آخذه يارسول الله بحقه فأعطاه إياه . هكذا ذكره ابن اسحاق منقطعاً . وقد قال الامام أحمد حدثنا يزيد وعفان قالوا حدثنا حماد هو ابن سلمة أخبرنا ثابت عن النبي أن رسول الله (ص) أخذ سيفاً يوم أحد فقال من يأخذ هذا السيف فأخذ قوم فجعلوا ينظرون اليه فقال من يأخذه بحقه فأحجم القوم فقال أبو دجانة سمالك : أنا آخذه بحقه . فأخذه ففلق به هام المشركين ورواه مسلم عن أبى بكر عن عفان به . قال ابن اسحاق وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يخال عند الحرب وكان له عصاة حمراء يعلم بها عند الحرب يعتصب بها فيعلم أنه سيقا تل ، قال فلما أخذ السيف من يد رسول الله (ص) أخرج عصابته تلك فاعتصب بها ثم جعل يتبخر بين الصفين قال : فحدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الانصار من بنى سلمة قال : قال رسول الله (ص) : حين رأى أبا دجانة يتبخر : انها لمشية ينفذها الله الا فى مثل هذا الوطن . قال ابن اسحاق وقد قال أبو سفيان لاصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرضهم على القتال : يا بنى عبد الدار قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فلما أن تمكنونا لواءنا واما أن تحلوا بيننا وبينه فكيف كره فهو ابه وتواعدوه وقالوا : نحن نسلم اليك لواءنا ! ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع . وذلك الذى أراد أبو سفيان . قال فلما التقى الناس ودنا بعضهم من

بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال
ويحرضن على القتال فقالت هند فيما تقول :

وَيْهَاءَ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَبِهَا حِمَاةُ الْأَدْبَارِ ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارٍ
وَتَقُولُ أَيْضًا :

أَنْ تُقْبَلُوا لِنَعَانِقَ وَنَفْرَشِ النَّمَارِقِ
أَوْ تُذْبَرُوا فَنَفَارِقَ فِرَاقٍ غَيْرِ وَامِقِ

قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان أبا عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن
النعمان أحد بني ضبيعة وكان قد خرج الى مكة مباعدا لرسول الله (ص) معه خمسون غلاما من
الايوس وبعض الناس يقول كانوا خمسة عشر وكان يعد قريشاً أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه
منهم رجلان فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الاحابيش وعبدان أهل مكة فنادى :
يا مشر الاوس أنا أبو عامر قالوا : فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق . وكان يسمى في الجاهلية الراهب فسماه
رسول الله (ص) الفاسق . فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومي بعدي شر ثم قاتلهم قتلا شديداً
ثم أرضخهم بالحجارة . قال ابن اسحاق فأقبل الناس حتى حمت الحرب وقاتل أبو دجانة حتى أضعف
في الناس قال ابن هشام وحدثني غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام قال وجدت في نفسي
حين سألت رسول الله (ص) السيف فمنعني وأعطاه أبا دجانة وقتل أنا ابن صفية عنه ومن قريش
وقد قتلت اليه وسألته اياه قبله فأعطاه أبا دجانة وتركني والله لا أنظرن ما يصنع فاتبعته فأخرج عصاة
له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الانصار أخرج أبو دجانة عصاة الموت وهكذا كانت تقول له اذا
تعصب فخرج وهو يقول :

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ
أَنْ لَا أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الْكَيْوَلِ أَضْرَبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ

وقال الاموي حدثني أبو عبيد في حديث النبي (ص) أن رجلاً أتاه وهو يقاتل به فقال لعلك
ان أعطيتك تقاتل في الكيول ؟ قال لا . فأعطاه سيفاً فجعل يرتجز ويقول :

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي أَنْ لَا أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الْكَيْوَلِ

وهذا حديث يروى عن شعبة ورواه اسرائيل كلاهما عن أبي اسحاق عن هند بنت خالد
أو غيره يرفعه الكيول يعني مؤخر الصفوف سمعته من عدة من أهل العلم ولم أسمع هذا الخرف إلا
في هذا الحديث . قال ابن هشام فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله وكان في المشركين رجل لا يدع جريحاً
إلا ذفف عليه فجعل كل منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلعا ضربتني

فضرب المشرك أبا دجانة فأتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله . ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها فقلت الله ورسوله أعلم . وقد رواه البيهقي في الدلائل من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام بذلك . قال ابن اسحاق قال أبو دجانة رأيته انساناً يحمس الناس حساً شديداً فصعدت له فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة فأكرمت سيف رسول الله . أن أضرب به امرأة وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله . لما عرضه طلبه منه عمر فأعرض عنه ثم طلبه منه الزبير فأعرض عنه فوجدوا في أنفسهما من ذلك ثم عرضه الثالثة فطلبه أبو دجانة فدفعه اليه فأعطى السيف حقه قال فزعوا أن كعب بن مالك قال : كنت فيمن خرج من المسلمين فلما رأيته مثل المشركين بقتلى المسلمين قت فتجاوزت فإذا رجل من المشركين جمع اللأمة يجوز المسلمين وهو يقول : استوسقوا كما استوسقت جزر الغنم . قال وإذا رجل من المسلمين ينتظره وعليه لأمته فضيت حتى كنت من وراءه ثم قت أقدّر المسلم والكافر ببصرى فإذا الكافر أفضلهما عدة وهياة . قال فلم أزل أنتظرهما حتى التقيما فضرب المسلم الكافر على حبل عاتقه ضربة بالسيف فبلغت وركه وتفرق فرقتين ثم كشف المسلم عن وجهه وقال : كيف ترى يا كعب ؟ أنا أبو دجانة

مقتل حمزة رضي الله عنه

قال ابن اسحاق وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن عبد شرجيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ، وكذلك قتل عثمان بن أبي طلحة وهو حامل اللواء وهو يقول :

انّ على أهلِ اللواءِ حقّا أن يخضّبوا الصّعدّة أو تندّقّا

فحمل عليه حمزة فقتله ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشاني وكان يكنى بأبي نيار فقال حمزة: هلم الي يا ابن مقطعة البظور وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي وكانت ختانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله فقال وحشى غلام جبير بن مطعم والله اني لا أنظر لحمزة يهد الناس بسيفه ما يليق شيئا يمر به مثل الجبل الأورق إذ قد تقدمني اليه سباع فقال حمزة هلم يا ابن مقطعة البظور فضربه ضربة فكأنما أخطأ رأسه وهزرت حربي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنثيه حتى خرجت من بين رجله فأقبل نحوي فقلب فوقع وأمهله حتى إذا مات جئت فأخنت حربي ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لي بشيء حاجة غيره . قال ابن اسحاق وحدثني عبد الله بن الفضل بن عياش بن ربيعة بن الحارث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري

قال : خرجت أنا وعبيد الله بن عدى بن الخيلار أحد بنى نوفل بن عبد مناف في زمان معاوية فأدبر بنا مع الناس فلما مررنا بجمص وكان وحشى مولى جبير قد سكنها وأقام بها فلما قدمناها قال عبيد الله بن عدى : هل لك في أن تأتي وحشياً فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال قلت له : ان شئت . فخرجنا نسأل عنه بجمص فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه انكما ستجدانه بفناء داره وهو رجل قد غابت عليه الخمر فان تجده صاحياً تجدا رجلاً عربياً وتجدا عنده بعض ماتريدان وتصبيا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه وان تجده وبه بعض ما به فالنصر فاعنه ودعاه . قال : فخرجنا نمشى حتى جئناه فاذا هو بفناء داره على طائفة له واذا شيخ كبير مثل البغاث ، واذا هو صاح لا بأس به ، فلما اتهمنا اليه سلمنا عليه ، فرفع رأسه الى عبيد الله بن عدى فقال : ابن لعدى بن الخيلار أنت ؟ قال نعم . قال أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التي أرضعتك بنى طوى فإني ناولتكها وهي على بئرها فأخذتك بعرضيك فلمعت لى قدمائك حتى رفعتك اليها فوالله ما هو إلا أن وقفت على ففرقتهما . قال فجلسنا اليه فقلنا : جئناك لتحدثنا عن قتل حمزة كيف قتله ؟ فقال : أما إني سأحدثكما كما حدثت رسول الله (ص) ، حين سألني عن ذلك ، كنت غلاماً لجبير بن مطعم وكان عمه طعيمة بن عدى قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش الى أحد قال لى جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق . قال فخرجت مع الناس وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة قل ما أخطىء بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة واتبعه حتى رأيته في عرض الناس كأنه الجمل الأورق يهد الناس بسيفه هنأ ما يقوم له شئ فوالله إني لأتهيباً له أريده وأستؤمنه بشجرة أو بحجر ليدنوني إذ تقدمنى اليه سباع بن عبد العزى فلما رآه حمزة قال هلم إلى يا ابن مقطعة البظور ، قال فضر به ضربة كأنما أخطأ رأسه ، قال وهزرت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجله وذهب لينوء نحوى فقلب وتركته وإياها حتى مات ثم أتيت فأخذت حربتي ثم رجعت الى العسكر وقعدت فيه ولم يكن لى بغيره حاجة إنما قتلته لأعتق ، فلما قدمت مكة عتقت ثم أقيمت حتى إذا افتتح رسول الله (ص) مكة هربت الى الطائف فكنيت بها فلما خرج وفد الطائف الى رسول الله (ص) ، ليسلموا تعيت على المذاهب فقلت الحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد فوالله إني لنى ذلك من همى إذ قال لى رجل : ويحك انه والله لا يقتل أحداً من الناس دخل في دينه وشهد شهادة الحق ، قال فلما قال لى ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله (ص) ، المدينة فلم يرعه إلا بى قائماً على رأسه أشهد شهادة الحق فلما رآنى قال لى : أو وحشى أنت ؟ قلت نعم يا رسول الله . قال اقم فحدثنى كيف قتلت حمزة ؟ قال فحدثته كما حدثتكم ، فلما فرغت من حديثى قال ويحك غيب عني وجهك فلا أرينك ، قال فكنت

أَتَكْتَبُ بِرَسُولِ اللَّهِ (ص)، حَيْثُ كَانَ لثَلَاثِ إِرَانِي حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَمَّا خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَسِيلَةَ الْكَذَّابِ صَاحِبِ الْبَيْمَةِ خَرَجَتْ مَعَهُمْ وَأَخَذَتْ حَرْبِي الَّتِي قَتَلْتُ بِهَا حِمْرَةَ، فَلَمَّا التَّقَى النَّاسُ رَأَيْتُ مَسِيلَةَ قَائِمًا وَبِيَدِهِ السِّيفُ وَمَا أَعْرِفُهُ قَتِيلَاتٍ لَهُ وَتَبِيًّا لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْإِنصَارِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْآخَرَى كَلَانًا بِرِيدِهِ فَهَزَزْتُ حَرْبِي حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ فَوَقَعَتْ فِيهِ، وَشَدَّ عَلَيْهِ الْإِنصَارِيُّ بِالسِّيفِ فَرَبَّكَ أَعْلَمُ أَيْنَا قَتَلَهُ، فَإِنْ كُنْتُ قَتَلْتُهُ فَقَدْ قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ص)، وَقَتَلْتُ شَرَّ النَّاسِ. قُلْتُ: الْإِنصَارِيُّ هُوَ أَبُو دَجَانَةَ سَمَّاكَ بَنَ خَرَشَةَ كَمَا سَيَأْتِي فِي مَقْتَلِ أَهْلِ الْبَيْمَةِ. وَقَالَ الْوَأْدِيُّ فِي الرِّدَّةِ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ الْمَازَنِيُّ. وَقَالَ سَيْفُ بْنُ عَمْرٍو: هُوَ عَدِيُّ ابْنِ سَهْلٍ وَهُوَ الْقَاتِلُ:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي وَوَحْشِيهِمْ قَتَلْتُ مُسِيلَةَ الْمُتَّعِبِينَ
وَيَسْأَلِي النَّاسُ عَنْ قَتْلِهِ قَتَلْتُ ضَرْبْتُ، وَهَذَا طَعْنٌ

وَالْمَشْهُورُ أَنَّ وَحْشِيًّا هُوَ الَّذِي بَدَرَهُ بِالضَّرْبَةِ وَذَفَعَ عَلَيْهِ أَبُو دَجَانَةَ، لَمَّا رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ ابْنِ عَمْرِو قَالَ: سَمِعْتُ صَارِخًا يَوْمَ الْبَيْمَةِ يَقُولُ: قَتَلَهُ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ. وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ قِصَّةَ مَقْتَلِ حِمْرَةَ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجَشُونِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ أُمِّةِ الضَّمَرِيِّ قَالَ خَرَجْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخَلَّارِ فَذَكَرَ الْقِصَّةَ كَمَا تَقَدَّمَ. وَذَكَرَ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَدِيِّ كَانَ مُعْتَجِرًا عِمَامَةً لَا يَرَى مِنْهُ وَحْشِي إِلَّا عَيْنِيهِ وَرَجْلِيهِ فَذَكَرَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ لَهُ مَا تَقَدَّمَ، وَهَذِهِ قِيَاةُ عَظِيمَةٍ كَمَا عَرَفَ بِحُزْنِ الْمَدْبُورِ أَقْدَامُ زَيْدِ بْنِ أَبِيهِ أَسَامَةَ مَعَ اخْتِلَافِ أُلُوفِهِمَا. وَقَالَ فِي سَبَاقَتِهِ: فَلَمَّا أَنَّ صَفَّ النَّاسِ لِلْقِتَالِ خَرَجَ سَبَاعٌ فَقَالَ دَلَّ مِنْ مَبَارِزِ نَخْرَجَ إِلَيْهِ حِمْرَةَ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فَقَالَ لَهُ: يَا سَبَاعُ يَا ابْنَ أُمِّ أُنْمَارٍ مَقْطَعَةُ الْبَطْوَورِ اتَّحَادَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟ ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ، قَالَ وَكُنْتُ لِحِمْرَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبِي فَأَضَعَهَا فِي ثَنَّتَا حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَرَكِبَهُ قَالَ فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ، إِلَى أَنْ قَالَ: فَلَمَّا قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ (ص)، وَخَرَجَ مَسِيلَةُ الْكَذَّابِ قَتَلْتُ لِأَخْرِجَ إِلَى مَسِيلَةَ لَعْلَى أَقْتَلَهُ فَأَكْفَى بِهِ حِمْرَةَ، قَالَ نَخْرَجْتُ مَعَ النَّاسِ فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ قَالَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثَلَاثَةِ جُدَارٍ كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْ رَقٌّ ثَائِرٌ الرَّأْسِ، قَالَ فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبِي فَأَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ كَتْفِيهِ، قَالَ وَوُثِبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْإِنصَارِ فَضَرَبَهُ بِالسِّيفِ عَلَى هَامَتِهِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ فَأَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو يَقُولُ: قَالَتْ جَارِيَةٌ عَلَى ظَهْرِ الْبَيْتِ: وَآمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَتَلَهُ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فَبَلَغَنِي أَنَّ وَحْشِيًّا لَمْ يَزَلْ يُحَدِّثُ فِي الْجَمْرِ حَتَّى خُلِعَ مِنَ الدِّيَوَانِ فَكَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ: قَدْ قَتَلْتُ إِنْ كَانَ اللَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدْعُ قَاتِلَ حِمْرَةَ. قُلْتُ:

وتوفى وحشى بن حرب أبو دسمة ويقال أبو حرب بمحصر وكان أول من لبس الثياب المدلوكة . قال ابن اسحاق : وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله (س)، حتى قتل وكان الذي قتله ابن قتيبة الليثي وهو يظن أنه رسول الله (س)، فرجع الى قريش فقال قتل محمدًا . قلت وذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن سعيد بن المسيب أن الذي قتل مصعبًا هو أبي بن خلف فأن الله أعلم . قال ابن اسحاق فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله (س)، اللواء على بن أبي طالب . وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق : كان اللواء أولاً مع علي بن أبي طالب ، فلما رأى رسول الله (س)، لواء المشركين مع عبد الدار قال نحن أحق بالوفاء منهم أخذ اللواء من علي بن أبي طالب فدفعه الى مصعب بن عمير ، فلما قتل مصعب أعطى اللواء على بن أبي طالب . قال ابن اسحاق : وقاتل علي بن أبي طالب ورجال من المسلمين . قال ابن هشام وحدثني مسلمة بن علقمة المازني . قال : لما اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله (س)، تحت راية الانصار وأرسل الى علي أن قدم الراية فقدم علي وهو يقول : أنا أبو القصم فناده أبو سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين . هل لك يا أبا القصم في البراز من حاجة ؟ قال نعم فبرز ا بين الصنين فاختلفا ضربتين فضر به على فصرعه ثم انصرف ولم يجزه عليه . فقال له بعض أصحابه : أفلا أجيزت عليه ؟ فقال انه استقبلني بعورته فعطفتني عليه الرحم وعرفت أن الله قد قتله . وقد فعل ذلك علي رضي الله عنه يوم صفين مع بسر ابن ابي أرطاة لما حمل عليه ليقته أبدى له عورته فرجع عنه . وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه علي في بعض أيام صفين أبدى عن عورته فرجع علي أيضاً . ففي ذلك يقول الحارث بن النضر :

أتى كل يوم فارس غير منتهم وعورته وسط العجاجة باديه
يكف لها عنه علي سبنانه ويضحك منها في الخلاء معاويه

وذكر يونس عن ابن اسحاق أن طلحة بن أبي طلحة العبدري حامل لواء المشركين يومئذ دعا الى البراز فأحجم عنه الناس فبرز اليه الزبير بن العوام فوثب حتى صار معه على جملة ، ثم اقتحم به الارض فألقاه عنه رذبحه بدينه فأنى عليه رسول الله (س)، قال « ان لكل نبي حوارياً وحواري الزبير » وقال : لو لم يبرز اليه لبرزت أنا اليه لما رأيت من احجام الناس عنه . وقال ابن اسحاق قتل أبا سعد بن أبي طلحة سعد بن ابي وقاص وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح فقتل نافع بن أبي طلحة وأخذ الخلاص كلاهما يشمره سهماً فأتى أمه سلافة فيضع رأسه في حجرها فتقول يابني من أصابك فيقول سمعت رجلاً حين رماني يقول خذها وأنا ابن أبي الأفلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر وكن عاصم قد عاهد الله لا يمس مشركاً أبداً ولا

بسمه ولهذا حماه الله منه يوم الرجيع كما سيأتي . قال ابن اسحاق : والتقى حنظلة بن أبي عامر واسمه عمرو ويقال عبد عمرو بن صيفي وكان يقال لابي عامر في الجاهلية الراهب الكثرة عبادته فسماه رسول الله (ص) الفاسق لما خلف الحق وأهله وهرب من المدينة هرباً من الاسلام ومخالفة للرسول عليه السلام وحنظلة الذي يعرف بحنظلة الغسيل لانه غسلته الملائكة كما سيأتي هو وأبو سفيان صخر بن حرب فلما علاه حنظلة رآه شداد بن الاوس وهو الذي يقال له ابن شعوب فضربه شداد فقتله فقال رسول الله (ص) : « ان صاحبكم لتغسله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه » فسمت صاحبه قال الواقدي : هي جميلة بنت أبي ابن سلول وكانت عروساً عليه تلك الليلة . فقالت خرج وهو جنب حين سمع الحاتفة فقال رسول الله (ص) : كذلك غسلته الملائكة . وقد ذكر موسى بن عقبة أن أباه ضرب برجله في صدره وقال ذنبان أصبتهما ولدت نهيتك عن مصرعك هذا ، ولقد والله كنت وصولاً للرحم برأ بالوالد . قال ابن اسحاق وقال ابن شعوب في ذلك :

لأحمين صاحبي ونفسي بطعنة مثل شعاع الشمس

وقال ابن شعوب :

ولولا دفاعي يا ابن حرب وشهدي
ولولا مكري المهر بالنعف ففرت

لألغيت يوم النعف غير مجيب
عليه ضباغ أو ضراء كليب

وقال أبو سفيان :

ولو شئت نجيتي كميت وطيرة
وما زال مهري مزجر الكلب منهم
أقاتلهم وأدعي بالغالب
فبكي ولا ترعي مقالة عاذل
أباك واخواناً له قد تنابخوا
وسلي الذي قد كان في النفس اني
ومن هاشم قرماً كريماً ومضماً
قلو أني لم أشف نفسي منهم
فأبوا وقد أودى ابلاييب منهم
أصابهم من لم يكن لدمائهم

ولم أحل النماء لابن شعوب
لذن غدوة حتى دنت لغروب
وأدفعهم عني بركن صليب
ولا تسأني من عبرة ونحيب
وحق لهم من عبرة بنصيب
قلت من النجار كل نجيب
وكان لدى الهيجاء غير هيب
لكانت شجى في القلب ذات ندوب
بهم خدب من مغيط وكثيب
كفاء ولا في خطرة بضريب

فأجابه حسان بن ثابت :

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم
ولست لزور قلته بمصيب

أَتَعْجَبُ أَنْ أَقْصَدْتَ حِمْرَةَ مِنْهُمْ نَجِيًّا وَقَدْ سَمَّيْتَهُ بَنَجِيبَ
أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وَعَتْبَةً وَابْنَهُ وَشَيْبَةَ وَالْحِجَّاجَ وَابْنَ حَبِيبَ
غَدَاةَ دَعَا الْعَاصِي عَلِيًّا فَرَاغَهُ بِضَرْبَةٍ عَصَبٍ بِاللَّهِ بِخَضِيبِ

قَضَى اللَّهُ

قال ابن اسحاق : ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعد فحسوم بالسيوف حتى
كشفوهم عن السكر وكانت الهزيمة لا شك فيها . وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير
عن أبيه عباد عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدع هند بنت
عتبة وصواحبها مشمرات هوازب ما دون أخذهن قليل ولا كثير اذ مالت الرماة على العسكر حين
كشفنا القوم عنه وخلصوا ظهورنا للخييل فأتينا من خلفنا وصرخ صارخ ألا ان محمداً قد قتل فانكفأنا
وانكفأ القوم علينا بعد أن أصابنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد منهم ، فحدثني بعض
أهل العلم أن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت عقبة الحارثية فرفعته لقريش فلاثوا به
وكان اللواء مع صواب غلام لبنى أبي طلحة حبشي وكان آخر من أخذه منهم مقاتل به حتى قطعت
يداه ثم برك عليه فاخذ اللواء بصدرة وخنقه حتى قتل عليه وهو يقول : اللهم هل أعزرت - يعني
اللهم هل أعزرت - فقال حسان بن ثابت في ذلك :

فُخِّرْتُمْ بِاللَّوَاءِ وَشُرُّ نَجَسٍ لَوَاءٌ حِينَ رُدَّ إِلَى صَوَابٍ
جَعَلْتُمْ فُخْرَكُمْ فِيهِ لَعِبٍ وَالْأَمْرُ مَنْ يَطَا عَفْرُ التُّرَابِ
ظَنَنْتُمْ ، وَالسَّفِيهُ لَهُ ظَنُونٌ وَمَا إِنَّ ذَاكَ مِنْ أَمْرِ الصَّوَابِ
بَأَنَّ جِلَادَنَا يَوْمَ التَّقِيْنَا بِمَكَّةَ يُعْطِكُمْ خُمْرَ الْعِيَابِ
أَقْرَّ الْعَيْنَ أَنْ عُصْبَتُ يَدَاهِ وَمَا أَنْ تُعْصَبَانِ عَلَى خِصَابِ

وقال حسان أيضاً في رفع عمرة بنت عقبة اللواء لهم :

إِذَا عَضَلَتْ سَيْفَتُ الْبِنَا كَأَنَّهَا جَدَايُهُ شَرَكٌ مُلَمَّتِ الْحَوَاجِبِ
أَقْنَأْنَا لَهُمْ طَعْنًا مُبِيرًا مِنْكَالًا وَحَزَنًا بِمُضْرِبٍ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
فَلَوْلَا لَوَاءُ الْخَارِثِيَةِ أَصْبَحُوا يُبَاعُونَ فِي الْأَسْوَاقِ يَبِيعُ الْجَلَابِبِ

قال ابن اسحاق فانكشف المسلمون وأصاب منهم العدو وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله
فيه من أكرم بالشهادة حتى خلص العدو إلى رسول الله ص ، فذهب بالجلدة حتى وقع لشقه فأصيبت
رابعيته وشج في وجهه وكنت شفته وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص فحدثني حميد الطويل عن

أنس بن مالك قال كسرت رباعية النبي (ص)، يوم أحد وشج في وجهه فجعل يمسح الدم ويقول
 كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله فأَنْزَلَ اللهُ [ليس لك من الأمر شيء، أو
 يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون] قال ابن جرير في تاريخه حدثنا محمد بن الحسين حدثنا أحمد
 ابن الفضل حدثنا أسباط عن السدي قال أتى ابن قتيبة الحارثي فرمى رسول الله (ص)، بحجر فكسر
 أنفه ورباعيته وشجه في وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة وانطلق طائفة فوق الجبل
 إلى الصخرة وجعل رسول الله (ص)، يدعو الناس: إلى عباد الله، إلى عباد الله فاجتمع إليه ثلاثون
 رجلاً فجعلوا يسرون بين يديه فلم يقف أحد إلا دلمحة وسهل بن حنيف فثماه طلحة فرمى بسهم في
 يده فبيست يده وأقبل أبي بن خلف الجمحي وقد خلف ليقتلن النبي (ص)، فقال بل أنا أقتله فقال
 يا كذاب أين تفر فحمل عليه فطعنه النبي (ص)، في جيب الدرع فجرح جرحاً خفيفاً فوق وقع ينحدر
 خوار الثور فاحتملوه وقالوا ليس بك جراحة فما يجرعك؟ قال: أليس قال لاقتلك لو كانت تجتمع
 ربيعة ومضر لقتلهم. فلم يلبث إلا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح وفشا في الناس أن
 رسول الله (ص)، قد قتل فقال بعض أصحاب الصخرة ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي فياخذ
 لنا أمانة من أبي سفيان، يا قوم إن محمداً قد قتل فارجموا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم، فقال أنس
 ابن النضر يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد (ص)، اللهم
 أني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وانطلق
 رسول الله (ص)، يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة فلما رأوه وضع رجل سهما في قوسه
 برميهِ فقال أنا رسول الله ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله (ص)، وفرح رسول الله (ص)، حين
 رأى أن في أصحابه من يمتنع به، فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله (ص)، ذهب عنهم الحزن فأقبلوا
 يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا، فقال الله عز وجل في الذين قالوا
 إن محمداً قد قتل فارجموا إلى قومكم: [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل] الآية فأقبل
 أبو سفيان حتى أشرف عليهم فلما نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه وهم أبو سفيان فقال
 رسول الله (ص)، «ليس لهم أن يعلونا، إنهم إن قتل هذه العصابة لا تعبد في الأرض». ثم ندب
 أصحابه فرمواهم بالاجارة حتى أنزلوهم فقال أبو سفيان يومئذ: أعل هبل حنظلة بحنظلة ويوم أحد
 بيوم بدر. وذكر تمام القصة. وهذا غريب جداً وفيه نكارة. قال ابن هشام: وزعم ربيع بن عبد
 الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله (ص)، فكسر
 رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته وأن عبد
 الله بن قتيبة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ووقع رسول الله (ص)، في حفرة

من الحفر التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون فأخذ علي بن أبي طالب بيده ورفع طلمحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ومص مالاك بن سنان أبو أبي سعيد الدم من وجه رسول الله (ص)، ثم ازدردته فقال من مس دمه دمي لم تمسه النار قلت وذكر قتادة أن رسول الله (ص) لما وقع لشقه أغشى عليه فمر به سالم مولى أبي حذيفة فأجلسه ومسح الدم عن وجهه فأفاق وهو يقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبينهم وهو يدعوهم إلى الله فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية رواه ابن جرير وهو مرسل وسيأتي بسط هذا في فصل وحده قلت : كان أول النهار للمسلمين على الكفار كما قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ إذ تُصْعِدُونَ وَلَا تُلَوِّنُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بَعِمَ [الآية قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثني] سليمان بن داود أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله عن ابن عباس أنه قال : ما نصر الله في موطن كما نصر يوم أحد قال فأنكرنا ذلك فقال بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله أن الله يقول في يوم أحد ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ﴾ يقول ابن عباس والحسن القتيل ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ وإنما عفا بهذا الرماة وذلك أن النبي (ص)، أقامهم في موضع ثم قال احموا ظهورنا فإن رأيتمونا تقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا نفهم فلا تشركونا . فلما غم النبي (ص)، وأباحوا عسكر المشركين اكب الرماة جميعاً فدخلوا في العسكر ينهبون وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله (ص)، فهم هكذا (وشبك بين أصابع يديه) والتبسوا فلما أخل الرماة تلك الخائمة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي (ص)، فضرب بعضهم بعضاً فالتبوا وقتل من المسلمين ناس كثير وقد كان لرسول الله وأصحابه أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة وجال المسلمون جولة نحو الجبل ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار إنما كان تحت المهراس ، وصاح الشيطان : قتل محمد ! فلم يشك فيه أنه حق ، فمازلنا كذلك ما نشك أنه حق حتى طلع رسول الله (ص)، بين السعدين نعرفه بتكفيه إذا مشى قال ففرحنا كأنه لم يصبنا ما أصابنا قال فرقى نحونا وهو يقول اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله . ويقول مرة أخرى اللهم انه ليس لهم أن يعلمونا حتى انتهى الينا فمكث ساعة فاذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل : أعل هبل أعل هبل ، مرتين (يعني أكلته) ، أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر بن الخطاب ألا أجيبه ؟ قال بلى قال فلما قال أعل هبل قال : الله أعل وأجل . قال أبو سفيان يا ابن الخطاب قد أنعمت

عينها ، فماد عنها . أو فعال عنها . فقال أين ابن ابني كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله (ص) ، وهذا أبو بكر وها أنا ذا عمر ، قال فقال أبو سفيان يوم بيوم بدر ، الأيام دول وإن الحرب سجال . قال فقال عمر : لا سواء ، قتلنا في الجنة وقتلنا في النار . قال انكم لتزعمون ذلك ، لقد خبنا اذن وخسرنا . ثم قال أبو سفيان : أما انكم سوف تجدون في قتلاكم مثله ولم يكن ذلك عن رأى سراتنا . قال ثم أدركته حمية الجاهلية فقال أما انه ان كان ذلك لم نكرهه . وقد رواه ابن ابني حاتم والحاكم في مستدركه والبيهقي في الدلائل من حديث سليمان بن داود الهاشمي به وهذا حديث غريب وهو من مراسلات ابن عباس وله شواهد من وجوه كثيرة سند كرمها ما نيسر ان شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان وهو المستعان . قال البخاري حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرا ئيل عن أبي اسحاق عن البراء قال : لقينا المشركين يوم مؤثر وأجلس النبي (ص) جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال : لا تبرحوا ، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهوروا علينا فلا تعينونا . فلما لقينا هر بوا حتى رأيت النساء يشتدن في الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة ! فقال عبد الله : عيذ إلى النبي (ص) ، أن لا تبرحوا . فأبوا ، فلما أبوا صرفت وجوههم فأصيب سبعون قتيلاً وأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال لا يجيبوه . فقال أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ فقال لا يجيبوه . فقال أفي القوم ابن الخطاب ؟ فقال إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمر نفسه فقال : كذبت يا عدو الله ، أبقى الله عليك ما يحزنك . فقال أبو سفيان : أعل هبل . فقال النبي (ص) : أجيبوه ، قالوا ما نقول ؟ قال قولوا : الله أعلى أوجل . فقال أبو سفيان : لنا المزمى ولا عزمى لكم . فقال النبي (ص) : أجيبوه ، قالوا ما نقول ؟ قال قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم . قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، وتجدون مثله لم أمر بها ولم تسؤني . وهذا من افراد البخاري دون مسلم . وقال الامام أحمد : حدثني موسى حدثنا زهير حدثنا أبو اسحاق أن البراء بن عازب قال : جعل رسول الله (ص) على الرماة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلاً - عبد الله بن جبير ، قال ووضعهم موضعاً وقال : إن رأيتمونا نخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم ، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأنهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم ، قال فهم موهم ، قال فأننا والله رأيت النساء يشتدن على الجبل وقد بت أسوقهن وخلاخلهن وأفاعت ثيابهن ، فقال أصحاب عبد الله بن جبير : الغنيمة ، أي قوم ، الغنيمة . ظهر أصحابكم ، فما تنظرون ؟ قال عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله (ص) ؟ قالوا : إنا والله لنأتين الناس فلنصيب من الغنيمة ! فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين ففلك الذي يدعوهم الرسول في أخرهم ، فلم يبق مع رسول الله (ص) غير اثني عشر رجلاً فأصابها

منا سبعين رجلاً ، وكان رسول الله (ص) ، وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة :
 سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً ، فقال أبو سفيان : أفي القوم محمد ، أفي القوم محمد ، أفي القوم محمد ؟
 ثلاثاً ، فتهام رسول الله (ص) ، أن يجيبوه ، ثم قال : أفي القوم ابن أبي قحافة ، أفي القوم ابن أبي
 قحافة ؟ أفي القوم ابن الخطاب ، أفي القوم ابن الخطاب ؟ ثم أقبل على أصحابه فقال : أما هؤلاء فقد
 قتلوا وقد كفيتهم ، فما ملك عمر نفسه أن قال : كذبت والله يا عدو الله ، إن الذين عدت لأحياء
 كلهم وقد بقي لك ما يسوءك . فقال : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، أنكم ستجدون في القوم مثله
 لم أمر بها ولم تسؤني . ثم أخذ يرتجز : أعلُّ هبلُّ أعلُّ هبلُّ . فقال رسول الله (ص) : ألا تجيبونه
 قالوا يا رسول الله وما نقول ؟ قال قولوا : الله أعلى وأجل . قال : إن العزى لنا ولا عزى لكم ؟ قال
 رسول الله (ص) : ألا تجيبونه ؟ قالوا : يا رسول الله ما نقول ؟ قال قولوا : الله مولانا وله مولى لكم .
 ورواه البخاري من حديث زهير وهو ابن معاوية مختصراً وقد تقدم روايته له مطوّلة من طريق
 إسرائيل عن أبي إسحاق . وقال الامام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت وعليّ
 ابن زيد عن أنس بن مالك أن المشركين لما رهبوا النبي (ص) يذهبون في سبعة من الانصار ورجل من
 قريش ، قال : من يردّهم عنا وهو رفيق في الجنة ؟ فجاء رجل من الانصار فقاتل حتى قُتل . فلما
 رهبوه أيضاً قال : من يردّهم عنا وهو رفيق في الجنة ، حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله (ص) ،
 ما أنصفنا أصحابنا . ورواه مسلم عن هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة به . وقال البيهقي في الدلائل :
 بإسناده عن عمارة بن غزيرة عن أبي الزبير عن جابر قال : انهزم الناس عن رسول الله (ص) يوم أحد
 وبقي معه أحد عشر رجلاً من الانصار وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل فلحقهم المشركون
 فقال : ألا أحد هؤلاء ؟ فقال طلحة أنا يا رسول الله . فقال : كما أنت يا طلحة ، فقال رجل من الانصار :
 فانا يا رسول الله ، فقاتل عنه ، وصعد رسول الله (ص) ، ومن بقي معه ، ثم قُتل الانصار فلحقوه ،
 فقال : ألا رجل هؤلاء ؟ فقال طلحة مثل قوله ، فقال رسول الله (ص) : مثل قوله . فقال رجل
 من الانصار : فانا يا رسول الله ، فقاتل وأصحابه يصعدون ثم قُتل فلحقوه ، فلم يزل يقول مثل قوله
 الأول ويقول طلحة أنا يا رسول الله فيحبسه فيستأذنه رجل من الانصار للقتال فيأذن له فيقاتل مثل من
 كان قبله حتى لم يبق معه إلا طلحة فغشوها ، فقال رسول الله (ص) : من هؤلاء ؟ فقال طلحة أنا ،
 فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنامله فقال حس ، فقال لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة
 والناس ينظرون اليك حتى تلج بك في جوف السماء . ثم صعد رسول الله (ص) إلى أصحابه وهم مجتمعون .
 وروى البخاري عن عبد الله بن أبي شيبه عن وكيع عن اسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال : رأيت
 يد طلحة شلاء وفي بها النبي (ص) ، يوم أحد . وفي الصحيحين من حديث موسى بن اسماعيل عن

معتز بن سليمان عن ابيه عن أبي عثمان النهدي قال : لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي يقاتل فيهن غير طلحة وسعد عن حديثهما . وقال الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن هاشم بن هاشم السعدي سمعت سعيد بن المسيب يقول سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : نزل لي رسول الله ﷺ كنيته يوم أحد وقال : ارم فداك أبي وأمي . وأخرجه البخاري عن عبد الله بن محمد عن مروان بن . وفي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن شداد عن علي بن أبي طالب قال ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لاحد الا لسعد بن مالك فاني سمعته يقول يوم أحد : يا سعد ارم فداك أبي وأمي . قال محمد بن اسحاق حدثني صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن أبي وقاص أنه رمى يوم أحد دون رسول الله ﷺ . قال سعد فلقد رأيت رسول الله ﷺ يناولني النبل ويقول : ارم فداك أبي وأمي . حتى انه ليناولني السهم ليس له فصل فأرمي به . وثبت في الصحيحين من حديث ابراهيم بن سعد عن أبيه عن جده عن سعد بن أبي وقاص قال : رأيت يوم أحد عن يمين النبي ﷺ وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان أشد القتال ما رأيتهما قبل ذلك ولا بعده . يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام . وقال أحمد حدثنا عفان أخبرنا ثابت عن أنس أن أبا طلحة كان يرمي بين يدي النبي ﷺ يوم أحد والنبي ﷺ خلفه يترس به وكان رامياً وكان اذا رمى رفع رسول الله ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه ، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول هكذا بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا يصيبك سهم ، نحري دون نحرك . وكان أبو طلحة يسور نفسه بين يدي رسول الله ﷺ ويقول : اني جلد يا رسول الله ، فوجهي في حوائجك ومررت بما شئت . وقال البخاري حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز عن أنس قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ مجوّب عليه بمجحة له وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد التزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً ، وكان الرجل يمر معه الجامعة من النبل فيقول : انترها لا بي طلحة . قال ويشرف النبي ﷺ الى القوم فيقول أبو طلحة بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك . ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وانهما مشمرتان أرى خدماً سوقهما تنقران القرب على مترنهما تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملأان ثم تبيضان فتفرغانه في أفواه القوم . ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً . قال البخاري وقال لي خليفة حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة قال : كنت فيمن تغشاها النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مراراً يسقط رآخذه ويسقط فأخذه . هكذا ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم ويشهد له قوله تعالى [ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعماً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم

يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء، قال إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله مافي صدوركم وللمحس مافي قلوبكم والله عليم بذات الصدور * إن الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حلیم] . قال البخاري : حدثنا عبدان أخبرنا أبو حمزة عن عثمان بن موهب قال جاء رجل حج البيت فرأى قوماً جلوساً فقال من هؤلاء القعود قال هؤلاء قریش قال من الشيخ قالوا ابن عمر فأتاه فقال أني سألك عن شيء أتحدثني . قال أنشدك بحرمة هذا البيت أعلم إن عثمان بن عفان فر يوم أحد قال نعم . قال فقله تغيب عن بدر فلم يشهدا ؟ قال نعم . قال فقل أنه تخاف من بيعة الرضوان فلم يشهدا ؟ قال نعم . قال فكبير . قال ابن عمر : تعال لاخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه : أما فراره يوم أحد فأشيد أن الله عفا عنه ، وأما تغيبه عن بدر فانه كان تحته بنت النبي (ص) ، وكانت مريضة فقال له رسول الله (ص) ، إن لك أجر رجل ممن شيد بدرًا وسهمه ، أما تغيبه عن بيعة الرضوان فانه لو كان أحد أعز يبطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه فبعث عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال النبي (ص) بيده اليمنى : هدد يد عثمان فضرب بها على يده فقال هند لعثمان . اذهب بهذا الآن معك . وقد رواه البخاري أيضا في موضع آخر والترمذي من حديث أبي عوانة عن عثمان بن عبد الله بن موهب به . وقال الاموي في مغازيه عن ابن اسحاق حدثني يحيى بن عباد عن أبيه عن جده سمعت رسول الله (ص) يقول ، وقد كان الناس انهمزوا عنه حتى بلغ بعضهم إلى المذقي دون الأعوص ، وفر عثمان بن عفان وسعد بن عثمان رجل من الانصار حتى بلغوا الجلب جبل بناحية المدينة ثم إلى الأعوص فأقاموا ثلاثاً ثم رجعوا ، فزعموا أن رسول الله (ص) قال لهم : لقد ذهبتم فيها عريضة . والمقصود أن أحداً وقع فيها أشياء مما وقع في بدر ، منها - صول النعاس حل التحام الحرب وهذا دليل على طائفة القلوب بنصر الله وتأييده وتتمام توكها على خلقها وبارئها . وقد تقدم الكلام على قوله تعالى في غزوة بدر : [إذ يفتيكم النعاس أمنةً منه] الآية وقال ما هنا [ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنةً نعاساً يفتي طائفة منكم] يعني المزمعين الكمل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف : النعاس في الحرب من الإيمان والنعاس في الصلاة من التفات . ولهذا قال بعد هذا (و) طائفة قد أهمتهم أنفسهم الآية . ومن ذلك أن رسول الله (ص) استنصر يوم أحد كما استنصر يوم بدر بقوله : « إن تشأ لاتعبد في الأرض » كما قال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد وعفان قال حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله (ص) كان يقول يوم أحد : « اللهم إنك إن تشأ لاتعبد في الأرض » ورواه مسلم

عن حجاج بن الشاعر عن عبد الصمد عن حماد بن سلمة به . وقال البخاري : حدثنا عبد الله ابن محمد حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابر بن عبد الله قال : قال رجل للنبي (ص) يوم أحد : «أرأيت إن قُلتُ فأين أنا ؟ قال في الجنة ، فألقي تمرات في يده ثم قاتل حتى قُتل » . ورواه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به ، وهذا شبيه بقصة عمير بن الحمام التي تقدمت في غزوة بدر رضي الله عنها وأرضاها

فصل في

فما لقي النبي (ص) يومئذ من المشركين قبّحهم الله

قال البخاري : ما أصاب النبي (ص) من الجراح يوم أحد * حدثنا اسحاق بن نصر حدثنا عبد الرزاق عن معمر بن همام بن منبه سمع أبا هريرة قال : قال رسول الله (ص) « اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه — يشير الى رابعيته — اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله » ورواه مسلم من طريق عبد الرزاق حدثنا مخلد بن مالك حدثنا يحيى بن سعيد الاموي حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : « اشتد غضب الله على من قتله النبي في سبيل الله ، اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله (ص) . وقال أحد حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس أن رسول الله (ص) قال يوم أحد وهو يسلم الدم عن وجهه وهو يقول : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رابعيته ، وهو يدعو الى الله » فأنزل الله [ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون] . ورواه مسلم عن القعنبى عن حماد بن سلمة به ، ورواه الامام أحمد عن هشيم ويزيد بن هارون عن حميد عن أنس أن رسول الله (ص) كسرت رابعيته وشج في وجهه حتى شال الدم على وجهه فقال : « كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى ربهم » فأنزل الله تعالى [ليس لك من الأمر شيء] وقال البخاري : حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب عن أبي حازم انه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح النبي (ص) فقال : أما والله انى لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله (ص) ، ومن كان يسكب الماء وبما دووي ، قال : كانت فاطمة بنت رسول الله (ص) تغسله وعلى يسكب الماء بالمجن فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقها وألصقتها فاستمسك الدم وكسرت رابعيته يومئذ وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه . وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا ابن المبارك عن اسحاق عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله أخبرني عيسى بن طلحة عن أم المؤمنين عائشة قالت : كان أبو بكر اذا ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كله لطلحة ، ثم أنشأ يحدث قال : كنت أول من فاء يوم أحد فرأيت رجلا يقاتل في سبيل الله دونه وأراه قال حمية ، قال فقاتل كن طلحة حيث فاتني ما فاتني ، قلت يكون رجلا من قومي أحب الى ، وبينى وبين المشركين رجل

لأعرفه وأما أقرب إلى رسول الله (ص)، منه وهو يخطف المشي خطأ لا أخطفه فإذا هو أبو عبيدة بن
 الجراح فاتهمنا إلى رسول الله (ص)، وقد كسرت رباعيته وشج في وجهه وقد دخل في وجنته
 حاتمنا من حلق المغفر، قال رسول الله (ص)، «عليكما صاحبكما» يريد طلحة وقد نزف فلم
 نلتفت إلى قوله قال: وذهبت لآنزع ذاك من وجهه، فقال: أقسم عليك بحق لما تركتني، فتركته
 فكره تناء لما بيده فيؤذي رسول الله (ص)، فإزم عليها فيه فاستخرج إحدى الحلقتين ووقعت
 ثنيته مع الحلقة وذهبت لاصنع ما صنع فقال أقسمت عليك بحق لما تركتني. قال ففعل مثل ما فعل
 في المرة الأولى فوقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة فكان أبو عبيدة رضى الله عنه من أحسن الناس
 هماً. فأصلحنا من شأن رسول الله (ص)، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار فإذا به بضغ وسبعون
 من بين طعنة ورمية وضربة وإذا قد قطعت أصبعه فأصلحنا من شأنه. وذكر الواقدي عن ابن أبي
 سبرة عن اسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن أبي الحويرث عن نافع بن جبير قال: سمعت رجلاً
 من المهاجرين يقول شهدت أحداً فنظرت إلى النبيل تأتي من كل ناحية ورسول الله (ص)، وسطها
 كل ذلك يصرف عنه، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يومئذ يقول: دلوني على محمد
 لا نبجوت أن نبجا، ورسول الله (ص)، إلى جنبه ما معه أحد فجاوره، فعاتبه في ذلك صفوان بن
 أمية، فقال والله ما رأيته، أحلف بالله أنه منا ممنوع خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاهدنا على قتله فلم نخلص
 إليه. قال الواقدي: ثبت عندي أن الذي رمى في وجنتي رسول الله (ص)، بن قثم، والذي رمى في
 شفتي وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقاص، وقد تقدم عن ابن اسحاق نحوه هذا وإن الرباعية التي
 كسرت له عليه السلام هي اليمنى السفلى. قال ابن اسحاق: وحدثني صالح بن كيسان عن
 حديثه عن سعد بن أبي وقاص قال: ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي
 وقاص وإن كان ما علمت لسيء الخلق مبغضاً في قومه، ولقد كفاني فيه قول رسول الله (ص)،
 «أشدت غضب الله على من دمي وجه رسوله». وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن
 عثمان الحردي عن عيسى أن رسول الله (ص)، دعا على عتبة بن أبي وقاص حين كسر رباعيته ودمى
 وجهه فقال «اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافراً» فما حال عليه الحول حتى مات كافراً
 إلى النار. وقال أبو سليمان الجوزجاني حدثنا محمد بن الحسن حدثني إبراهيم بن محمد حدثني ابن
 عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن حرب عن أبيه عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن رسول الله
 (ص)، دأوى وجهه يوم أحد بعظم بال. هذا حديث غريب رأيته في أثناء كتاب المغازي
 للأمامي في وقعة أحد. ولما نال عبد الله بن قثم من رسول الله (ص)، ما نال رجع وهو يقول: قتلت
 محمداً. وصرخ الشيطان أرب العقبة يومئذ بأبعد صوت: ألا إن محمداً قد قتل! فحصل بهتة عظيمة
 في المسلمين واعتقد كثير من الناس ذلك وصحبوا على القتال عن حوزة الاسلام حتى يموتوا على

مامات عليه رسول الله (ص)، منهم أنس بن النضر وغيره ممن سيأتي ذكره، وقد أنزل الله تعالى التسلية في ذلك على تقدير وقوعه فقال تعالى [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين * وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته من غير أن يجزى الشاكرين * وكأى من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قلوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين * يا أيها الذين آمنوا إن طغيوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين * بل الله مولاكم وهو خير الناصرين * سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وما أوامر النار وبئس مئوى الظالمين] . وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في كتابنا التفسير والله الحمد . وقد خطب الصديق رضي الله عنه في أول مقام قامه بعد وفاة رسول الله (ص)، فقال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . ثم تلا هذه الآية [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم] الآية . قال : فكأن الناس لم يسمعوا قبل ذلك ، فما من الناس أحد إلا يتلوها . وروى البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن أبي نجيح عن أبيه قال : مر رجل من المهاجرين يوم أحد على رجل من الانصار وهو يتشحط في دمه . فقال له : يا فلان ، أشعرت أن محمداً قد قتل . فقال الانصاري : ان كان محمد (ص)، قد قتل فقد بلغ الرسالة فقاتلوا عن دينكم ، فنزل [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل] الآية . ولعل هذا الانصاري هو أنس بن النضر رضي الله عنه وهو عم أنس بن مالك . قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس أن عمه غاب عن قتال بدر ، فقال غبت عن أول قتال قاتله النبي (ص)، للمشركين ، لأن الله أشهدني قتالا للمشركين ليرين ما أضع . فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون ، فقال : اللهم اني أعترز اليك عما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فلقية سعد بن معاذ دون أحد فقال سعد : أنا معك . قال سعد : فلم أستطع أضع باضع ، فوجد فيه بضع وثمانون من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم ، قال : فكنا قول : فيه وفي أصحابه نزلت [فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر] . ورواه الترمذي عن عبد بن حميد والنسائي عن اسحاق بن راهويه كلاهما عن يزيد بن هارون به وقال الترمذي : حسن ، قالت : بل على شرط الصحيحين من هذا الوجه . وقال أحمد حدثنا بهز وحدثنا هاشم قال لا حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال قال

أنس : عبي (قال هاشم : أنس بن النضر) سميت به ولم يشهد مع رسول الله (ص)، يوم بدر . قال فشق عليه وقال : أرل مشهد شهده رسول الله (ص)، غبت عنه ، ولئن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله (ص)، ليرين الله ما أذنع . قال فهاب أن يقول غيرها ، فشهد مع رسول الله (ص)، يوم أحد ، قال فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس : يا أبا عمرو أين ؟ واهل لريح الجنة أجده دون أحد . قال فقاتلهم حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية . قال فقالت أخته عمتي الزبيع بنت النضر : فما عرفت أخى إلا بيناته . ونزلت هذه الآية [من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فنههم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا] قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه . ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز بن أسد . ورواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن المبارك وزاد النسائي وأبو داود وحامد بن سلمة أربعتهم عن سليمان بن المغيرة به . وقال الترمذي حسن صحيح . وقال أبو الأسود عن عروة بن الزبير قال كان أبي بن خلف أخو بني جحج قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله (ص)، . فلما بلغت رسول الله (ص)، حلفته قال : بل أنا أقتله ان شاء الله . فلما كان يوم أحد أقبل أبي في الحديد مقنماً وهو يقول : لانبجوت إن نجا محمد . فحمل على رسول الله (ص)، يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار يقي رسول الله (ص)، بنفسه فقتل مصعب بن عمير وأبصر رسول الله (ص)، ترقة أبي بن خلف من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة فطعنه فيها بالحرية فوقع الى الارض عن فرسه ولم يخرج من طمخته دم ، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور فقالوا له : ما أجزعك ؟ انما هو خدش . فذكر لهم قول رسول الله (ص)، أنا أقتل أياً ، ثم قال والذي نفسى بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذى الجواز لما اتوا أجمعون فمات الى النار فسحقاً لأصحاب السعير . وقد رواه موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري عن سعيد بن المسيب نحوه . وقال ابن اسحاق لما أسند رسول الله (ص)، في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : لانبجوت ان نبجوت . فقال القوم : يا رسول الله يعطف عليه رجل منا ؟ فقال رسول الله (ص)، : دعوه ! فلما دنا منه تنازل رسول الله (ص)، الحرب من المارث بن الصمة فقال بعض القوم كما ذكر لي فلما اخذها رسول الله (ص)، انتفض انتفاضة تطاير نا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير اذا انتفض ، ثم استقبله رسول الله (ص)، فطعنه في عنقه طعنة تدأ منها عن فرسه مراراً . ذكر الواقدي عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله ابن كعب بن مالك عن أبيه نحوه ذلك . قال الواقدي وكان ابن عمر يقول : مات أبي بن خلف بيطن رابع ، فاني لاسير بيطن رابع بعد هوى من الليل اذا أنا بنار تأججت فهبته واذا برجل يخرج منها بسلسلة يجذبها يهيج العطش فاذا رجل يقول : لاتسقه ، فانه قتل رسول الله (ص)، ، هذا أبي بن خلف . وقد ثبت في الصحيحين كما تقدم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن

أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) : « اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله »
ورواه البخاري من طريق ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس « اشتد
غضب الله على من قتل رسول الله بيده في سبيل الله » وقال البخاري وقال أبو الوليد عن شعبة
عن ابن المنكر سمعت جابرًا قال : لما قتل أبي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل
أصحاب النبي (ص) ينهونني والنبي (ص) لم يمه ، وقال النبي (ص) : لا تبكيه أو ما تبكيه ما زالت
الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع . هكذا ذكر هذا الحديث ههنا معلقاً وقد أسنده في الجنائز
عن بندار عن غندر عن شعبة . ورواه مسلم والنسائي من طرق عن شعبة به وقال البخاري حدثنا
عبدان أخبرنا عبد الله بن المبارك عن شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم أن عبد الرحمن
ابن عوف أتى بطعام وكان صائماً فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير مني كفني في بردة إن غطي
رأسه بدت رجلاه وإن غطي رجلاه بدا رأسه ، وأراه قال وقتل حمزة هو خير مني ثم بسط لنا من
الدنيا ما بسط (أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا) وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا .
ثم جعل يبكي حتى برد الطعام . انفرد به البخاري وقال البخاري حدثنا أحمد بن يونس حدثنا
زهير حدثنا الأعمش عن شقيق عن خباب بن الارت قال : هاجرنا مع النبي (ص) فنبغى وجه الله
فوجب أجرنا على الله فمنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئاً كان منهم مصعب بن عمير
قتل يوم أحد لم يترك إلا نمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه وإذا غطي بها رجلاه
خرج رأسه فقال لنا النبي (ص) غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله الأذخر . ومنا من أينعت له
نمرته فهو يهديها . وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الأعمش به . وقال البخاري
حدثنا عبيد الله بن سعيد حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : لما كان
يوم أحد هزم المشركون فصرخ إبليس لعنة الله عليه : أي عباد الله أخراكم . فرجعت أولام
فاجتلدت هي وأخراهم فبصر حذيفة فاذا هو بأبيه اليمان فقال : أي عباد الله أبي أبي . قال قالت فوالله
ما احتجزوا حتى قتلوه . فقال حذيفة يغفر الله لكم . قال عروة : فوالله ما زال في حذيفة بنية خير
حتى لقي الله عز وجل . قالت كان سبب ذلك أن اليمان وثابت بن وقش كانا في الآطام مع النساء
لكبرهما وضعفهما فقالا أنه لم يبق من آجالنا إلا ظم حمار فنزلا ليجضرا الحرب فجاء طريقهما
ناحية المشركين فأما ثابت فقتله المشركون وأما اليمان فقتله المسلمون خطأ . وتصدق حذيفة بدية
أبيه على المسلمين ولم يعاتب أحداً منهم لظهور العنبر في ذلك

فَضْرَبَ النَّبِيُّ (ص) قَالَ ابْنُ اسْحَاقَ : وَأَصِيبُ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ حَتَّى سَقَطَتْ عَلَى وَجْهِهِ
فَرَدَّهَا رَسُولُ اللَّهِ (ص) بِيَدِهِ فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنِيهِ وَأَحَدَهُمَا . وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد حتى سالت على خده فردها رسول الله (ص)، مكانها فكانت أحسن عينيه وأحدّهما وكانت لا ترمد اذا رمت الاخرى. وروى الدارقطني بإسناد غريب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد عن أخيه قتادة ابن النعمان قال: أصيبت عيناى يوم أحد فسقطنا على وجنتى فأتيتهما رسول الله (ص)، فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان. والمشهور الاول أنه أصيبت عينه الواحدة. ولهذا لما وفد ولده على عمر بن عبد العزيز قال له: من أنت؟ فقال له مرتجلا: .

أنا ابن الذي سالت على احدى عينيه فردت بكفّ المصطفى أحسن الرد
فصادت كما كانت لأول أمرها فيا حُسنها عينا ويا حُسن ما خدّ

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك:

تلك المكارم لأعيان من لبني شيئا بقاء فعادا بعد أبو الـ

ثم وصله فأحسن جائزته رضى الله عنه

قصته قال ابن هشام: وقالت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد فذكر سعيد ابن أبي زيد الانصاري أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول دخلت على أم عمارة فقلت لها يا خالة أخبريني خبرك فقالت خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء فاتتهيت الى رسول الله (ص)، وهو فى أصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انجزت الى رسول الله (ص)، فقامت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح الى. قالت فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور فقلت لها من أصابك بهذا قالت ابن قتيبة ألقاه الله، لما ولى الناس عن رسول الله (ص)، أقبل يقول دلوني على محمد لا نجوت أن نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله (ص)، فضر بنى هذه الضربة. ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان. قال ابن اسحاق وترس أبو دجانة دون رسول الله (ص)، بنفسه يقع النبل فى ظهره وهو منحرف عليه حتى كثر فيه النبل. قال ابن اسحاق وحدثني غاصم بن عمر بن قتادة ان رسول الله (ص)، رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده. قال ابن اسحاق وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بنى عدى بن النجار قال: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين والانصار وقد أتوا بأيديهم فقال فما يجلسكم قالوا قتل رسول الله (ص)، قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على مامات عليه رسول الله (ص)،. ثم استقبل القوم مقاتل حتى قتل وبه سمى أنس بن مالك. فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فما عرفه

الاأخته . عرفته بينانه . قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم ان عبد الرحمن بن عوف أصيب فوه يومئذ فتهتم وجرح عشرين جراحة او أكثر أصابه بعضها في رجله فرج

قصته قال ابن اسحاق : وكان أول من عرف رسول الله (ص) بعد الهزيمة وقول الناس قُتل رسول الله (ص) . كما ذكر لي الزهري . كعب بن مالك قال : رأيت عينيه تزهرا من تحت المغفر فنادت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله (ص) . فأشار رسول الله (ص) أن انصت . قال ابن اسحاق فلما عرف المسلمون رسول الله (ص) نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب معه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام والجارث بن الصمة ورهط من المسلمين فمنا أسند رسول الله (ص) في الشعب أدركه أبي بن خلف (فذكر قتله عليه السلام ألبيا كما تقدم) قال ابن اسحاق : وكان أبي بن خلف كما حدثني صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يلتقي رسول الله (ص) بمكة فيقول : يا محمد ان عندي العود - فرساً - أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليه . فيقول رسول الله (ص) : بل أنا أقتلك ان شاء الله . فلما رجع الى قریش وقد خدشه في عنقه خبشاً غير كبير فاحتقن الدم فقال : قتلتني والله محمد . فقالوا له ذهب والله فؤادك ، والله ان بك بأس . قال انه قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلك . فوالله لو بصق علي انتلني . فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به الى مكة . قال ابن اسحاق فقال حسان بن ثابت في ذلك :

لقد ورت الضلالة عن أینه أبي يوم بارزد الرسول
أتيت اليه تحمل رم عظم وتوعده وانت به جهول
وقد قتلت بنو النجار منكم أمه اذ يغوث ياعقيل
وتبأ بنا ربيعة اذ أطاعا أبا جيل لأثمها الخبول
وأفلت حارث لما شغلنا بأشر القوم أسرته قليل

وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا من مبلغ عني أيتاً قد ألقيت في سحق السمير
نمي بالضلالة من بعيد وتقسيم ان قدرت مع النور
تمنيك الاماني من بعيد وقول الكفر يرجع في غرور
قد لاقتك طعنة ذي حفاظ كريم البيت ليس بندي فجور
له فضل على الأحياء طراً اذا ثابت ملأت الأمور

قال ابن اسحاق : فلما انتهى رسول الله (ص) الى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته ماء من المهراس فجاء بها الى رسول الله (ص) ليشرب منه فوجد له ریحاً فصافه ولم يشرب منه وغسل

عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول «أشتد غضب الله على من دمي وجه نبيه» وقد تقدم شواهد ذلك من الأحاديث الصحيحة بما فيه الكفاية . قال ابن اسحاق : فبينما رسول الله (ص) في الشعب معه أولئك النفر من أصحابه أذ علت عالية من قريش الجبل قال ابن هشام فيهم خالد بن الوليد قال ابن اسحاق قتال رسول الله (ص) اللهم أنه لا ينبغي لم أن يملونا . فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ونهض النبي (ص) إلى صخرة من الجبل ليملوها وقد كان بدن رسول الله (ص) ظاهر بين درعين فلما ذهب لينهض لم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال سمعت رسول الله (ص) يقول يومئذ «أوجب طلحة» حين صنع برسول الله (ص) يومئذ ما صنع . قال ابن هشام وذكر عمر مولى عفرة أن رسول الله (ص) صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته وصلى المسلمون خلفه قعوداً . قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : كان فينا رجل أتي لا يدرى من هو يقال له قُزَمان فكان رسول الله (ص) يقول إذا ذكر «أنه لمن أهل النار» قال فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً فقتل هو وحده ثمانية أو سبعة من المشركين وكان ذا بأس فأثبتته الجراحة فاحتمل إلى دار بني ظفر قال فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قُزَمان فأبشر . قال بماذا أبشر فوالله أن قاتلت إلا عن أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت . قال فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه . وقد ورد مثل قصة هذا في غزوة خيبر كما سيأتي إن شاء الله . قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن المسيب عن أبي هريرة قال شهدنا مع رسول الله (ص) خيبر فقال لرجل ممن يدعى الاسلام «هذا من أهل النار» فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديداً فأصابته جراحة فقتل يا رسول الله الرجل الذي قلت أنه من أهل النار قاتل اليوم قتالا شديداً وقد مات فقال النبي (ص) «إلى النار» فكاد بعض القوم يرتاب فينا هم على ذلك أذ قيل فانه لم يموت ولكن به جراح شديدة فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فأخبر النبي (ص) بذلك فقال الله أكبر ، أشهد أني عبد الله ورسوله » ثم أمر بلالا فنادى في الناس «أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» . وأخرجه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به قال ابن اسحاق وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق وكان أحد بني ثعلبة بن الغيطون فلما كان يوم أحد قال يامعشر يهود والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق . قالوا إن اليوم يوم السبت . قال لا سبت لكم . فأخذ سيفه وعدته وقال إن أصبت فإلى محمد يصنع فيه ما شاء . ثم غدا إلى رسول الله (ص) فقاتل معه حتى قتل . فقال رسول الله (ص) فيها بلغنا «مخيريق خير يهود» قال السهيلي فجعل

رسول الله (ص)، أموال مخيريق - وكانت سبع حوائط - أوقافاً بالمدينة لله قال محمد بن كعب القرظي وكانت أول وقف بالمدينة . وقال ابن اسحاق وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد عن أبي هريرة أنه كان يقول حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو فيقول اصيرم بنى عبد الاشمل عمرو بن ثابت ابن وقش قال للحصين قتلت لمحمود بن أسد كيف كان شأن الاصيرم ؟ قال كان يأبى الاسلام على قومه فلما كان يوم أحد بدا له فأسلم ثم أخذ سيفه ففدا حتى دخل في عرض الناس فقال حتى أوثقته الجراحة قال فبينما رجال من بنى عبد الاشمل يستسون قتلام في المعركة إذا هم به قالوا والله ان هذا للاصيرم ما جاء به لقد تركناه وانه لمنكر لهذا الحديث فألوه فقالوا | ما جاء بك يا عمرو | أحب على قومك أم رغبة في الإسلام فقال بل رغبة في الإسلام آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ثم أخذت سيفي وغدوت مع رسول الله (ص) فقاتلت حتى أصابني ما أصابني . فلم يلبث أن مات في أيديهم فذكره رسول الله (ص) فقال « انه من أهل الجنة » . قال ابن اسحاق وحدثني أبي عن أشياخ من بنى سلة قالوا كان عمرو بن الجوح رجلاً أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله (ص) المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا ان الله قد عذرك فأتى رسول الله (ص) وقال ان بنى يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه فوالله اني لأرجو أن أظا بعرجتي هذه الجنة فقال رسول الله (ص) « اما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك » وقال لبنيه « ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة » فخرج معه فقتل يوم أحد رضي الله عنه . قال ابن اسحاق : ووقعت هند بنت عتبة - كما حدثني صالح بن كيسان - والنسوة اللاتي معها يمشان باقتلى من أصحاب رسول الله (ص) يمدن الآذان ولا نوف حتى أخذت هند من آذان الرجل وأنوفهم خدما وقلائد وأعطت خدما وقلائدها وقرطها وحشياً . وبقرت عن كبد حمزة فلا كتبها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها . وذكر موسى ابن عقبة ان الذي بقر عن كبد حمزة وحشى فحملها الى هند فلا كتبها فلم تستطع أن تسيغها فآله أعلم . قال ابن اسحاق ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت :

نحنُ جزيناكم بيوم بدر والحربُ بعد الحرب ذاتُ سُعرٍ
ما كان لي عن عُتبةٍ من صبرٍ ولا أخِي وعُثمٌ وبكرٍ
شَفِيتُ نفسي وقَصِيتُ قنْبري شَفِيتَ وحشِي غليلُ صَدري
فشكروا وحشِي عَلي عُمري حتى ترم أعظمي في قبري

قال فأجابتها هند بنت أُمّية بن عباد بن المطلب فقالت :

خَزِيْتِ فِي بَدْرِ وَبَعْدَ بَدْرِ يَابَدْتَ وَقَاعَ عَظِيمِ الْكَفْرِ
صَبَحَكَ اللَّهُ غَدَاةَ الْفَجْرِ مِ الْمَاشِئِينَ الطَّوَالَ الزُّهْرِ
بِكُلِّ قِطَاعٍ حُسَامٍ يَفْرِي حِمَزَةُ لِنِي وَعَلِيٍّ صَقْرِي
أَذْرَامَ شَيْبٍ وَأَبُوكَ غَدْرِي نَفْضًا مِنْهُ ضَوَاجِي النَّحْرِ
وَنَذْرُكَ السَّوَاءِ فَشَرُّ نَذْرِ

قال ابن اسحاق وكان الحليس بن زيان أخو بني الحارث بن عبد مناة - وهو يومئذ سيد الأحابيش - مر بأبي سفيان وهو يضرب في شدة حمزة بن عبد المطلب يزوج الرمح ويقول : ذق عقق . فقال الحليس يا بني كنانة هذا سيد قریش يصنع بآبن عمه ما تزون لحما . فقال : ويحك اكتمها عني فانها كنت زلة . قال ابن اسحاق : ثم ان أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته : أنعمت ، ان الحرب سجال ، يوم يوم بدر ، أعل هبل (أى ظور دينك) . فقال رسول الله ص : لعمر « قم يا عمر فأجبا قتل : الله أعلى وأجل ، لا سواء ، قتلتنا في الجنة وقتلاكم في النار » فقال له أبو سفيان : هلم الى يا عمر . فقال رسول الله ص : لعمر : ائت فانظر ما شأنه . فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا والله ليسمع كلامك الآن . قال أنت عندى أصدق من ابن قنمة وأبر . قال ابن اسحاق : ثم نادى أبو سفيان : انه قد كلن في قتلاكم مثل ، والله ما رذيت وما سخطت ، وما نهيت ولا أمرت . قال : ولما أنصرف أبو سفيان نادى : ان موعداكم بدر العام المقبل . فقال رسول الله ص : لرجل من أصحابه : قل نعم هو بيننا وبينك موعد . قال ابن اسحاق ثم بعث رسول الله ص . على بن أبي طالب فقال : أخرج في آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فان كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل فانهم يريدون مكة ، وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون المدينة . والذي نفسى بيده ان أرادوها لآسيرن اليهم فيها ثم لاناجزنهم . قال على : فخرجت في أثرهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل وامتطوا الابل ووجوهوا الى مكة

وحاء النبي صلى يوم أحر

قال الامام احمد حدثنا مروان بن معاوية الفرارى حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكي عن ابن رفاعة الزرقى عن أبيه قال : لما كان يوم أحد وانكسفاً المشركون قال رسول الله ص : « استووا حتى أثنى على ربى عز وجل » فصاروا خلفه دُفوقاً فقال « اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادى لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطى لما منعت

ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما باعدت ولا مبعد لما قربت . اللهم ابسط علينا من بركاتك
ورحمتك وفضلك ورزقك . اللهم انى أسألك النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول . اللهم انى
أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف . اللهم انى عائد بك من شر ما أعطيتنا وشر
ما منعتنا . اللهم حبب اليكنا الايمان وزينه فى قلوبنا ، وكره اليكنا الكفر والفسوق والعصيان
واجعلنا من الراشدين . اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا
مفتونين . اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك ، واجعل عليهم
رجزك وعذابك . اللهم قاتل الكفرة الذين أتوا الكتاب إله الحق » ورواه النسائي فى اليوم
والليلة عن زياد بن أيوب عن مروان بن معاوية عن عبد الواحد بن أيمن عن عبيد بن
رفاعه عن أبيه به

قصة ابن أبي صعصعة . قال ابن اسحاق وفرغ الناس لتتلامح فحدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن
ابن أبي صعصعة المازنى أخو بنى النجار أن رسول الله (ص) قال : من رجل ينظر لى ما فعل سعد
ابن الربيع أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الانصار : أنا . فنظر فوجده جريحاً فى
القتلى وبه رمق ، قال فقال له : ان رسول الله (ص) أمرنى أن أنظر أفى الأحياء أنت أم فى الأموات
فقال : أنا فى الأموات فأبلغ رسول الله (ص) سلامى وقل له : ان سعد بن الربيع يقول لك : جزاك
الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته . وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم : ان سعد بن الربيع يقول
لكم : انه لا عذر لكم عند الله ان تخلص الى نبيكم وفيكم عين تطرف . قال ثم لم أبرح حتى
مات وجئت النبي (ص) فأخبرته خبره

قلت : كان الرجل الذى التمس سعداً فى القتلى محمد بن سلمة فيما ذكره محمد بن عمر الواقدي
وذكر أنه ناداه مرتين فلم يجبه فلما قال ان رسول الله (ص) أمرنى أن أنظر خبرك أجابه بصوت ضعيف
وذكره . وقال الشيخ أبو عمر فى الاستيعاب كان الرجل الذى التمس سعداً أبى كعب قاله أعلم .
وكان سعد بن الربيع من النقباء ليلة العقبة رضى الله عنه وهو الذى آخى رسول الله (ص) بينه وبين
عبد الرحمن بن عوف . قال ابن اسحاق : وخرج رسول الله (ص) فيها بلغنى يلتمس حمزة بن
عبد المطلب فوجده يبطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع أنفه وأذناه ، فحدثني محمد
ابن جعفر بن الزبير أن رسول الله (ص) قال حين رأى ما رأى : « لولا أن تحزن صفية وتكون
سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قريش فى
موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم » فلما رأى المسلمون حزن رسول الله (ص) هو غيظاً على

من فعل بعنه ماضل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنملن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب . قال ابن اسحاق فحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمى عن محمد بن كعب ، وحدثني من لا أنهم عن ابن عباس أن الله أنزل في ذلك [وإن عاقبتهم فماتوا بمثل ما عوقبتهم به وإن صبرتم لمو خير للصابرين] الآية . قال : فعفا رسول الله (ص) بصبر ونهى عن المثلة . قلت : هذه الآية مكية وقصة أحد بعد الهجرة بثلاث سنين فكيف يلتئم هذا فالله أعلم . قال وحدثني حميد الطويل عن الحسن عن سمرة قال : ما قام رسول الله (ص) في مقام قط ففارقه حتى يأمر بالصدقة وينهى عن المثلة . وقال ابن هشام : ولما وقف النبي (ص) على حمزة قال « لن أصاب بمثلك أبداً ، ما وقفت قط موقفاً أغيظ الى من هذا » ثم قال « جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في السماوات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسدرسوله » قال ابن هشام : وكان حمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد أخور رسول الله (ص) من الرضاة أَرْضعتهم ثلاثهم ثوية مولاة أبي لمب

الهدية على حمزه وقبلى رحر

وقال ابن اسحاق وحدثني من لا أنهم عن مقسم عن ابن عباس قال : « أمر رسول الله (ص) بحمزة فسجى ببردة ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ثم أتى بالقبلى يوضعون الى حمزة فضلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة » وهذا غريب وسنده ضعيف . قال السهيلي : ولم يقل به أحد من علماء الانصار . وقد قال الامام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد حدثنا عطاء بن السائب عن الشعبي عن ابن مسعود قال : إن النساء كن يوم أحد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبرأ أنا ليس أحدهنا يريد الدنيا حتى أنزل الله [منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم] فلما خلف أصحاب رسول الله (ص) وعصوا ما أمروا به أفرد رسول الله (ص) في تسعة - سبعة من الانصار واثنين من قریش وهو عاشرهم - فلما ردهم قال : رحم الله رجلاً رذم عنا ... فلم يزل يقول ذا حتى قتل السبعة فقال رسول الله (ص) لصاحبيه : ما أنصفنا أصحابنا ، فجاء أبو سفيان فقال : أعل هبل ا فقال رسول الله (ص) : قولوا الله أعلى وأجل ، فقالوا الله أعلى وأجل . فقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال رسول الله (ص) : قولوا الله مولانا ولا مولى لكم . ثم قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، يوم لنا ويوم علينا ، ويوم نساء ويوم نُسْر ، حنظلة بحنظلة ، وفلان بفلان ، فقال رسول الله (ص) : لا سواء ، أما قتلنا فأحياء برزقون وقتلناكم في النار يعذبون . قال أبو سفيان : قد كانت في القوم مُثْلَةٌ وإن كانت لعن غير ملا منا ، ما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت ،

ولا ساء في ولا سرفى ، قال فنظروا فاذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلا كتبها فلم تستطع أن تأكلها فقال رسول الله (ص) : «أأكلت شيئا؟ قالوا لا ، قال ما كان الله لي يدخل شيئا من حمزة في النار ، قال فوضع رسول الله (ص) حمزة فصلى عليه وجيء برجل من الانصار فوضع الى جنبه فصلى عليه فرفع الانصارى وترك حمزة وجيء بأخر فوضعه الى جنب حمزة فصلى عليه ثم رفع وترك حمزة حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة » تفرد به أحمد وهذا اسناد فيه ضعف أيضا من جهة عطاء بن السائب قاله أعلم . والذي رواه البخارى أثبت حيث قال : حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن جابر بن عبد الله أخبره أن رسول الله (ص) كان يجمع بين الرجلين من قتل أحد في ثوب واحد ثم يقول : أيهم أكثر أخذنا للقرآن ؟ اذا أشير له الى أحدهما قدمه في اللحد وقال أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة . وأمر بدفنه بدمائهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا تفرد به البخارى دون مسلم . ورواه أهل السنن من حديث الليث بن سعد به وقال أحمد حدثنا محمد يعنى ابن جعفر حدثنا شعبة سمعت عبد ربه يحدث عن الزهري عن ابن جابر عن جابر ابن عبد الله عن النبي (ص) ، أنه قال في قتل أحد : فان كل جرح أو كل دم يفوح مسكا يوم القيامة ولم يصل عليهم وثبت أنه صلى عليهم بعد ذلك بسنين عديدة قبل وفاته ييسر كما قال البخارى : حدثنا محمد بن عبيد الرحيم حدثنا زكريا بن عدى أخبرنا المبارك عن حيوة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر قال : صلى رسول الله (ص) على قتل أحد بعد ثمانين سنين كالودج للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : انى بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وان وعدكم الخوض وانى لأنظر اليه من مقامى هذا وانى لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها . قال : فكان آخر نظرة نظرتها الى رسول الله (ص) . ورواه البخارى فى مواضع أخر ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث يزيد بن أبي حبيب به نحوه . وقال الأقرى حدثنى أبى حدثنا الحسن بن عمارة عن حبيب بن أبى ثابت قال : قالت عائشة : خرجنا من السحر يخرج رسول الله (ص) الى أحد نستطلع الخبر حتى اذا طلع الفجر اذا رجل محتجر يشتد ويقول :

لبت قليلا يشهد الهيجا حل

قال : فنظرنا فاذا أسيد بن حضير ، ثم مكثنا بعد ذلك فاذا بعير قد أقبل ، عليه امرأة بين وسقين قالت فدونا منها فاذا هى امرأة عمرو بن الجموح قتلنا لها ما الخبر قالت دفع الله عن رسول الله (ص) ، واتخذ من المؤمنين شهداء ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا . ثم قالت لبعيرها : حل . ثم نزلت ، قتلنا لها : ما هذا ؟ قالت : أخى وزوجى . وقال ابن اسحاق : وقد أقبلت صفية بنت عبد المطلب لتتظر اليه وكان

أخاها لأبيها وأما فقال رسول الله (ص) : لا ينه الزبير بن العوام : القها فارجمها لا ترى ما بأخيها
 فقال لها : يا أمه ان رسول الله (ص) : يأمرك أن ترجي . قالت ولم وقد بلغني انه مثل بأخي
 وذلك في الله فمأرضانا ما كان من ذلك لأحتسبن ولأصبرن ان شاء الله . فلما جاء الزبير الى رسول
 الله (ص) : وأخبره بذلك قال خل سبيلها ، فأتته فنظرت اليه وصلت عليه واسترجعت واستغفرت .
 قال ابن اسحاق : ثم أمر به رسول الله (ص) : فدفن ودفن معه ابن اخته عبد الله بن جحش وأمه
 أميمة بنت عبد المطلب وكان قد مثل به غير انه لم ينقر عن كبده رضى الله عنهما . قال السهيلي :
 وكان يقال له المجدع في الله قال وذكر سعد انه هو وعبد الله بن جحش دَعَا بدعوة فاستجبت لها
 فدعا سعد أن يلتقى فارساً من المشركين فيقتله ويستلبه فكان ذلك ودعا عبد الله بن جحش أن يلقاه
 فارس فيقتله ويجمع أنفه في الله فكان ذلك وذكر الزبير بن بكار ان سيفه يومئذ انقطع فأعطاه رسول
 الله (ص) : عرجوناً فصار في يد عبد الله بن جحش سيفاً يقاتل به ثم بيع في تركة بعض واده بمائتي دينار
 وهذا كما تقدم لمكاشة في يوم بدر . وقد تقدم في صحيح البخارى أيضاً ان رسول الله (ص) : كان يجمع
 بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد بل في الكفن الواحد وانما أرخص لهم في ذلك لما بالمسلمين من
 الجراح التي يشق معها أن يحفروا لكل واحد واحد ويقدم في اللحد أكثرهما أخذاً للقرآن وكان يجمع
 بين الرجلين المنصاحبين في اللحد الواحد كما جمع بين عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر وبين عمرو بن
 الجموح لأنها كانا متصاحبين ولم يفسلوا بل تركهم بجراحهم ودمائهم كما روى ابن اسحاق عن الزهري
 عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير أن رسول الله (ص) : لما انصرف عن القتلى يوم أحد قال : أنا شهيد
 على هؤلاء انه مامن جريح يجرح في سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون دم
 والريح ريح مسك . قال وحدثني عمى موسى بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم (ص) :
 مامن جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى اللون لون الدم والريح ريح المسك
 وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه . وقال الامام احمد حدثنا علي بن عاصم عن
 عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أمر رسول الله (ص) : يوم أحد بالشهداء
 أن يترع عنهم الحديد والجلود وقل ادفنهم بدمائهم وثيابهم . رواه أبو داود وابن ماجه من
 حديث علي بن عاصم به . وقال الامام أبو داود في سننه : حدثنا القنبي أن سليمان بن المغيرة حدثهم
 عن حميد بن هلال عن هشام بن عامر أنه قال : جاءت الانصار الى رسول الله (ص) : يوم أحد
 فقالوا قد أصابنا قرح وجه فكيف تأمر فقال : احفروا وأوسعوا واجعلوا الرجلين والثلاثة في
 القبر الواحد . قيل : يا رسول الله فأيهم يقدم ؟ قال : أكثرهم قرأنا . ثم رواه من حديث النورى
 عن أيوب عن حميد بن هلال عن هشام بن عامر فذكره وزاد واعمقوا . قال ابن اسحاق : وقد

احتمل ناس من المسلمين قتلام الى المدينة فدفنهم بها ثم نهى رسول الله (ص) عن ذلك وقال : ادفنهم حيث صرعوا . وقد قال الامام احمد حدثنا علي بن اسحاق حدثنا عبد الله وعتب حدثنا عبد الله حدثنا عمر بن سلمة بن أبي يزيد المديني حدثني أبي سمعت جابر بن عبد الله يقول : استشهد أبي بأحد فارسني اخواني اليه بناضح لمن قتلن : اذهب فاحمل أباك على هذا الجمل فادفنه في مقبرة بني سلمة . فقال فجئته وأعوان لي فبلغ ذلك نبي الله وهو جالس بأحد فدعاني فقال : والذي نفسي بيده لا يدفن إلا مع اخوته فدفن مع أصحابه بأحد . تفرد به احمد . وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الاسود بن قيس عن نبيح عن جابر بن عبد الله أن قتل أحد حملوا من مكانهم فنادى منادى النبي (ص) : أن ردوا القتل الى مضاجعهم . وقد رواه أبو داود والنسائي من حديث الثوري والترمذي من حديث شعبة والنسائي أيضا وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينه كلهم عن الاسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر بن عبد الله قال : خرج رسول الله (ص) من المدينة الى المشركين يقاتلهم وقال لي أبي عبد الله يا جابر لا عليك أن تكون في نظاري أهل المدينة حتى تعلم الى ماصير أمرنا فاني والله لولا أني أترك بنات لي بعدى لاحبت أن تقتل بين يدي . قال : فبينما أنا في النظاري إذ جاءت عتي بابي وخالى عادلها على ناضح فدخلت بها المدينة لتدفنها في مقابرنا إذ لحق رجل ينادي : ألا ان النبي (ص) يأمركم أن ترجعوا بالقتل فدفنوها في مصارعها حيث قتلت فرجصناهما فدفناهما حيث قتلا فبينما أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل فقال يا جابر بن عبد الله والله لقد أمار أباك عمال معاوية فبدا يفرج طائفة منه . فأتيته فوجدته على النحو الذي دفنته لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتل ، ثم ساق الامام قصة وفاته دين أبيه كاهو ثابت في الصحيحين . وروى البيهقي من طريق حماد بن زيد عن أبوب عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : لما أجرى معاوية المين عند قتل أحد بعد أربعين سنة استصرخناهم اليهم فأتيناهم فأخرجناهم فأصابنا المسحة قدم حمزة فأنبث دما . وفي رواية ابن اسحاق عن جابر قال : فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأعس . وذكر الواقدي أن معاوية لما أراد أن يجرى المين نادى مناديه من كان له قتيل بأحد فليشهد ، قال جابر فحضرنا عنهم فوجدت أبي في قبره كأنما هو قائم على هيئته ووجدنا جاره في قبره عمرو بن الجحوح ويده على جرحه فازيلت عنه فأنبث جرحه دما ، ويقال انه فاح من قبورهم مثل ريح المسك رضى الله عنهم أجمعين وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا . وقد قال البخاري حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا حسين المسلم عن عطاء عن جابر قال : لما حضر أخد دنان أبي من الليل قال لي ما أراني إلا مقتولا في أول من يقتل من أصحاب النبي (ص) وأنا لا أترك بعدى أعز علي منك غير نفس رسول الله (ص) وأن علي ديننا فاقض

واستوص باخواتك خيرا ، فأصبحنا وكان أول قتيل فدفنت معه آخر في قبره ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته هيثة غير أذنه . وثبت فى الصحيحين من حديث شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر أنه لما قتل أبوه جعل يكشف عن الثوب ويبكى فنهاه الناس فقال رسول الله تبكيه أو لا تبكيه ، لم تزل الملائكة تظله حتى رفعتموه . وفى رواية أن عمته هى الباكية . وقال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضى قالا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن اسحاق حدثنا فيض بن وثيق البصرى حدثنا أبو عباد الانصارى عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا جابر ألا أبشرك ؟ قال بلى بشرك الله بانائير ، فقال : أشعرت أن الله أحيا أباك فقال تمنى على عبدى ما شئت أعطكه . قال يارب عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردنى الى الدنيا فأقتل مع نبيك وأقتل فيك مرة أخرى ، قال : إنه سلف منى أنه اليها لا يرجع » . وقال البيهقي حدثنا أبو الحسن محمد ابن أبى المعروف الاسفراينى حدثنا أبو سهل بشر بن أحمد حدثنا أحمد بن الحسين بن نصر حدثنا على بن المدينى حدثنا موسى بن ابراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الانصارى قال : سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصمة الانصارى ثم السلمى قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما لى أراك مهتما ؟ قال : قلت يا رسول الله قتل أبى وترك ديناً وعيالا ، فقال : ألا أخبرك ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب وإنه كلم أباك كفاحاً وقال له يا عبدى سلمى أعطك . فقال : أسألك أن تردنى الى الدنيا فأقتل فيك ثانية ، فقال : إنه قد سبق منى القول : انهم اليها لا يرجعون . قال يارب : فأبلغ من ورأى . فأنزل الله [ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون] الآية . وقال ابن اسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا عن عبد الله بن محمد بن عقيل سمعت جابراً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أبشرك يا جابر ؟ قلت بلى ، قال : إن أباك حيث أصيب بأحد أحياء الله ثم قال له : ماتحب يا عبد الله ماتحب أن أفعل بك ؟ قال : أى رب أحب أن تردنى الى الدنيا فأقتل فيك فأقتل مرة أخرى » وقد رواه أحمد عن على بن المدينى عن سفيان بن عيينة عن محمد بن على بن ربيعة السلمى عن ابن عقيل عن جابر ، وزاد : فقال الله إني قضيت أنهم اليها لا يرجعون . وقال أحمد : حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن اسحاق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن عبد الله عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذكر أصحاب أحد « أما والله لو ددت أنى غودرت مع أصحابه بمحضن الجبل » يعنى سفح الجبل ، تفرد به أحمد . وقد روى البيهقي من حديث عبد الاعلى بن عبد الله بن أبى فروة عن قطن بن وهب عن عبيد بن عمير عن أبى هريرة

أن رسول الله (ص)، حين انصرف من أحد مرّ على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه فوقف عليه فدعا له ثم قرأ [من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه] الآية قال «أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزورهم والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردّوا عليه» وهذا حديث غريب، وروى عن عبيد بن عمير مرسلًا. وروى البيهقي من حديث موسى بن يعقوب عن عباد بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: كان النبي (ص) يأتي قبور الشهداء فإذا أتى فرضة الشعب قال «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» ثم كان أبو بكر بعد النبي (ص) يفعله وكان عمر بعد أبي بكر يفعله وكان عثمان بعد عمر يفعله. قال الواقدي: كان النبي (ص) يزورهم كل حول فإذا بلغ نقرة الشعب يقول «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» ثم كان أبو بكر يفعل ذلك كل حول ثم عمر ثم عثمان، وكانت فاطمة بنت رسول الله (ص) تأتيتهم فبكي عندهم وتدعو لهم، وكان سعد يسلم ثم يقبل على أصحابه فيقول: ألا تسلمون على قوم يردّون عليكم. ثم حكى زيارتهم عن أبي سعيد وأبي هريرة وعبد الله بن عمر وأم سلمة رضى الله عنهم. وقال ابن أبي الدنيا حدثني إبراهيم حدثني الحكم بن نافع حدثنا العطف بن خالد حدثني خالتي قالت: ركبت يوماً إلى قبور الشهداء - وكانت لاتزال تأتيتهم - فنزلت عند حمزة فصليت ما شاء الله أن أصلي وما في الوادي داع ولا مجيب إلا غلاماً قائماً أخذاً برأس دابتي فلما فرغت من صلاتي قلت هكذا بيدي «السلام عليكم» قالت فسمعت ردّ السلام على يخرج من تحت الأرض أعرفه كما أعرف أن الله عز وجل خلقني وكما أعرف الليل والنهار فاقشعرت كل شعرة مني. وقال محمد بن اسحاق عن اسماعيل بن أمية عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال النبي (ص) «لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب ولا يزهوا في الجهاد. فقال الله عز وجل: أنا ابلفهم عنكم فأنزل الله في الكتاب قوله تعالى [ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون]. وروى مسلم والبيهقي من حديث أبي معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرّة عن مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون. فقال: أما إننا قد سألنا عن ذلك رسول الله (ص) فقال «أرواحهم في جوف طير خضر تسرح في أيها شاءت ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش، قال فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم ربك اطلاعة، فقال: اسألوني ما شئتم. فقالوا ياربنا وما نسألك ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا،

ففضل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أن لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : نسألك أن ترد أرواحنا الى أجسادنا في الدنيا نقتل في سبيلك مرة أخرى . قال : فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تركوا **فَضَّلَ** في عدد الشهداء . قال موسى بن عقبة جميع من استشهد يوم أحد من المهاجرين والانصار تسعة وأربعون رجلا وقد ثبت في الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء أنهم قتلوا من المسلمين سبعين رجلا فالله أعلم . وقال قتادة عن أنس قتل من الانصار يوم أحد سبعون ويوم بئر معونة سبعون ويوم اليمامة سبعون . وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس انه كان يقول قارب السبعين يوم أحد ويوم بئر معونة ويوم مؤتة ويوم اليمامة . وقال مالك عن يحيى بن سعيد الانصاري عن سعيد بن المسيب قتل من الانصار يوم أحد ويوم اليمامة سبعون ويوم جسر أبي عبيد سبعون وهكذا قال عكرمة وعروة والزهرى ومحمد بن اسحاق في قتلى أحد ويشهد له قوله تعالى [أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا] يعنى أنهم قتلوا يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وعن ابن اسحاق قتل من الانصار - لعله من المسلمين - يوم أحد خمسة وستون أربعة من المهاجرين حمزة وعبد الله بن جحش ومصعب بن عمير وشماس بن عثمان والباقون من الانصار وسرد أسماءهم على قبائلهم وقد استدرك عليه ابن هشام زيادة على ذلك خمسة آخرين فصاروا سبعين على قول ابن هشام وسرد ابن اسحاق أسماء الذين قتلوا من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلا . وعن عروة كان الشهداء يوم أحد أربعة أو قال سبعة وأربعين وقال موسى بن عقبة تسعة وأربعون وقتل من المشركين يومئذ ستة عشر رجلا وقال عروة تسعة عشر وقال ابن اسحاق اثنان وعشرون وقال الربيع عن الشافعى ولم يؤسر من المشركين سوى أبى عزة الجمحي وقد كان فى الاسارى يوم بدر فن عليه رسول الله (س) ، بلا فدية واشترط عليه ألا يقاتله فلما أسر يوم أحد قال يا محمد امنن على لبنائى وأعاهد أن لا أقاتلك فقال له رسول الله (س) ، لا أدعك تمسح عارضيك بمكة وتقول خدعت محمداً مرتين ثم أمر به فضربت عنقه . وذكر بعضهم أنه يومئذ قال رسول الله (س) ، « لا يبلغ المؤمن من جحر مرتين »

فَضَّلَ قال ابن اسحق ثم انصرف رسول الله (س) ، الى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش كما ذكرلى فلما لقيت الناس نعى اليها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت فقال رسول الله (س) ، « ان زوج المرأة منها لمكان » لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها . وقد قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن يحيى حدثنا اسحاق بن محمد الفروى حدثنا عبد الله بن عمر عن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جحش عن أبيه عن حمنة بنت جحش انه

قيل لها : قتل أخوك . فقالت : رحمه الله وأنا لله وأنا إليه راجعون . فقالوا : قتل زوجك قالت : واحزنناه . فقال رسول الله (ص) : « ان للزوج من المرأة لشعبة ما هي لشيء » قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الواحد بن أبي عون عن اسماعيل عن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال : مر رسول الله (ص) بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله (ص) بأحد فلما نُموا لها قالت : ما فعل رسول الله (ص) ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، قال : فأشير لها إليه حتى إذا رآته قالت : كل مصيبه بعدك جَل . قال ابن هشام : الجلل يكون من القليل والكثير وهو ههنا القليل . قال امرؤ القيس :

لَقَتْلُ بَنِي أَسَدٍ رَبِّهِمْ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ خَلَاءُ جَلَلِ

أى صغير وقليل . قال ابن اسحاق : فلما انتهى رسول الله (ص) الى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : « اغسلي عن هذا دمه يا بنية » فوالله لقد صدقني في هذا اليوم » وناولها علي بن أبي طالب سيفه فقال : وهذا فاغسلي عنه دمه فوالله لقد صدقني اليوم . فقال رسول الله (ص) : « لئن كنت صدقت القتال لقد صدقه معك سهل بن حنيف وأبو دجاجة » وقال موسى بن عقبة في موضع آخر : ولما رأى رسول الله (ص) سيف علي مخضباً بالدماء قال : « لئن كنت أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف » وروى البيهقي عن سفيان ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : جاء علي بن أبي طالب بسيفه يوم أحد قد انحنى فقال لفاطمة : هاك السيف حميداً فانها قد شفتني ، فقال رسول الله (ص) : « لئن كنت أجبت الضرب بسيفك لقد أجاده سهل بن حنيف وأبو دجاجة وعاصم بن ثابت والحارث ابن الصمة » قال ابن هشام : وسيف رسول الله (ص) هذا هو ذو الفقار ، قال : وحدثني بعض أهل العلم عن ابن أبي نجيح قال : نادى مناد يوم أحد لاسيف الا ذو الفقار ، قال : وحدثني بعض أهل العلم ان رسول الله (ص) قال لعلي : « لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا » قال ابن اسحاق : ومر رسول الله (ص) بدار بني عبد الاشهل فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم فدفرت عيناه فقال : « لكن حمزة لا بواكى له » فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير الى دار بني عبد الاشهل أمرا نساءهن أن يتحزمن ثم ينهبن فيبكين على عم رسول الله (ص) . فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن بعض رجال بني عبد الاشهل قال : لما سمع رسول الله (ص) بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن في باب المسجد يبكين فقال : « ارجعن برحمن الله فقد آسيتن بأنفسكن » قال : ونهى رسول الله (ص) يومئذ عن النوح فيما قال ابن هشام ، وهذا الذي ذكره منقطع ومنه مرسل وقد أسنده الامام أحمد فقال : حدثنا زيد بن الحبيب حدثني أسامة بن

زيد حدثني نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) لما رجع من أحد فجعل نساء الانصار يبكين على من قتل من أزواجهن قال : فقال رسول الله (ص) : « ولكن حمزة لا بواكي له » قال : ثم نام فاستنبه وهن يبكين قال : « فهن اليوم اذا يبكين يندبن حمزة » وهذا على شرط مسلم . وقد رواه ابن ماجه عن هارون بن سعيد عن ابن وهب عن أسامة بن زيد الايثي عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) مرّ بنساء بني عبد الاشهل يبكين هلكاهن يوم أحد فقال رسول الله (ص) : « لكن حمزة لا بواكي له » فجاء نساء الانصار يبكين حمزة فاستيقظ رسول الله (ص) فقال : « ويحمن ما اقلبن بعد مرورهن فلينقلبن ولا يبكين على هالك بعد اليوم » وقال موسى بن عقبة : ولما دخل رسول الله (ص) أزة المدينة اذا النوح والبكاء في الدور قال : « ماهذا » قالوا : هذا نساء الانصار يبكين قتلاهم فقال : « لكن حمزة لا بواكي له » واستغفر له فسمع ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عباد ومعاذ بن جبل وعبد الله بن رواحة فشوا الى دورهم فجمعوا كل نائحة باكية كانت بالمدينة فقالوا : والله لا تبكين قتلى الانصار حتى تبكين عم النبي (ص) فانه قد ذكر أنه لا بواكي له بالمدينة . وزعموا ان الذي جاء بالنوائح عبد الله بن رواحة فلما سمع رسول الله (ص) قال : « ماهذا » فأخبر بما فعلت الانصار بنسائهم فاستغفر لهم وقال لهم خيرا وقال : « ماهذا أردت ، وما أحب البكاء » ونهى عنه . وهكذا ذكر ابن هبة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير سواء . قال موسى بن عقبة : وأخذ المنافقون عند بكاء المسلمين في المكر والتفريق عن رسول الله (ص) ، وتحزين المسلمين وظهور غش اليهود وفارت المدينة بالنفاق فور الرجل وقالت اليهود : لو كان نبياً ماظهروا عليه ولا أصيب منه ما أصيب ولكنه طالب ملك تكون له الدولة وعليه ، وقال المنافقون مثل قولهم وقالوا للمسلمين : لو كنتم أطعتمونا ما أصابكم الذين أصابوا . منكم فأنزل الله القرآن في طاعة من أطاع وفاق من نافق وتعزية المسلمين يعني فبين قتل منهم فقال : « واذا غنوت من أهلك تبوء المؤمنون مقاعد للقتال والله سميع عليم » الآيات كلها كما تكلمنا على ذلك في التفسير والله الحمد والمنة

فروج النبي (ص) بأصحابه

على ما بهم من القروح والجراح في اثر ابي سفيان

قال موسى بن عقبة بعد اقتصاصه وقعة أحد وذكره رجوعه عليه السلام الى المدينة : وقدم رجل من أهل مكة على رسول الله (ص) فسأله عن أبي سفيان وأصحابه فقال : نازلتهم فسمعتهم يتلاومون ويقول بعضهم لبعض : لم تصنعوا شيئا أصبتم شوكه القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم

تبتروهم قد بقي منهم رموس يجمعون لكم ، فأمر رسول الله (ص) ، - وبهم أشد القرح - بطلب
 العدو ليسمعوا بذلك وقال : لا ينطلقن معي إلا من شهد القتال . قال عبد الله بن أبي : أنا راكب
 ملك . فقال لا ، فاستجابوا لله ورسوله على الذي بهم من البلاء فانطلقوا . قال الله في كتابه :
 [الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واهتوا أجر عظيم]
 قال وأذن رسول الله (ص) ، لجابر حين ذكر أن أباه أمره بالقيام في المدينة على اخواته ، قال وطلب
 رسول الله (ص) ، العدو حتى بلغ حراء الأسد . وهكذا روى ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة
 ابن الزبير سواء . وقال محمد بن اسحاق في منازيه : وكان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال
 فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله (ص) ، في
 الناس بطلب العدو وأذن مؤذنه ألا يخرجن أحد إلا من حضر يومنا بالأمس ، فكله جابر بن
 عبد الله فأذن له . قال ابن اسحاق : وإنما خرج رسول الله (ص) ، مرهباً للعدو ليلغهم أنه خرج
 في طلبهم ليظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم . قال ابن اسحاق رحمه الله :
 فحدثني عبد الله بن خزيمة بن زيد بن ثابت عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان أن رجلاً من
 بني عبد الأشهل قال : شهدت أحداً أنا وأخي لي فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله (ص) ،
 بالخروج في طلب العدو قلت لأخي وقال لي : أتفتنا غزوة مع رسول الله (ص) ، ؟ والله ما لنا من
 دابة تركبها وما منا إلا جريح قهيل ، فخرجنا مع رسول الله (ص) ، وكنت أيسر جرحاً منه ، فكان
 إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون . قال ابن اسحاق : فخرج
 رسول الله (ص) ، حتى انتهى إلى حراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال فأقام بها الاثنين
 والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة . قال ابن هشام : وقد كان يستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .
 قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر معبد بن أبي معبد الخزاعي وكانت خزاعة مسلمهم
 وكافرهم عيبة رسول الله (ص) ، بهامة ضقتهم معه لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك صراً
 برسول الله (ص) ، وهو مقيم بحمراء الأسد فقال : يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك
 ولوددنا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج من عند رسول الله (ص) ، بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان
 ابن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله (ص) ، وأصحابه وقالوا : أصبنا
 حد أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم رجع قبل أن نستأصلهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم . فلما
 رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله
 قط يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان يخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا ، فيهم
 من الحق عليكم شيء لم أر مثله قط . قال ويملك ما تقول ؟ قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي
 الخيل . قال فوالله لقد أجمعنا الكثرة عليهم لنستأصل شأقتهم ، قال فاني أنهارك عن ذلك ، والله لقد

حلفي ما رأيتُ على أن قلت فيه آياتاً من شعر . قال وما قلت ؟ قال قلت :

كادت تُهدُّ من الأصواتِ راحتي إذ سالتِ الأرضُ بالجرودِ الأبابل
تُردي بأشد كرامٍ لاتنابلقُ عند اللقاء ولا ميسلٍ معازيل
فظلتُ عدوّاً أظنُّ الأرضَ مائلةً لما ممّوا برئيسٍ غيرِ مخنول
قلتُ ويلَ ابنِ حربٍ من لقائكم إذا تغطّطتِ البطحاءُ بالجيل
إني نذيرٌ لأهلِ البسلِ ضاحيةٌ لكل ذي أربةٍ منهم ومقول
من جيشٍ أحدٌ لا وخشٍ قنابله وليس بوصفٍ ما أنثرتُ بالقييل

قال فتني ذلك أبا سفيان ومن معه . ومراً به ركب من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا نريد الميرة ؟ قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمداً رسالة أرسلكم بها اليه واخل لكم ابلكم هذه غداً زيباً بمكاظ اذا وافيتوها ؟ قالوا : نعم . قال : فاذا وافيتموه فاخبروه انا قد أجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم . فر الركب برسول الله (ص) . وهو بحمراء الأسد فاخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل . وكذا قال الحسن البصري . وقد قال البخاري حدثنا أحمد بن يونس أراه قال حدثنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي الضحى عن ابن عباس : حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وقالها محمد (ص) . حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . تفرد بروايته البخاري وقد قال البخاري : حدثنا محمد بن سلام حدثنا أبو معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة رضی الله عنها [الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع للذين أحسنوا منهم واتفوا أجر عظيم] قالت لمروة : يا ابن أختي كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر رضی الله عنهما لما أصاب رسول الله (ص) ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا فقال من يذهب في ائرم . فانتدب منهم سبعون رجلاً فيهم أبو بكر والزبير . هكذا رواه البخاري وقد رواه مسلم مختصراً من وجه عن هشام وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحيدري جميعاً عن سفيان بن عيينة . وأخرجه ابن ماجه من طريقه عن هشام بن عروة به . ورواه الحاكم في مستدرکه من طريق أبي سعيد عن هشام ابن عروة به ورواه من حديث السدي عن عروة وقال في كل منهما صحيح ولم يخرجاه . كذا قال . وهذا السياق غريب جداً فان المشهور عند أصحاب المغازی ان الذين خرجوا مع رسول الله (ص) الى حمراء الاسد كل من شهد أحداً وكانوا سبعائة كما تقدم قتل منهم سبعون وبقى الباقون . وقد روى ابن جرير من طريق الموفى عن ابن عباس قال : ان الله قذف في قلب أبي سفيان الرعب يوم أحد بعد الذي كان منه فرجع الى مكة وكانت وقعة أحد في شوال وكلن التجار يقدمون في ذى القعدة المدينة فينزلون بيدر الصغرى في كل سنة مرة وانهم قسموا بعد وقعة أحد وكلن اصلب المسلمين

القرح واشتكوا ذلك الى رسول الله (ص)؛ واشتد عليهم الذي أصابهم وإن رسول الله (ص)،
فندب الناس لينطلقوا بهم ويتبعوا ما كانوا متبعين وقال لنا ترحلون الآن فتأتون الحج ولا
يقدرن على مثلها حتى عام قابل فجاء الشيطان يخوف أوليائه فقال ان الناس قد جمعوا لكم فاغشوا
عليه الناس أن يتبعوه فقال اني ذاهب وإن لم يتبعني أحد فالتدب معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى
وطليحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة وابن مسعود وحذيفة في سبعين رجلا
فساروا في طلب أبي سفيان حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله [الذين استجابوا لله والرسول من بعد
ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم] وهذا غريب أيضاً وقال ابن هشام :
حدثني أبو عبيدة أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد أراد الرجوع الى المدينة فقال
لهم صفوان بن أمية لا تفعلوا فان القوم قد حربوا وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان
فارجعوا فارجعوا فقال النبي (ص)، وهو بحمراء الاسد حين بلغه أنهم هموا بالرجعة « والذي نفسي
بيده لقد سؤمت لهم حجارة لو أصبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب » قال : وأخذ رسول الله (ص)،
في وجهه ذلك قبل رجوعه المدينة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس جد عبد
الملك بن مروان لا . اثنته بنت معاوية وأبا عزة الجمحي وكان رسول الله (ص)، قد أسره بيدرثم
من عليه فقال يا رسول الله أقتلني ، فقال : لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً
مرتين ، اضرب عنقه يا زبير ، فضرب عنقه . قال ابن هشام : وبلغني عن ابن المسيب أنه قال :
قال رسول الله (ص)، « ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت ،
فضرب عنقه » وذكر ابن هشام أن معاوية بن المغيرة بن أبي العاص استأمن له عثمان على أن لا يقيم
بعد ثلاث فبعث رسول الله (ص)، بعدها زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال : ستجدانه في مكان
كذا وكذا فاقترلاه ففعلوا رضي الله عنهما . قال ابن اسحاق : ولما رجع رسول الله (ص)، الى المدينة
كان عبد الله بن أبي كحاشي الزهري له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر له شرفاً في نفسه وفي قومه
وكان فيهم شريفاً اذا جلس رسول الله (ص)، يوم الجمعة وهو يخاطب الناس قام فقال : أيها الناس ،
هذا رسول الله بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعززوه واسمعوا له وأطيعوا . ثم يجلس
حتى اذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون ثياباً من
نواحيه وقالوا اجلس أي عدو الله والله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب
الناس وهو يقول والله لكانما قلت بجرأ أن قت أشدد أمره . فلقبه رجال من الانصار بيلب المسجد
فقالوا : ويلك مالك ؟ قال : قت أشدد أمره فوثب الى رجال من أصحابه فيجبنوني ويعنفوني لكانما
قلت بجرأ أن قت أشدد أمره . قالوا ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله (ص)، . قال : والله ما أبني

أن يستغفر لي . ثم ذكر ابن اسحاق ما نزل من القرآن في قصة أحد من سورة آل عمران عند قوله [واذا غدوت من أهلك تبوء المؤمنون مقاعد للقتال والله مسمع عليم] قال الى تمام ستين آية . وتكلم عليها ، وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية . ثم شرع ابن اسحاق في ذكر شهداء أحد وتمدادهم بأسمائهم وأسماء آبائهم على قبائلهم كما جرت عادته فذكر من المهاجرين أربعة حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان رضى الله عنهم ومن الانصار الى تمام خمسة وستين رجلا واستدرك عليه ابن هشام خمسة أخرى فصاروا سبعين على قول ابن هشام ثم سمي ابن اسحاق من قتل من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلا على قبائلهم أيضاً . قلت : ولم يؤسر من اشركين سوى أبي عزة الجمحي كما ذكره الشافعي وغيره وقتله رسول الله (ص) ، صبراً بين يديه أمر الزبير - ويقال عاصم بن ثابت بن أبي الافلح - فضرب عنقه

فضائله

فيما تناول به المؤمنون والكفار في وقعة أحد من الاشعار

وانما نورد شعر الكفار لندكر جوابها من شعر الاسلام ليكون أبلغ في وقعها من الاسماع والافهام وأقطع لشبهة الكفرة الطغام . قال الامام محمد بن اسحاق رحمه الله وكان مما قيل من الشعر يوم أحد قول هبيرة بن أبي وهب الخزومي وهو علي دين قومه من قريش فقال :

ما بالهم عميد بات يطرقي	بالود من هند اذ تعدو عواديها
بات تماثني هند وتعدني	والحرب قد شغلت عني موالها
مهلاً فلا تعدليني ان من خلقي	ما قد علمت وما ان لست أخفيها
مساعف لبني كعب بما كلفوا	حمل عبء وأثقال أعانيها
وقد حملت سلاحي فوق مشرف	ساط سبوح اذا يجري يبارها
كأنه اذ جرى غير بدفنة	مكدم لاحق بالون يحميها
من آل أعوج يرتاح الندي له	كجنح شعراء مستعل مراقبها
أعدته ورقاق الحد منتخلا	ومارناً لخطوب قد ألقاها
هذا وبيضاء مثل النهي محكمة	لظت علي فما تبدو مساويها
سقتنا كنانة من أطراف ذي يمن	عرض البلاد على ما كان يزجيها
قالت كنانة أني تذهبون بنا	قلنا النخيل فأموها ومن فيها

نحن الفوارس يوم الجر من أحد
 هابوا ضياءاً وطعنوا صادقاً خذماً
 ثمت رحنا كأننا عارض برْد
 كأن هامهم عند الوغى فلق
 أو حنظل دعدعته الريح في غصن
 قد نبذل المال سخاً لاحتساب له
 وليلة يصطلي بالفرث جازرها
 وليلة من مجادى ذات أندية
 لا ينبع الكلب فيها غير واحدة
 أو قدت فيها لذي الضراء جاحه
 أورثني ذلكم عمروً ووالله
 كانوا يبارون أنواء النجوم فما

قال ابن اسحاق فأجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال (قال ابن هشام : وتروى
 ابن مالك وغيره . قلت وقول ابن اسحاق أشبه وأكثر والله أعلم) :

سقم كنانة جلاً من سفاهكم
 أوردتموها حياض الموت ضاحية
 جمعتموم أحايشاً بلا حسب
 ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتل
 كم من أسير فككناه بلا نمن
 قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك يجيب هبيرة بن أبي وهب الخزومي أيضاً :
 ألا هل آتى غسان غنا وفونهم
 صحرى وأعلام كأن قنابها
 تظل به البزل العراميس رزحاً
 به حيف الحسرى يلوح صليبها
 به العين والآرام بمشبن خلفه
 مجالدنا عن ديننا كل نعمة
 وكل صوت في الصوان كأنها
 إلى الرسول فجنّد الله خزبها
 فالنار موعنها والقتل لاقبها
 أئمة الكفر غرّكم طواغيبها
 أهل القلب وبمن ألقينه فيها
 وجر ناصية كنا موالها
 من الأرض خرّق سيره متنع
 من البعد تقع هامد متقطع
 ويحلوه به غيث السنين فيمرع
 كما لاح كتنان التجار الموضع
 ويبض نعام قبضه يتفلم
 مندرجة فيها القوائس تلع
 إذا لبست نعي من الماء مترع

ولكن يبدري سائلوا من لقيم
وَأَنَا بِأَرْضِ الْخَوْفِ لَوْ كَانَ أَهْلُهَا
إذا جاء مِنَّا رَاكِبٌ كَانَ قَوْلُهُ
فَمَا بِهِمُ النَّاسُ مِمَّا يَكِيدُنَا
فَلَوْ غَيْرُنَا كَانَتْ جَمِيعًا تَكِيدُهُ الْبَرِّيَّةُ قَدْ أُعْطُوا يَدًا وَتَوَزَّعُوا
نَجَالِدُ لَا تَبْقَى عَلَيْنَا قَبِيلَةٌ
وَلَمَّا ابْتَنَوْا بِالْعَرَضِ قَالَتْ سُرَاتُنَا
وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ تَتَّبَعَ أَمْرَهُ
تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ
نُشَاوَرُهُ فِيمَا نُرِيدُ وَقَصْرُنَا
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا بَدَا لَنَا
وَكُونُوا كَنُ يُشْرِي الْحَيَاةَ تَقَرُّبًا
وَلَكِنْ خُنُوا أَسْيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُوا
فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ جَهْرَةً فِي رَحْلِهِمْ
بِمَلُومَةٍ فِيهَا السُّنُورُ وَالْقَنَا
فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطُهُ
ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةُ
نُفَاوَرُهُمْ نَجْرِي الْمَنِيَّةَ يَنْتَا
نَهَادِي قِسْيَ النَّبْعِ فِينَا وَفِيهِمْ
وَمَنْجُوقَةٌ حَرْمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةُ
نُصُوبٌ بِأَبْدَانِ الرِّجَالِ وَتَلَاوَةٌ
وَحَيْلٌ تَرَاهَا بِالْفَضَاءِ كَأَنَّمَا
فَلَمَّا تَلَاوَيْنَا وَدَارَتْ بَنَاءُ الرِّحَا
ضَرْبَانَهُمْ حَتَّى تَرَكْنَا سُرَاتَهُمْ
لَدُنْ غَدْوَةٍ حَتَّى اسْتَقْنَا عَشِيَّةً
وَرَاوَاهَا سِرَاعًا مَوْجَعِينَ كَأَنَّهُمْ
وَرَحْنَا وَأَخْرَانَا بَطَاءً كَأَنَّمَا

من الناس والأنباء بالغيب تنفع
سِوَانَا لَقَدْ أَجْلُوا بَلِيلٌ فَاقْشَعُوا
أَعِدُوا لِمَا يَزْجِي ابْنُ حَرْبٍ وَيَجْمَعُ
فَنَحْنُ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَوْسَعُ
فَلَوْ غَيْرُنَا كَانَتْ جَمِيعًا تَكِيدُهُ الْبَرِّيَّةُ قَدْ أُعْطُوا يَدًا وَتَوَزَّعُوا
مِنْ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَهَابُوا وَيَفْظَعُوا
عَلَامٌ إِذَا لَمْ نَمْنَعْ الْعَرَضَ نَزَرَ
إِذَا قَالَ فِينَا الْقَوْلَ لَا تَنْظَلُ
يَنْزِلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ وَيُزْفَعُ
إِذَا مَا اشْتَهَى أَنَا نَطْعُ وَنَسْمُ
ذَرَوْا عَنْكُمْ هَوْلَ الْمَنِيَّاتِ وَاطْمَعُوا
إِلَى مَلِكٍ يَحْيَا لَدَيْهِ وَيَرْجِعُ
عَلَى اللَّهِ إِنْ الْأَمْرَ اللَّهُ أَجْمَعُ
ضَحِيًّا عَلَيْنَا الْبَيْضُ لَا تَنْخَشَعُ
إِذَا ضَرَبُوا أَقْدَامَهَا لَا تَوَرَّعُ
أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقْتَعُ
ثَلَاثُ مِثْلِينَ إِنْ كُنُنَا فَارِجُ
نُشَارِعُهُمْ حَوْضَ الْمَنِيَّاتِ وَنُشَارِعُ
وَمَا هُوَ إِلَّا الْبَرِّيَّةُ الْمَقْطَعُ
يَنْزِلُ عَلَيْهَا السَّمَاءُ سَاعَةً تَصْنَعُ
تَمَرٌ بِأَعْرَاضِ الْبَصَارِ تُقْمَقُ
جَرَادٌ صَبَا فِي قَرَّةٍ يَتَرَجُّعُ
وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَتَّى اللَّهُ مَدْفَعُ
كَأَنَّهُمْ بِالْقَاعِ خُشْبَةٌ مَصْرَعُ
كَأَنَّ دُكَانًا حَرًّا نَارٌ تَلْفَعُ
جَهَامٌ هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مُقْلَعُ
أَسْوَدٌ عَلَى لَحْمٍ بَيْشَةٌ ضَلَعُ

فَلَمَّا وَنَالِ الْقَوْمُ مِنَّا وَرَبَّمَا
وَدَارَتْ رَحَانَا وَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ
وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
جَلَادٌ عَلَى رَيْبٍ الْحَوَاثِ لَا نَرَى
بَنُو الْحَرْبِ لِأَنْعِيَا بِشِيءٍ نَقُولُهُ
بَنُو الْحَرْبِ إِنْ نَظَفَرُوا فَلَسْنَا بِفَحْشٍ
وَكُنَّا شُهَابًا يَتَقَى النَّاسُ حَرَّهُ
نَغَرَتْ عَلِيٌّ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَقَدْ سَرَى
فَلَسْنَا عَنْكَ فِي عَلِيٍّ مَعَدٍ وَغَيْرَهَا
وَمَنْ هُوَ لَمْ يَتْرِكْ لَهُ الْحَرْبَ مَفْخَرًا
شَدَدْنَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَالنَّصْرِ شِدَّةً
تَكَرَّرَ الْقَتْلُ فِيكُمْ كَأَنَّ فُرُوعَهَا
عَمَدُنَا إِلَى أَهْلِ الْوَاءِ وَمَنْ يَطْرُقُ
فَخَانُوا وَقَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَخَاذَلُوا
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي يَوْمِ أَحُدَ وَهُوَ يَوْمُ مَثَدٍ مُشْرِكٍ بَعْدَ :
يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَصَمَّتْ قُلُوبُ
إِنْ لِلْخَيْرِ وَلِلْشَّرِّ مَدَى
وَالْعَطِيَّاتُ خِيسَاسٌ بَيْنَهُمْ
كُلُّ عَيْشٍ وَنَعِيمٍ زَائِلٌ
أَبْلَغْنَا حَسَانَ عَنِّي آيَةً
كَمْ نَرَى بِالْجَزِّ مِنْ جُجْمَةٍ
وَسَرَايِلَ حَسَانٍ سَرِيَةٍ
كَمْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدٍ
صَادِقِ النَّجْدَةِ رَقْمٍ بَارِعٍ
فَلَسْنَا الْمِهْرَاسَ مَا سَاكُنُهُ
لَيْتَ أَشْيَاخِي يَسِيرُ شَهْدُوا
حِينَ حَكَّتْ قَبَائِمُ بَرَكَا
فَلَمَّا وَلَكِنْ مَا لَدَى اللَّهِ أَوْسَعُ
وَقَدْ جَعَلُوا كُلَّ مِنَ الشَّرِّ يَشْعُ
عَلَى كُلِّ مَنْ يَحْيِي الذَّمَّارَ وَيَمْنَعُ
عَلَى هَالِكٍ عَيْنًا لَنَا الدَّهْرَ تَمْنَعُ
وَلَا نَحْنُ مِمَّا جَرَّتْ الْحَرْبُ نَجْزِعُ
وَلَا نَحْنُ مِنْ أَطْفَارِنَا تَتَوَجَّعُ
وَيُفْرِجُ عَنْهُ مَنْ يَلْبِسُ وَيَسْفَعُ
لَكُمْ طَلَبٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُتَبَّعُ
مَنْ النَّاسِ مِنْ أُخْزَى مَقَامًا وَأَشْنَعُ
وَمَنْ خُتُّهُ يَوْمَ الْكَرِيمَةِ أَضْرَعُ
عَلَيْكُمْ وَأَطْرَافُ الْأُسْتَنْةِ شَرَّعُ
عَزَالَى مُرَادٍ مَأْوَاهَا يَتَهَزَّعُ
بَذَكَرُ الْوَاءِ فَهُوَ فِي الْحَدِيدِ أَسْرَعُ
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَمْرَهُ وَهُوَ أَصْنَعُ
إِنَّمَا تَنْطِقُ شَيْئًا قَدْ فُعِلَ
وَكَلَّا ذَلِكَ وَجْهٌ وَقُبُلُ
وَسَوَاءٌ قَبْرٌ مُتَرٍ وَمُقِلٌ
وَبَنَاتُ الدَّهْرِ يَلْمِزْنَ بِكُلِّ
قَهْرِيضُ الدَّهْرِ يَشْفِي ذَا الْغُلُلِ
وَأَكْفَ قَدْ أَثَرْتُ وَرَجُلٍ
عَنْ كَلَامٍ أَهْلَكُوا فِي الْمَنْتَرَلِ
مَاجِدِ الْجَدِّينَ مِقْدَامٍ بَطْلُ
غَيْرِ مِلْثَاقٍ لَدَى وَقَعَ الْأَسْلُ
بَيْنَ أَقْحَافٍ وَهَامٍ كُلِّ الْجَلِ
جَزَعُ الْخُزْجِ مِنْ وَقَعَ الْأَسْلُ
وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي عَبْدِ الْأَسْلُ

ثم خفوا عند ذاكم رقصاً رقص الحقان يملو في الجبل
 قتلنا الضعف من أشرافهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
 لا ألوم النفس الا أننا لو كررنا لفعلنا المنفعل
 بسيف الهند تعلمو هامهم عللاً تعلموهم بعد نهل
 قال ابن اسحاق : فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه :

ذهبت بامر الزبرى وقعة كان منا الفضل فيها لو عدل
 ولقد نلتم ونلنا منكم وكذلك الحرب أحياناً يؤول
 نضع الاسياق في أكتافكم حيث نهوى عللاً بعد نهل
 نخرج الأصبح من أسناهم كسلاح النيب يا كنان العصل
 إذ تولوت على أعقابكم هرباً في الشعب أشباه الرسل
 إذ شددنا شدة صادقة فأجأناكم الى سفتح الجبل
 بخناطيل كأشداق الملا من يلاقوه من الناس يهل
 ضاق عنا الشعب إذ نجزعه وملأنا الفرط منه والرجل
 برجال لستم أمثالهم أيتوا جبريل نصراً فزل
 وعلونا يوم بدر بالتقى طاعة الله وتصديق الرسل
 وقتلنا كل رأس منهم وقلنا كل جحاح رقل
 وتركنا في قريش عورة يوم بدر وأحاديث المثل
 ورسول الله حقاً شاهداً يوم بدر والتنايل المبل
 في قريش من جوع جمعوا مثل ما يجمع في الخصب الممل
 نحن لا أمثالكم ولدت أسبها نحضر البأس إذا البأس نزل

قال ابن اسحق وقال كعب بن مالك يبكى حمزة ومن قتل من المسلمين يوم أحد رضى الله عنهم :

نشجت وهل لك من منشج وكنت متى تدكر تلجج
 تذكر قوم أناني لهم أحاديث في الزمن الأعوج
 قلبك من ذكركم خافق من الشوق والحزن المنضج
 وقتلهم في جنان النعيم كرام المداخل والخرج
 بما صبروا تحت ظل اللواء لواء الرسول بني الأضوج
 غداة أجابت بأسياقها جميعاً بنو الاوس والخزرج

وأشياءَ أحدٍ إذ شاموا على الحق ذي النور والنهج
فما برحوا يضربون الكاة ويمضون في القسطل المريج
كذلك حتى دعاهم ملك إلى جنة دوحه المولج
وكلهم مات حرّ البلاء على ملّة الله لم يخرج
كحزمة لما وفي صادقاً بذى هبة صارم سلجج
فلاقاه عبد بني نوفل يبربر كالجلج الأذعج
فاوجره حرباً كالشهاب تلهب في اللهب الموهج
ونمان أوفى بميثاقه وحظلة الخير لم ينجج
عن الحق حتى غدت روحه إلى منزل فاخر الزبرج
أولئك لا آمن ثوى منهم من النار في الدرك المرتج

قال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت يبيكى حمزة ومن أصيب من المسلمين يوم أحد وهى
على روى قصيدة أمية بن أبي الصلت في قتلى المشركين يوم بدر . قال ابن هشام : ومن أهل العلم
بالشعر من ينكر هذه لحسان والله أعلم :

يا مئى قومي فاندبى بسجيرة شجوا النوايح
المعولات الخامشات وجوة خرات صحائح
ينقضن أشعاراً لمن هناك بادية المسائح
من بين مشرور ومجزور يدغدغ بالبوراح
ولقد أصاب قلوبها بجل له جلب قوارح
أصحب أحد غلم دهر أله جوارح
يا حمز لا والله لا أنساك ماصراً القنايح
ولما ينوب الدهر في حرب لحرب وهى لافح
عنا شديداً الخطوب إذا ينوب لمن فادح
عنا وكان يُعد إذعد الشريفون الجحاجح
لا طائش رُعرش ولا ذو علة بالحلل آخ
أودى شباب إلى الحفائظ والتقيلون المراجح
لحم الجلال وفوقه من شحم شطب شرائح
لهي لشبان رزئناهم كأنهم المصاح

كالخاملات الوقر بالثقل الملهات البدواح
وكان سيل دموعها الانصب تخضب بالذباح
وكانها أذنان خيل بالضحى شمس روامح
يمكن شجوا ملبات كدحتهن الكوادح
إذ أقصد الحدثنان من كنا نرجي إذ نشايح
من كان فار سنا وحامينا إذا بعث المسايح
لمناخ أيتام وأضياف وأرملة تلامح
يا فارساً يامدراً ها يا حمز قد كنت المصاح
ذكرتني أسد الرسول وذاك منذر هنا المنافع
يعلو التهام جيرة سبط الديدن أغر واضح
بحر فليس يغيب جارا منه سيب أو منادح
المطمعون إذا المشائي ما يصفقن ناضح
ليدافعوا عن جارهم مارام ذو الضغن المكاشح
شم بطارقة غطارقة خضارمة مسامح

المشترون الحمد بالأموال إن الحمد راجح
 من كان يرمى بالنواقر من زمان غير صالح
 راحت تبارى وهو في دكب صدورهم رواشح
 يا حمز قد أوحدتني كالعود شذبه الكوافح
 من جندل يلقيه فوقك إذا جاد الضرح ضارح
 فعزأنا أنا نقول وقولنا برح بوارح
 فليأتنا فلتبك عيناه لملكانا النواجح
 والجامزون بلجهم يوماً إذا ماصح صائح
 ما أن تزال ركابه يرمن في غبر صحاح
 حتى تثوب له المعالي ليس من فوز الصفائح
 أشكو اليك وفوقك التراب المسكور والصفائح
 في واسع يحشونه بالتراب سوتة الماسح
 من كان أمسى وهو عما أوقع الحدثان جانح
 القائلين الفاعلين ذوي الساحة والمادح

من لا يزال ندى يديه له طوال الدهر مانح

قال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان. قال ابن اسحاق وقال كعب بن مالك يبيح حمزة وأصحابه:

طرقت همومك فالرقاد مسهد
 ودعت فؤادك للهوى ضمرية
 فدع التماذي في الغواية سادراً
 ولقد أتى لك أن تنأى طائماً
 ولقد هددت لفقد حمزة هدة
 ولو أنه فحمت حراء بمنله
 قرم تمكن في ذؤابة هاشم
 والعافر الكوم الجلاد اذا غدت
 والتارك القرن الكمي مجدلاً
 وتراه يرقل في الحديد كأنه
 عم النبي محمد وصفيه
 وآتى المنية معلماً في أسرة
 ولقد إخال بذلك هنداً بشرت
 مما صبحنا بالعقتل قومها
 ويثر بدر إذ يرد وجوههم
 حتى رأيت لدى النبي سراتهم
 فأقام بالمطن المعطن منهم
 وجزعت أن سلخ الشباب الاغيد
 فهوأك غوري وصخوك منجد
 قد كنت في طلب الغواية تفند
 أو تستفيق اذا نهك المرشد
 ظلت بنات الجوف منها ترعد
 لرأيت رأسي صخرها يتبدد
 حيث النبوة والندى والسودد
 ربح يكاد الماء منها يجمد
 يوم الكربة والقنا يتقصده
 فو لبدة شئن البرائن أربد
 ورد الحمام فطاب ذاك المورد
 نصروا النبي ومنهم المستشهد
 لميت داخل غصة لا تبرد
 يوماً تقيب فيه عنها الأسعد
 جبريل تحت لوائنا ومحمد
 قسمين قتل من نشأ ونطرد
 سبعون عتبة منهم والاسود

وَابْنُ الْمَيْمَةِ قَدْ ضَرَبْنَا ضَرْبَهُ
وَأُمِّيَّةُ الْجَمْعِيِّ قَوْمٌ مِثْلُهُ
فَأَتَاكَ قُلُوبُ الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ
شَتَّانٌ مِنْ هُوَ فِي جَهَنَّمَ ثَاوِيًّا
فَوْقَ الْوَرِيدِ لَهَا رِشَاشٌ مَرْبِدٌ
عُضْبٌ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ مَهْدٌ
وَالْخَيْلُ تَتَقَنَّمُ لِعَامٍ شَرْدٌ
أَبَدًا وَمِنْ هُوَ فِي الْجَنَانِ مَخْلَدٌ

قال ابن اسحاق : وقال عبد الله بن رَوَاحَةَ يَبْكِي حَمْزَةً وَأَصْحَابَهُ يَوْمَ أَحَدٍ . قال ابن هشام :
وَأَنشَدْنَاهَا أَبُو زَيْدٍ لَكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ فَاللهُ أَعْلَمُ :

بَكَتْ عَيْنِي وَخَقَّ لَهَا بَكَاهَا
عَلَى أَسَدِ الْإِلَهِ غَدَاةٌ قَالُوا
أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعًا
أَبَا يَمْلُوكَ الْأَرْكَانُ هَدَّتْ
عَلَيْكَ سَلَامُ رَبِّكَ فِي جَنَانٍ
أَلَا يَا هَاشِمُ الْأَخْيَارِ صَبْرًا
رَسُولُ اللَّهِ مُصْطَبِرٌ كَرِيمٌ
أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي لَوْثًا
وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَاعَرَفُوا وَذَاقُوا
نَسِيتُمْ ضَرْبَنَا بِقَلْبٍ بِدِرٍ
غَدَاةٌ ثَوَى أَبُو جَهْلٍ صَرِيحًا
وَعَتَبَةٌ وَابْنُهُ خَرًّا جَمِيعًا
وَمَتْرَكُنَا أُمِّيَّةً مُجْلَمًا
وَهَامَ بَنِي رَبِيعَةَ سَائِلُوهَا
أَلَا يَا هَنْدُ فَاكِكِي لَا تَمْلِي
أَلَا يَا هَنْدُ لَا تَبْدِي شَمَاتًا
وَمَا يَنْفِي الْبَكَاءَ وَلَا الْعَوِيلَ
أَحْزَمَةٌ ذَاكُمُ الرَّجُلُ الْقَتِيلُ
هَنَّاكَ وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ
وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوَصُولُ
مُخَالِطُهَا نَعِيمٌ لَا يَزُولُ
فَكُلُّكُمْ فَصَالِكٌ حَسَنٌ جَمِيلُ
بِأَمْرِ اللَّهِ يَنْطَلِقُ إِذَا يَقُولُ
فَبَعْدَ الْيَوْمِ دَائِلَةٌ تَدُولُ
وَقَاتِلُنَا بِهَا يَشْفِي الْغَلِيلُ
غَدَاةٌ أَتَاكُمُ الْمَوْتُ الْعَجِيلُ
عَلَيْهِ الطَّيْرُ حَائِمَةٌ تَجُولُ
وَشَيْبَةُ عَضَةِ السِّفِّ الصَّقِيلُ
وَفِي حَبْرٍ وَمِهِ لَدُنْ نَبِيلُ
فَنِي أَسْيَافُنَا مِنْهَا فُلُولُ
فَأَنْتَ الْوَالَهُ الْعَبْرَى الْمَبُولُ
بِحَمْزَةٍ إِنْ عَزَّكُمْ ذَلِيلُ

قال ابن اسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب وهي أم
الزبير عمة النبي (ص) : ورضي الله عنهم أجمعين :

أَسْأَلُ أَصْحَابَ أَحَدٍ مَخَافَةَ
فَقَالَ الْخَبِيرُ إِنَّ حَمْزَةً قَدْ ثَوَى
دَعَا إِلَهَ الْحَقِّ ذُو الْعَرْشِ دَعْوَةً
إِلَى جَنَّةٍ بِحَبَابِهَا وَسُرُورِ
بَنَاتِ أَبِي مِنْ أَعْجَمٍ وَخَبِيرِ
وَزِيرِ رَسُولِ اللَّهِ خَيْرُ وَزِيرِ
إِلَى جَنَّةٍ بِحَبَابِهَا وَسُرُورِ

فذلك ما كنّا نرجي ونرجي
فوالله لأنساك ما هبت الصبا
على أسد الله الذي كان مدرها
فيا ليت شلوي عند ذاك وأعظمي
أقول وقد أعلى النعى عشريني
جزى الله خيراً من أخ ونصير

قال ابن اسحاق : وقالت نعم امرأة شماس بن عثمان تبكى زوجها والله أعلم والله الحمد والمنة :

يا عين جودي بفيض غير إبساس
صعب البديهة ميمون نقيته
أقول لما أتى الناعى له جزعا
وقلت لما خلت منه بحالسه

على كريم من الفتيان لباس
حمال أولية ركب أفراس
أودى الجواد وأودى المطعم الكاسي
لا يبعد الله منا قرب شماس

قال فأجابها أخوها الحكم بن سعيد بن يربوع يعزيبا فقال :

أفنى حياءك في ستر وفي كرم
لا تقتلي النفس إذ حانت منيته
قد كان حمزة ليث الله فاصطبرى

فانما كان شماس من الناس
في طاعة الله يوم الروع والباس
فذاق يومئذ من كأس شماس

وقالت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان حين رجعوا من أحد :

رجعت وفي نفسي بلابل جمة
من أصحاب بدر من قريش وغيرهم
ولكنني قد نلت شيئا ولم يكن

وقد فاتني بعض الذي كان مطلبي
بني هاشم منهم ومن أهل يثرب
كما كنت أرجو في مسيري ومركبي

وقد أورد ابن اسحاق في هذا أشعاراً كثيرة تركنا كثيراً منها خشية الإطالة وخوف الملالة
وفيما ذكرنا كفاية والله الحمد . وقد أورد الاموى في مغازيه من الاشعار أكثر مما ذكره ابن
اسحاق كما جرت عادته ولا سيما هنا فن ذلك ما ذكره لحسان بن ثابت أنه قال : أنه قال في غزوة
أحد فآله أعلم :

طاوعوا الشيطان إذ اخزاهم
حين صاحوا صيحة واحدة
فأجبنام جميعا كلنا
أثبتوا تستعملوها مرة
واعلموا أنا إذا ما فضحت

فاستبان الخزي فيهم والفشل
مع أبي سفيان قالوا أعل هبل
ربنا الرحمن أعل وأجل
من حياض الموت والموت نهل
عن خيال الموت قدر تشتعل

وكان هذه الايات قطعة من جوابه لعبد الله بن الزبيرى والله أعلم
اخر الكلام على وقعة احد

فَضَّلَ اللهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قد تقدم ما وقع في هذه السنة الثالثة من الحوادث والغزوات والسرايا، ومن أشهرها وقعة أحد كانت في النصف من شوال منها، وقد تقدم بسطها والله الحد وفيها في أحد توفي شهيداً أبو يعلى ويقال أبو عمارة أيضاً حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله (س)، الملقب بأسد الله وأسود رسوله وكان رضيع النبي (س)، هو وأبوسلمة بن عبد الأسد أرصعهم نوية مولاة أبي لهب كما ثبت ذلك في الحديث المتفق عليه، فعلى هذا يكون قد جاوز الحسين من السنين يوم قتل رضى الله عنهم فإنه كان من الشجعان الأبطال ومن الصديقين الكبار وقتل معه يومئذ تمام السبعين رضى الله عنهم أجمعين وفيها عقد عثمان بن عفان على أم كلثوم بنت رسول الله (س)، بعد وفاة أختها رقية وكان عقده عليها في ربيع الأول منها وبني بها في جمادى الآخرة منها كما تقدم فيها ذكره الواقدي وفيها قال ابن جرير: ولد لفاطمة بنت رسول الله (س)، الحسن بن علي بن أبي طالب قال: وفيها علفت بالحسين رضى الله عنهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر

سنة اربع من الهجرة النبوية

في الحرم منها كانت سرية أبي سلمة بن عبد الأسد أبي طلحة الاسدي فاتتني الى ما يقال له قطن. قال الواقدي: هدرنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد اليربوعي عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة وغيره قالوا: شهد أبوسلمة أحداً فخرج جرحاً على عضده فاقام شهراً يداوى فلما كان الحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة دعاه رسول الله (س)، فقال: اخرج في هذه السرية فقد استعملتك عايها وعقد له لواء وقال: سر حتى تأتي أرض بني أسد فأغر عليهم، وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، وخرج معه في تلك السرية خمسون ومائة فاتتني الى أدنى قطن وهو ماء لبني أسد وكان هناك طلحة الاسدي وأخوه سلمة ابنا خويلد وقد جمعا خلفاء من بني أسد ليقتلوا حرب النبي (س)، فجاء رجل منهم الى النبي (س)، فأخبره بما عملاًوا عليه

فبعث معه أبا سلمة في سرية هذه . فلما انتهوا الى أرضهم ففرقوا وتركوا فلما كثيراً لهم من الابل والغنم فأخذ ذلك كله أبو سلمة وأسر منهم معه ثلاثة عماليك وأقبل راجعاً الى المدينة فأعطى ذلك الرجل الاسدي الذي دلم نصيباً وافرأ من المغنم ، وأخرج صفى النبي (س) ، عبداً وخمس الغنمية وقسمها بين أصحابه ثم قدم المدينة . قال عمر بن عثمان فحدثني عبد الملك بن عبيد عن عبد الرحمن ابن سعيد بن يربوع عن عمر بن أبي سلمة قال : كان الذي جرح أبي أوسامة الجشمي فكث شهراً يداويه فبرأ فلما برأ بعثه رسول الله (س) ، في الحرم يعني من سنة أربع الى قطن فغاب بضعة عشرة ليلة ، فلما دخل المدينة انتقض به جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الاولى . قال عمر : واعتدت أُمى حتى خلت اربعة أشهر وعشر ثم تزوجها رسول الله (س) ، ودخل بها في ليال بقين من شوال فكانت أُمى تقول : ما بأس بالنكاح في شوال والدخول فيه ، قد تزوجني رسول الله (س) ، في شوال وبني فيه . قال : وماتت أم سلمة في ذى القعدة سنة تسع وخمسين رواه البيهقي . قلت منذ كفي أواخر هذه السنة في شوالها تزويج النبي (س) ، بأم سلمة وما يتعلق بذلك من ولاية الابن أمه في النكاح ومذاهب العلماء في ذلك ان شاء الله تعالى وبه الثقة

غزوة الرجيع

قال الواقدي : وكانت في صفر يعني سنة أربع بعثهم رسول الله (س) ، الى أهل مكة ليجزوه قال والرجيع على ثمانية أميال من عسفان . قال البخاري : حدثني ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف عن معمر عن الزهري عن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن أبي هريرة قال : بعث النبي (س) ، سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا الحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنبعوم بقرى من مائة رام فاقنصوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزله فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فنبعوا آثارهم حتى لحقهم فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا الى فدغد وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا : لكم العهد والميثاق ان نزلتم إلينا ألا قتل منكم رجلاً فقال عاصم : أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر اللهم أخبر عنا رسولك فقاتلهم حتى قتلوا عاصم في سبعة نفر بالنبل وبقي خبيب وزيد ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما استمكنوا منهم حلوا أو ثار قسيهم فربطوهم بها قتال الرجل الثالث الذي معها هذا أول الفدغ فابى أن يصحبهم فجزوه ، علجوه على أن يصحبهم فلم يفعل قتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر فكث عندهم أسيراً حتى اذا

أجمعوا قتله استعمار موسى من بعض بنات الحارث يستحذ بها فاعلته قالت ففعلت عن صبي لي فدرج اليه حتى أتاه فوضعه على نخفه فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك ان شاء الله . وكانت تقول ما رأيته أسيراً قط خيراً من خبيب لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ من ثمره وانه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقا رزقه الله . فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال : دعوني أصلي ركعتين ثم انصرف اليهم فقال : لولا أن تروا أن مابي جزع من الموت لذت . فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو . ثم قال : اللهم احصهم عدداً واقتلهم بديداً . ثم قال :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلوي ممزّع

قال : ثم قام اليه عقبة بن الحارث فقتله ، وبعتت قريش الى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحتمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء . وقال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن عمرو وسميع جابر بن عبد الله يقول : الذي قتل خبيبا هو أبو سروعة قلت واسمه عقبة بن الحارث وقد أسلم بعد ذلك وله حديث في الرضاع وقد قيل ان أبا سروعة وعقبة أخوان فأن الله أعلم

هكذا ساق البخاري في كتاب المغازي من صحيحه قصة الرجيع ورواه أيضاً في التوحيد وفي الجهاد من طرق عن الزهري عن عمرو بن أبي سفيان وأسد بن حارثة التميمي حليف بني زهرة ومنهم من يقول عمر بن أبي سفيان والمشهور عمرو . وفي لفظ للبخاري بعث رسول الله (س) عشرة رهط سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الاقح وسلق بنحوه وقد خالفه محمد ابن اسحاق وموسى بن عقبة وعروة بن الزبير في بعض ذلك ولندكر كلام ابن اسحاق ليعرف ما بينهما من التفاوت والاختلاف على أن ابن اسحاق امام في هذا الشأن غير مدافع كما قال الشافعي رحمه الله من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن اسحاق . قال محمد بن اسحاق حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال : قدم على رسول الله (س) بعد أحد رهط من عضل والقارة فقالوا يا رسول الله ان فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفتقوننا في الدين ويقرئونا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام . فبعث رسول الله (س) معهم نفراً ستة من أصحابه وهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب قال ابن اسحاق وهو أمير القوم وخالد بن البكير اللبني حليف بني عدى وعاصم بن ثابت بن أبي الاقح أخو بني عمرو بن عوف وخبيب بن عدى أخو بني جحجج بن ابن كلفة بن عمرو بن عوف وزيد بن الدثنة أخو بني بياضة بن عامر وعبد الله بن طارق حليف بني

ظفر رضى الله عنهم هكذا قال ابن اسحاق أنهم كانوا ستة وكذا ذكر موسى بن عقبة ومحام كما قال ابن اسحاق وعند البخارى أنهم كانوا عشرة وعنده ان كبيرهم عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح قاله أعلم . قال ابن اسحاق فخرجوا مع القوم حتى اذا كانوا على الرجيع لماء لهذيل بناحية الحجاز من صدور الهداة غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هذيلاً ، فلم يرع القوم وهم في رحالهم الا الرجال بأيديهم السيوف قد غشواهم ، فاخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم إنا والله ما نريد قتلكم ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا تقتلكم . فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا والله لا تقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً ، وقال عاصم بن ثابت والله أعلم والله الحمد والمنة :

ما علمتني وأنا جلد نابل والقوس فيها وتر عنابل
نزل عن صفحتها المابل الموت حق والحياة باطل
وكل ما حرم الإله نازل بالبرء والمرء إليه آيل
إن لم أقاتلكم فأتى هابل

وقال عاصم أيضاً :

أبو سليمان وريش المقعد وضالة مثل الجحيم الموقد
اذا النواحي افترشت المريد وجمنا من جلد نور أجرد
ومؤمن بما على محمد

وقال أيضاً :

أبو سليمان ومثلي راما وكان قومي مقشرا كراما

قال : ثم قاتل حتى قتل وقتل صاحبه . فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعه من سلافة بنت سعد بن سهيل وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشر بن في قحفه الخمر فمنعته الدبر فلما حالت بينهم وبينه قالوا دعوه حتى يمسي فيذهب عنه فتأخذه ، فبعث الله الوادى فاحتل عاصم فذهب به . وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً تنجساً فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدبر منعت : يحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً في حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته . قال ابن اسحاق : وأما خبيب وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق ، فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة وأعطوا بأيديهم فأسروهم ثم خرجوا بهم الى مكة ليبيعهم بها حتى اذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القران ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة

حتى قتلوه قبرة بالظهران. وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة. قال ابن اسحاق: فابتاع خبيبا حجيرا بن أبي اهاب التميمي حليف بني نوفل لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل وكان أبو اهاب أخا الحارث بن عامر، لأمه ليقتله بآبيه. قال: وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بآبيه فبعثه مع مولى له يقال له نسطاس الى التنعيم وأخرجه من الحرم ليقتله واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإنى جالس في أهلي. قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا قال: ثم قتله نسطاس. قال: وأما خبيب بن عدى فحدثني عبد الله بن أبي نجيح أنه حدث عن ماوية مولاة حجيرة بن أبي اهاب، وكانت قد أسلمت، قالت: كان عدى خبيب حبس في بيتي فلقد اطلعت عليه يوما وإن في يده لقطعا من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل قال ابن اسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي نجيح أنهما قالا: قالت قال لي حين حضره القتل ابني الى بمحديقة أتطهر بها للقتل. قالت فأعطيت غلاماً من الحى الموسى فقلت له أدخل بها على هذا الرجل البيت فقالت فوالله أن هو إلا أن ولي الغلام بها اليه فقلت ما ذا صنعت أصاب والله الرجل ثأره يقتل هذا الغلام فيكون رجلاً برجل، فلما ناوله الحديد أخذها من يده ثم قال لعمر ك ما خافت أمك غدري حين بعثتك بهذه الحديد الى. ثم خلى سبيله. قال ابن هشام: ويقال ان الغلام ابنها. قال ابن اسحاق: قال عاصم: ثم خرجوا بخبيب حتى جاءوا به الى التنعيم ليصلبوه، وقال لهم: ان رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا، قالوا: دونك فاركع، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طوئت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة. قال: فكان خبيب أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين^(١)

(١) يوجد على الهامش في هذا المكان ما نصه «حاشية بخط المصنف. قال السهيلي: وإنما صارت سنة لأنها فعلت في زمن النبي (ص)، واستحسن من صنيعه، قال وقد صلاها زيد بن حارثة في حياة النبي (ص)، ثم ساق بإسناده من طريق أبي بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين عن يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد قال: بلغني أن زيد بن حارثة استأجر من رجل بغلا من الطائف واشترط عليه الكرى أن ينزله حيث شاء، فلما به الى خربة فاذا بها قتلى كثيرة، فلما هم بقتله قال له زيد: دعني حتى أصلي ركعتين. فقال: صل ركعتين فطلما صلى هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا. قال فصليت ثم جاء ليقتلني فقلت: يا أرحم الراحمين، فاذا صارخ يقول لا تقتله،

قال : ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تفادر منهم أحدا ، ثم قتلوه . وكان معاوية ابن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان فلقد رأيته يلقيني الى الارض فرقا من دعوة خبيب ، وكاتوا يقولون ان الرجل اذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زلت عنه . وفي مغازي موسى بن عقبة : أن خبيبا وزيد بن الدثنة قتلا في يوم واحد وأن رسول الله ص ، سمع يوم قتلوا وهو يقول وعليكما أو عليك السلام خبيب قتلته قريش . وذكر أنهم لما صلبوا زيد بن الدثنة رموه بالنبل ليفتنوه عن دينه فما زاده إلا إيمانا وتسليما . وذكر عروة وموسى بن عقبة أنهم لما رفعوا خبيبا على الخشبة ناحوه يناشدونه أحب أن محمدا مكانك ؟ قال : لا والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه فضحكوا منه . وهذا ذكره ابن اسحاق في قصة زيد بن الدثنة فإله أعلم . قال موسى بن عقبة : زعموا أن عمرو بن أمية دفن خبيبا . قال ابن اسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عقبة بن الحارث قال سمعته يقول : والله ما أنا قتل خبيبا لأننا كنت أصغر من ذلك ولكن أبا ميسرة أخا بني عبد الدار أخذ الحربة فجعلها في يدي ثم أخذ بيدي وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله . قال ابن اسحاق : وحدثني بعض أصحابنا قال : كان عمر بن الخطاب استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي على بعض الشام فكانت تصيبه غشية وهو بين ظهري القوم فذكر ذلك لعمر وقيل إن الرجل مصاب ، فسأله عمر في قدمه قدمها عليه فقال : ياسعيد ما هذا الذي يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس ولكني كنت فيمن حضر خبيب بن عدي حين قتل وسمعت دعوته فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس قط إلا غشي على .

فهاب وذهب ينظر فلم ير شيئا ، ثم جاء ليقبضني فقلت : يا أرحم الراحمين ، فسمع أيضا الصوت يقول لا تقتله ، فذهب لينظر ثم جاء ، فقلت : يا أرحم الراحمين ، فاذا أنا بفارس على فرس في يده حربة في رأسها شعلة من نار فطعنه بها حتى أنفذه فوق ميتنا ، ثم قال : لما دعوت الله في المرة الاولى كنت في السماء السابعة ولما دعوته في المرة الثانية كنت في السماء الدنيا ولما دعوته في الثالثة أتيتك . قال السهيلي : وقد صلاها حजर بن عدي ابن الادبر حين حمل الى معاوية من العراق ومعه كتاب زياد ابن أبيه وفيه أنه خرج عليه وأراد خلعه ، وفي الكتاب شهادة جماعة من التابعين منهم الحسن وابن سيرين ، فلما دخل على معاوية قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . قال أو أنا أمير المؤمنين ؟ وأمر بقتله . فصلى ركعتين قبل قتله ثم قتل رحمه الله . قال وقد عاتبت عائشة معاوية في قتله فقال : انما قتله من شهد عليه ، ثم قال : دعيتي وحجرا فاني سألتها على الجادة يوم القيامة . قالت : فأين ذهب عنك حلم أبي سفيان ؟ قال حين غاب مثلك من قومي . اه من الهامش

فزادته عند عمر خيرا . وقد قال الاموي حدثني أبي قال : قال ابن اسحاق وبلغنا أن عمر قال : من سره أن ينظر الى رجل نسيج وحده فليُنظر الى سعيد بن عامر . قال ابن هشام : أقام خبيب في أيديهم حتى إنسلخت الأشهر الحرم ثم قتلوه . وقد روى البيهقي من طريق إبراهيم بن اسماعيل حدثني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده عمرو بن أمية أن رسول الله (ص) كان بعثه عيناً وحده قال جئت الى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا أتخوف العيون فأطلقتهم فوقع الى الارض ثم اقتحمت فانتبذت قليلا ثم التفت فلم أر شيئا فكنأنا ببعثه الارض فلم تذكر لخبيب رمة حتى الساعة . ثم روى ابن اسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال : لما قتل أصحاب الرجيع قال ناس من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذالام أقاموا في أهلهم ولا هم أدوا رسالة صاحبهم ، فأنزل الله فيهم ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ﴾ وما بعدها . وأنزل الله في أصحاب السرية ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد ﴾ . قال ابن اسحاق وكان مما قيل من الشعر في هذه الغزوة قول خبيب حين اجمعوا على قتله (قال ابن هشام : ومن الناس من ينكرها له) :

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا	قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم مبدي العداوة جاهداً	عليّ لأني في وثاق بمضجع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم	وقربت من جذع طويل تمنع
الى الله أشكو غربتي ثم كرتني	وما رصداً لاعداء لي عند مصرعي
فذا العرش صبرني على ما يراد بي	فقد بضموا لحي وقد ياس مطمعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ	يبارك على أوصال شلعي ممزع
وقد خيروني الكفر والموت دونه	وقد هملت عيني من غير مجزع
وما بي حذار الموت أني لميت	ولكن حذاري جحيم نار ملفع
فوالله ما أرجو اذا مت مسلماً	على أي جنب كان في الله مضجعي
فلست بمبدي للعدو تحشماً	ولا جزعاً أني الى الله مرجعي

وقد تقدم في صحيح البخاري بيتان من هذه القصيدة وهما قوله :

{ فلست أبالي حين أقتل مسلماً } على أي شئ كان في الله مصرعي
{ وذلك في ذات الإله وإن يشأ } يبارك على أوصال شلعي ممزع

وقال حسان بن ثابت برئ خبيبا فيما ذكره ابن اسحاق :

ما بال عينك لا ترقا مداها
سحاً على الصدر مثل اللؤلؤ الفلق
على خبيب في الفتیان قد علموا
لافضل حين تلقاه ولا نزع
فاذهب خبيب جزاك الله طيبة
وجنة الخلد عند الحور في الرفق
ما ذا تقولون إن قال النبي لكم
حين الملائكة الأبرار في الافق
فيم قتلتهم شهيد الله في رجل
طاغ قد أوعث في البلدان والرفق

قال ابن هشام : تركنا بعضها لانه أقنع فيها ، وقال حسان يهجو الذين غدروا بأصحاب الرجيع
من بني لحيان فيما ذكره ابن اسحاق ، والله أعلم والله الحمد والمنة والتوفيق والعصبة
ان سرك الغدر صرفاً لا مزاج له
فأت الرجيع قسلاً عن دار لحيان
قوم تواصلوا بأكل الجار بينهم
فالكلب والقرود والانسان مثلاًن
لو ينطق التيس يوماً قام بخطبهم
وكان ذا شرف فيهم وذا شان
وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هذيلاً وبني لحيان على غدرهم بأصحاب الرجيع رضى الله تعالى
عنهم أجمعين :

لعمرى لقد شانت هذيل بن مدرك
أحاديث لحيان طكوا بقبيحها
أناس هم من قومهم في صميمهم
ولحيان جرأون سرّ الجرائم
هم غادروا يوم الرجيع وأسلمت
بمذلة الزمعان ذبر القوادم
رسول رسول الله غدرًا ولم تكن
أمانتهم ذا عفة ومكارم
فسوف يرون النصر يوماً عليهم
هذيل توفى منكرات المحارم
أباييل ذبر شمس دون لحمه
بقتل الذي تحميه دون الحرام
لعل هذيلاً أن يروا بمصابه
ووقع فيها وقعة ذات صولة
بأمر رسول الله ان رسوله
قيلة ليس الوفاء بهمهم
إذا الناس حلوا بالفضاء رأيهم
معلم دار البوار ورأيهم
يوافي بها الركبان أهل المواسم
رأى رأي ذي حزم بلحيان عالم
وإن ظفوا لم يدفعوا كف ظالم
بمجرى مسيل الماء بين المحارم
إذا ناهم أمر كراي البهائم

وقال حسان رضى الله عنه أيضاً يمدح أصحاب الرجيع ويسميههم بشعره كما ذكره ابن اسحاق
رحمه الله تعالى :

صلى الإله على الذين تتابعوا يوم الرجيع فأكرموا واثيبوا
 رأس السرية مرثد وأميزهم وابن البكير إمامهم وخبيب
 وابن طارق وابن دثنة منهم وإفاه ثم حمامه المكتوب
 والمعاصم المقتول عند رجيعهم كسب المعالي انه لكسوب
 منع المقادة أن ينالوا ظهره حتى يجادل إنه لنجيب
 قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشمر ينكرها لحسان

سرية عمرو بن أمية الضمري

قال الواقدي : حدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه وعبد الله بن أبي عبيدة عن جعفر بن
 [الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري وعبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبي عوف
 (وزاد بعضهم على بعض) قالوا : كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة : ما أحد
 يقتل محمداً فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثارنا . فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له :
 إن أنت وفيتني خرجت إليه حتى أغتاله ، فاني هاد بالطريق خريت ، معي خنجر مثل خافية النسر .
 قال : أنت صاحبنا . وأعطاه بغيراً وثقة وقال : اطو أمرك فاني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه
 إلى محمد . قال قال العربي لا يعلمه أحد . فخرج ليلاً على راحلته فسار خمساً وصبح ظهر إلى يوم
 سادس ثم أقبل يسأل عن رسول الله (ص) حتى أتى المصلى فقال له قائل : قد توجه إلى بني عبد الأشهل
 فخرج الاعرابي يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل فعقل راحلته ثم أقبل يؤم رسول الله
 (ص) فوجده في جماعة من أصحابه يتحدث في مسجده . فلما دخل ورآه رسول الله (ص) قال لأصحابه
 ان هذا الرجل يريد غدراً والله حائل بينه وبين ما يريد . فوقف وقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟
 فقال له رسول الله (ص) : أنا ابن عبد المطلب فذهب ينحن على رسول الله (ص) كأنه يسأله فخبه
 أسيد بن حضير وقال : تنح عن رسول الله (ص) . وجنب يداخ أزاره فإذا الخنجر فقال : يا رسول
 الله هذا غادر . فأسقط في يد الاعرابي وقال : دمي بدمي يا محمد . واخذ أسيد بن حضير يلبيه فقال له
 النبي (ص) : اصدقني ما أنت وما أقدمك فان صحتك . فذمك الصدوق وان كذبتني فقد اطلعت على
 ما هممت به . قال العربي فأنا آمن ؟ قال وأنت آمن . فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له فأمر به
 فحس عند أسيد بن حضير ثم صار له من الغد فقال قد أمنتك فذهب حيث شئت أو خير لك من
 ذلك قال وما هو فقال أن تشهد أن لا إله الا الله وأن رسول الله فقال أشهد أن لا إله الا الله وانك

أنت رسول الله والله يا محمد ما كنت أفرق من الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت
ثم اطلعت على ما هممت به فما سبقت به الركبان ولم يطلع عليه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنت على
حق وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان . فجعل النبي (س) يتبسم وأقام أياماً ثم استأذن النبي
(س) فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر وقال رسول الله (س) لعمر بن أمية الضمري ولسلة
ابن أسلم بن حريش أخرجا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب فإن أصبنا منه غرة فاقطلاه . قال
عمر وفخرت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن يابج فقيدنا بعيرنا وقال لي صاحبي : يا عمرو هل لك
في أن تأتي مكة فنطوف بالبيت سبعاً ونصلي ركعتين قلت [أنا أعلم بأهل مكة منك انهم اذا أظلموا
رثوا أفئيتهم ثم جلسوا بها و^(١)] اني أعرف بمكة من الفرس الابلق . فأتني علي فأنطلقنا
فأتينا مكة فظننا أسبوعاً وصلينا ركعتين فلما خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فرقى وقال :
عمرو بن أمية واحزنه . فنذر بنا أهل مكة فقالوا ما جاء عمرو في خير . وكان عمرو فاتكاً في
الجاهلية . فحشد أهل مكة وتجمعوا وهرب عمرو وسلة وخرجوا في طلبها واشتدوا في الجبل .
قال عمرو فدخلت في غار فتغيبت عنهم حتى أصبحت وباتوا يطلبوننا في الجبل وعى الله عليهم
طريق المدينة أن يهتدوا له فلما كان ضحوة الغد أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي بمخلى
لفرسه حشيشاً فقلت لسلة بن أسلم اذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكة وقد انفذوا عنا فلم يزل يدنو من
باب الغار حتى أشرف علينا ، قال فخرجت اليه فطعمته طعنة تحت الثدي بمخجري فسقط وصاح
فاجتمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم [ورجعت الى مكاني فدخلت فيه] وقلت لصاحبي لا تتحرك ،
فأقبلوا حتى أتوه وقالوا من قتلك ؟ قال عمرو بن أمية الضمري . فقال أبو سفيان قد علمنا أنه لم يأت
خير . ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا فانه كان بأخر رمق فمات وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم
فحملوه فمكثنا ليلتين في مكاننا حتى [سكن عنا الطلب ثم] خرجنا [الى التنعيم] فقال صاحبي
يا عمرو بن أمية هل لك في خبيب بن عدي نزله ؟ فقلت له : أين هو ؟ قال هو ذاك مصلوب حوله
الحرس . فقلت أمهلني وتنح عني فان خشيت شيئاً فأنح الى بيمرك فاقصد عليه فأت رسول الله
(س) فأخبره الخبر ودعني فأتني عالم بالمدينة . ثم استدرت عليه حتى وجدته فحملته على ظهري فما
مشيت به إلا عشرين ذراعاً حتى استيقظوا فخرجوا في أثرى فطرحوا الخشبة فما أنسى وجيبها
يعني صوتها ثم أهلت عليه التراب برجلي فاخذت طريق الصفراء فأعياها ورجعوا وكنت لا أدرى
مع بقاء نفسي فأنطلق صاحبي الى البعير فركبه وأتى النبي (س) فأخبره وأقبلت حتى أشرفت على
الغليل غليل ضجنان فدخلت في غار معي قومي واسهمي وخنجري فيينا أنا فيه إذ أقبل رجل من
بنى الدئل بن بكر أعور طويل يسوق غنماً ومعزى فدخل الغار وقال : من الرجل ؟ فقلت رجل من

بنى بكر فقال وأنا من بنى بكر ثم اتكأ ورفع عقبرته يتغنى ويقول :
فلست بمسلم مادمت حياً ولست أدين دين المسلمين

فقلت فى نفسى والله أنى لأرجو أن أقتلك . فلما نام قت اليه فقتلته شر قتلة قتلها أحد قط ثم خرجت حتى هبطت فلما أسهلت فى الطريق إذا رجلان بعنهما قریش يتجسسان الاخبار فقلت استأسرا فأبى أحدهما فرميته فقتلته فلما رأى ذلك الآخر استأسر فشده وثاقاً ثم أقبلت به الى النبي (ص) . فلما قدمت المدينة أتى صبيان الانصار وهم يلعبون وسمعوا أشياخهم يقولون هذا عمرو فاشتد الصبيان الى النبي (ص) فأخبروه وأتيته بالرجل قد ربطت ابهامه بوتر قوسى فلقد رأيت النبي (ص) وهو يضحك ثم دعا الى بخير . وكان يقوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام رواه البيهقي . وقد تقدم أن عمراً لما أهبط خبيباً لم ير له رمة ولا جسداً فلهذه دفن مكان سقوطه والله أعلم . وهذه السرية انما استدرکها ابن هشام على ابن اسحاق وساقها بنحو من سياق الواقدي لها لكن عنده أن رفيق عمرو بن أمية فى هذه السرية جبار بن صخر . فلهذا أعلم والله الحمد

سرية بئر معونة

وقد كانت فى صفر منها وأغرب مكحول رحمه الله حيث قال انها كانت بعد الخندق . قال البخارى حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز عن أنس بن مالك قال بعث رسول الله (ص) سبعين رجلاً لحاجة يقال لهم القراء فعرض لهم حيان من بنى سليم رِعْل وذكوان عند بئر يقال لها بئر معونة فقال القوم والله ما إياكم أردنا وإنما نحن مجتازون فى حاجة للنبي (ص) فقتلوه فلعن النبي (ص) عليهم شهراً فى صلاة الغداة وذلك بدء القنوت وما كنا نقنت . ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بنحوه . ثم قال البخارى حدثنا عبد الاعلى بن حماد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك ان رِعْلاً وذكوان وعُصية وبنى لحيان استمدوا رسول الله (ص) على عدو فأمدهم بسبعين من الانصار كنا نسميهم القراء فى زمانهم كانوا يجتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا كانوا بين بئر معونة قتلوه وغدروا بهم فبلغ النبي (ص) فقتل شهراً يدعو فى الصبح على احياء من العرب على رِعْل وذكوان وعُصية وبنى لحيان قال أنس قرأنا فيهم قرآناً ثم ان ذلك رفع « بلغوا عنا قومنا أننا قد لقينار بنا فرضى عنا وأرضانا » ثم قال البخارى حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا همام عن اسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة حدثني أنس ابن مالك ان النبي (ص) بعث حراماً (أخاً لأم سليم) فى سبعين راكباً وكان رئيس المشركين عامر ابن الطفيل خير رسول الله (ص) بين ثلاث خصال فقال يكون لك أهل السهل ولأهل المدر أو

أكون خليفتك أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف فظن عامر في بيت أم فلان فقال غدة كغدة البكر في بيت امرأة من آل فلان، اثتوني بفرسى فأت على ظهر فرسه فانطلق حرام أخو أم سليم وهو رجل أعرج ورجل من بني فلان فقال كونا قريباً حتى آتيهم فان آمنوني كنتم قريباً وان قتلوني أتيتم أصحابكم فقال أؤمنوني حتى أبلغ رسالة رسول الله (س)، فجعل يحدتهم وأومأوا إلى رجل فأتاه من خلفه فظننه قال هام أحسبه حتى أنفذه بالرمح فقال الله أكبر فزت ورب السكبة فلاحق الرجل قتلوا كلهم غير الأعرج وكان في رأس جبل فأنزل الله علينا ثم كان من المنسوخ «انا لقد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا» فدعا النبي (س)، ثلاثين صباحاً على رعل وذو كوان وبني الحيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله . وقال البخاري : حدثنا حبان حدثنا عبد الله أخبرني معمر حدثني ثمامة بن عبد الله بن أنس انه سمع أنس بن مالك يقول لما طعن حرام بن ملحان - وكان خاله - يوم بدر معونة قال لادم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه وقال فزت ورب السكبة . وروى البخاري عن عبيد بن اسماعيل عن أبي أسامة عن هشام بن عروة أخبرني أبي قال لما قتل الذين بيئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل من هذا وأشار إلى قتيل فقال له عمرو بن أمية هذا عامر بن فهيرة قال لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى أني لا أنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع فأتى النبي (س)، خبرهم فنعاهم فقال : ان أصحابكم قد أصيبوا وانهم قد سألوا ربهم فقالوا ربنا أخبر عنا اخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا . فأخبرهم عنهم وأصيب يومئذ فيهم عروة بن أسماء بن الصلت فسمى عروة به ومنذر بن عمرو وسمى به منذر . هكذا وقع في رواية البخاري مرسل عن عروة وقد رواه البيهقي من حديث يحيى بن سعيد عن أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة فساق من حديث الهجرة وأدرج في آخره ما ذكره البخاري ههنا فأعلم . وروى الواقدي عن مصعب بن ثابت عن أبي الاسود وعن عروة فذكر القصة وشأن عامر ابن فهيرة وأخبار عامر بن الطفيل انه رفع إلى السماء وذكر ان الذي قتله جبار بن سلمى الكلابي قال ولما طعن بالرمح قال فزت ورب السكبة ثم سأل جبار بعد ذلك : ما معنى قوله فزت قالوا يعني بالجنة فقال صدق والله ثم أسلم جبار بعد ذلك لذلك . وفي مغازي موسى بن عقبة عن عروة انه قال لم يوجد جسد عامر بن فهيرة يرون ان الملائكة وارته وقال يونس عن ابن اسحاق فأقام رسول الله (س)، يعني بعد أحد بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والحرم ثم بعث أصحاب بدر معونة في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد فحدثني أبي اسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهما من أهل العلم قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الامنة على رسول الله (س)، بالمدينة

فمضى عليه الاسلام ودعاه اليه فلم يسلم ولم يبعد وقال : يا محمد لو بعثت رجلا من أصحابك الى أهل
 مجد فدعوه الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك. فقال (س) : أنى أخشى عليهم أهل نجد. فقال أبو
 براء أنا لهم جار . فبعث رسول الله (س) : المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة المنق لموت في أربعين رجلا
 من أصحابه من خيار المسلمين فيهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان أخو بني عدى بن النجار وعروة
 ابن أسماء بن الصلت السلمي ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر في رجال
 من خيار المسلمين فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي بين أرض بني عامر وحرّة بن سليم فلما نزلوا
 بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله (س) : الى عامر بن الطفيل فلما أتاه لم ينظر في الكتاب
 حتى عدا على الرجل قتله ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يجيبوا الى مادعاهم وقالوا : لن نخفر
 أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم - عصبية ورعلا وذكوان
 والقارة - فجابوه الى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحلم فلما رأوهم أخذوا أسيافهم
 ثم قاتلوا القوم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار فانهم تركوه به
 رمق فارتث من بين القتل فعاش حتى قتل يوم المنق وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري
 ورجل من الانصار من بنى عمرو بن عوف ، فلم ينبهما بمصاب القوم الا الطير تحوم حول العسكر
 فقالا والله ان لهذه الطير لشأناً فأقبلا لينظرا فاذا القوم في دماثهم واذا الخيل التي أصابتهم واقفة
 فقال الانصارى لعمرو بن أمية ماذا ترى؟ فقال أرى ان نلحق برسول الله (س) : فنخبره الخبر فقال
 الانصارى لكى لم أكن لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو وما كنت لأخبر
 عنه الرجال . فقاتل القوم حتى قتل وأخذ عمرو أسيراً فلما أخبرهم انه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل
 وجز ناصيته وأعتقه عن رقة كانت على أمه فيما زعم . قال وخرج عمرو بن أمية حتى اذا كان بالقرقرة
 من صدر قنّة أقبل رجلان من بنى عامر حتى نزلا في ظل هو فيه وكان مع العامرين عهد من رسول
 الله (س) : وجوار لم يعلم عمرو بن أمية وقد سألها حين نزلا من أنها قالا من بنى عامر فأمهلها حتى
 اذا ناما عدا عليهما وقتلها وهو يرى أن قد أصاب بهما نارا من بنى عامر فيما أصابوا من أصحاب
 رسول الله (س) : فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله (س) : أخبره بالخبر فقال رسول الله (س) :
 « لقد قتلت قتيلين لأديتهما » ثم قال رسول الله (س) : « هذا عمل أبى براء ، قد كنت لهذا
 كارهاً متخوفاً » فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه اخفاء عامر اياه وما أصاب أصحاب رسول الله (س)
 بسببه وجواره ، فقال حسان بن ثابت في اخفاء عامر أبا براء ويحرض بنى أبى براء على عامر :
 بنى أم البنين ألم يرُعكم وأنتم من ذوائب أهل نجد

تَهَكُّمُ عَامِرٍ بِأَبِي بَرَاءٍ لِيُخَفِّرَهُ وَمَا خَطَأَ كَعْدُ
أَلَا أَبْلَغُ رِيْعَةً ذَا الْمَسَاعِي فَمَا حَدَّثَتْ فِي الْحَدَثَانِ بَعْدِي
أَبُوكَ أَبُو الْحُرُوبِ أَبُو بَرَاءٍ وَخَالَكَ مَا جَدَّ حَكْمُ بْنُ سَعْدٍ

قال ابن هشام: أم البنين أم أبي براء وهي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. قال فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فقطعنه في نخذه فأشواه ووقع عن فرسه وقال: هذا عمل أبي براء، إن أمت فدمي لعمى فلا يتبعن به، وإن أعش فسأري رأيي وذكر موسى بن عقبة عن الزهري نحوه سياق محمد بن اسحاق، قال موسى وكان أمير القوم المنذر بن عمرو وقيل مرثد بن أبي مرثد وقال حسان بن ثابت يبيكي قتلى بئر معونة - فيما ذكره ابن اسحاق رحمه الله - والله أعلم:

عَلَى قَتْلِي مَعُونَةً فَاسْتَهْلِي بِدَمْعِ الْعَيْنِ سَحًّا غَيْرَ تَزْرُ
عَلَى خَيْلِ الرَّسُولِ غَدَاةً لَا قُوا وَلَا قَهْمُ مَنَائِمٍ بَقَرُ
أَصَابَهُمُ الْفَنَاءُ بِعَقْدِ قَوْمٍ تَحُونَ عَقْدُ حَبْلَهُمْ بِغَدَرِ
فِي الْمَنِيِّ لِمَنْسَرٍ إِذْ تَوَلَّى وَأَعْنَقَ فِي مَنِيَّتِهِ بَصِيرِ
وَكَاثِنٌ قَدْ أَصِيبَ غَدَاةً ذَاكُم مِّنْ أَيْضٍ مَا جَدَّ مِنْ سَرِّ عَمْرِو

غزوة بني النضير

وفيهما سورة الحشر

في صحيح البخاري عن ابن عباس أنه كان يسميها سورة بني النضير. وحكى البخاري عن الزهري عن عروة أنه قال: كانت بنو النضير بعد بدر بستة أشهر قبل أحد، وقد أسند ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري به، وهكذا روى حنبل بن اسحاق عن هلال بن العلاء عن عبد الله بن جعفر الرقي عن مطرف بن مازن البجلي عن معمر عن الزهري فذكر غزوة بدر في سابع عشر رمضان سنة ثنتين، قال ثم غزا بني النضير ثم غزا أحداً في شوال سنة ثلاث ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع. وقال البيهقي: وقد كان الزهري يقول هي قبل أحد، قال وذهب آخرون إلى أنها بعدها وبعد بئر معونة أيضاً. قلت: هكذا ذكر ابن اسحاق كما تقدم فانه بعد ذكره بئر معونة ورجوع عمرو بن أمية وقتله ذينك الرجلين من بني عامر ولم يشعر بهما الذي معها من رسول الله (ص)، ولهذا قال له رسول الله

(س) « لقد قتل رجلين لا دينهما » . قال ابن اسحاق ثم خرج رسول الله (س) الى بني النضير
 يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتلها عمرو بن أمية للعهد الذي كان (س) أعطاهما
 وكان بين بني النضير وبين بني عامر عهد وحلف فلما أتاهم (س) بقاوا نعم يا أبا القاسم نعمينك على ما أحبيت
 ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه (ورسول الله س) الى جنب
 جدار من بيوتهم قاعد فن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة ويرمينا منه . فانتدب لذلك
 عمرو بن جحاش بن كعب فقال أنا لذلك فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ورسول الله (س) في نفر من
 أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً
 الى المدينة فلما استلبث النبي (س) أصحابه قاموا في طلبه فلحقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه
 فقال رأيت داخل المدينة فأقبل أصحاب رسول الله (س) حتى انتهوا اليه فأخبرهم الخبر بما كانت
 يهود أرادت من الغدر به ، قال الواقدي فبعث رسول الله (س) محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من
 جواره وبلده فبعث اليهم أهل النفاق يثبتونهم ويحرضونهم على المقام ويمدونهم التصرة ، فقويت
 عند ذلك نفوسهم وحى حيي بن أخطب وبعثوا الى رسول الله (س) أنهم لا يخرجون ونابدوه
 بنقض العهد فعند ذلك أمر الناس بالخروج اليهم ، قال الواقدي فحاصروهم خمس عشرة ليلة .
 وقال ابن اسحاق : وأمر النبي (س) بالتهيؤ لحربهم والمسير اليهم . قال ابن هشام : واستعمل على
 المدينة ابن أم مكتوم وذلك في شهر ربيع الاول . قال ابن اسحاق فسار حتى نزل بهم فحاصروهم
 ست ليال ، ونزل تحريم الخمر حينئذ ، ومحصنوا في الحصون فأمر رسول الله (س) بقطع النخيل
 والتحريق فيها فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعييب من صنعه فما بال قطع النخيل
 وتحريقها ، قال وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي ووديعه ومالك
 وسويد وداعس قد بعثوا الى بني النضير أن اثبتوا وامنموا فاننا لن نسلكن ان قوتلتم قاتلنا معكم
 وان أخرجتم خرجنا معكم . فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا
 رسول الله أن يجلبهم ويكف عن دمائهم على ان لهم ما حملت الابل من أموالهم الا الحلقة وقال العوفي
 عن ابن عباس أعطى كل ثلاثة بغيرا يعقبونه وسقاً رواه البيهقي وروى من طريق يعقوب بن
 محمد عن الزهري عن ابراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة عن أبيه عن جده عن محمد بن مسلمة
 ان رسول الله (س) بعثه الى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليال . وروى البيهقي
 وغيره انه كانت لهم ديون مؤجلة فقال رسول الله (س) ضعوا وتمجلوا . وفي صحته نظر والله أعلم .
 قال ابن اسحاق فاحتملوا من أموالهم ما استملت به الابل فكان الرجل منهم يهيم بيته عن نجاف
 بابه فيضمه على ظهر بغيره فينطلق به فيخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام فكان من أشرف

من ذهب منهم الى خير سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وحبي بن أخطب فلما نزلوها دان لم أهلها . فحدثني عبد الله بن أبي بكر انه حدث انهم استقبلوا بالنساء والابناء والاموال معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم بزهاء وغر مارؤي مثله لحي من الناس في زمانهم . قال وخلوا الاموال لرسول الله (س) ، يعنى النخيل والمزارع فكانت له خاصة يضعها حيث شاء قسمها على المهاجرين الاولين دون الانصار الا ان سهل بن حنيف وأبا دجاجة ذكرا قفراً فأعطاهما (وأضاف بعضهم اليهما الحارث بن الصمة حكاة السهيل) . قال ابن اسحاق ولم يُسلم من بنى النضير الا رجلان وهما يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب فأحرزا أموالهما . قال ابن اسحاق وقد حدثني بعض آل يامين ان رسول الله (س) ، قال ليامين : ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأني ؟ فجعل يامين لرجل جعلاً على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله لعنه الله . قال ابن اسحاق فأنزل الله فيهم سورة الحشر بكلمها يذكر فيها ما أصابهم به من نعمته وما سلط عليهم به رسوله وما عمل به فيهم ثم شرع ابن اسحاق يفسرها وقد تكلمنا عليها بطولها مبسوطاً في كتابنا التفسير والله الحمد . قال الله تعالى : [سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما لنعمتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولى الابصار ولولا أن كتب عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار وذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب . ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ولنجزى الفاسقين] . سبح سبحانه وتعالى نفسه الكريمة وأخبر انه يسبح له جميع مخلوقاته العلوية والسفلية وأنه العزيز وهو منبع الجناب فلا ترام عظمته وكبرياؤه وانه الحكيم في جميع ما خلق وجميع ما قدر وشرع ، فمن ذلك تقديره وتدييره وتيسيره لرسول الله (س) ، وعباده المؤمنين في ظفرهم بأعدائهم اليهود الذين شاقوا الله ورسوله وجانبوا رسوله وشرعه وما كان من السبب المفضي لقتالهم كما تقدم حتى حاصرهم المؤيد بالرعب والرهب مسيرة شهر ومع هذا فأمرهم بالحصار بمنوذه ونفسه الشريفة ست ليل فذهب بهم الرعب كل مذهب حتى صافعوا وصالحوا على حقي دنائهم وأن يأخذوا من أموالهم ما استقلت به ركبهم على أنهم لا يصحبون شيئاً من السلاح اهانة لهم واحتقاراً فجعلوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولى الابصار . ثم ذكر تعالى أنه لو لم يصبهم الجلاء وهو التسيير والنفي من جوار الرسول من المدينة لأصابهم ما هو أشد منه من العذاب الدنيوي وهو القتل مع ما ادخر لهم في الآخرة من العذاب الاليم المقدر لهم . ثم ذكر

تعالى حكمة ما وقع من تحريق نخلهم وترك ما بقي لهم وان ذلك كله مائع فقال ما قطعتم من لبنه وهو جيد الثمر أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ان الجميع قد أذن فيه شرعاً وقدرأ فلا حرج عليكم فيه ولنم ما رأيتم من ذلك وليس هو بفساد كما قاله شرار العباد إنما هو اظهار للقوة واخزاء للكفرة الفجرة . وقد روى البخارى ومسلم جميعاً عن قتيبة عن الليث عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله (س) حرق نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة فأنزل الله [ما قطعتم من لبنه أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ولن يجزى الفاسقين] . وعند البخارى من طريق جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (س) حرق نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة ولما يقول حسان بن ثابت :

وهان على سُرّة بني لؤمى حريق بلبويرة مستنبر

فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول :

أدام الله ذلك من صنيع . وحرق فى نواحيها السمر
ستعلم أيتها منها بسير وتعلم أي أرضينا نصير
قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر اجلاء بنى النضير وقتل كعب بن الاشرف والله أعلم

لقد خزيّت بنديتها الحبور^(١) كذلك الدهر ذو صرف يدور

وذلك أنهم كفروا برّب عظيم أمره أمر كبير

وقد أوتوا معاً فعماً وعلماً وجاءهم من الله النذير

نذير صادق أدى كتاباً وآيات مبينة تنير

فقالوا ما أتيت بأمر صدق وأنت بمنكر منا جدير

قال بلى لقد أديت حقه يصدقنى به الفهم الخبير

فمن يتبعه بهد لكل رُشد ومن يكفر به يخز الكفور

فلما أشربوا غداً وكفراً وجد بهم عن الحق النفور

أرى الله النبي برأي صدق وكان الله يحكم لا يجوز

نأيتهم وسلطه عليهم وكان نصيره نعم النصير

فقودر منهم كعب صريماً فذلت بعد مصرعه النصير

على الكفّين ثم وقد علته بأيدينا مشرة ذكور

بأمر محمد إذ دس ليلاً الى كعب أخا كعب يسير

فاكره فأنزله بمكر ومحوذ أخو ثقة جور

(١) الحبور جمع حبر ، وهم علماء اليهود . من ههنا اصل

فَتَلَكَ بَنُو النَّضِيرِ بَدَارَ سَوْءٍ أَلَا زَمُّ بِمَا اجْتَرَمُوا الْبِيرِ
غَدَاةً أَتَانِي فِي الزَّحْفِ رَهَوًّا رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ بِهِمُ بَصِيرِ
وَعِثَانُ الْحَمَاءِ مُؤَاذِرُوهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَهُوَ لَهُمْ وَزِيرِ
قَالَ السَّلْمُ وَيَحْكُمُ فَصُدُّوا وَخَالَفَ أَمْرَهُمْ كَنْبُ وَزُورِ
فَدَاقُوا غَيْبَ أَمْرِهِمْ وَبَلَاءِ لِكُلِّ ثَلَاثَةٍ مِنْهُمْ بَعِيرِ
وَأَجَلُوا عَامِدِينَ لِقَيْنِقَاعِ وَغُودَرِ مِنْهُمْ نَخْلٌ وَدُورِ

وقد ذكر ابن اسحاق جوابها لسبال اليهودي، فتركناها قصداً. قال ابن اسحاق: وكان مما قيل

في بني النضير قول ابن لقيم العبسي، ويقال قالها قيس بن مجربن طريف الاشجعي:

أَهْلِي فِدَاءٌ لَأَمْرِي غَيْرَ هَالِكٍ أَحْلَى الْيَهُودِ بِالْحَيْثِيِّ الْمَزْنَمِ
يَقِيلُونَ فِي خَرِّ الْعِضَامِ وَبَلُّوْا أَهْيَضُ عَوْدًا بِالْوَدِيِّ الْمَكْمِ
فَإِنْ يَكُ ظَلِي صَادِقًا بِمُحَمَّدٍ نَرَا خِيَلَهُ بَيْنَ الضَّلَا وَبِرْصَمِ
يُؤْتَمُّ بِهَا عَمْرُو بْنُ بَهْنَةَ إِنْهُمْ عِدَدٌ وَمَا حَيُّ صَدِيقٍ كَجَرَمِ
عَلَيْهِمْ أَبْطَالٌ مَسَاعِيرُ فِي الْوَعْيِ يَهْرَوْنَ أَطْرَافَ الْوَشِيحِ الْمَقْوَمِ
وَكُلُّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ مَهْنَدٌ تَوُورَثْنِ مِنْ أَرْمَانَ عِلَاجِ وَجَرَمِ
فَنْ مَبْلَغٍ عَنِّي قَرِيشًا رِسَالَةً فَهَلْ بَعْدُ فِي الْمَجْدِ مِنْ مُتَكْرَمِ
بَأَنَّ أَخَاهُمْ فَاعْلَمَنَّ مُحَمَّدًا تَلِيدُ النَّدَى بَيْنَ الْحُجُونَ وَزَمَرِ
فَبَدِينُوا لَهُ بِالْحَقِّ تَجَسُّمَ أُمُورِكُمْ وَتَسْمُونَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ مَعْظَمِ
نَبِيٌّ تَلَافَتَهُ مِنَ اللَّهِ رَحْمَةٌ وَلَا تَسْأَلُوهُ أَمْرَ غَيْبٍ مَرْجَمِ
قَدْ كَانَ فِي بَدْرِ لَمْعِي عِبْرَةٌ لَكُمْ يَا قَرِيشَ وَالْقَلْبِ الْمَمِ
غَدَاةً آتَى فِي الْخُرْجَةِ عَامِدًا إِلَيْكُمْ مَطِيحًا لِلْعَظِيمِ الْمَكْرَمِ
مُعَانًا بِرُوحِ الْقَنَسِ يَنْكِي عَدُوهُ رَسُولًا مِنَ الرَّحْمَنِ حَقًّا بِعِلْمِ
رَسُولًا مِنَ الرَّحْمَنِ يَتْلُو كِتَابَهُ فَلَمَّا أَنْ أَرَا الْحَقَّ لَمْ يَتَلَعَّمِ
أَرَى أَمْرَهُ يَزْدَادُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ عَلَوًّا لِأَمْرِ كَيْفَ اللَّهُ يُحْكَمِ

قال ابن اسحاق وقال علي بن أبي طالب، وقال ابن هشام قالها رجس من المسلمين ولم أر أحداً

يعرفها على:

عرفتُ ومن يعتدلُ يعرفُ وأيقنتُ حقاً ولم أصفُ

عن الكلم الحكم اللاء من لدى الله ذي الرأفة الأراف
 رسائل تُدرَس في المؤمنين بن اصطفى أحمد الصلبي
 فأصبح أحمد فينا عزيزاً عزيز المقامة والموقف
 فبا أيها الموعظوه مغافاً ولم يأت جوراً ولم يمتف
 ألسن تخافون أدنى العذاب وما آمن الله كلاً أخوف
 وان تُصرعوا تحت أسبانه كصرع كعب أبي الأشرف
 غداة رأى الله طغيانه وأعرض كالجلل الأجنف
 فأنزل جبريل في قلبه بوحى إلى عبده ملطف
 فمس الرسول رسولاً له بأبيض ذي هبة مرهف
 فبات عيون له مغولات متى يُنع كعب لها تنرف
 وقلن لأحمد ذرنا قليلاً فإننا من النوح لم نشف
 فخلام ثم قال اظنوا دُحوراً على رغم الآف
 وأجل النصير إلى غربة وكانوا بدار ذوي زخرف
 إلى أذرع رداً وهم على كل ذي دبر أعجف

وتركنا جوابها أيضاً من محال البهوى قصداً

ثم ذكر تعالى حكم النبی و أنه حکم بأموال بنی النصیر لرسول الله ص یوملکها له فوضعهما
 رسول الله ص، حیث أراه الله تعالی كما ثبت فی الصحیحین عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
 أنه قال : كانت أموال بنی النصیر مما أفاء الله علی رسوله مما لم یوجف المسلمون علیه بخیل ولا
 ركب فکانت لرسول الله ص، خاصة فکانت یعزل نفقة أهله سنة ثم یجمل ما بقی فی السکراع
 والسلاح عدة فی سبیل الله عز وجل . ثم بین تعالی حکم النبی و أنه للمهاجرین والانصار والتابعین
 لهم باحسان علی منوالهم وطریقهم ولذی القربی والیتامی والمساکین وابن السبیل کی لا یكون
 دولة بین الاغنیاء منکم وما آتاکم الرسول فخذوه وما نهاکم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شدید
 العقاب . قال الامام احمد حدثنا عازم وعفان قال حدثنا معتمر سمعت أبي یقول حدثنا انس بن
 مالک عن نبی الله ص، أن الرجل کان یجمل له من ماله النخلات أو كما شاء الله حتی فتحت علیه
 قریظة والنصیر قال : فجعل یرد بعد ذلك . قال : وان أهلی أمرونی أن آتی نبی الله ص، فأسأله
 الذی کان أهله أعطوه أو بعضه وکان نبی الله ص، أعطاه أم أیمن أو كما شاء الله . قال : فسألت
 النبی ص، فأعطانیهن فجاءت أم أیمن فجعلت الثوب فی عنقی وجعلت تقول : کلا والله الذی لا إله
 إلا هو لا أعطیکهن وقد أعطانیهن أو كما قالت . فقال النبی ص، لك کذا وكذا وتقول کلا والله قال

ويقول لك كذا وكذا وتقول كلا والله قال ويقول لك كذا وكذا حتى أعطها حسبته أنه قال عشرة أمثاله أو قال قريباً من عشرة أمثاله أو كما قال أخرجاه بنحوه من طرق عن معتمر به . ثم قال تعالى ذاماً للمنافقين الذين مالوا الى بنى النضير في الباطن كما تقدم ووعدهم النصر فلم يكن من ذلك شيء بل خلوهم أحوج ما كانوا اليهم وغروهم من أنفسهم فقال [ألم تر الى الذين ناقوا يقولون لآخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتكم لنصرناكم والله يشهد أنهم لكاذبون . لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون] ثم ذمهم تعالى على جبنهم وقلة علمهم وخفة عقولهم النافع ثم ضرب لهم مثلاً قبيحاً شنيعاً بالشيطان حين قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى يرى منك انى أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنها في النار خالدتين فيها وذلك جزاء الظالمين

قصة عمرو بن سعد القرظي

حين مر على ديار بنى النضير وقد صارت يبابا ليس بها داع ولا مجيب وقد كانت بنو النضير أشرف منى بنى قريظة حتى حدها ذلك على الاسلام وأظهر صفة رسول الله (ص) من التوراة . قال الواقدي حدثنا ابراهيم بن جعفر عن أبيه قال : لما خرجت بنو النضير من المدينة أقبل عمرو ابن سعدى فاطاف بمنزلهم فرأى خرابها وفكر ثم رجع الى بنى قريظة فوجدهم في الكنيسة فنفخ في بوقهم فاجتمعوا فقال الزبير بن باطا : يا أبا سعيد أين كنت منذ اليوم لم تزل وكان لا يفارق الكنيسة وكان يتأله في اليهودية (قال رأيت اليوم عبراً قد عبرنا بها ، رأيت منازل آخواننا خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البار قد تركوا أموالهم وملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل . ولا والتوراة ماسلط هذا على قوم قط الله بهم حاجة وقد أوقع قبل ذلك بآبن الأشرف ذى عزم ثم بيته في بيته آمنا وأوقع بآبن سنيبة سيدهم وأوقع ببنى قينقاع فأجلاهم وهم أهل جد يهود وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة فخصرهم فلم يخرج انسان منهم رأسه حتى سبام وكلم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب . يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فاطيعوني وتمالوا تتبع محمداً والله انكم لتعلمون انه نبي قد بشرنا به وبأمره ابن الهيثبان أبو عمير وابن حراش وهما أعلم يهود جاءانا يتوكفان قنومه وأمرانا باتبائه جاءانا من بيت المقدس وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ثم مانا على دينهما ودفناهما بحر تناهنه) فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم ، ثم أعاد هذا الكلام ونحوه وخوفهم بالحرب والسبأ والجللاء . فقال الزبير بن باطا : قد والتوراة قرأت صفته في كتاب باطا الزوراة التي نزلت على موسى ليس في المثاني الذي أحدثنا ، قال فقال له كعب بن أسد : ما يمنعك

يا أبا عبد الرحمن من اتبعاه ؟ قال أنت يا كعب . قال كعب فلم والتوراة ما حلت بينك وبينه قط ، قال الزبير : بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا فان اتبعته اتبعنا وإذ أبيت أبيتنا . فأقبل عمرو بن سعدى على كعب فذكر ما تقولوا في ذلك الى أن قال عمرو ما عندي في أمره إلا ما قلت : ما طيب نفسي أن أصير تابعاً . رواه البيهقي

غزوة بني الحنات

ذكرها البيهقي في الدلائل ، وانما ذكرها ابن اسحاق فيما رأيته من طريق هشام عن زياد عنه في جمادى الاولى من سنة ثنتين من الهجرة بعد الخندق وبني قريظة وهو أشبه مما ذكره البيهقي والله أعلم . وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس الأعم حدثنا أحمد بن عبد الجبار وغيره قالوا : لما أصيب خبيب وأصحابه خرج رسول الله (س) طلباً بدمائهم ليصيب من بني الحنات غرة ، فسلك طريق الشام ليرى أنه لا يريد بني الحنات ، حتى نزل بأرضهم فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤس الجبال ، فقال رسول الله (س) : « لو أنا هبطنا عسفان لرأت قريش أنا قد جئنا مكة » فخرج في مائتي راكب حتى نزل عسفان ثم بمث فارسين حتى جاء كراع النعيم ثم انصرفا ، فذكر أبو عيش الزرقى ان رسول الله (س) صلى بعسفان صلاة الخوف . وقد قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن منصور عن مجاهد عن ابن عيش قال : كنا مع رسول الله (س) بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصرى بنا رسول الله (س) صلاة الظهر فقالوا : قد كاتوا على حال لو أصبنا غرتهم . ثم قالوا تأتى الآن عليهم صلاة هي أحب اليهم من أبنائهم وأنفسهم . قال فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر [واذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة] قال فحضرت فأمرهم رسول الله (س) فأخذوا السلاح فصففتنا خلفه صفين ثم ركب فركننا جميعاً ثم رفع فرغضنا جميعاً ثم سجد بالصف الذى يليه والآخرين قيام يحرسونهم فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم ثم تقدم هؤلاء الى مصاف هؤلاء وجاء هؤلاء الى مصاف هؤلاء قال ثم ركب فركوا جميعاً ثم رفع فرغضوا جميعاً ثم سجد الصف الذى يليه والآخرين قيام يحرسونهم فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ثم سلم عليهم ثم انصرف . قال فضلاها رسول الله (س) مرتين مرة بأرض عسفان ومرة بأرض بني سليم . ثم رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن منصور به نحوه . وقد رواه أبو داود عن سعيد بن منصور عن جرير بن عبد الحميد والنسائي عن الفلاس عن عبد العزيز بن عبد الصمد عن

محمد بن الثني وبندار عن غندر عن شعبة ثلاثهم عن منصور به . وهذا اسناد على شرط الصحيحين ولم يخرج واحد منهما لكن روى مسلم من طريق أبي خيثمة زهير بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر قال غزونا مع رسول الله (س) قوماً من جبهة قاتلوا قتلاً شديداً فلما أن صلى الظهر قال المشركون لو ملنا عليهم ميلاً لا تقطنناهم فأخبر جبريل رسول الله (س) بذلك وذكر لنا رسول الله (س) قال : « وقالوا انه ستأتيهم صلاة هي أحب اليهم من الاولاد » فذكر الحديث كنحو ما تقدم وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا هشام عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : « صلى رسول الله (س) بأصحابه الظهر بنخل فهم به المشركون ثم قالوا دعوهم فان لم صلاة بعد هذه الصلاة هي أحب اليهم من أبنائهم ، قال فنزل جبريل على رسول الله (س) فأخبره فصلى بأصحابه صلاة العصر فصفهم صفين بين أيديهم رسول الله (س) والعدو بين يدي رسول الله (س) فكبر وكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ثم سجد الذين يلونهم والآخرين قيام فلما رفعوا رؤسهم سجد الآخرون ثم تقدم هؤلاء وتأخر هؤلاء فكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ثم سجد الذين يلونه والآخرين قيام فلما رفعوا رؤسهم سجد الآخرون ، وقد استشهد البخاري في صحيحه برواية هشام هذه عن أبي الزبير عن جابر وقال الامام أحمد بن حنبل عبد الصمد حدثنا سعيد بن عبيد الهنائي حدثنا عبد الله بن شقيق حدثنا أبو هريرة أن رسول الله (س) نزل بين ضحنان وعسفان فقال المشركون إن هؤلاء صلاة هي أحب اليهم من أبنائهم وأبكارهم وهي العصر فأجمعوا أمرهم فملا عليهم ميلاً واحدة . وإن جبريل أتى رسول الله (س) وأمره أن يقيم أصحابه شطرين فيصلى ببعضهم ويقدم الطائفة الاخرى وراءهم وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ثم تأتي الاخرى فيصلون معه ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم ليكون لهم ركة ركة مع رسول الله (س) ولرسول الله ركتان . ورواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الصمد به وقال الترمذي حسن صحيح . قلت إن كان أبو هريرة شهد هذا فهو بعد خير وإلا فهو من مراسلات الصحابي ولا يضر ذلك عند الجمهور والله أعلم . ولم يذكر في سياق حديث جابر عند مسلم ولا عند أبي داود الطيالسي أمر عسفان ولا خالد بن الوليد لكن الظاهر أنها واحدة . بقي الشأن في أن غزوة عسفان قبل الخندق أو بعدها ، فان من العلماء منهم الشافعي من يزعم أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد يوم الخندق فاتهم آخرها الصلاة يومئذ عن ميقاتها لعن القنصل ولو كانت صلاة الخوف مشروعة إذ ذاك لفعلوها ولم يؤخروها ، ولهذا قال بعض أهل المغازي : إن غزوة بني الحيان التي صلى فيها صلاة الخوف بعسفان كانت بعد بني قريظة . وقد ذكر الواقدي بأسناده عن خالد بن الوليد قال : لما خرج رسول الله (س) الى الحديبية لقيته بعسفان فوفقت بأزائه وتعرضت له فصلى بأصحابه الظهر أمامنا فهمنا أن نغير عليه فلم يعزم لنا فأطلمه الله على

ما في أنفسنا من الهم به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف . قلت : وعمره الحديبية كانت في ذى القعدة سنة ست بعد الخندق وبني قريظة كما سيأتي . وفي سياق حديث أبي عياش الزرقى ما يقتضى أن آية صلاة الخوف نزلت في هذه الغزوة يوم عسفان فاقضى ذلك أنها أول صلاة خوف صلاحها والله أعلم . وسنذكر إن شاء الله تعالى كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان

غزوة فلت الرقاع

قال ابن اسحاق ثم أقام رسول الله (س) بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهرى ربيع وبعض جمادى ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان واستعمل على المدينة أبا ذر . قال ابن هشام : ويقال عثمان بن عفان ، قال ابن اسحاق فسار حتى نزل نخلأ وهي غزوة ذات الرقاع . قال ابن هشام لانهم رقعوا فيها راياتهم ، ويقال لشجرة هناك اسمها ذات الرقاع ، وقال الواقدي بجبل فيه بقع حمر وسود وبيض . وفي حديث أبي موسى : إنما سميت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق من شدة الحر . قال ابن اسحاق : فلقى بها جمعاً من غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد خاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله (س) بالناس صلاة الخوف ، وقد أسند ابن هشام حديث صلاة الخوف ههنا عن عبد الوارث بن سعيد التنورى عن يونس بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله وعن عبد الوارث عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر وعن عبد الوارث عن أيوب عن نافع عن ابن عمر ولكن لم يذكر في هذه الطرق غزوة نجد ولا ذات الرقاع ولم يتعرض لزمان ولا مكان وفي كون غزوة ذات الرقاع التي كانت بنجد لقتال بني محارب وبني ثعلبة بن غطفان قبل الخندق نظر . وقد ذهب البخارى الى أن ذلك كان بعد خيبر واستدل على ذلك بأن أبا موسى الأشعرى شهد ما كما سيأتي وقدمه إنما كان ليالى خيبر سمجة جعفر وأصحابه وكذلك أبو هريرة وقد قال صليت مع رسول الله (س) في غزوة نجد صلاة الخوف ، ومما يدل على أنها بعد الخندق أن ابن عمر إنما أجازه رسول الله (س) في القتال أول ما أجازه يوم الخندق . وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال : غزوت مع رسول الله (س) قبل نجد فذكر صلاة الخوف ، وقول الواقدي انه عليه السلام خرج الى ذات الرقاع في أربعة مائة ويقال سبعمائة من أصحابه ليلة السبت لعشر خلون من المحرم سنة خمس فيه نظر ، ثم لا يحصل به نجاة من أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد الخندق لان الخندق كان في شوال سنة خمس على المشهور ، وقيل في شوال سنة أربع ، فتحصل على هذا القول مخلص من حديث ابن عمر ، فأما حديث أبي موسى وأبي هريرة فلا .

قصة غورث بن الحارث

قال ابن اسحاق في هذه الغزوة : حدثني عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله أن رجلاً من بني محارب يقال له غورث قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا بلى وكيف تقتله ؟ قال : أفنك به . قال : فأقبل إلى رسول الله (ص) وهو جالس ، وسيف رسول الله (ص) في حجره . فقال يا محمد ، أنظر إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم ، فأخذته ثم جعل يهزه ويهمهم فكسبه الله . ثم قال : يا محمد ، أما تخافني ؟ قال : لا ، ما أخاف منك ؟ قال : أما تخافني وفي يدي السيف . قال : لا ، يمنعني الله . ثم عمد إلى سيف النبي (ص) ، فردده عليه فأنزله الله عز وجل [يا أيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون] . قال ابن اسحاق : وحدثني يزيد بن رومان أنه إنما أنزلت في عمرو بن جحاش أخى بني النضير ومأم به . هكذا ذكر ابن اسحاق قصة غورث هذا عن عمرو بن عبيد القدرى رأس الفرقة الضالة وهو وإن كان لا يهتم بتعمد الكذب في الحديث إلا أنه ممن لا ينبغي أن يروى عنه لبدعته ودعائه إليها ، وهذا الحديث ثبت في الصحيحين من غير هذا الوجه والله الحمد . فقد أورد الحافظ البيهقي ها هنا طرقاً لهذا الحديث من عدة أماكن ، وهي ثابتة في الصحيحين من حديث الزهري عن سنان بن أبي سنان وأبي سلمة عن جابر أنه غزا مع رسول الله (ص) غزوة نجد فلما قتل رسول الله (ص) أدركته القائلة في واد كثير الغضاء ففرق الناس يستظلون بالشجر وكان رسول الله (ص) تحت ظل شجرة فعلق بها سيفه . قال جابر : فبينما نومة فإذا رسول الله (ص) يدعونا فأجبناه وإذا عنده اعرابي جالس فقال رسول الله (ص) : إن هذا اخترط سني وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً فقال من يمنعك مني ؟ قلت : الله . فقال من يمنعك مني ؟ قلت : الله . فشام السيف وجلس ولم يماقبه رسول الله (ص) . وقد فعل ذلك ، وقد رواه مسلم أيضاً عن أبي بكر بن أبي شيبه عن عفان عن أبان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر قال : أقبلنا مع رسول الله (ص) حتى إذا كنا بذات الرقاع ، وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله (ص) فجاءه رجل من المشركين وسيف رسول الله (ص) معلق بشجرة ، فأخذ سيف رسول الله (ص) فاخرطه وقال لرسول الله (ص) : تخافني ؟ قال : لا . قال فمن يمنعك مني ؟ قال : الله يمنعني منك قال : فهده أصحاب رسول الله (ص) فأغمد السيف وعلقه . قال : ونودي بالصلاة فصرى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصرى بالطائفة الأخرى ركعتين قال : فكانت لرسول الله (ص) أربع ركعات وللقوم ركعتان . وقد علقه البخاري بصيفة الجزم عن أبان به . قال البخاري وقال مسدد

عن أبي عوانة عن أبي بشر أن اسم الرجل غورث بن الحارث . وأسند البيهقي من طريق أبي عوانة عن أبي بشر عن سليمان بن قيس عن جابر قال : قاتل رسول الله ﷺ محارب وغطفان بنخل فرأوا من المسلمين غره فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف وقال من يمنعك مني قال الله فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله ﷺ السيف وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ . قال : تشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال : لا ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، نخلي سبيله فأبى أصحابه وقال : جئتم من عند خير الناس . ثم ذكر صلاة الخوف وأنه صلى أربع ركعات بكل طائفة ركعتين . وقد أورد البيهقي هنا طرق صلاة الخوف بذات الرقاع عن صالح بن خوات بن جبير عن سهل بن أبي حنيفة ، وحديث الزهري عن سالم عن أبيه في صلاة الخوف بنجد وموضع ذلك كتاب الاحكام . والله أعلم

قصة الهري العيب الملهة بومذول

قال محمد بن اسحاق حدثني عمي صدقة بن يسار عن عقيل بن جابر عن جابر بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل فاصاب رجل امرأة رجل من المشركين فلما انصرف رسول الله ﷺ ، قافلا ، أتى زوجها وكان غائبا ، فلما أخبر الخبر حلف لا يفتحي حتى يهريق في أصحاب محمد ﷺ دما فخرج يتبع إثر رسول الله ﷺ ، فنزل رسول الله ﷺ منزلا فقال من رجل يكاؤنا ليلتنا فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الانصار . فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بقم الشعب من الوادي ، وهما عمار بن ياسر وعبيد بن بشر فلما خرجا الى قم الشعب قال الانصاري للمهاجري : أي الليل تحب أن أكفيكه أوله أم آخره ؟ قال : بل أكفي أوله ، فاضطجع المهاجري فنام وقام الانصاري يصلي ، قال : واتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ريثة القوم فرمى بسهم فوضعه فيه فانزعه ووضعه وثبت قائما قال : ثم رمى بسهم آخر فوضعه فيه فانزعه فوضعه وثبت قائما قال ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه فانزعه فوضعه ثم ركب وسجد ثم أهب صاحبه فقال : اجلس فقد أثبت قال : فوثب الرجل فلما رآها عرف أنه قد ندرا به فهرب قال : ولما رأى المهاجري ما بالانصاري من الدماء قال سبحان الله أفلا أهبيتني أول ما رماك قال كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها فلما تابع على ازمى ركعتك وأيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها . هكذا ذكره ابن اسحاق في المغازي وقد رواه أبو داود عن أبي توبة عن عبد الله بن المبارك عن ابن اسحاق به . وقد ذكر الواقدي عن عبد الله العمري عن أخيه عبيد الله عن القاسم بن محمد عن صالح بن خوات عن أبيه حديث صلاة

الخوف بطوله قال وكان رسول الله (س)، قد أصاب في محالهم نسوة ، وكان في السبي جارية
وضيئة وكان زوجها يحبها فحلف ليطلبن محمداً ولا يرجع حتى يصيب دماً أو يخلص صاحبته
ثم ذكر من السياق نحو ما أورده محمد بن اسحاق . قال الواقدي وكان جابر بن عبد الله يقول بينا
أنا مع رسول الله (س)، اذ جاء رجل من أصحابه بفرخ طائر ورسول الله (س)، ينظر اليه فأقبل اليه
أبواه أو أحدهما حتى طرح نفسه في يدي الذي أخذ فرخه فرأيت أن الناس عجبوا من ذلك فقال
رسول الله (س)، أتعجبون من هذا الطائر أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه فوالله لربكم أرحم
بكم من هذا الطائر بعونه

قصّة عمل جابر

قال محمد بن اسحاق : حدثني وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول
الله (س)، الى غزوة ذات الرقاع من نخل على جبل لي ضعيف فلما قفل رسول الله (س)، جعلت
الرفاق تمضي وجعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله (س)، فقال : مالك يا جابر ؟ قلت يا رسول الله
أبطأ بي جلي هذا . قال : أتخيه ، قال فأنخته وأناخ رسول الله (س)، ثم قال : أعطني هذه العصا من
يدك أو أقطع عصا من شجرة ففعلت فأخذها رسول الله (س)، فنخسه بها فنجست ثم قال : اركب
فركبت فخرج والذي بعثه بالحق يواهي ناقته مواهقة . قال : وتحدثت مع رسول الله (س)، فقال :
أتبيني جملك هذا يا جابر ؟ قال : قلت بل أهبه لك قال : لا ولكن بعني ، قال : قلت فسمنيه ،
قال : قد أخذته بدرهم ، قال قلت : لا اذاً تعبني يا رسول الله ، قال : فبدرهمين ، قال : قلت لا ،
قال : فلم يزل يرفع لي رسول الله (س)، حتى بلغ الاوقية ، قال قلت : أفقد رضيت ؟ قال : نعم ، قلت
فهو لك ، قال : قد أخذته ثم قال : يا جابر هل تزوجت بعد ، قال قلت : نعم يا رسول الله ، قال :
أثيباً أم بكرآ ، قال : قلت بل ثيبآ ، قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ، قال : قلت يا رسول الله
ان أبي أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعاً فنكحت امرأة جامعة تجمع رعو سن فتقوم عليهن .
قال : أصبت ان شاء الله ، أما انا لو جئنا صراراً أمرنا بيجزور فنحرت فأقنا عليها يومنا ذلك وصممت
بنا فنفضت نمارقها ، قال : فقلت والله يا رسول الله مالنا نمارق ، قال : انها ستكون فاذا أنت
قدمت فاعمل عملاً كيسآ ، قال : فلما جئنا صراراً أمر رسول الله (س)، بيجزور فنحرت وأقنا عليها
ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله (س)، دخل ودخلنا . قال : فحدثت المرأة الحديث وما قال لي
رسول الله (س)، ، قالت : فدونك فسمع وطاعة فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى
أنخته على باب رسول الله (س)، ثم جلست في المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله (س)،

فرأى الجمل فقال : ماهذا ، قالوا : يارسول الله هذا جمل جاء به جابر ، قال : فأين جابر ، فدعيت له ، قال فقال : يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك ، قال : ودعا بلالا فقال : اذهب بجابر فأعطه أوقية ، قال : فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً ، قال : فوالله ما زال ينمي عندي ويربني مكانه من بيننا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا . يعني يوم الحرة . وقد أخرجه صاحب الصحيح من حديث عبيد الله بن عمر العمري عن وهب بن كيسان عن جابر بنحوه . قال السهيلي : في هذا الحديث إشارة الى ما كان أخبر به رسول الله (ص) جابر بن عبد الله أن الله أحيا والده وكلمه فقال له تمنّ عليّ . وذلك أنه شهيد وقد قال الله تعالى [ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم] وزادهم على ذلك في قوله [للذين أحسنوا الحسنى وزيادة] ثم جمع لهم بين الموضع والموضع فرد عليهم أرواحهم التي اشتراها منهم فقال [ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون] والروح للانسان بمنزلة المطية كما قال ذلك عمر بن عبد العزيز . قال : فلذلك اشترى رسول الله (ص) من جابر جملة وهو مطيته فأعطاه ثمنه ثم رده عليه وزاده مع ذلك . قال ففيه تحقيق لما كان أخبر به عن أبيه . وهذا الذي سلكه السهيلي هاهنا إشارة غريبة وتخيّل بديع والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد ترجم الحافظ البيهقي في كتابه (دلائل النبوة) على هذا الحديث في هذه الغزوة فقال : باب ما كان ظهور في غزاته هذه من بركاته وآياته في جمل جابر بن عبد الله رضي الله عنه . وهذا الحديث له طرق عن جابر وألفاظ كثيرة وفيه اختلاف كثير في كمية ثمن الجمل وكيفية ما اشترط في البيع . وتحرير ذلك واستقصاؤه لا يلائق بكتاب البيع من الاحكام والله أعلم . وقد جاء تقييده بهذه الغزوة وجاء تقييده بغيرها كما سيأتي ومستبعد تعداد ذلك والله أعلم

غزوة بدر للفرقة

وهي بدر الموعد التي تواعدوا اليها من أحد كما تقدم . قال ابن اسحاق : ولما رجع رسول الله (ص) الى المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجعاً ثم خرج في شعبان الى بدر لميعاد أبي سفيان . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول . قال ابن اسحاق قتل رسول الله (ص) بدرأ وأقام عليه ثمانياً ينتظر أبا سفيان . وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل بحنة من ناحية الظهران . وبعض الناس يقول قد بلغ عسفان ثم بدا له في الرجوع فقال : يا مشركريش انه لا يصلحكم الا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، فان عامكم هذا عام جذب وانى راجع فارجعوا . فرجع الناس فسيام أهل مكة

جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق . قال واقي غشى بن عمرو الضمري وقد كان وادع النبي (س) في غزوة ودان على بني ضمرة فقال : يا محمد أجئت للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أخا بني ضمرة وان شئت رددنا اليك ما كان بيننا وبينك وجالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك . قال : لا والله يا محمد مالنا بذلك من حاجة . ثم رجع رسول الله (س) الى المدينة ولم يلق كيداً . قال ابن اسحاق وقد قال عبد الله بن رواحة يعني في انتظارهم أبا سفيان ورجوعه بقريش عامه ذلك قال ابن هشام وقد أنشدنيها أبو زيد لكعب بن مالك :

وَعَدْنَا أبا سَفْيَانَ بَدْرًا فَلَمْ نَجِدْ لِمُعَادِهِ صِدْقًا وَمَا كَانَ وَافِيَا
فَأَقْسَمُ لَوْ لَا قَيْتَنَا فَلَقَيْتَنَا لَأَبْتَنُ ذِمًّا وَافْتَقَدْتُ الْمَوَالِيَا
تَرْكُنَا بِهِ أَوْصَالَ عَتَبَةَ وَابْنَهُ وَعَمْرًا أَبَا جَهْلٍ تَرْكَنَاهُ ثَاوِيَا
عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ أَفٍ لَدَيْنَكُمْ وَأَمْرُكُمْ السَّيِّءُ الَّذِي كَانَ غَاوِيَا
فَاقِي وَإِنْ عَنَقْتُمُونِي لِقَاتِلٍ فِدَى لِرَسُولِ اللَّهِ أَهْلِي وَمَالِيَا
أَطْعَمْنَاهُ لَمْ نَعْدَلْهُ فِينَا بَغْيَرَهُ شَهَابًا لَنَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا

قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت في ذلك :

دَعَا فَلَجَّاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا جِلَادٌ كَأَفْوَاهِ الْخَاضِ الْأَوَارِكِ
بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ وَأَنْصَارُهُ حَقًّا وَآيِدِي الْمَلَائِكِ
إِذَا سَلَكَتِ اللَّغُورُ مِنْ بَطْنِ عَالِجٍ قَقُولًا لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَاكَ
أَقْنَا عَلَى الرِّسِّ النَّزْوَعِ ثَمَانِيَا بَلْ عَنْ جَرَارٍ عَرِيضِ الْمُبَارِكِ
بِكُلِّ كَيْتٍ جَوَّزَهُ نَصْفُ خَلْقِهِ وَقَبَّ طَوَالَ مُشْرِفَاتِ الْحَوَارِكِ
تَرَى الْعَرْفَجَ الْعَامِيَّ تَنْدِرِي أَسْوَلهُ مِنْهُمْ اخْضَافِ الْمَطِيَّ الرِّوَاتِكِ
فَإِنْ تَلَقَّ فِي تَطَوَّافِنَا وَالتَّمَّاسِنَا فَرَاتُ بْنُ حَيَّانٍ يَكُنْ رَهْنُ هَالِكِ
وَإِنْ تَلَقَّ قَيْسُ بْنُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بَعْدَهُ يَزْدُ فِي سَوَادِ لُونِهِ لَوْنُ حَالِكِ
فَأَبْلَغَ أبا سَفْيَانَ عَنْ رِسَالَةٍ فَأَنْتَ مِنْ غَرِّ الرِّجَالِ الصَّعَالِكِ

قال : فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وقد أسلم فيما بعد ذلك :

أَحْسَنُ إِنَّا يَا ابْنَ آسَكَةِ الْفَنَّا وَجَدَكَ نَفْتَالِ الْخُرُوقِ كَذَاكَ
خَرَجْنَا وَمَا تَنْجُو الْيَعْفِيرُ بَيْنَنَا وَلَوْ وَأَلَّتْ مِنَّا بِشْدَ مَدَارِكِ
إِذَا مَا انْبَعَثْنَا مِنْ مَنَاحٍ حُسْبِنَهُ مَدَّ مِنْ أَهْلِ الْمَوْسَمِ الْمُتَعَارِكِ
أَقْتِ عَلَى الرِّسِّ النَّزْوَعِ تُرِيدُنَا وَتَبَرَّكُنَا فِي النِّخْلِ عِنْدَ الْمَدَارِكِ

على الزرع تمشي خيلنا وركابنا فا وطئت أصفته بالهدكك
أقنا ثلاثاً بين سلع وطارع يجزئ الجياد والمطي الرواتك
حسبتم جلاد القوم عند فنائكم كأخذكم بالعين أطل آفك
فلا تبعث الخيل الجياد وقل لها على نحو قول المعصم التماسك
سعدتم بها وغيركم كان أهلها فوارس من أبناء فهر بن مالك
فانك لاني هجرة إن ذكرتها ولا حرمت دينها أنت ناسك

قال ابن هشام : تركنا منها أبياتاً لاختلاف قوافيها ، وقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهري وابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير أن رسول الله (ص) استنفر الناس لموعده أبي سفيان وانبعث المناقبون في الناس يثبطونهم فسلم الله أوليائه ، وخرج المسلمون صحبة رسول الله (ص) الى بدر وأخفوا معهم بضائع وقالوا إن وجدنا أبا سفيان وإلا اشترينا من بضائع موسم بدر ثم ذكر نحو سباق ابن اسحاق في خروج أبي سفيان الى مجنة ورجوعه وفي مقولة الضمري ، وعرض النبي (ص) المناسبة فأبى ذلك . قال الواقدي : خرج رسول الله (ص) اليه في ألف وخمسمائة من أصحابه واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة . وكان خروجه اليها في مستهل ذي القعدة يعني سنة أربع ، والصحيح قول ابن اسحاق أن ذلك في شعبان من هذه السنة الرابعة ووافق قول موسى بن عقبة أنها في شعبان لكن قال في سنة ثلاث وهذا وهم فان هذه تواعدوا اليها من أحد وكانت أحد في شوال سنة ثلاث كما تقدم والله أعلم . قال الواقدي : فأقاموا بدر مدة الموسم الذي كان ينفق فيها ثمانية أيام فرجموا وقد رجموا من الدرهم درهمين . وقال غيره : فأقبلوا كما قال الله عز وجل : ﴿ فَأَقْبَلُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَحْسَسْهُمْ سُوءَ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ خَوْفُضٌ عَظِيمٌ ﴾

فَضْلٌ عَظِيمٌ

في جملة من الحوادث الواقعة سنة أربع من الهجرة

قال ابن جرير : وفي جمادى الأولى من هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفان رضي الله عنه يعني من رقية بنت رسول الله (ص) ، وهو ابن ست سنين فصرى عليه رسول الله (ص) ونزل في خمرته والده عثمان بن عفان رضي الله عنه . قلت : وفيه توفي أبوسلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي وأمه برة بنت عبد المطلب عمه رسول الله

(س)، وكان رضيع رسول الله (س)، ارتضعا من نوية مولاة أبي لهب . وكان اسلام أبي سلم وأبي عبيدة وعثمان بن عفان والارقم بن أبي الارقم قديماً في يوم واحد، وقد هاجر هو وزوجته أم سلمة الى أرض الحبشة ثم عاد الى مكة وقد ولد لهما بالحبشة أولاد، ثم هاجر من مكة الى المدينة وتبعته أم سلمة الى المدينة كما تقدم، وشهد بدرأً وأحداً ومات من آثار جرح جرحه بأحد رضى الله عنه وأرضاه، له حديث واحد في الاسترجاع عند المصيبة سيأتي في سياق تزويج رسول الله (س)، بأم سلمة قريباً . قال ابن جرير: وفي ليل خلون من شعبان منها ولد الحسين بن علي من فاطمة بنت رسول الله (س)، ورضي الله عنهم . قال وفي شهر رمضان من هذه السنة تزوج رسول الله (س)، زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الملالية . وقد حكى أبو عمر بن عبد البر عن علي بن عبد العزيز الجرجاني انه قال: كانت أخت ميمونة بنت الحارث . ثم استغربه وقال لم أره لغيره . وهي التي يقال لها أم المساكين لكثرة صدقاتها عليهم وبرها لهم واحسانها اليهم . وأصدقها ثلثي عشرة أوقية ونشا ودخل بها في رمضان وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث فطلقها . قال أبو عمر بن عبد البر عن علي بن عبد العزيز الجرجاني: ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف . قال ابن الأثير في الغابة: وقيل كانت تحت عبد الله بن جحش قتل عنها يوم أحد . قال أبو عمر: ولا خلاف انها ماتت في حياة رسول الله (س)، وقيل لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة حتى توفيت رضى الله عنها، وقال الواقدي في شوال من هذه السنة تزوج رسول الله (س)، أم سلمة بنت أبي أمية . قلت: وكانت قبله عند زوجها أبي اولادها أبي سلمة بن عبد الاسد وقد كان شهد أحداً كما تقدم، وجرح يوم أحد فداوى جرحه شهراً حتى برئ، ثم خرج في سرية فقم منها نهما ومعناً جيداً، ثم أقام بعد ذلك سبعة عشر يوماً ثم انتقض عليه جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الاولى من هذه السنة كما قلنا حلت في شوال خطبها رسول الله (س)، الى نفسها بنفسه الكريمة وبعث اليها عمر بن الخطاب في ذلك مرراً فتذكر أنها امرأة غيري أى شديدة الغيرة وانها مصيبة أى لها صبيان يشغلونها عنه ويحتاجون الى مؤنة تحتاج معها أن تعمل لهم في قوتهم، قال: أما العبيبة فالى الله والى رسوله أى فمقتهم ليس اليك، وأما الغيرة فادعوا الله فينهبها، فأذنت في ذلك وقالت لعمر آخر ما قالت له: قم فزوج النبي (س)، تعنى قد رضيت وأذنت . فتوم بعض العلماء انها تقول لابنها عمر بن أبي سلمة وقد كان إذ ذاك صغيراً لا يلى مثله المقد، وقد جمعت في ذلك جزءاً مفرداً بينت فيه الصواب في ذلك والله الحمد والمنة . وان الذي ولى عقدها عليه ابنها سلمة بن أبي سلمة وهو أكبر ولدها وساغ هذا لان أباه ابن عمها فللابن ولاية أمه اذا كان

سبباً لها من غير جهة البتة بالاجماع . وكذا اذا كان معتقاً أو حاكماً ، فأما محض البتة فلا يلي بها عقد النكاح عند الشافعي وحده وخالفه الثلاثة أبو حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله . ولبسط هذا موضع آخر يذكر فيه وهو كتاب النكاح من الاحكام الكبير إن شاء الله

قال الامام أحمد : حدثنا يونس حدثنا ليث يعني ابن سعد عن يزيد بن عبد الله بن أسامة ابن الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أم سلمة قالت : أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله (س) . فقال : لقد سمعت من رسول الله (س) . قولاً سررت به ، قال : « لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيستر جمع عند مصيبته ثم يقول اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيراً منها إلا فعل به » . قالت أم سلمة : فحفظت ذلك منه ، فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت : اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيراً منها . ثم رجعت الى نفسي قلت : من أين لي خير من أبي سلمة ؟ فلما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله (س) ، وأنا أدبج إهاباً لي ففسلت يدي من القربض وأذنت له فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف فقدم عليها فخطبني الى نفسي ، فلما فرغ من مقالته قلت : يا رسول الله ما بي أن لا تكون بك الرغبة ، ولكنني امرأة بي غيرة شديدة فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذبنى الله به ، وأنا امرأة قد دخلت في السن وأنا ذات عيال . فقال : أما ما ذكرت من الغيرة فسيذهبها الله عنك ، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك ، وأما ما ذكرت من العيال فأنما عيالك عيالي ، فقالت : فقد سلت رسول الله (س) . فقالت أم سلمة : قد أبدلتني الله بأبي سلمة خيراً منه رسول الله (س) . وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عمر بن أبي سلمة عن أمه أم سلمة عن أبي سلمة به . وقال الترمذي حسن غريب . وفي رواية للنسائي عن ثابت عن ابن عمر بن أبي سلمة عن أبيه . ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن عبد الملك بن قدامة الجمحي عن أبيه عن عمر بن أبي سلمة به .

وقال ابن اسحاق : ثم انصرف رسول الله (س) . - يعني من بدر الموعد - راجعاً الى المدينة فأقام بها حتى مضى ذوالحجة وولى تلك الحجة المشركون وهي سنة أربع . وقال الواقدي : وفي هذه السنة يعني سنة أربع أمر رسول الله (س) . زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود . قلت : فثبت عنه في الصحيح أنه قال تعلمته في خمسة عشر يوماً والله أعلم

سنة خمس من الهجرة النبوية غزوة دومة الجندل في ربيع الأول منها

قال ابن اسحاق : ثم غزا رسول الله (ص) دومة الجندل . قال ابن هشام في ربيع الاول ، - يعني من سنة خمس - واستعمل على المدينة سباع بن عرفة الغفاري . قال ابن اسحاق : ثم رجع الى المدينة قبل أن يصل اليها ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته . هكذا قال ابن اسحاق . وقد قال محمد بن عمر الواقدي بإسناده عن شيوخه عن جماعة من السلف قالوا : أراد رسول الله (ص) أن يدنو الى أداني الشام ، وقيل له ان ذلك مما يفزع قيصر ، وذكر له أن بدومة الجندل جمعاً كبيراً وأنهم يظهرون من مرتبهم ، وكان لها سوق عظيم وهم يريدون أن يدنوا من المدينة . فندب رسول الله (ص) الناس فخرج في ألف من المسلمين ، فكان يسير الليل ويكن النهار ومعه دليل له من بني عذرة يقال له مذكور هاجر خريت . فلما دنا من دومة الجندل أخبره دليله بسوالم بني تميم ، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه ، وجاء الخبر أهل دومة الجندل ففرقوا ، فنزل رسول الله (ص) بساحتهم فلم يجد فيها أحداً ، فأقام بها أياماً ، وبث السرايا ثم رجعوا وأخذ محمد بن سلمة رجلاً منهم فأتى به رسول الله (ص) ، فسأله عن أصحابه فقال هربوا أمس ، فعرض عليه رسول الله (ص) الاسلام فأسلم ، ورجع رسول الله (ص) الى المدينة . قال الواقدي : وكان خروجه عليه السلام الى دومة الجندل في ربيع الآخر ^(١) سنة خمس . قال : وفيه قوفيت أم سعد بن عباد وابنها مع رسول الله (ص) في هذه الغزوة وقد قال أبو عيسى الترمذي في جامعه : حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن أم سعد ماتت والنبي (ص) غائب ، فلما قدم صلى عليها وقدم مضي لذلك شهر وهذا مرسل جيد ، وهو يقتضي أنه عليه السلام غلب في هذه الغزوة شهراً ، فما فوقه على ما ذكره الواقدي رحمه الله

غزوة الجندل أولها

وقد أنزل الله تعالى فيها صدر سورة الاحزاب فقال تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا كُورَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذَا جَاءَ تَكْمُ جُنُودَ فَارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً * إِذَا

(١) في تاريخ ابن جرير عن الواقدي أنه في ربيع الاول .

جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً * وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا * وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا، ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا * ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً * ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا لولن الأديار وكان عهد الله مستولاً * قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تملعون إلا قليلاً * قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً * قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم بنا ولا يأتون بالبأس إلا قليلاً * أشحّة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يُغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف ساقمكم بالسنة جداد أشحّة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً * يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يوذبوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبيائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً * لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً * ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً * من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً * ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً * ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيمهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديراً * وقد تكلمنا على كل من هذه الآيات الكريمات في التفسير والله الحمد والمنة، ولنذكر هاهنا ما يتعلق بالقصة إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان

وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة نص على ذلك ابن اسحاق وعروة ابن الزبير وقتادة والبيهقي وغير واحد من العلماء سلفاً وخلفاً وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري أنه قال : ثم كانت وقعة الأحزاب في شوال سنة أربع . وكذلك قال الامام مالك بن أنس فيما رواه احمد بن حنبل عن موسى بن داود عنه . قال البيهقي : ولا اختلاف بينهم في الحقيقة لان مرادهم ان ذلك بعد مضي أربع سنين وقبل استكمال خمس ، ولا شك أن المشركين لما انصرفوا عن أحد واعدوا المسلمين الى بدر العام القابل ، فذهب النبي (ص) وأصحابه كما تقدم في شعبان سنة أربع

ورجع أبو سفيان بقرش لجلب ذلك العام فلم يكونوا ليأتوا الى المدينة بعد شهرين ، فتعين أن الخندق في شوال من سنة خمس والله أعلم . وقد صرح الزهري بأن الخندق كانت بعد أحد بسنتين ولا خلاف أن أحداً في شوال سنة ثلاث الا على قول من ذهب الى أن أول التاريخ من محرم السنة الثانية لسنة الهجرة ، ولم يعدوا الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الاول الى آخرها كما حكاه البيهقي . وبه قال يعقوب بن سفيان الفسوي وقد صرح بأن بدرأ في الاولى ، وأحداً في سنة ثنتين ، وبدر الموعد في شعبان سنة ثلاث ، والخندق في شوال سنة أربع . وهذا يخالف لقول الجمهور فان المشهور أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جعل أول التاريخ من محرم سنة الهجرة ، وعن مالك من ربيع الاول سنة الهجرة ، فصارت الاقوال ثلاثة والله أعلم . والصحيح قول الجمهور أن أحداً في شوال سنة ثلاث ، وأن الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة والله أعلم . فاما الحديث المتفق عليه في الصحيحين من طريق عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه قال : عرضت على رسول الله (س) يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فاجازني ، فقد أجاب عنها جماعة من العلماء منهم البيهقي بأنه عرض يوم أحد في أول الاربعة عشرة ، ويوم الاحزاب في أواخر الخامسة عشرة . قات : ويحتمل أنه أراد أنه لما عرض عليه في يوم الاحزاب كان قد استكمل خمس عشرة سنة التي يجاز لمثلها الطفلان ، فلا يبقى على هذا زيادة عليها . ولهذا لما بلغ نافع عمر بن عبد العزيز هذا الحديث قال : ان هذا الفرق بين الصغير والكبير . ثم كتب به الى الآفاق واعتمد على ذلك جمهور العلماء والله أعلم

وهذا سياق القصة مما ذكره ابن اسحاق وغيره . قال ابن اسحاق : ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس . فحدثني يزيد بن رومان عن عروة ومن لا أنهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظي والزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم من علمائنا وبعضهم يحدث مالا يحدث بعض . قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفرأ من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضري وحبي بن أخطب النضري وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهوثة بن قيس الوائلي وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين حاربوا الاحزاب على رسول الله (س) ، خرجوا حتى قدموا على قرش بمكة فدعوم الى حرب رسول الله (س) ، وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فقالت لهم قرش : يا معشر يهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ، فهم الذين أنزل الله فيهم [ألم تر الى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين

آمنوا سبيلاً، أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجده نصيراً الآيات . فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوم اليه من حرب رسول الله (س)، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعوم الى حرب النبي (س)، وأخبروهم أنهم يكونون معهم عليه وأن قريشاً قد تابعوم على ذلك واجتمعوا معهم فيه، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ومسر بن ربيعة بن نويره ابن طريف بن سُحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعهم قومه من أشجع . فلما جمع بهم رسول الله (س) وما أجمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة قال ابن هشام : يقال ان الذي أشار به سلمان . قال الطبري والسهيلى : أول من حفر الخندق منو شهر بن أريج بن أفريدون وكان في زمن موسى عليه السلام . قال ابن اسحاق : فعل فيه رسول الله (س)، ترغيباً للمسلمين في الاجر، وعمل معه المسلمون، وتختلف طائفة من المناقذين يستندرون بالضعف، ومنهم من ينسل خفية بغير اذنه ولا علمه عليه الصلاة والسلام . وقد أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى : [إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنتك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم * لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ، ألا ان الله ما في السماوات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم]

قال ابن اسحاق : فعل المسلمون فيه حتى احكوه، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جعيل ممة رسول الله (س)، عمراً، فقالوا فيما يقولون :

ممة من بعد جعيل عمراً وكان للبأس يوماً ظهراً

وكانوا اذا قالوا عمراً قال معهم رسول الله (س)، عمراً، واذا قالوا ظهراً قال لهم ظهراً . وقد قال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو اسحاق عن حميد سمعت أنساً قال : خرج رسول الله (س)، الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال : « اللهم ان العيش عيش الآخرة، فأغفر الانصار والمهاجرة » فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بأيوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

وفي الصحيحين من حديث شعبة عن معاوية بن قرة عن أنس نحوه . وقد رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت وجديد عن أنس بنحوه . وقال البخاري حدثنا أبو مئزر حدثنا عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس قال : جل المهاجرون والانصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم ويقولون :

﴿ نحن الذين يابعوا محمداً على الاسلام ما بقينا أبداً ﴾

قال يقول النبي (س) : «اللهم ! انه لا خير الاخير الاخير الآخرة ، فبارك في الانصار والمهاجرة» قال يؤتون بملء كفي من الشمير فيصنع لهم بهالة نسخة توضع بين يدي القوم والقوم جياح ، وهي بشعة في الخلق ولها ریح منتن . وقال البخاري حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : كنا مع رسول الله (س) في الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتادنا ، قال رسول الله (س) : «اللهم لا عيش الا عيش الآخرة ، فاغفر للمهاجرين والانصار» . ورواه مسلم عن القمزي عن عبد العزيز به . وقال البخاري : حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا شعبة عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال : كان رسول الله (س) ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو أغبر بطنه يقول :

﴿ واللّه لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينتنا علينا وثبتت الاقدام إن لاقينا
إن الأولى قد بقوا علينا إذا أرادوا فتنة أينا ﴾

ورفع بها صوته : أَيُّنَا ، أَيُّنَا . ورواه مسلم من حديث شعبة به . ثم قال البخاري : حدثنا أحمد بن عثمان حدثنا شريح بن مسلة حدثني ابراهيم بن يوسف حدثني أبي عن أبي اسحاق عن البراء يحدث قال : لما كان يوم الاحزاب وخندق رسول الله (س) رأيتُه ينقل من تراب الخندق حتى وارى عن التراب جلدة بطنه ، وكان كثير الشعر ، فسمعتُه يرتجز بكلمات عبد الله بن رواحة وهو ينقل من التراب يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينتنا علينا وثبتت الاقدام إن لاقينا
ان الأولى قد بقوا علينا وإن أرادوا فتنة أينا

ثم بعد صوته بآخرها . وقال البيهقي في الدلائل : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد ابن عبيد الصغار حدثنا اسماعيل بن الفضل البجلي حدثنا ابراهيم بن يوسف البلخي حدثنا المسيب ابن شريك عن زياد بن أبي زياد عن أبي عثمان عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب في

الخنق وقال : بسم الله وبه هدينا ولو عبدنا غيره شقينا
ياحبنا ربنا وحبنا ديننا

وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وقال الامام أحمد حدثنا سليمان حدثنا شعبة عن معاوية
ابن قرة عن أنس ان رسول الله (س) قال وهم يحفرون الخنق : « اللهم لا خير الا خير الآخرة ،
فأصلح الانصار والمهاجرة » وأخرجه في الصحيحين من حديث غندر عن شعبة
قال ابن اسحاق وقد كان في حفر الخنق أحاديث بلغتنى من الله فيها عبرة في تصديق رسول الله
(س) وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون . فمن ذلك ان جابر بن عبد الله كان يحدث انه اشتنت
عليهم في بعض الخنق كذبة ، فشكوها الى رسول الله (س) فدعا باناء من ماء فغفل فيه ثم دعا بما
شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح الماء على تلك الكذبة ، فيقول من حضرها : فوالذي بئس بالحق
لا تهالت حتى عالت كالكتيب مائتة فأسأ ولا مسحة . هكذا ذكره ابن اسحاق منقطعاً عن
جابر بن عبد الله رضي الله عنه . وقد قال البخاري رحمه الله حدثنا خلاد بن يحيى حدثنا عبد الواحد
ابن أيمن عن أبيه قال : أتيت جابراً فقال انا يوم الخنق نحفر فمرضت كذبة شديدة فجأوا النبي
(س) فقالوا هذه كذبة عرضت في الخنق ، فقال : أنا نازل . ثم قام وبطنه مصوب بحجر
ولبنا ثلاثة أيام لاننوق ذواقا فأخذ النبي (س) المول فضرب فعاد كتيباً أهيل أو أهيم فقلت
يا رسول الله ائذني الى البيت ، فقلت لا مرأتى رأيت بالنبي (س) شيئاً ما كان في ذلك صبر ففندك
شيء ؟ قالت عندي شعير وعناق ، فدبخت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم
جئت النبي (س) والعجين قد انكسر والبرمة بين الانافي قد كادت أن تنضج فقلت طعم لي
قم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان . قال كم هو ؟ فذكرت له ، فقال كثير طيب ، قل لها لا تنزع
البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي ، فقال قوموا فقام المهاجرون والانصار . فلما دخل على امراته
قال ويمك جاء النبي (س) بالمهاجرين والانصار ومن معهم . قالت هل سألك ؟ قلت نعم فقال ادخلوا
ولا تضاغطوا ، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويختر البرمة والتنور اذا أخذ منه ويقرب الى
أصحابه ، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويعرف حتى شعوا وبقي بقية قال : كل هذا وأهدى ، فان
الناس أصابهم جحاجة . تفرد به البخاري . وقد رواه الامام أحمد عن وكيع عن عبد الواحد بن أيمن
عن أبيه أيمن الحبشي مولى بني مخزوم عن جابر بقصة الكذبة وربط الحجر على بطنه الكريم .
ورواه البيهقي في الدلائل عن الحاكم عن الاصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن
عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر بقصة الكذبة والطعام وطوله أتم من رواية البخاري قال
فيه : لما علم النبي (س) بمقدار الطعام قال للمسلمين جميعاً قوموا الى جابر فقاموا ، قال فقلت من

الحياة مالا يعلمه إلا الله وقلت جاءنا بخلق على صاع من شعير وعناق. ودخلت على امرأتى أقول :
افتضحت جاءك رسول الله (س). بالخنثى أجمعين ، فقالت : هل كان سالك كم طعامك ؟ قلت :
نعم . فقالت الله ورسوله أعلم . قال فكشفت عني غماً شديداً ، قال فدخل رسول الله (س). فقال
خدمى ودعيتى من اللحم . وجعل رسول الله (س). يترد ويعرف اللحم ويخمر هذا ويخمر هذا فما
زانه يقرب الى الناس حتى شبعوا أجمعين ويعود التنور والقدر أمتلاً ما كانا ، ثم قال رسول الله
(س) كلى واهدى فلم تزل تأكل وتهدى يومها . وقد رواه كذلك أبو بكر بن أبي شيبة عن عبد
الرحمن بن محمد الحارثي عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر به وأبسط أيضاً ، وقال في
آخره : وأخبرني أنهم كانوا ثمانمائة أو قال ثلثمائة . وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن
أبي الزبير عن جابر . فذكر القصة بطولها في الطعام فقط وقال وكانوا ثلثمائة . ثم قال البخاري :
حدثني عمرو بن علي حدثنا أبو عاصم حدثنا حنظلة بن أبي سفيان عن أبي الزبير حدثنا ابن ميناء
سمعت جابر بن عبد الله قال : لما حفر الخندق رأيت من النبي (س). خصاً فانكفأت الى امرأتى فقلت
هل عندك شيء فاني رأيت برسول الله (س). خصاً شديداً . فأخرجت لي جراباً فيه صاع من شعير
ولنا بهيمة داجن فذبحتها فطحننت ففرغت الى فراغى وقطعتها في برمتها ثم وليت الى رسول الله
(س). فقالت لا تفضحني برسول الله (س). ويمن معه ، فجئته فساررتة فقلت يا رسول الله ذبحت بهيمة
لنا وطحننت صاعاً من شعير كان عندنا ، ففعل أنت ونفرت معك . فصاح رسول الله (س). فقال :
يا أهل الخندق ان جابراً قد صنع سوراً فخيلاً بكم ، فقال رسول الله (س). لا تنزلن برمتكم ولا
تخبزن عجينكم حتى أجيء . فجئت وجاء رسول الله (س). يقدم الناس حتى جئت امرأتى فقالت
بك وبك . فقلت قد فعلت الذي قلت . فأخرجت لنا عجيناً فبسق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا
فبسق وبارك ثم قال : ادع خبازة فلتخبز معك واقسحى من برمتك ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم
بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتلفظ كما هي وان عجيننا كما هو . ورواه مسلم
عن حجاج بن الشاعر عن أبي عاصم به نحوه . وقد روى محمد بن اسحاق هذا الحديث وفي
سيفه غرابة من بعض الوجوه فقال حدثني سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله قال : علمنا مع
رسول الله (س). في الخندق وكانت عندي شوية غير جد صمينة قال فقلت والله لو صنعناها لرسول
الله (س). قال وأمرت امرأتى فطحننت لنا شيئاً من شعير فصنعت لنا منه خبزاً وذبحت تلك الشاة
فشويتها لرسول الله (س). فلما أمسينا وأراد رسول الله (س). الانصراف عن الخندق قال وكنا
نعمل فيه نهراً فإذا أمسينا رجعنا الى أهاليها فقلت يا رسول الله انى قد صنعت لك شوية كانت
عندنا وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير فانا أحب أن تنصرف معي الى منزلى قال وانما أريد
أن ينصرف معي رسول الله (س). وحده . قال فلما أن قلت ذلك قال نعم ثم أمر صارخاً فصرخ أن

انصرفوا مع رسول الله (ص) الى بيت جابر بن عبد الله . قال قلت انا لله وانا اليه راجعون . قال
 فاقبل رسول الله (ص) واقبل الناس معه فجلس وأخرجناها اليه قال فبرك وصلى الله تعالى ثم
 أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها . والعجب أن الامام
 احمد انما رواه من طريق سعيد بن ميناء عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن اسحاق
 عنه عن جابر مثله سواء . قال محمد بن اسحاق وحدثني سعيد بن ميناء أنه قد حدث أن ابنة لبشير بن
 سعد أخت النعمان بن بشير قالت دعني أرى عمرة بنت ربيعة فاعطيني حفنة من تمر في ثوبي ثم
 قالت أي بنية اذهبي الى أبيك وخالك عبد الله بن ربيعة فبداها . قالت فآخذتها وانطلقت بها
 فررت برسول الله (ص) وأنا ألتصق أبي وخالى فقال تعالى يا بنية ما هذا معك قالت قلت يا رسول
 الله هذا تمر بمثنتي به أمي الى أبي بشير بن سعد وخالى عبد الله بن ربيعة يتغديا به . فقال هاتيه قالت
 فضببتني في كفي رسول الله (ص) فما ملأتهما ثم أمر بنوب فبسط له ثم دعا بالتمر عليه فتبسط فوق
 الثوب ثم قال لا انسان عنده : اصرخ في أهل الخندق أن هلم الى الغداء . فاجتمع أهل الخندق
 عليه فجلسوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وانه ليسقط من أطراف
 الثوب . هكذا رواه ابن اسحاق وفيه انقطاع ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي من طريقه ولم يزد .
 قال ابن اسحاق : وحدثت عن سلمان الفارسي أنه قال : ضربت في ناحية من الخندق فنظلت على
 صخرة ورسول الله (ص) قريب مني فلما رأيته أضرب ورأيت شدة المكان على نزل فأخذ المول من
 يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المول برقة ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى قال
 ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى قال قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع
 تحت المول وأنت تضرب؟ قال : أوقد رأيت ذلك يا سلمان؟ قال قلت : نعم . قال : أما الاولى فلان الله
 فتح علي باب اليمن وأما الثانية فلان الله فتح علي باب الشام والمغرب وأما الثالثة فلان الله فتح علي بها
 المشرق . قال البيهقي : وهذا الذي ذكره ابن اسحاق قد ذكره موسى بن عقبة في مغازيه ، وذكره
 أبو الاسود عن عروة ثم روى البيهقي من طريق محمد بن يونس الكندي وفي حديثه نظر . لكن
 رواه ابن جرير في تاريخه عن محمد بن بشار وبندار ، كلاهما عن محمد بن خالد بن عتبة عن كثير بن
 عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده قد ذكر حديثاً فيه أن رسول الله (ص) خط الخندق
 بين كل عشرة أربعين ذراعاً قال : واحتق المهاجرون والانصار في سلمان فقال رسول الله (ص)
 سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف فكنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن وستة من
 الانصار في أربعين ذراعاً فحفرونا حتى اذا بلغنا الندي ظهرت لنا صخرة بيضاء مروية فكسرت
 حديدنا وشقت علينا ، فذهب سلمان الى رسول الله (ص) وهو في قبة تركية ، فأخبره عنها فجاء

فآخذ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها بركة أضاعت ما بين لا بتيها
 - يعني المدينة - حتى كأنها مصباح في جوف ليل مظلم فكبر رسول الله (س) تكبير فتح وكبر
 المسلمون ، ثم ضربها الثانية فكذلك ، ثم الثالثة فكذلك . وذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول
 الله (س) ، وسأله عن ذلك النور ، فقال : لقد أضاء لي من الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى
 كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها . ومن الثانية أضاعت القصور الحجر
 من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها . ومن الثالثة أضاعت
 قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها فأبشروا ، واستبشر
 المسلمون وقالوا الحمد لله موعود صادق . قال : ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون : هذا ما وعدنا
 الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً . وقال المنافقون : يخبركم أنه يبصر
 من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وإنما تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن
 تبرزوا فزل فيهم [واذا يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا
 غرورا] وهذا حديث غريب . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا هارون بن ملول حدثنا
 أبو عبد الرحمن حدثنا عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال لما أمر
 رسول الله (س) بالخندق فخندق على المدينة قالوا يا رسول الله انا وجدنا صفة لا نستطيع حفرها
 فقام النبي (س) وقنا معه فلما أتاه أخذ المعول فضرب به ضربة وكبر فسمعت هدة لم أسمع
 مثلها قط فقال فتحت فارس ، ثم ضرب أخرى فكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال فتحت
 الروم ، ثم ضرب أخرى فكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال : جاء الله بحمير أعواناً
 وأنصاراً . وهذا أيضاً غريب من هذا الوجه وعبد الرحمن بن زياد بن أنس الأفریقی فيه
 ضعف فالح أعلم . وقال الطبراني أيضاً : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني سعيد بن محمد
 الجرمي حدثنا أبو نميلة حدثنا نعيم بن سعيد الغري أن عكرمة حدث عن ابن عباس قال : احتفر
 رسول الله (س) الخندق ، وأصحابه قد شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع فلما رأى ذلك رسول
 الله (س) قال : هل دلتهم على رجل يطمئنا أكلة ؟ قال رجل نعم . قال أما لا فتقدم فدلنا عليه .
 فانطلقوا إلى [بيت] الرجل فاذا هو في الخندق يعالج نصيبه منه فأرسلت امرأته أن جيء فان رسول
 الله (س) قد أتانا نجاء الرجل يسئ وقال : بأبي وأمي وله معزة ومعها جديها فوثب إليها فقال النبي
 (س) الجدي من ورائها فذبح الجدي وعمدت المرأة إلى طحينة لها فصجتها وخبزت فادركت
 القدر فتردت قصعتها قربتها إلى رسول الله (س) وأصحابه فوضع رسول الله (س) أصبعه
 فيها وقال بسم الله اللهم بارك فيها اطعموا فاكلوا منها حتى صدروا ولم يأكلوا منها إلا ثلثها
 وبقي ثلثها فسرحت أولئك العشرة الذين كانوا معه أن اذهبوا وسرحوا الينا بعدتكم فذهبوا

فجاء أولئك المشرة فأكلوا منها حتى شبعوا ثم قام ودعا لربة البيت وصمت عليها وعلى أهل بيتها، ثم مشوا إلى الخندق فقال: اذهبوا بنا إلى سلمان، وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها، فقال رسول الله (ص): دعوني فأكون أول من ضربها. فقال: بسم الله. فضربها فوقعت فلقة فقال الله أكبر قصور الشام ورب الكعبة، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة. فقال عندها المناقون: نحن نخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم، ثم قال الحافظ البيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا محمد بن غالب بن حرب حدثنا هوزة حدثنا عوف عن ميمون بن استاذ الزهري حدثني البراء بن عازب الانصاري قال لما كان حين أمرنا رسول الله (ص) بحفر الخندق عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المaul فشكوا ذلك إلى رسول الله (ص) فلما رآها أخذ المaul وقال بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله أني لأبصر قصورها الحمر إن شاء الله، ثم ضرب الثانية قطع ثلثا آخر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله أني لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله أني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة. وهذا حديث غريب أيضاً تفرد به ميمون بن استاذ هذا وهو بصري روى عن البراء وعبد الله بن عمرو وعنه حميد الطويل وأبو جريز وعوف الأعرابي قال أبو حاتم عن اسحاق بن منصور عن ابن معين كان ثقة وقال علي بن المديني كان يحكي بن سعيد القطان لا يحدث عنه. وقال النسائي حدثنا عيسى بن يونس حدثنا ضمرة عن أبي زرعة السيباني عن أبي سكينه رجل من البحرين عن رجل من أصحاب النبي (ص) قال لما أمر رسول الله (ص) بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر فقام النبي (ص) وأخذ المaul ووضع رداءه ناحية الخندق وقال [ونمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم] فنذر ثلث الحجر وسلمان الفارسي قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله (ص) برقة ثم ضرب الثانية وقال ونمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلمات الله وهو السميع العليم فنذر الثلث الآخر وبرقت برقة فرأها سلمان ثم ضرب الثالثة وقال ونمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم فنذر الثلث الباقي وخرج رسول الله (ص) فأخذ رداءه وجلس فقال سلمان يا رسول الله رأيتك حين ضربت لا تضرب ضربة إلا كانت معها برقة قال رسول الله (ص) يا سلمان رأيت ذلك؟ قال أي والذي بعثك بالحق يا رسول الله قال فاني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعيني فقال له من حضره من أصحابه يا رسول الله ادع أن يفتحها علينا ويغنمنا ذرارهم

ونحرب بأيدينا بلادهم فدعا بذلك قال ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت لى مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعينى قالوا يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويفتحمنا ذرارهم ونحرب بأيدينا بلادهم فدعائهم قال ثم ضربت الضربة الثالثة فرفعت لى مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعينى . ثم قال رسول الله - ﷺ « دعوا الحبشة ملودعوكم واتركوا الترك ماتركوكم » هكذا رواه النسائي مطولا وانما روى عنه أبو داود دعوا الحبشة ملودعوكم واتركوا الترك ماتركوكم عن عيسى بن محمد الرملى عن ضمرة بن ربيعة عن أبي زرعة يحيى بن أبي عمرو السيباني به ثم قال ابن اسحاق وحدثني من لائهم عن أبي هريرة انه كان يقول حين فتحت هذه الامصار فى زمان عمر وزمان عثمان وما بعد افتتحوا مابدا الحكم فوالذى نفس أبى هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها الى يوم القيامة الا وقد أعطى الله محمداً - ﷺ مفاتيحها قبل ذلك . وهذا من هذا الوجه منقطع أيضاً وقد وصل من غير وجه والله الحمد قتال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله - ﷺ يقول بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الارض فوضعت فى يدي . وقد رواه البخارى منفرداً به عن يحيى بن بكير وسعد بن عفير كلاهما عن الليث به وعنده قال أبو هريرة فذهب رسول الله - ﷺ ، وأنتم تفتنونها وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد ابن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله - ﷺ ، نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وجعلت لى الارض مسجداً وطهوراً وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الارض فتلت فى يدي . وهذا اسناد جيد قوى على شرط مسلم ولم يخرجوه . وفي الصحيحين اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده واذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسى بيده لتنفق كنوزها فى سبيل الله . وفي الحديث الصحيح ان الله زوى لى الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمى ما زوى لى منها

فَضِيلَتُهُ

قال ابن اسحاق : ولما فرغ رسول الله - ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة بين الجرف وزغابه فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذي ندى قصى الى جانب أحد وخرج رسول الله - ﷺ ، والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين ف ضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذرارى والنساء فجعلوا فوق الآطام . قال ابن

هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . قلت وهذا معنى قوله تعالى [إذ جاءوكم من فوقكم ومن
 أسفل منكم وقد زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا] قال البخاري :
 حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عبيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة [إذ جاءوكم من
 فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار] قالت ذلك يوم الخندق . قال موسى بن عقبة ولما نزل
 الأحزاب حول المدينة أغلق بنو قريظة حصنهم دونهم . قال ابن اسحاق وخرج حيي بن اخطب
 النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقدم وعهدم فلما سمع به كعب أغلق باب حصنه
 دون حيي فاستأذن عليه فأنى أن يفتح له فناداه ويحك يا كعب افتح لي . قال ويحك يا حيي انك
 امرؤ مشثوم وإني قد علمت محمداً فليست بنافض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاةً وصداً . قال
 ويحك افتح لي أكلك . قال ما أنا بفاعل . قال والله إن أعلقت دوني إلا خوفاً على جيشتك إن
 آكل معك منها . فأحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتكم بعز الدهر وبحر طام قال وما
 ذاك قال جئتكم بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة وبغطفان على
 قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذي ندى إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاهدوني على أن
 لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . فقال كعب جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماؤه
 يرعد ويبرق وليس فيه شيء . ويحك يا حيي فدعني وما أنا عليه فاني لم أر من محمد إلا وفاةً وصداً
 وقد تكلم عمرو بن سعد القرظي فأحسن فيما ذكره موسى بن عقبة ذكرهم ميثاق رسول الله ﷺ ،
 وعهده ومعاقدتهم إياه على نصره وقال : إذا لم تنصروه فأركوه وعدوه . قال ابن اسحاق فلم يزل
 حيي يكعب يفتله في النور وقال الغراب حتى سمع له - يعني في نقض عهد رسول الله ﷺ - وفي محاربتة
 مع الأحزاب على أن أعطاه حيي عهد الله وميثاقه لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل
 معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك . فنقض كعب بن أسد العهد وبرئ مما كان بينه وبين
 رسول الله ﷺ . قال موسى بن عقبة وأمر كعب بن أسد بنو قريظة حيي بن أخطب أن يأخذ لهم
 من قريش وغطفان رهائن تكون عندهم لئلا ينالهم ضيم إن هم رجعوا ولم ينجزوا محمداً ، قالوا :
 وتكون الرهائن تسعين رجلاً من أشرفهم . فنزلهم حيي على ذلك . فعند ذلك نقضوا العهد وبرزوا
 الصحيفة التي كان فيها العقد إلا بني سعة أسد وأسيد وثعلبة فانهم خرجوا إلى رسول الله ﷺ .
 قال ابن اسحاق : فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ ، وإلى المسلمين بعث سعد بن معاذ وهو يومئذ
 سيد الأوس وسعد بن عباد وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير قال
 انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم فتنظروا الحق ما بلغنا عنهم فإن كان حقاً فالحق لنا أعرفه ولا
 تفتنوا في أعضاد المسلمين وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس . قال فخرجوا حتى أتوهم . قال موسى

ابن عقبة فدخلوا معهم حصنهم فدعوم الى المواقعة وتجديد الحلف فقالوا : الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم (يريدون بني النضير) وقالوا من رسول الله (س) ، فجعل سعد بن عباد يشاتمهم فأغضبوه فقال له سعد بن معاذ انا والله ما جئنا لهذا ولما بيننا أكبر من المشاة . ثم ناداهم سعد بن معاذ فقال انكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة وأنا خائف عليكم مثل يوم بني النضير أو أمر منه . فقالوا اكلت أير أريك . فقال غير هذا من القول كان أجل بكم وأحسن . وقال ابن اسحاق : قالوا من رسول الله (س) . وقالوا من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكان رجلا فيه حمة فقال له سعد بن عباد دع عنك مشاتمهم لما بيننا وبينهم أربي من المشاة . ثم أقبل السعدان ومن معها الى رسول الله (س) ، فسلموا عليه ثم قالوا عضل والقارة أي كغدرهم بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه فقال رسول الله (س) : الله أكبر ابشروا يا معشر المسلمين . قال موسى بن عقبة ثم تقم رسول الله (س) ، بشو به حين جاءه الخبر عن بني قريظة فاضطجع ومكث طويلا فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه اضطجع وعرفوا انه لم يأتهم عن بني قريظة خير . ثم انه رفع رأسه وقال ابشروا بفتح الله ونصره . فلما أن أصبحوا دنا القوم بعضهم من بعض وكان بينهم رمى بالنبل والحجارة قال سعيد بن المسيب قال رسول الله (س) : اللهم اني أسألك عهدك ووعدك اللهم ان تشأ لا تعبد . قال ابن اسحاق وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن على نفسه أن ينهب الى الغائط . وحتى قال أوس بن قيث : يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو ، وذلك عن ملأ من رجال قومه فأذن لنا أن نرجع الى دارنا فاتها خارج من المدينة . قلت : هؤلاء وأمثالهم المرادون بقوله تعالى [واذا يقول المناقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا] واذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا] قال ابن اسحاق : فأقام رسول الله (س) ، مرابطاً وأقام المشركون يحاصرونه بضماً وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بينهم حرب إلا الرمية بالنبل ، فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله (س) ، كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم عن الزهري الى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المري وهما قائدا غطفان واعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معها عنه وعن أصحابه فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المروضة ، فلما أراد رسول الله (س) ، أن يفعل ذلك بعث الى السعد بن قيس فذكر لها ذلك ، واستشارها فيه ، فقالت : يا رسول الله أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ فقال : بل

شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذاك إلا لاني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكلبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم الى أمر مآ . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الاوثان لانعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطعمون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قرى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال النبي (ص) : أنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فحما ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا . قال فأقام النبي (ص) وأصحابه محاصرين ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال إلا أن فوارس من قريش - منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس أحد بني عامر بن لؤي - وعكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة بن أبي وهب الخزوميان ، وضرار بن الخطاب بن مرداس أحد بني محارب بن فهر - تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا تهيئوا يا بني كنانة للحرب فستعلمون من الفرسان اليوم ، ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأود قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها . ثم تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق ولسع ، وخرج علي بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليه الثغرة التي أقصموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوم ، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أنتمت الجراحة فلم يسجد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً لبري مكانه ، فلما خرج هو وخيله قال : من يبارز ؟ فبرز له علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له : يا عمرو انك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش الى احدى تخطين الا أخذتها منه ، قال أجل . قال له علي : فاني أدعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام . قال : لا حاجة لي بذلك . قال : فاني أدعوك الى النزال . قال له : لم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتاك . قال له علي : لكني والله أحب أن أقتاك . فحى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فقره وذرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي رضي الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة . قال ابن اسحاق وقال علي بن أبي طالب في ذلك :

نصرَ الحجارة من سفاهة رأيه ونصرتُ ربَّ محمدٍ بصواب
فصدرتُ حين تركته متجذلاً كالجذع بين دكاكٍ وروابي
وعففتُ عن أثوابه ولو أني كنتُ المقطرَ بَرَّني أنوابي
لا تحسبنَّ الله خاذلَ دينه ونبيّه يا معشرَ الأحزاب

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي . قال ابن هشام : وألقى عكرمة

رحمه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فقال في ذلك حسان بن ثابت :

فرُّ وألّني لنا رحمه لعلك عكرم لم تفعل
ووليتَ تعدو كعدو الظِّلِّ مِمَّا انْ يَحْوَرُّ عن المعدل
ولم تلوِ ظهرك مستأنساً كأنَّ قفاكَ قفا فرَّعل

قال ابن هشام : الفراعل صغار الصباع . وذكر الحافظ البيهقي في دلائل النبوة عن ابن اسحاق في موضع آخر من السيرة قال : خرج عمرو بن عبد ود وهو مقنع بالحديد فنادى : من يبارز ؟ فقام علي بن أبي طالب فقال : أنا لها يابني الله . فقال : انه عمرو ، اجلس . ثم نادى عمرو : ألا رجل يبرز ؟ فجعل يؤنبهم ويقول : أين جنتكم التي ترعون أنه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون إلى رجل ؟ فقام علي فقال : أنا يا رسول الله ؟ فقال : اجلس . ثم نادى الثالثة فقال :

ولقد بُحِثُ من النداءِ لجمعهم هل من مُبارز
ووقفتُ إذ جَبُنَ المشجّعُ موقفَ القربِ المناجز
ولذلك إني لم أزل متسرّعاً قبْلَ المَزارِ
أنَّ الشجاعةَ في الفتى والجودُ من خَيْرِ الفرائِزِ

قال فقام علي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله أنا . فقال : انه عمرو ، فقال وان كان عمراً . فأذن له رسول الله ، فمشى إليه حتى أتى وهو يقول :

لَا تَعْجَلَنَّ فَقَدْ أَتَاكَ بِحِبِّ صَوْتِكَ غَيْرُ عَاجِزٍ
فِي نِيَّةٍ وَبَصِيرَةٍ وَالصِّدْقُ مَنَجِي كُلِّ فَائِزٍ
إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَقِيَّ مَعَكَ عَلَيْكَ نَافِحَةُ الْجَنَائِزِ
مِنْ ضَرْبَةِ نَجْلَاءٍ يَبْقَى ذِكْرُهَا عِنْدَ الْمَزارِ

فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا علي ، قال : ابن عبد مناف ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب . فقال : يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فاني أكره أن أهريق دمك ؟ فقال له علي : لا مكني والله لا أكره أن أهريق دمك ، فغضب فتزل وشل سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو علي مغضباً واستقبله عليٌ بدرقته فضربه عمرو في درقته فقتلها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه ، وضربه عليٌ على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله ، التكبير ففرقنا أن علياً قد قتله . ثم يقول علي :

أعليّ تقتحمُ الفوارسُ هكذا عني وعنهم أخروا أصحابي
اليوم بمنعني الفرارَ حفيظتي ومصمٌ في الرأس ليس بناهي

الى أن قال : عبد الحجاره من سفاهاه رأيه وعبدت رب محمد بصواب
الى آخرها . قال ثم أقبل على نحر رسول الله (ص) ، ووجهه يتهلل ، فقال له عمر بن الخطاب :
هلاً استلبته درعه فانه ليس للعرب درع خير منها ؟ فقال : ضربته فأتقاني بسوءته فاستحييت ابن
عمي أن أسلبه ، قال وخرجت خيوله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق
وذكر ابن اسحاق فيها حكاية عن البيهقي أن علياً طعنه في رقوته حتى أخرجها من مراقه فمات
في الخندق ؛ وبعث المشركون الى رسول الله (ص) ، يشترون جيفته بعشرة آلاف ، فقال هو لكم
لأننا كل نمن الموتى . وقال الامام أحمد حدثنا نصر بن باب حدثنا حجاج عن الحكم عن مقسم
عن ابن عباس أنه قال : قتل المسلمون يوم الخندق رجلاً من المشركين فأعطوا بجيفته مالا ، فقال
رسول الله (ص) : ادفعوا اليهم جيفته فانه خبيث الخيفة خبيث الدية ، فلم يقبل منهم شيئاً . وقد رواد
البيهقي من حديث حماد بن سلمة عن حجاج وهو ابن اوطاة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس :
أن رجلاً من المشركين قتل يوم الاحزاب فبعثوا الى رسول الله (ص) : أن ابعث الينا بجسده
ونعطيهم اثني عشر ألفاً فقال رسول الله (ص) : « لاخير في جسده ولا في نمته » . وقد رواه الترمذي
من حديث سفيان الثوري عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس وقال غريب .
وقد ذكر موسى بن عقبة أن المشركين انما بعثوا يعالون جسد نوفل بن عبد الله الخزومي حين
قتل وعرضوا عليه الدية فقال : « انه خبيث خبيث الدية فلعنه الله ولعن دينه . فلا أرب لنا في
دينه ولنسأ نمنعكم أن تدفنوه » وذكر يونس بن بكير عن ابن اسحاق قال : وخرج نوفل بن
عبد الله بن المغيرة الخزومي فسأل المبارزة فخرج اليه الزبير بن العوام فضربه فشقه باثنين حتى
فل في سيفه فلا وانصرف وهو يقول :

اني امرؤ أحمي وأحتمي^(١) عن النبي المصطفى الأنبي

وقد ذكر ابن جرير أن نوفلاً لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول : قتلة
أحسن من هذه يا معشر العرب . فنزل اليه على قتله وطلب المشركون رتمه من رسول الله (ص) ،
بأنهم فآبى عليهم أن يأخذ منهم شيئاً ومكانهم من أخذه اليهم وهذا غريب من وجهين . وقد
روى البيهقي من طريق حماد بن يزيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال جمعت
يوم الخندق مع النساء والصبيان في الاطم ومعهم عمر بن أبي سلمة فجعل يطأ طأ على فاصعد على ظهره
فأنظر قال فنظرت الى أبي وهو يحمل مرة هاهنا ومرة هاهنا فما يرتفع له شيء الا أناه فلما أسي
جاءنا الى الاطم قلت يا أبة رأيتك اليوم وما تصنع قال ورايتني يا بني قلت نعم قال فدى لك أبي

وأخى . قال ابن اسحاق : وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الانصارى أخو بني حارثة أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق وكان من أحرز حصون المدينة قال وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن . قالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب . قالت فر سعد وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربته يرقل بها ويقول :

لَبْتُ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا جَمَلًا لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

فكانت له أمه الحق بنى فقد والله أشرت . قالت عائشة فقلت لها يأم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي . قالت وخفت عليه حيث أصاب السهم منه . فرمى سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكل . قال ابن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال رمادحيان بن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها مني وأنا ابن العرقة ، فقال له سعد عرق الله وجهك في النار اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فبقني لها فانه لا قوم أحب الى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه . اللهم وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمنني حتى تفرعيني من بني قريظة . قال ابن اسحاق : وحدثني من لا أنهم عن عبد الله بن كعب بن مالك انه كان يقول ما أصاب سعداً يومئذ الا أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم ، وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً قاله لعكرمة بن أبي جهل :

أَعْرَكُمُ هَلَّا لَمُنِي إِذْ تَقُولُ لِي فِدَاكَ بِأَطَامِ الْمَدِينَةِ خَلَا
أَلَسْتُ الَّذِي أَلَزَمْتُ سَعْدًا مَرِيضَةً لَهَا بَيْنَ أَتْنَاءِ الْمُرَافِقِ عَانِد
قَضَى نَجْبَهُ مِنْهَا سَعِيدٌ فَأَعُولُ عَلَيْهِ مَعَ الشَّطْرِ الْعَذَارَى النَّوَاهِدُ
وَأَنْتَ الَّذِي دَافَعْتَ عَنْهُ وَقَدَدَا عُيَيْدَةً جَعَمًا مِنْهُمْ إِذْ يَكَابِدُ
عَلَى حَيْنٍ مَامٍ جَائِرٍ عَنْ طَرِيقِهِ وَآخِرُ مَرْعُوبٍ عَنِ النَّصْبِ قَاصِدُ

قال ابن اسحاق والله أعلم أي ذلك كان . قال ابن هشام ويقال ان الذي رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان قلت وقد استجاب الله دعوة وليه سعد بن معاذ بنى قريظة أقر الله عينه فحكم فيهم بقدرته وتيسيره وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك كما سيأتي بيانه فحكم بقتل مقاتلتهم وسبي ذرارهم حتى قال له رسول الله (ص) : لقد حكمت فيهم بحكم الله فوق سبع أرقعة . قال ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله (ص) ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا

ورسول الله (ص)، والمسلمون في نحور عدوم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إذ أنانا آت فقلت يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغل رسول الله (ص)، وأصحابه فانزل إليه فاقتله . قال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً احتجرت ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضرته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت يا حسان انزل فاستلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل . قال مالي بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب . قال موسى بن عقبة وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلهم في مثل الحصن من كتائبهم فحاصروهم قريباً من عشرين ليلة وأخذوا بكل ناحية حتى لا يدرى أتم أم لا قال ووجهوا نحو منزل رسول الله (ص)، كتيبة غليظة فقاتلهم يوماً إلى الليل فلما حانت صلاة العصر دنت الكتيبة فلم يقدر النبي (ص)، ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا فانكفأت الكتيبة مع الليل فزعموا أن رسول الله (ص)، قال شغلونا عن صلاة العصر ملأ الله بطونهم وقلوبهم وفي رواية وقبورهم ناراً . فلما اشتد البلاء نافق ناس كثير وتكلموا بكلام قبيح فلما رأى رسول الله (ص)، ما بالناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم ويقول « والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ماترون من الشدة وإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً وأن يدفع الله إلى مفاتيح الكعبة وليلهكن الله كسرى وقيصر ولتنفق كنوزهما في سبيل الله »

وقد قال البخاري : حدثنا اسحاق حدثنا روح حدثنا هشام عن محمد عن عبيدة عن علي عن النبي (ص)، أنه قال يوم الخندق « ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غلبت الشمس » وهكذا رواد بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي به ورواه مسلم والترمذي من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي حسان الأعرج عن عبيدة عن علي به وقال الترمذي حسن صحيح . ثم قال البخاري حدثنا المكي بن إبراهيم حدثنا هشام عن يحيى عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش وقال : يا رسول الله ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب قال النبي (ص)، والله ما صليتها فترلنا مع رسول الله (ص)، بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب . وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم والترمذي والذاهبي من طرق عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة به وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا ثابت حدثنا هلال عن عكرمة عن ابن عباس قال قاتل النبي (ص)، عدواً فلم يفرغ منهم حتى آخر العصر عن وقتها فلما رأى ذلك قال « اللهم من حبسنا عن الصلاة

الوسطى فاملاً بيوتهم ناراً واملاً قبورهم ناراً» ونحو ذلك تفرد به احمد وهو من رواية هلال بن خبيب العبدي الكوفي وهو ثقة يصحح له الترمذي وغيره . وقد استدل طائفة من العلماء بهذه الاحاديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر كما هو منصوص عليها في هذه الاحاديث وألزم القاضي المالودي من مذهب الشافعي بهذا لصحة الحديث وقد حررنا ذلك نقلاً واستدلالاً عند قوله تعالى : [حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين] . وقد استدل طائفة بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال كما هو من مذهب مكحول والاوزاعي وقد بوب البخاري ذلك واستدل بهذا الحديث وقوله «يوم أمرهم بالذهاب الى بني قريظة - كما سيأتي - «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» وكان من الناس من صلى العصر في الطريق ومنهم من لم يصل إلا في بني قريظة بعد الغروب ولم يعتف واحداً من الفريقين واستدل بما ذكره عن الصحابة ومن معهم في حصار تستر سنة عشرين في زمن عمر حيث صلاوا الصبح بعد طلوع الشمس لعذر القتال واقترب فتح الحصن . وقال آخرون من العلماء وهم الجمهور منهم الشافعي هذا الصنيع يوم الخندق منسوخ بشرعية صلاة الخوف بعد ذلك فانها لم تكن مشروعة إذ ذاك فلماذا أخروها يومئذ وهو مشكل قال ابن اسحاق وجماعة ذهبوا الى أن النبي «صلى صلاة الخوف بسفلى وقد ذكرها ابن اسحاق وهو امام في المغازي قبل الخندق وكذلك ذات الرقاع ذكرها قبل الخندق فالله أعلم . وأما الذين قالوا ان تأخير الصلاة يوم الخندق وقع نسياناً كما حكاه شراح مسلم عن بعض الناس فهو مشكل إذ يبعد أن يقع هذا من جمع كبير مع شدة حرصهم على محافظة الصلاة كيف وقد روى أنهم تركوا يومئذ الظهر والعصر والمغرب حتى صلاوا الجميع في وقت العشاء من رواية أبي هريرة وأبي سعيد قال الامام حدثنا يزيد وحجاج قالوا حدثنا ابن أبي ذئب عن المقبري عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوى من الليل حتى كفينا وذلك قوله [وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً] قال فدا رسول الله «بللاً فأمره فأقام فصلى الظهر كما كان يصلها في وقتها ثم أقام العصر فصلاها كذلك ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ثم أقام العشاء فصلاها كذلك وذلك قبل أن ينزل . قال حجاج في صلاة الخوف فان خفتم فرجالاً أو ركبانا وقد رواه النسائي عن الفلاس عن يحيى القطان عن ابن أبي ذئب به قال شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس فذكره . وقال أحمد حدثنا هشيم حدثنا أبو الزبير عن نافع بن جبير عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن المشركين شغلوا رسول الله «يوم الخندق عن أربع صلوات حتى ذهب من الليل ما شاء الله قال فأمر بللاً فأذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ثم أقام فصلى المغرب ثم أقام فصلى العشاء . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا مؤمل يعني ابن اسماعيل حدثنا حماد يعني ابن سلمة عن عبد الكريم يعني ابن أبي الخمار

عن مجاهد عن جابر بن عبد الله ان النبي (ص) شغل يوم الخندق عن صلاة الظهر والمصر والمغرب والعشاء فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى الظهر ثم أمره فأذن وأقام فصلى المصرب ثم أمره فأذن وأقام فصلى المغرب ثم أمره فأذن وأقام فصلى العشاء ثم قال « ما على وجه الارض قوم يذكرون الله في هذه الساعة غيركم » تفرد به البزار وقال لا نعرفه الا من هذا الوجه وقد رواه بعضهم عن عبد الكريم عن مجاهد عن أبي عبيدة عن عبد الله

فصل في دعائه عليه السلام على الأحزاب

قال الامام أحمد : حدثنا أبو عامر حدثنا الزبير - يعني ابن عبد الله - حدثنا ربيع بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال : قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر ، قال « نعم ، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا » قال فضرب الله وجوه أعدائه بالريح . وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن أبي عامر - وهو العقدي - عن الزبير بن عبد الله مولى عثمان بن عفان عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد فذكره وهذا هو الصواب . وقال الامام أحمد حدثنا حسين بن ابن أبي ذئب عن رجل من بني سلمة عن جابر ابن عبد الله ان النبي (ص) أتى مسجد الأحزاب فوضع رداءه وقام ورفع يديه مَدًّا يدعو عليهم ولم يصل قال ثم جاء ودعا عليهم وصلى . وثبت في الصحيحين من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي أوفى قال : دعا رسول الله (ص) على الأحزاب فقال « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب . اللهم اهزمهم وزلزلهم . وفي رواية اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم . وروى البخاري عن قتيبة عن الليث عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله (ص) كان يقول « لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده » وقال ابن اسحاق وأقام رسول الله (ص) وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لنظائر عدوم عليهم واتيائهم ايام من فوقهم ومن أسفل منهم . قال ثم ان نعيم بن مسعود ابن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع ابن ريث بن غطفان أتى رسول الله (ص) فقال : يا رسول الله اني قد أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فرني بما شئت فقال رسول الله (ص) « انما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا ان استطعت ، فان الحرب خدعة » فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديماً في الجاهلية فقال : يا بني

قريظة قد عرقتكم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا صدقت لست عندنا بمتهم . فقال لهم ان قريشاً و غطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه الى غيره وان قريشاً و غطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتوهم عليه وبلدكم ونسأؤهم وأموالهم بغيره فليسوا كأنتم فان رأوا نهضة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلصوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تنأجزوهم . قالوا لقد أشرت بأرأى . ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لابي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرقتكم ودي لكم وفراقي محمداً ، وانه قد بلغني أمر قد رأيت على حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموا عني . قالوا نفعل قال تعلموا ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذك من القبيلتين من قريش و غطفان رجلاً من أشرفهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى تستأصلهم . فأرسل اليهم ان نعم . فان بعثت اليكم يهود يلتبسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلاً واحداً . ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان انكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس الى ولا أراكم تهمونني . قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال فاكتموا عني قالوا نفعل . ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم . فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان من صنع الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ، أن أرسل أبو سفيان بن حرب و رءوس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش و غطفان فقال لهم انا لسنا بدار مقام هلك اخلف والخافر فاعدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا اليهم : ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابهم ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً فاما نخشى ان ضررستم الحرب واشتد عليكم القتال ان تذهبوا الى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش و غطفان : والله ان الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق . فأرسلوا الى بني قريظة : انا والله لا ندفع اليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم الا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشعروا الى بلادهم وخلصوا بينكم وبين الرجل في بلدكم . فأرسلوا الى قريش و غطفان نا والله ما نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله الريح في ليلة شانية شديدة البرد فجعلت تكفأ قلوبهم وتطرح آنيهم .

وهذا الذى ذكره ابن اسحاق من قصة نعيم بن مسعود أحسن مما ذكره موسى بن عقبة .
وقد أوردته عنه البيهقي فى الدلائل فانه ذكر ما حصله أن نعيم بن مسعود كان يذيع ما يسمعه
من الحديث ، فاتفق أنه مرّ برسول الله (ص) ذات يوم عشاء ، فأشار اليه أن تعال ، فجاء فقال :
ما وراءك ؟ فقال : انه قد بشت قريش و غطفان الى بنى قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا اليهم
فيناجزوك ، فقالت قريظة نعم فأرسلوا اليها بالرهن . وقد ذكر فيما تقدم : أنهم انما نقضوا العهد
على يدى حبي بن أخطب بشرط أن يأتهم برهائن تكون عندهم توثقة ، قال فقال له رسول
الله (ص) : إني مسرّ إليك شيئاً فلا تذكره ، قال : أنهم قد أرسلوا إلى يدعو نى الى الصلح وأردّ
بنى النضير الى دورهم وأموالهم ، فخرج نعيم بن مسعود عامداً الى غطفان . وقال رسول الله (ص) :
« الحرب خدعة وعسى أن يصنع الله لنا » فأتى نعيم غطفان وقريشاً فأعلمهم ، فبادر القوم وأرسلوا
الى بنى قريظة عكرمة وجماعة معه واتفق ذلك ليلة السبت يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم
فاعتلت اليهود بالسبت ، ثم أيضاً طلبوا الرهن توثقة فأوقع الله بينهم واختلفوا . قلت : وقد يحتمل
أن تكون قريظة لما يتسوا من انتظام أمرهم مع قريش و غطفان بعثوا الى رسول الله (ص) يريدون
منه الصلح على أن يرد بنى النضير الى المدينة والله أعلم

قال ابن اسحاق : فلما انتهى الى رسول الله (ص) ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من
جمعهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا . قال ابن اسحاق : فحدثني يزيد بن
زياد عن محمد بن كعب القرظي قال قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله
أرأيت رسول الله (ص) وصحبته ؟ قال : نعم يا ابن أخي ، قال فكيف كنتم تصنعون ؟ قال والله
لقد كنا نجتهد ، قال : والله لو أدركناه ما تركناه شئ على الارض ولحملناه على أعناقنا ، قال فقال
حذيفة : يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله (ص) بالخذقة وصلى رسول الله (ص) هويّاً من
الليل ثم التفت اليها فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - فشرط له رسول الله (ص) :
الرجعة - أسأل الله أن يكون رفيق في الجنة ، فقام رجل من شدة اخوف وشدة الجوع والبرد ، فلما لم
يقم أحد دعاني ، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني ، فقال : يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر
ماذا يفعلون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا ، قال فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل
بهم ما تفعل لا تقرّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش لينظر امرؤ من
جليسه . قال حذيفة فأخذت بيد الرجل الذى كان الى جنبى فقلت من أنت ؟ قال فلان ابن فلان ؛
ثم قال : يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع واخلف وأخلفتنا بنو
قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من شدة الريح ماترون ماتطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا
يستمسك لنا بناء فارتحلوا فأتى مرتحل ، ثم قام الى جماعة وهو مقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به

على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ولولا عهد رسول الله (ص) إلى لا يحدث شيئاً حتى تأتيني لقتلته بسهم . قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله (ص) وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مرحل فلما رأيته أدخلني إلى رجله وطرح عليّ طرف المرط ثم ركع وسجد وأنا فيه ؛ فلما سلم أخبرته الخبر . وممعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم ، وهذا منقطع من هذا الوجه . وقد روى هذا الحديث مسلم بن الحجاج في صحيحه من حديث الأعمش عن إبراهيم ابن يزيد النخعي عن أبيه قال : كنا عند حذيفة فقال له رجل : لو أدرت رسول الله (ص) قاتلت معه وأبليت ، فقال له حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول الله (ص) ليلة الأحزاب في ليلة ذات ریح شديدة وقر ، قال رسول الله (ص) : ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة ؟ فلم يجبه منا أحد ، ثم الثانية ثم الثالثة مثله . ثم قال : يا حذيفة قم فأتنا بخبر القوم ، فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم ، قال ائتنى بخبر القوم ولا تدعهم عليّ . قال فضيت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فاذا أبو سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهماً في كبدي قوسى وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله (ص) : لا تدعهم عليّ ، ولو رميته لأصبته ، فرجعت كأنما أمشي في حمام فأتيت رسول الله (ص) فأصابني البرد حين رجعت وقررت فأخبرت رسول الله (ص) وألبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها فلم أبرح نائماً حتى الصبح ، فلما أن أصبحت قال رسول الله (ص) : قم يا نومان !

وقد روى الحاكم والحافظ البيهقي في الدلائل هذا الحديث مبسوطاً من حديث عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلي عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة قال : ذكر حذيفة مشاهدم مع رسول الله (ص) فقال جلساءه : أما والله لو كنا شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا فقال حذيفة لا تمنوا ذلك لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعود وأبو سفيان ومن معه فوقنا وقرينة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا وما أنت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها في أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه فجعل المناقون يستأذنون النبي (ص) ويقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ويأذن لهم ويتسللون ونحن ثلاثمائة ونحو ذلك إذ استقبلنا رسول الله (ص) . (جلار جلا حتى أتى عليّ وما علىّ جنة من العدو ولا من البرد إلا مرط لا مرأتى ما يجاوز ركبتي قال : فأتاني وأنا جاث على ركبتي فقال : من هذا ؟ فقلت حذيفة فقال حذيفة ! فتقاصرت للارض فقلت : بلى يا رسول الله كراهية أن أقوم فقامت فقال انه كائن في القوم خبر فأتني بخبر القوم . قال : وأنا من أشد الناس فزعاً وأشدّهم قرأ قال : فخرجت فقال رسول الله (ص) : اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته ، قال فوالله

ما خلق الله فزعا ولا قرا في جوفى إلا خرج من جوفى فما أجد فيه شيئا . قال فلما وليت قال : يا حذيفة
لا تحدثن في القوم شيئا حتى تأتيني . قال : فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوء
نار لم توقد وإذا رجل أدم ضخم يقول بيديه على النار ويمسح خاصرته ويقول : الرحيل الرحيل
ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك فانتزعت سهما من كنانتي أبيض الريش فأضعه في كبدي قوسى
لأرميه به في ضوء النار فذكرت قول رسول الله (س) ، لا تحدثن فيهم شيئا حتى تأتيني فأمسكت
ورددت سهمي الى كنانتي ثم انى شجعت نفسي حتى دخلت العسكر فإذا أدنى الناس منى بنو عامر
يقولون : يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم . وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرا
فوالله انى لأسمع صوت الحجارة في رحالمهم وفرشهم الريح تضرب بها ثم انى خرجت نحو رسول الله
(س) ، فلما انتصفت بي الطريق أو نحو من ذلك إذا أنا بنحو من عشرين فارما أو نحو ذلك معتمين
فقالوا : أخبر صاحبك أن الله قد كفاه . قال فرجعت الى رسول الله (س) ، وهو مشتمل في ثملته يصلى
فوالله ما عدا أن رجعت راجعى القر وجعلت أقرقف فأومأ الى رسول الله (س) بيده وهو يصلى
فدنوت منه فأسبل على ثملته ؛ وكان رسول الله (س) ، إذا حزبه أمر صلى . فأخبرته خبر القوم ،
أخبرته أنى تركتهم يرحلون قال وأنزل الله تعالى [يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ
جاءكم جنود فارس لنا عليهم ريحا وجنود لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا] يعنى الآيات
كلها الى قوله [ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا] وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله
قويا عزيزا [أى صرف الله عنهم عدوهم بالريح التى أرسلها عليهم والجنود من الملائكة وغيرهم التى
بعثها الله اليهم وكفى الله المؤمنين القتال أى لم يحتاجوا الى منازلهم ومبارزتهم بل صرفهم القوى
العزیز بحوله وقوته . لهذا ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : كان رسول الله (س) ، يقول :
لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده فلا شئ بعده .
وفى قوله [وكفى الله المؤمنين القتال] إشارة الى وضع الحرب بينهم وبينهم وهكذا وقع ولم ترجع
قريش بعدها الى حرب المسلمين كما قال محمد بن اسحاق رحمه الله ، فلما انصرف أهل الخندق عن
الخندق قال رسول الله (س) ، فيما بلغنا : لن تغزوكم قريش بعد عامكم ولكنكم تغزونهم . قال : فلم
تغز قريش بعد ذلك وكان يغزوه بعد ذلك حتى فتح الله عليه مكة وهذا بلاغ من ابن اسحاق .
وقد قال الامام أحمد حدثنا يحيى عن سفيان حدثني أبو اسحاق سمعت سليمان بن صرد رضى الله
يقول قال رسول الله (س) : الآن تغزوه ولا يغزوتنا . وهكذا رواه البخارى من حديث إسرائيل
وسفيان الثورى كلاهما عن أبى اسحاق السبيعي عن سليمان بن صرد بن عبد الله قال ابن اسحاق : واستشهد
من المسلمين يوم الخندق ثلاثة من بنى عبد الاشهل وهم سعد بن معاذ - وستاق وفاته مبسوطة -

وأنس بن أوس بن عثك بن عمرو وعبد الله بن سهل والطفيل بن النعمان وثلعة بن غنمة الجشميان
السلمياني وكعب بن زيد النجاري أصابه سهم غرب قتلته قال : وقتل من المشركين ثلاثة وهم : منبه
ابن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فأت منه بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة
اقتحم الخندق بفرسه فتورط فيه قتل هناك وطلبوا جسده بشن كبير كما تقدم وعمر بن عبد ود
العامري قتلته على بن أبي طالب . قال ابن هشام : وحدثني الثقة أنه حدث عن الزهري أنه قال :
قتل على يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حسيل بن عمرو قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبدود ويقال
عمرو بن عبد

فصل في خروجه بنى قريظة

وما أحل الله تعالى بهم من البأس الشديد مع ما أعد الله لهم في الآخرة من العذاب الاليم
وذلك لكفرهم وقضهم اليهود التي كانت بينهم وبين رسول الله (س) ، ومما لآتهم الأحزاب
عليه فما أجدى ذلك عنهم شيئاً وبلوا بغضب من الله ورسوله والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة
وقد قال الله تعالى [ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان
الله قوياً عزيزاً * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيمهم وقذف في قلوبهم الرعب
فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها وكان الله على كل
شيء قديراً] . قال البخاري حدثنا محمد بن مقاتل حدثنا عبد الله حدثنا موسى بن عقبة عن
سالم ونافع عن عبد الله أن رسول الله (س) كان إذا قفل من الغزو والحج والعمرة يبدأ فيكبر ثم
يقول « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون تأيئون عابدون
ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده »

قال محمد بن اسحاق رحمه الله : ولما أصبح رسول الله (س) ، الله انصرف عن الخندق راجعاً الى
المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح ، فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله (س) كما حدثني
الزهري معجراً بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوقد وضعت
السلاح يا رسول الله ؟ قال نعم ، فقال جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن
إلا من طلب القوم ، ان الله يأمرك بالسير الى بنى قريظة ، فأنى عمد اليهم فزلزل بهم فأمر
رسول الله (س) مؤذناً فأذن في الناس : من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بنى قريظة .
قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

وقال البخارى : حدثني عبد الله بن أبي شيبه حدثنا ابن نمير عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت :
لما رجع النبي (س) من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال : قد وضعت السلاح والله
ما وضعناه ! فأخرج اليهم ، قال فالى أين ؟ قال هاهنا وأشار الى بنى قريظة ، فخرج النبي (س) .
وقال أحمد : وحدثنا حسن حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول
الله (س) لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل وجاء جبريل فرأيناه من خلل البيت قد
عصب رأسه الغبار ، فقال : يا محمد أوضعتم أسلحتكم ؟ فقال : وضعنا أسلحتنا فقال : انا لم نضع أسلحتنا
بعد انهذه الى بنى قريظة ، ثم قال البخارى : حدثنا موسى حدثنا جبريل بن حازم عن حميد بن هلال
عن أنس بن مالك قال : كأنى أنظر الى الغبار ساطعا في زقاق بنى غنم موكب جبريل حين سار رسول الله
(س) الى بنى قريظة . ثم قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد بن اسماء حدثنا جويرية بن اسماء
عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله (س) : يوم الأحزاب : « لا يصلين أحد العصر إلا في بنى
قريظة » فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي العصر حتى تأتيناها ، وقال بعضهم :
بل نصلي لم يرد منا ذلك . فذكر ذلك للنبي (س) فلم ينف واحدا منهم . وهكذا رواه مسلم عن عبد
الله بن محمد بن أسماء به . وقال الحافظ البيهقي : حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن
القاضي قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن خالد بن علي حدثنا بشر بن حرب
عن أبيه حدثنا الزهري أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك أن عمه عبيد الله
أخبره أن رسول الله (س) لما رجع من طلب الأحزاب وضع عند الأئمة واغتسل واستحم ،
فتبدي له جبريل عليه السلام فقال : عذرك من محارب ألا أراك قد وضعت الأئمة وما وضعناها
بعد ، قال فوثب النبي (س) ، فزعا فزعم على الناس أن لا يصلوا صلاة العصر إلا في بنى قريظة .
قال : فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بنى قريظة حتى غربت الشمس فاخضم الناس عند غروب
الشمس ، فقال بعضهم : ان رسول الله (س) عزم علينا أن لا نصلي حتى نأتي بنى قريظة فانما نحن
في عزيمة رسول الله (س) ، فليس علينا ثم وصلى طائفة من الناس احتسابا وتركوا طائفة منهم
الصلاة حتى غربت الشمس فصولها حين جاءوا بنى قريظة احتسابا فلم يعنف رسول الله (س) واحدا
من الفريقين . ثم روى البيهقي من طريق عبد الله العمري عن أخيه عبيد الله عن القاسم بن محمد
عن عائشة أن رسول الله (س) كان عندها فلم عينها رجل ونحن في البيت فقام رسول الله (س) .
فزعنا وقت في أثره فاذا بدحية الكلبى ، فقال : هذا جبريل أمرنى أن أذهب الى بنى قريظة
وقال : قد وضعتم السلاح لكننا لم نضع ، طلبنا المشركين حتى بلغنا حمراء الاسد وذلك حين رجع
رسول الله (س) من الخندق فقام رسول الله (س) ، فزعا وقال لاصحابه : عزمتم عليكم أن لا تصروا

صلاة العصر حتى تأتوا بني قريظة ، فغربت الشمس قبل أن يأتوهم ، فقالت طائفة من المسلمين : ان رسول الله (ص) لم يرد أن تدعوا الصلاة فصلوا ، وقالت طائفة : والله إنا لنرى عزيمة رسول الله (ص) ، وما علينا من إثم ، فصلت طائفة إيماناً واحتساباً وترك طائفة إيماناً واحتساباً ولم يعنف رسول الله (ص) واحداً من الفريقين . وخرج رسول الله (ص) فترجمجالس بينه وبين بني قريظة فقال هل مرّ بكم أحد ؟ فقالوا مرّ علينا دحية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج ، فقال ذلك جبريل أرسل الى بني قريظة ليترزلهم ويتدف في قلوبهم الرعب فحاصرهم النبي (ص) وأمر أصحابه أن يستروه بالجحف حتى يسمع كلامهم ، فناداهم يا اخوة القرية والخنزير . فقالوا : يا أبا القاسم لم تكن فحاشا ، فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ وكانوا حلفاء فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتبني ذراريهم ونسأوهم . ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها . وقد اختلف العلماء في المصيب من الصحابة يومئذ من هو ؟ بل الاجماع على أن كلا من الفريقين مأجور ومعنور غير معنف . فقالت طائفة من العلماء : الذين أخروا الصلاة يومئذ عن وقتها المقدّر لها حتى صلوها في بني قريظة هم المصيبون ، لأن أمرهم يومئذ بتأخير الصلاة خاص فيقدم على عموم الأمر بها في وقتها المقدّر لها شرعاً . قال أبو محمد بن حزم الظاهري في كتاب السيرة : وعلم الله أنا لو كنا هناك لم نصل العصر إلا في بني قريظة ولو بعد أيام . وهذا القول منه ماش على قاعدته الاصلية في الاخذ بالظاهر . وقالت طائفة أخرى من العلماء : بل الذين صلووا الصلاة في وقتها لما أدركتهم وهم في مسيرهم هم المصيبون لانهم فهموا أن المراد انما هو تعجيل السير الى بني قريظة لا تأخير الصلاة فعملوا بمقتضى الادلة الدالة على افضلية الصلاة في أول وقتها مع فهمهم عن الشارع ما أراد ، ولهذا لم يعنفهم ولم يأمرهم باعادة الصلاة في وقتها التي حولت اليه يومئذ كما يدعيه أولئك ، وأما أولئك الذين أخروا فعدوا بحسب ما فهموا ، وأكثر ما كانوا يؤمرون بالقضاء وقد فعلوه . وأما على قول من يجوز تأخير الصلاة لعذر القتال كما فيه البخري حيث احتج على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم في هذا فلا إشكال على من أخر ولا على من قدّم أيضاً والله أعلم

ثم قال ابن اسحاق : وقدّم رسول الله (ص) علي بن أبي طالب ومعه رايته وابتدراها الناس . وقال موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري : فبينما رسول الله (ص) في مقتله كما يزعمون قد رَجُل أحد شقيه أتاه جبريل على فرس عليه لأتمته حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز فخرج اليه رسول الله (ص) فقال له جبريل : غفر الله لك أو قد وضعت السلاح ؟ قال نعم . فقال جبريل : إكنا لم نضعه . منذ نزل بك العدو وما زلت في طلبهم حتى هزمهم الله — ويقولون ان علي وجه جبريل لأثر الغبار — فقال له جبريل : ان الله قد أمرك بقتال بني قريظة فأنا عامد اليهم بمن معي

من الملائكة نزلزل بهم الحصون فاخرج بالناس ، فخرج رسول الله (س) في أثر جبريل فمر على مجلس بني غنم وهم ينتظرون رسول الله (س) فسألهم فقال : مر عليكم فارس أنفا ؟ قالوا مر علينا دحية الكلبي على فرس أبيض تحته نمط أو قטיפه ديباج عليه اللأمة ، فذكروا أن رسول الله (س) قال : ذاك جبريل . وكان رسول الله (س) يشبه دحية الكلبي بجبريل ، فقال الخنوني ببني قريظة فصلوا فيهم المصير ، فقاموا وما شاء الله من المسلمين فانطلقوا الى بني قريظة فحانت صلاة العصر وهم بالطريق فذكروا الصلاة فقال بعضهم لبعض : ألم تعلموا أن رسول الله (س) أمركم أن تصلوا العصر في بني قريظة . وقال آخرون : هي الصلاة ، فصلي منهم قوم وأخرت طائفة الصلاة حتى صلوها في بني قريظة بعد أن غابت الشمس ، فذكروا لرسول الله (س) من عجل منهم الصلاة ومن أخرها فذكروا أن رسول الله (س) لم يعنف واحداً من الفريقين . قال فلصارأى علي بن أبي طالب رسول الله (س) مقبلاً تلقاه وقال : ارجع يا رسول الله فإن الله كافيك لليهود ، وكان علي قد سمع منهم قولاً سيئاً لرسول الله (س) ، وأزواجه رضى الله عنهن فكره أن يسمع ذلك رسول الله (س) ، فقال رسول الله (س) : لم تأمرني بالرجوع ؟ فكتمه ما سمع منهم فقال : أظنك سمعت فيهم منهم أذى فامض فإن أعداء الله لو رأوني لم يقولوا شيئاً مما سمعت ، فلما نزل رسول الله (س) بمحضرهم وكانوا في أعلاه نادى بأعلى صوته نفرأ من أشرافهم حتى أسمعهم فقال : أجيئوا يا معشر يهود يا أخوة القردة قد نزل بكم خزي الله عز وجل ، فخاصمهم رسول الله (س) ، بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة ورد الله حيي بن أخطب حتى دخل حصن بني قريظة وقذف الله في قلوبهم الرعب واشتد عليهم الحصار فصرخوا بأبي لبابة بن عبد المنذر — وكانوا حلفاء الانصار — فقال أبو لبابة لآتيهم حتى يأذن لي رسول الله (س) ، فقال له رسول الله (س) : قد أذنت لك ، فأتم أبو لبابة فبكوا اليه وقالوا : يا أبا لبابة ماذا ترى وماذا تأمرنا فانه لا طاقة لنا بالقتال ، فأشار أبو لبابة بيده الى حلقة وأمر عليه اصابعه ، يريهم إنما يراد بهم القتل . فلما انصرف أبو لبابة سقط في يده ورأى أنه قد أصابته فتنة عظيمة فقال والله لا أنظر في وجه رسول الله (س) حتى أحدث الله توبة نصوحا يعلمها الله من نفسي ، فرجع الى المدينة فربط يديه الى جذع من جذوع المسجد . وزعموا أنه ارتبط قريباً من عشرين ليلة ، فقال رسول الله (س) : حين غاب عليه أبو لبابة : أما فرغ أبو لبابة من حلفائه ، فذكر له ما فعل ؟ فقال : لقد أصابته بعدى فتنة ولو جاءني لاستغفرت له وإذا قد فعل هذا فلن أحرکه من مكانه حتى يقضى الله فيه ما يشاء . وهكذا رواه ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة وكذا ذكره محمد بن اسحاق في مغازيه في مثل سياق موسى بن عقبة عن الزهري ومثل رواية أبي الاسود عن عروة . قال ابن اسحاق ونزل رسول الله (س) على بئر من آبار بني قريظة

من ناحية أموالهم يقال لما بثر أنى فحاصرم خساو عشرين ليلة حتى جهدم الحصار وقنف في قلوبهم
 الرعب وقد كان حيي بن أخطب دخل معهم حصنهم حين رجعت عنهم قریش و غطفان وفاء
 لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه فلما أيقنوا أن رسول الله (س) غير منصرف عنهم حتى
 يناجزهم قال كعب بن أسد: يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وأنى عارض عليكم
 خلا لا ثلاثا نخفوا بما شقتم منها. قالوا وما هن؟ قال: تتابع هذا الرجل ونصده فوالله لقد تبين
 لكم أنه نبي مرسل وأنه للذي تعبدونه في كتابكم فتأمنون به على دماءكم وأموالكم وأبنائكم
 ونسائكم. قالوا: لانفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره. قال فاذا أيتم على هذه فمهلنقتل
 أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجلا مصليتين بالسيوف لم نترك وراءنا قتلا حتى يحكم
 الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه وان نظهر فلمعمرى لنجدن
 النساء والابناء. قالوا: أقتل هؤلاء المساكين؟ فما خير العيش بعدهم؟ قال: فان أيتم على هذه فالليلة
 ليلة السبت وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه
 غرة. قالوا أنفسد سببتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت فاصابه ما لم يخف
 عنك من المسخ فقال: ما بات رجل منكم منذ ولادته أمه ليلة من الدهر حازماً. ثم انهم بعثوا الى رسول
 الله (س) أن ابث الينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الاوس نستشير
 في أمرنا. فارسله رسول الله (س)، فلما راوه قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان ليكون
 في وجهه فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى أن نزل على حكم محمد؟ قال: نعم. وأشار بيده الى خلقه
 أنه الذبح قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله.
 ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله (س) حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده
 وقال: لا أبرح مكافى حتى يتوب الله على مما صنعت. وعاهد الله أن لا أظلم بني قريظة أبداً ولا أرى
 في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً. قال ابن هشام وأنزل الله فيما قال سفيان بن عيينه عن اسماعيل
 ابن أبي خالد عن عبد الله بن أبي قتادة [يا أيها الذين آمنوا لا تخفوا الله والرسول وتخفوا
 أماناتكم وأنتم تعلمون]. قال ابن هشام: أقام مرتبطاً ست ليال تأتبه امرأته في وقت كل صلاة
 فتحله حتى يتوضأ ويصلى ثم يرتبط حتى نزلت توبته في قوله تعالى [وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا
 عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم]. وقول موسى بن عقبة
 انه مكث عشرين ليلة مرتبطاً به والله أعلم. وذكر ابن اسحاق أن الله أنزل توبته على رسوله من
 آخر الليل وهو في بيت أم سلمة فجعل يبتسم فسألته أم سلمة فأخبرها بتوبة الله على أبي لبابة
 فاستأذنته أن تبشره فاذن لها فخرجت فبشرته فثار الناس اليه يبشرونه وأرادوا أن يحلوه من

رابطه فقال والله لا يخلني منه إلا رسول الله (ص)، فلما خرج رسول الله (ص) إلى صلاة الفجر حاه من رابطته رضى الله عنه وأرضاه. قال ابن اسحاق ثم إن ثعلبة بن سمية واسيد بن سمية وأسد بن عبيد وهم نفر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا في تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله (ص)، وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي فربح رسول الله (ص). وعليهم محمد بن مسلمة تلك الليلة فلما رآه قال من هذا؟ قال أنا عمرو ابن سعدى. وكان عمرو قد أبي أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله (ص)، وقال لا اغدر بمحمد أبداً. فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمي أقاله عنرات الكرام، ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله (ص)، بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب لم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا فذكر شأنه لرسول الله (ص)، فقال: ذاك رجل نجاه الله بوفائه. قال وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة فاصبحت رمته ملقاة ولم يدر أين ذهب فقال رسول الله (ص): بغيه تلك المقالة والله أعلم أي ذلك كان. قال ابن اسحاق فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله (ص)، فتو ائبت الاوس فقالوا: يا رسول الله انهم كانوا والينا دون الخزرج وقد فعلت في موالى اخواننا بالامس ما قد علمت يمتنون عفوه عن بني قينقاع حين سأله فيهم عبد الله ابن أبي كما تقدم. قال ابن اسحاق فلما كلمته الاوس قال رسول الله (ص): يا معشر الاوس ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا بلى. قال فذلك إلى سعد بن معاذ وكان رسول الله (ص)، قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها ربيعة في مسجده وكانت تداوى الجرحى فلما حكمه في بني قريظة أتاه قومه فخلعوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من آدم وكان رجلا جسيما جميلا ثم أقبلوا معه إلى رسول الله (ص)، وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك فان رسول الله (ص)، انما ولاك ذلك لتحسن فيهم. فلما أكثروا عليه قال: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم. فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل اليهم سعد عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد إلى رسول الله (ص)، والمسلمين قال رسول الله (ص)، قوموا إلى سيدكم فأما المهاجرون من قريش فيقولون انما أراد الانصار واما الانصار فيقولون قد عم رسول الله (ص)، المسلمين فقاموا إليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله (ص)، قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم لما حكمت قالوا نعم قال وعلى من هاهنا في الناحية التي فيها رسول الله (ص)، هو معرض عن رسول الله (ص)، اجلالا له فقال رسول الله (ص)، نعم قال سعد فاني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبي الذراري والنساء. قال ابن اسحاق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص

الليثي قال قال رسول الله (س)، لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة . وقال ابن هشام
 حدثني من أثنى به من أهل العلم أن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة يا كتيبة الإيمان
 وتقدم هو والزبير بن العوام وقال والله لأذوقن مذاق حمزة أو اقتحم حصنهم فقالوا يا محمد نزل على
 حكم سعد بن معاذ . وقد قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سعد بن ابراهيم سمعت
 أبا امامة بن سهل سمعت أبا سعيد الخدري قال نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ قال فأرسل
 رسول الله (س)، الى سعد فأتاه على حمار فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله (س)، : قوموا
 اسيدكم أو خيركم . ثم قال ان هؤلاء نزلوا على حكمك قال تقتل مقاتلتهم ونسبي ذريتهم قال فقال
 رسول الله (س)، قضيت بحكم الله . وربما قال قضيت بحكم الملك وفي رواية الملك . أخرجاه في
 الصحيحين من طرق عن شعبة وقال الامام أحمد حدثنا حجين ويونس قال حدثنا الليث بن سعد
 عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله انه قال رمى يوم الاحزاب سعد بن معاذ فقطعوا أ كحله فحسمه
 رسول الله (س)، بالنار فانتفخت يده فتزفه فحسمه أخرى فانتفخت يده فتزفه فلما رأى ذلك قال
 اللهم لا تخرج نفسي حتى تفر عيني من بني قريظة فاستمسك عرقه فما قطر قطرة حتى نزلوا على حكم
 سعد فأرسل اليه فحكم أن تقتل رجالهم وتسبي نساؤهم وذرايرهم يستعين بهم المسلمون فقال رسول
 الله (س)، أصبت حكم الله فيهم وكانوا أربعمائة . فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات . وقد رواه
 الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن الليث به وقال الترمذي حسن صحيح . وقال الامام أحمد حدثنا
 ابن نمير عن هشام أخبرني أبي عن عائشة قالت لما رجع رسول الله (س)، من الخندق ووضع السلاح
 واغتسل فأتاه جبريل وعلى رأسه الغبار فقال قد وضعت السلاح فوالله ما وضعتها أخرج اليهم . قال
 رسول الله (س)، فأين قال هاهنا وأشار الى بني قريظة ففرج رسول الله (س)، اليهم . قال هشام
 فأخبرني أبي انهم نزلوا على حكم النبي (س)، فرد الحكم فيهم الى سعد قال فإني أحكم أن تقتل
 المقاتلة وتسبي النساء والذرية وتقسم أموالهم . فقال هشام قال أبي فأخبرت أن رسول الله (س)، قال
 لقد حكمت فيهم بحكم الله . وقال البخاري حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا
 هشام عن أبيه عن عائشة قالت أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له حبان بن
 العروة رماه في الاكل فضرب النبي (س)، خيمة في المسجد ليعوده من قريب فلما رجع رسول
 الله (س)، من الخندق وضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وهو ينفذ رأسه من الغبار فقال قد
 وضعت السلاح والله ما وضعتها أخرج اليهم . قال النبي (س)، فأين فأشار الى بني قريظة فأتاهم رسول
 الله (س)، فأنزلوا على حكمه فرد الحكم الى سعد قال فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبي
 النساء والذرية وأن تقسم أموالهم قال هشام فأخبرني أبي عن عائشة أن سعداً قال اللهم انك تعلم انه

ليس أحد أحب إلى أن أجاهدكم فيكم من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه اللهم فاني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فان كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدكم فيكم وإن كنت وضعت الحرب فأفجرها واجعل موتى فيها. فانفجرت من لبته فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار الا الدم يسيل اليهم فقالوا يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم فاذا سعد يغتو جرحه دمًا فمات منها . وهذا رواه مسلم من حديث عبد الله بن نعيم به . قلت كان دعا أولا بهذا الدعاء قبل أن يحكم في بني قريظة ولهذا قال فيه ولا تمنني حتى تفر عيني من بني قريظة فاستجاب الله له فلما حكم فيهم وأقر الله عينه أي قرار دعا ثانيًا بهذا الدعاء فجعلها الله له شهادة رضى الله عنه وأرضاه . وسبأني ذكر وفاته قريبًا ان شاء الله . وقد رواه الامام أحمد من وجه آخر عن عائشة مطولا جدا وفيه فوائد فقال حدثنا يزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال أخبرني عائشة قالت خرجت يوم اخذندق أقنوا الناس فسمعت وئيد الارض ورأيت فاذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل بحنه ، قالت فجلست الى الارض فرسعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه فانا أتخوف على أطراف سعد ، قالت وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم فرو هو يرتجز ويقول :

لَبَّثَ قَلِيلًا يَذْكُرُ الْهَيْجَا جَلُّ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

قالت : فقميت فالتحمت حديقة فاذا نفر من المسلمين فاذا فيها عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه سبعة له تعني المغفر فقال عمر : ما جاء بك والله انك لجريئة وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوز فما زال يلومني حتى تمنيت أن الارض فتحت ساعتئذ فدخلت فيها فرفع الرجل السبعة عن وجهه فاذا هو طلحة بن عبيد الله فقال : يا عمر ويحك انك قد أكثرت منذ اليوم وأين التحوز أو الفرار الا الى الله عز وجل . قالت : ويرمي سعدا رجل من قريش يقال له ابن العروة وقال خذها وأنا ابن العروة فاصاب أكحله فقطعه فدعا الله سعد فقال : اللهم لا تمنني حتى تفر عيني من بني قريظة قالت وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية قالت فرقا كلمو بعث الله الرمح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا . فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة ، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد ، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيمهم ورجع رسول الله (س) الى المدينة وأمر بقبة من آدم ف ضربت على سعد في المسجد قالت : فجاء جبريل وان على ثنائه لنقع الغبار فقال : أقد وضعت السلاح لا والله ما وضعت الملائكة السلاح بعد ، أخرج الى بني قريظة فقاتلهم . قالت : فلبس رسول الله (س) لأمته وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا فمر على بني غنم ، وهم جيران المسجد حوله فقال : من مر بكم ؟ قالوا : مر بنا دحية الكلابي - وكان دحية الكلابي تشبه لحية وسنه ووجهه

جبريل عليه السلام - فاتاهم رسول الله (س) فخاصهم خمسا وعشرين ليلة فلما اشتد حصرهم واشتد
 البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله (س) فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر فاشار اليهم أنه
 الذبح قالوا فنزل على حكم سعد بن معاذ فقال رسول الله (س) انزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فأتى
 به على حمار عليه اكاف من ليف قد حمل عليه وحف به قومه فقالوا يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك
 وأهل النكابة ومن قد علمت قالت ولا يرجع اليهم شيئا ولا ينفق اليهم حتى اذا دنا من دورهم التفت
 الى قومه فقال : قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم . قالت : قال أبو سعيد : فلما طلع قال رسول
 الله (س) : قوموا الى سيدكم فانزلوه قال عمر : سيدنا الله ، قال : انزلوه ، فانزلوه . قال رسول الله
 (س) : أحكم فيهم ، فقال سعد : فأتى أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسي ذراريهم وتقسيم أموالهم
 فقال رسول الله (س) : لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله ثم دعا سعد فقال : اللهم إن كنت
 أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئا فأبقني لها وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فأقبضني اليك
 قالت : فانفجر كله وكان قد برئ حتى لا يرى منه الا مثل الخرص ورجع الى قبته التي ضرب عليها رسول
 الله (س) قالت عائشة : فحضره رسول الله (س) وأبو بكر وعمر قالت : فوالذي نفس محمد بيده أتى
 لا عرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي وكانوا كما قال الله «رحمنا بينهم» قال علقمة : فقلت
 يا أمه فكيف كان رسول الله (س) يصنع ؟ قالت : كانت عينه لا تسمع على أحد ولكنه كان
 اذا وجد قائما هو أخذ بلحيته . وهذا الحديث إسناده جيد وله شواهد من وجوه كثيرة ، وفيه
 التصريح بدعاء سعد مرتين مرة قبل حكمه في بني قريظة ومرة بعد ذلك كما قلناه أولا والله الحمد والمنة
 وسند ذكر كيفية وفاته ودفنه وفضله في ذلك رضى الله عنه وأرضاه بعد فراغنا من القصة . قال ابن
 اسحاق : ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله (س) بالمدينة في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار
 قلت : هي نسيبة ابنة الحارث بن كرز بن حبيب بن عبد شمس وكانت تحت مسيلة الكذاب ثم
 خلف عليها عبد الله بن عامر بن كرز ، ثم خرج (س) الى سوق المدينة فحدث بها خنادق ثم بعث اليهم
 فضرب أعناقهم في تلك الخنادق فخرج بهم اليه ارسالا وفيهم عدو الله حيي بن أخطب وكعب بن
 أسد رأس القوم وهم ستائة أو سبعمائة . والمكثر لهم يقول كانوا ما بين الثمانمائة والتسمائة .
 قلت : وقد تقدم فيما رواه الليث عن أبي الزبير عن جابر أنهم كانوا أربعمائة فالله أعلم . قال ابن
 اسحاق : وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم الى رسول الله (س) ارسالا : يا كعب ما نراه
 يصنع بنا ؟ قال : أتى كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداعي لا يتزعج ومن ذهب به منكم لا يرجع هو والله
 القتل . فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم وأتى بجي بن أخطب وعليه حلة له فقاخية ^(١) قد شقها

(١) قال ابن هشام «فقاخية : ضرب من الوشي» .

عليه من كل ناحية قدر أتملة لثلاث يسلبها مجموعة يدها الى عنقه بحبل . فلما نظر الى رسول الله (س) قال :
 أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل . ثم أقبل على الناس فقال : أيها
 الناس ، انه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني اسرائيل . ثم جلس فضربت
 عنقه ، فقال جبل بن جبرال الثعلبي :

لعمرك ما لأم ابنُ أخطَبِ نفسه ولكنه منْ يخْذِلُ اللهُ يخْذِلُ
 لجاهدْ حتى أبْلغَ النفسَ عَذْرَها وقلْقلْ يَبْغِي العِزَّ كلَّ مقلْقل

وذكر ابن اسحاق قصة الزبير بن باطا وكان شيخا كبيرا قد عمى وكان قد من يوم بعث على
 ثابت بن قيس بن شماس وجز ناصيته فلما كان هذا اليوم أراد أن يكافئه فجاهه فقال : هل تعرفني
 يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : وهل يجهل مثلي مثلك فقال له ثابت أريد أن أكاذك فقال : ان الكريم
 يجرى الكريم فذهب ثابت الى رسول الله (س) فاستطلقه فاطلقه له ثم جاءه فأخبره فقال شيخ كبير
 لا أهل ولا ولد فما يصنع بالحياة فذهب الى رسول الله (س) فاستطلق له امرأته وولده فاطلقهم له ثم
 جاءه فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما يباؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت الى رسول الله (س) فاستطلق
 مال الزبير بن باطا فاطلقه له ثم جاءه فأخبره فقال له يا ثابت ما فعل الذي كان وجهه امرأة صينية
 تتراءى فيها عذارى حي كعب بن أسد ؟ قال : قتل . قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى حي بن
 أخطب ؟ قال قتل ، قال : فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا فررنا : عزال بن شموال ؟ قال :
 قتل . قال فما فعل المجلسان ؟ - يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة - قال : ذهبوا
 قتلوا ، قال فأتى أسالك يا ثابت يدي عندك إلا ألحقنى بالقوم فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير
 فما أنا بصابر لله فيلة دلو ناضح حتى ألقى الأحبة ، فقدمه ثابت فضربت عنقه ، فلما بلغ أبا بكر
 الصديق قوله « ألقى الاحبة » قال « يلقاهم والله فى نار جهنم خالداً فيها مخلداً » قال ابن اسحاق « فيلة »
 بالفاء والياء المثناة من أسفل وقال ابن هشام بالقاف والياء الموحدة . وقال ابن هشام : الناضح البعير
 الذى يستقى عليه الماء لسقى النخل ، وقال أبو عبيدة : معناه افراغة دلو .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله (س) قد أمر بقتل كل من انبت منهم . فحدثني شعبة بن
 الحجاج عن عبد الملك بن عمير عن عطية القرظى قال : كان رسول الله (س) قد أمر أن يقتل من بنى
 قريظة كل من انبت منهم وكنت غلاماً فوجدوني لم انبت نخلاً سبيلى . وزواد أهل السنن الاربعة
 من حديث عبد الملك بن عمير عن عطية القرظى نحوه . وقد استدل به من ذهب من العلماء الى أن
 انبت الشعر الخشن حول الفرج دليل على البلوغ بل هو بلوغ فى أصح قولى الشافعى . ومن العلماء
 من يفرد بين ضبيان أهل الامة يسكون بلوغاً فى حتمهم دون غيرهم لان المسلم قد يتأذى بذلك

لمقصود . وقد روى اسحاق عن أيوب بن عبد الرحمن أن سلمى بنت قيس أم المنذر استطلقت من رسول الله (ص) ، رفاعة بن شموال ، وكان قد بلغ فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك فأطلقه لها ، وكانت قالت : يا رسول الله ان رفاعة يزعم أنه سيصلى ويأكل لحم الجمل . فأجابها الى ذلك فأطلقه . قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت : لم يقتل من نساءهم إلا امرأة واحدة ، قالت والله أنها لعندي تحدث معي تضحك ظهراً وبطناً ورسول الله (ص) يقتل رجالها في السوق إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة ؟ قالت أنا والله ، قالت قلت لها : ويلك مالك ؟ قالت أقتل ! قلت ولم ؟ قالت : لحث أحدثته ، قالت فانطلق بها فضربت عنقها ، وكانت عائشة تقول فوالله ما أنسى عجيباً منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل . وهكذا رواه الامام أحمد عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن محمد بن اسحاق به . قال ابن اسحاق : هي التي طرحت الرجا على خلاد بن سويد قتلته ، يعني قتلها رسول الله (ص) به . قال ابن اسحاق : في موضع آخر وسماها نباتة امرأة الحكم القرظي . قال ابن اسحاق : ثم ان رسول الله (ص) قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعد ما أخرج الخنس ، وقسم للفارس ثلاثة أسهم سهمين للفارس وسهماً لراكبه وسهماً للراجل ، وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثين . قال وكان أول في وقت فيه السهمان وخمس . قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله (ص) سعيدين زيد بسبايا من بني قريظة الى نجد فابتاع بها خيلاً وسلاحاً . وكان رسول الله (ص) قد اصطفى من نساءهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة وكان عليها حتى توفى عنها وهي في ملكه ، وقد كان رسول الله (ص) عرض عليها الاسلام فامتنعت ثم أسلمت بعد ذلك فسر رسول الله (ص) باسلامها وقد عرض عليها أن يعتمها ويتزوجها فاختارت أن تستمر على الرق ليكون أسهل عليها فلم تزل عنده حتى توفى عليه الصلاة والسلام ، ثم تكلم ابن اسحاق على ما نزل من الآيات في قصة الخنشق من أول سورة الاحزاب ، وقد ذكرنا ذلك مستقصى في تفسيرها والله الحمد والمنة . وقد قال ابن اسحاق : واستشهد من المسلمين يوم بني قريظة خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجي طرحت عليه رجا فشدخته شدة شديداً فزعموا أن رسول الله (ص) قال : « إن له لأجر شهيدين . قلت : كان الذي ألقى عليه الرجا تلك المرأة التي لم يقتل من بني قريظة امرأة غيرها كما تقدم والله أعلم . قال ابن اسحاق : ومات أبو سنان بن محصن بن حرنان من بني أسد بن خزيمه ورسول الله (ص) محاصر بني قريظة فدفن في مقبرتهم اليوم

وفاة سعد بن زيد بن عبد الله

قد تقدم أن حبان بن العروة لعنه الله رماه بسهم فأصاب أ كحلته ، خسمه رسول الله (ص) ، كياً بالنار فاستمسك الجرح ، وكان سعد قد دعا الله أن لا يميته حتى يقر عينه من بني قريظة ،

وذلك حين نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله (س)، من العهد والمواثيق والذمام ومالوا عليه مع الأحزاب ، فلما ذهب الأحزاب وانقشعوا عن المدينة وباءت بنو قريظة بسواد الوجه والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة وسار اليهم رسول الله (س)، ليحاصرهم كما تقدم فلما ضيق عليهم وأخذهم من كل جانب أنابوا أن ينزلوا على حكم رسول الله (س)، فيحكم فيهم بما أراه الله فرد الحكم فيهم إلى رئيس الأوس وكانوا حلفاءهم في الجاهلية وهو سعد بن معاذ فرضوا بذلك ويقال بل نزلوا ابتداءً على حكم سعد لما يرجون من حنوه عليهم وإحسانه وميله اليهم ولم يعلموا بأنهم أبغض إليه من أعدادهم من القردة والخنازير لشدة إيمانه وصدقته رضي الله عنه وأرضاه ، فبعث إليه رسول الله (س)، وكان في خيمة في المسجد النبوي فجئ به على حمار تحته اكاف قد وطئ تحته لمرضه ولما قارب خيمة الرسول (س)، أمر عليه السلام من هناك بالقيام له قبل لينزل من شدة مرضه ، وقبل توقيراً له بمحضرة المحكوم عليهم ليكون أبلغ في نفوذ حكمه والله أعلم ، فلما حكم فيهم بالقتل والسبي وأقر الله عينه وشفى صدره منهم وعاد إلى خيمته من المسجد النبوي صحبة رسول الله (س)، دعا الله عز وجل أن تكون له شهادة واختار الله له ما عنده فأنفجر جرحه من الليل فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات رضي الله عنه . قال ابن اسحاق : فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيداً . حدثني معاذ بن رفاعة الزرقى قال حدثني من شئت من رجال قومي : أن جبريل أتى رسول الله (س)، حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من استبرق فقال : يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ قال فقام رسول الله (س)، سريعاً يجر ثوبه إلى سعد فوجده قد مات رضي الله عنه ، هكذا ذكره ابن اسحاق رحمه الله . وقد قال الحافظ البيهقي في الدلائل : حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا أبي وشعيب بن الليث قالا : حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن الهاد عن معاذ بن رفاعة عن جابر بن عبد الله قال : جاء جبريل إلى رسول الله (س)، فقال : من هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش ؟ قال فخرج رسول الله (س)، فإذا سعد بن معاذ ، قال فجلس رسول الله (س)، على قبره وهو يدفن ، فبينما هو جالس إذ قال « سبحان الله » مرتين ، فسيح القوم ، ثم قال « الله أكبر » فكبّر القوم ، ثم قال رسول الله (س)، « عجبت لهذا العبد الصالح شدد عليه في قبره حتى كان هذا حين فرج له »

وروى الامام احمد والنسائي من طريق يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ويحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة عن جابر قال قال رسول الله (س)، لسعد يوم مات وهو يدفن : سبحان الله لهذا

الصالح الذي تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء شدد عليه ثم فرج الله عنه . وقال
 محمد بن اسحاق : حدثني معاذ بن رفاعه عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجوح عن جابر بن
 عبد الله قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله .^(١) سمع رسول الله .^(٢) فسبح الناس معه ثم كبر
 فكبر الناس معه فقالوا يا رسول الله مم سبحت ؟ قال لقد تضايقت على هذا العبد الصالح قبره حتى
 فرج الله عنه . وهكذا رواه الامام احمد عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن اسحاق به
 قال ابن هشام ومجاز هذا الحديث قول عائشة قال رسول الله .^(٣) ان للقبر ضمة لو كان أحد منها ناجيا
 لكان سعد بن معاذ . قلت : وهذا الحديث قد رواه الامام احمد حدثنا يحيى عن شعبة عن سعد
 ابن ابراهيم عن نافع عن عائشة عن النبي .^(٤) قال : ان للقبر ضغطة ولو كان أحد ناجيا منها لنجا
 سعد بن معاذ . وهذا الحديث سنده على شرط الصحيحين إلا أن الامام احمد رواه عن غندر عن
 شعبة عن سعد بن ابراهيم عن انسان عن عائشة به ورواه الحافظ البزار عن نافع عن ابن عمر قال :
 حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا داود عن عبد الرحمن حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال :
 قال رسول الله .^(٥) لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون الف ملك الى الارض لم يهبطوا قبل
 ذلك ولقد ضمه القبر ضمة . ثم بكى نافع . وهذا اسناد جيد لكن قال البزار رواه غيره عن عبيد الله
 عن نافع مرسل ثم رواه البزار عن سليمان بن سيف عن أبي عتاب عن مكين بن عبد الله بن
 عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله .^(٦) لقد نزل لموت سعد
 ابن معاذ سبعون الف ملك ما وطئ الارض قبليها وقال حين دفن سبحان الله لو انفلت أحد من
 ضغطة القبر لانفلت منها سعد وقال البزار حدثنا اسماعيل بن حفص عن محمد بن فضيل حدثنا عطاء
 ابن السائب عن مجاهد عن ابن عمر قال اهتز العرش لحب لقاء الله سعد بن معاذ فقبل انما يعني السرير
 ورفع أبو به على العرش قال تفتحت أعواده قال : ودخل رسول الله .^(٧) قبره فاحتبس فلما خرج
 قيل له يا رسول الله ما حبسك قال ضم سعد في القبر ضمة فدعوت الله فكشف عنه قال البزار تفرد
 به عطاء بن السائب . قلت : وهو متكلم فيه . وقد ذكر البيهقي رحمه الله بعد روايته ضمة سعد
 رضى الله عنه في القبر أثرًا غريبًا فقال حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس حدثنا احمد
 ابن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن اسحاق حدثني أمية بن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد
 ما بلغكم من قول رسول الله .^(٨) في هذا ؟ فقالوا اذكر لنا أن رسول الله .^(٩) سئل عن ذلك فقال :
 كئن يقصر في بعض الطهور من البول . وقال البخاري حدثنا محمد بن المثنى حدثنا الفضل بن
 مساور حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال : سمعت النبي .^(١٠) يقول : اهتز
 العرش لموت سعد بن معاذ . وعن الاعمش حدثنا أبو صالح عن جابر عن النبي .^(١١) مثله فقال رحل الحمار
 فان البراء بن عازب يقول : اهتز السرير انه كان بين هذين الأخيين ضغائن سمعت النبي .^(١٢) قول .

اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ ورواه مسلم عن عمرو الناقد عن عبد الله بن ادریس وابن
 ماجه عن علي بن محمد عن أبي معاوية كلاهما عن الأعمش به وليس عندهما زيادة قول الأعمش عن
 أبي صالح عن جابر وقال احمد حدثنا عبد الرزاق عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن
 عبد الله يقول سمعت رسول الله (س) يقول وجنزة سعد بن معاذ بين أيديهم اهتز لها عرش الرحمن
 ورواه مسلم عن عبد بن حميد والترمذي عن محمود بن غيلان كلاهما عن عبد الرزاق به وقال الامام
 احمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عوف حدثنا أبو نضرة سمعت أبا سعيد عن النبي (س) اهتز
 العرش لموت سعد بن معاذ . ورواه النسائي عن يعقوب بن ابراهيم عن يحيى به وقال احمد حدثنا
 عبد الوهاب عن سعيد قال قتادة حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله (س) قال وجنزة تموضوعة
 اهتز لها عرش الرحمن ورواه مسلم عن محمد بن عبد الله الأزدي عن عبد الوهاب به وقد روى البيهقي
 من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحسن البصري قال اهتز عرش الرحمن فرحاً بروحه .
 وقال الحافظ البزار حدثنا زهير بن محمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس قال
 لما حلت جنازة سعد قال المناقبون ما أخف جنازة توذلك لحكمه في بني قريظة فسل رسول الله (س) .
 فقال لا ولكن الملائكة تحمله اسناد جيد . وقال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر
 حدثنا شعبة عن أبي اسحاق سمعت البراء بن عازب يقول أهديت للنبي (س) حلة حرير فجعل
 أصحابه يمسونها ويمسونها من لينها فقال أتعجبون من لين هذه لمناديل سعد بن معاذ خير منها
 أو ألين ثم قال رواه قتادة والزهرى سمعنا أنسا عن النبي (س) . وقال احمد حدثنا عبد الوهاب عن
 سعيد هو ابن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن أكيمة دومة أهدى الى رسول الله (س) .
 جبة وذلك قبل أن ينهى عن الحرير فلبسها فعجب الناس منها فقال والذي نفسي بيده لمناديل
 سعد في الجنة أحسن من هذه . وهذا اسناد على شرط الشيخين ولم يخرجه وإنما ذكره البخاري
 تعليقا وقال احمد حدثنا يزيد حدثنا محمد بن عمرو حدثني واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ قال
 محمد وكان واقد من أحسن الناس وأعظمهم وأطولهم قال دخلت على أنس بن مالك فقال لي من
 أنت ؟ قلت أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ فقال أفك بسعد لشبيه ثم بكى وأكثر البكاء وقال
 رحمة الله على سعد كان من أعظم الناس وأطولهم ثم قال بعث رسول الله (س) جيشاً الى أكيمة
 دومة فأرسل الى رسول الله (س) بحجة من ديباج منسوج فيها الذهب فلبسها رسول الله (س) . فقام
 على المنبر وجلس فلم يتكلم ثم نزل فجعل الناس يلمسون الجبة وينظرون اليها فقال رسول الله (س) .
 أتعجبون منها لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن مما ترون . وهكذا رواه الترمذي والنسائي من
 حديث محمد بن عمرو به وقال الترمذي حسن صحيح . قال ابن اسحاق بعد ذكر اهتزاز العرش لموت سعد

ابن معاذ وفي ذلك يقول رجل من الانصار :

وما اهتز عرشُ الله من موتِ هالكٍ ممحاه به إلا لسعد أبي عمرو

قال : وقالت أمه يعني كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة الخدرية الخزرجية حين احتمل سعد على نفسه تنديه :

ويل أم سعدٍ سعدا صرامةً وحداً
وسؤداً ومجداً وفارساً مُعْداً
سداً به مسداً يقدها ما قدأ

قال : يقول رسول الله (ص) : « كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ » قلت : كانت وفاته بعد انصراف الاحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة ، اذ كان قدوم الاحزاب في شوال سنة خمس كما تقدم فاقاموا قريباً من شهر ثم خرج رسول الله (ص) لحصار بني قريظة فاقام عليهم خمساً وعشرين ليلة ، ثم نزلوا على حكم سعد فمات بعد حكمه عليهم بقليل فيكون ذلك في أواخر ذي القعدة أو أوائل ذي الحجة من سنة خمس والله أعلم . وهكذا قال محمد بن اسحاق : ان فتح بني قريظة كان في ذي القعدة وصدر ذي الحجة قال : وولى تلك الحجة المشركون . قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت يرثي سعد بن معاذ رضى الله عنه :

لقد سجت من دمع عيني عبدة وحق لعيني أن تفيض على سعد
قتيل ثوى في معركة جعت به عيون ذواري الدمع دأمة الوجد
على ملّة الرحمن وارث جنة مع الشهداء وقدها أكرم الوفد
فان تك قد وعدتنا وتركتنا وأمسيت في غرباء مظلمة اللحد
فأنت الذي ياسعد أبت بمشهد كريم وأثواب المكارم والمجد
بحكمك في حيي قريظة بالذي قضى الله فيهم ما قضيت على عمد
فوافق حكم الله حكمك فيهم ولم تمفأ اذ كرت ما كان من عهد
فان كان ريب الدهر أمضاك في الألى شروا هذه الدنيا بجناتها الخلد
فتم مصير الصادقين اذا دُعوا الى الله يوماً للوجه والقصد

فصل اللّٰهُ شَعَارِي فِي الْخَيْرِ وَبَنِي قُرَيْظَةَ

قال البخاري : حدثنا حجاج بن منهال حدثنا شعبة حدثنا عدي بن ثابت أنه سمع البراء بن عازب قال قال النبي (ص) : الحسن : اجمعهم أو هاجهم وجبريل معك . قال البخاري : وزاد ابراهيم بن طهمان عن الشيباني عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال قال النبي (ص) : يوم قريظة لحسان بن ثابت : أجمع المشركين فان جبريل معك . وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم والنسائي من طرق عن شعبة بدون الزيادة التي ذكرها البخاري يوم بني قريظة . قال ابن اسحاق رحمه الله : وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر في يوم الخندق (قلت : وذلك قبل اسلامه) :

وَمُشَقَّةٌ تَطْنُ بَنِي الظَّنُونَا	وَقَدْ قُذْنَا عَرْنَدَسَةَ طَحُونَا
كَأَنَّ زَهَامَهَا أَخَذَ إِذَا مَا	بَدَتْ أَرْكَانُهُ لِلنَّاطِرِينَا
تَرَى الْأُبْدَانَ فِيهَا مَسْبَغَاتٍ	عَلَى الْأَبْطَالِ وَالْيَلْبِ الْحَصِينَا
وَجُرْدًا كَالْقِدَاحِ مَسْوَمَاتٍ	تَقُومُ بِهَا الْقَوَاةُ الْمُسَاطِئِينَا
كُلُّهُمْ إِذَا صَلَّوْا وَصَلْنَا	يَسْلُبُ الْخَنْدَقِينَ مَصَافِحُونَا
أَنَاسٌ لَا تَرَى فِيهِمْ رَشِيدًا	وَقَدْ قَالُوا أَلَسْنَا رَاشِدِينَا
فَأَحْجَرْنَا مِنْ شَهْرٍ كَرِينَا	وَكُنَّا فَوْقَهُمْ كَالْقَاهِرِينَا
تَرَاوَحُوا وَتَغَدَوْا كُلَّ يَوْمٍ	عَلَيْهِمْ فِي السَّلَاحِ مَسْجِينَا
بِأَيْدِينَا صَوَارِمٌ مَرْهَفَاتٍ	قَدْ بَهَا الْمَفَارِقُ وَالشُّثُونَا
كَأَنَّ مَبِضَّ مُمْرِيَاتٍ	إِذَا لَاحَتْ بِأَيْدِي مَضْلَتِينَا
وَمِبْضٌ عَقِيقَةٌ لَمَتْ بَلِيلٍ	تَرَى فِيهَا الْعَقَائِقُ مُسْتَبِينَا
فَلَوْلَا خَنْدَقٌ كَانُوا لَدَيْهِ	لَسَمَرْنَا عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَا
وَلَكِنْ حَالٌ دُونَهُمْ وَكَانُوا	بِهِ مِنْ خَوْفِنَا مُتَعَوِّذِينَا
فَإِنْ نَوَحَلْ فَإِنَّا قَدْ تَرَكْنَا	لَدَى أَيْيَاتِكُمْ سَعْدًا رَهِينَا
إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ مَحَمَّتْ نَوْحًا	عَلَى سَعْدٍ يَرْجِعُنَ الْحَنِينَا
وَسَوْفَ نَزُورُكُمْ عَمَّا قَرِيبٍ	كَمَا زَرْنَاكُمْ مِنْتَوَازِرِينَا
بِمَجْمَعٍ مِنْ كِنَانَةٍ غَيْرِ عَزَلٍ	كَلِمَةُ الْغَابِ إِذْ حَمَّتِ الْعَرِينَا

قال : فأجابه كعب بن مالك أخو بني سلمة رضى الله عنه فقال :

وسائلة تسأل ما لقينا ولو شهدت رأيتنا صابرينا
صبرنا لا نرى الله عدلاً على ما نابنا متوكلينا
وكان لنا النبي وزير صدق به فعلو البرية أجمعينا
نقاتل معشراً ظلموا وعقوا وكلنوا بالعداوة مرصدينا
نعالجهم إذا نهضوا إلينا بضرب يعجل المتسرعيننا
ترانا في فضافض سابغات كغدران الملا متسربلينا
وفي أيماننا بيض خفاف بها نشفي مراح الشاغبينا
يباب الخندقين كأن أسداً شوا بكهن يحمين العرينا
فواربنا اذا بكروا وراحوا على الأعداء شوساً معلينا
لننصر أحمداً والله حتى نكون عباد صدق مخلصينا
ويعلم أهل مكة حين ساروا وأحزاب أتوا متحزبيننا
بأن الله ليس له شريك وأن الله مولى المؤمنيننا
فاما تقتلوا ستمداً سفاهاً فان الله خير القادرينا
سيدخله جناتاً طيبات تكون مقامة للصالحينا
كما قد ردكم فلا شريداً بفيضكم خزايا خائبينا
خزايا لم تنالوا ثم خيراً وكذتم أن تكونوا دامرينا
بريح عاصف هبت عليكم فكنتم نحتها متكئينا

قال ابن اسحاق وقال عبد الله بن الزبيري السهمي في يوم الخندق (قلت وذلك قبل أن يسلم)

حي الديار محاً معارف رسمها طول البلى وتراوح الاحقاب
فكانما كتب اليهود رسوماً الا السكين ومعدن الاطناب
قفراً كأنك لم تكن تلهو بها في نعمة بأوانس أتراب
فاترك تذكر ما مضى من عيشة ومحلة خلق المقام ييب
واذكر بلاء معاشر واشكرهم ساروا بأجمعهم من الأنصاب
أنصاب مكة عامدين ليثرب في ذى غياطل جحفل جنباب
تدع الحزون منساجماً معلومة في كل نشر ظاهر وشعاب
فيها الجياد شواذب مجنوبة قب البطون لواحق الاقرب

من كل سلبية وأجرّد سلب
جيش عينة قاصد بلوائه
قرمان كالبدريّن أصبح فيها
حتى اذا وردوا المدينة وارتدوا
شهرآ وعشرآ قاهرين محمداً
نادوا برحلتهم صبيحة قلم
لولا الخنادق غادروا من جمعهم
قتلى لطير سغب وذئاب
قال فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال :

هل رسم دارسة المقام يباب
قفر عفا رم السحاب رسومه
ولقد رأيت بها الخلول يزيتهم
فدع الديار وذكر كل خريده
واشك الموم الى الاله وماترى
ساروا بأجمعهم اليه وألبوا
جيش عينة وابن حرب فيهم
حتى اذا وردوا المدينة وارتجوا
وغدوا علينا قادرين بأيديهم
بهوب مصفة تفرق جمعهم
فكفى الاله المؤمنين قتالهم
من بعد ما قنطوا ففرق جمعهم
وأقر عين محمد وصحابه
عاني الفؤاد موقع ذي رية
علق الشقاء بقلبه ففؤاده
قال وأجابه كعب بن مالك رضى الله عنه أيضاً فقال :

أبقى لنا حدث الحروب بقية
بيضاء مشرقة الذرى ومعاطنا
كاللوب يبتل جملها وحفيلها
للعجار وابن العمّ والمنتاب
من خير نحلة ربنا الوهاب
حم الجنوع غزيرة الاحلاب

ونزائماً مثل السراج نبي بها
 عرَى الشوى منها وأردف مُحضها
 قوداً تراح الى الصّباح اذا غدت
 وتموطُ سائمة الديار وتارة
 حوشُ الوحوش مطارة عند الوغى
 علفت على دعة فصارت بدناً
 يقدون بالزغف المضاعف شكاً
 وصوارم نزع الصياقل علبها
 يصلُ اليمين بمارب متقارب
 وأغرّ أزدق في القناة كأنه
 وكتيبة ينفي القران قنبرها
 جاوى ملهة كارت رماحها
 تاوي الى ظل اللواء كأنه
 أعيت أبا كرب وأعيت تبعاً
 ومواعظ من ربنا هدى بها
 عرضت علينا فاشتبهنا ذكرها
 حكما يراها المجرمون بزعمهم
 جاءت سخينة كي تغالب ربها
 علف الشعير وجزء المقضاب
 جرد المتون وسائر الآراب
 فعل الصّرا تراح للكلاب
 تردي العدى وتثوب بالاسلاب
 عبس اللقاء مينة الانجاب
 دُحس البضيع خفيفة الأقسام
 وبعترصت في الثقاف صياب
 وبكل أروع ماجد الانساب
 وكلت وقيعته الى خباب
 في طخية الظلماء ضوء شهاب
 وتردّد حدّ قواجز النشاب
 في كل مجمعة صريمة غاب
 في صعدة الخطي في عقاب
 وأبت بسالتها على الأعراب
 بلسان أزهر طيب الاثواب
 من بعد ما عرضت على الأحزاب
 خرجاً ويفهمها ذوو الألباب
 فليتلين مغالب الغلاب

قال ابن هشام : حدثني من أئق به حدثني عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير
 أن رسول الله (ص) قال له لما سمع منه هذا البيت : لقد شكر الله يا كعب على قولك هذا . قلت
 ومراده بسخينة قريش وإنما كانت العرب تسميهم بذلك لكثرة أكلهم الطعام السخن الذي
 لا ينهيا لغيرهم غالباً من أهل البوادي فله أعلم . قال ابن اسحاق وقال كعب بن مالك أيضاً :

من سره ضرب يجمع بعضه
 فليأت مأسدة تسن سيوفها
 دربوا بضرب المعلنين وأسلموا
 في عصبة نصر الإله نبيه
 في كل سابعة تخط فصولها
 بعضاً كمعة الإناء المحرق
 بين المذاذ وبين جذع الخندق
 مهجات أنفسهم لربّ المشرق
 بهم وكلن بعبيد ذا مرفق
 كالنهي هبت ريمه المترق

بيضاء مُحْكَمَةً كَأَنَّ قَتِيرَهَا حَقُّ الْجَنَابِ ذَاتِ شَكٍّ مَوْثِقٍ
 جَدَلَاءَ يَحْفَرُهَا رَجَادُ مَهْنَدٍ صَاقِي الْحَدِيدَةِ صَارِمٍ ذِي رَوْنِقٍ
 تَلَكُمُ مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِبَاسَنَا يَوْمَ الْهِيَاجِ وَكُلَّ سَاعَةٍ مُصَدِّقٍ
 نَصْلُ السَّيْفِ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطُونَا قُدَمَاءَ وَتَلَحُّقَهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقْ
 فَتَرَى الْجَاهِمَ ضَاحِكًا هَامَأُهَا بَلَّهَ الْأَكْمَثُ كَأَنَّهَا لَمْ تَخْلُقْ
 نَلْقَى الْعَدُوَّ بِفَخْمَةٍ مَلُومَةٍ تَنْفِي الْجَمُوعِ كَقَصْدِ رَأْسِ الْمَشْرِقِ
 وَنَعْدًا لِلْإِعْدَاءِ كُلِّ مَقْلَصٍ وَرِدِّ وَمَحْجُولِ الْقَوَائِمِ أَبْلَقِ
 تَرْدَى بِفِرْسَانٍ كَأَنَّ كَأَنَّهُمْ عِنْدَ الْهِيَاجِ أَسْوَدُ طَلٍّ مَلْتَقِ
 صُنُقٍ يِعَاطُونَ الْكَلِمَةَ حُتُوفِهِمْ تَحْتَ الْعِمَاةِ بِالْوَشِيحِ الْمَزْهَقِ
 أَمْرُ الْإِلَهِ بِرَبْطِهَا لِعَدُوِّهِ فِي الْحَرْبِ إِنْ دَلَّتْ خِيُولُ التَّرَقِّ
 لَتَكُونَ غِيظًا لِلْعَدُوِّ وَحِيظًا لِلدَّارِ إِنْ دَلَّتْ خِيُولُ التَّرَقِّ
 وَيَعِينُنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ بِقُوَّةٍ مِنْهُ وَصَدَقَ الضَّرْبُ سَاعَةً فَلْتَمَقِ
 وَنَطْبِيعُ أَمْرِ نَبِينَا وَنَجِيهِ وَإِذَا دَعَا لِكَرْهِيهِ لَا تُسْبِقِ
 وَمَتَى يَنَادِي لِلشَّدَائِدِ نَأْتِيهَا وَمَتَى نَرَى الْحَوَامِتَ فِيهَا تُعْنَقِ
 مِنْ يَتَّبِعُ قَوْلَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ فِينَا مَطْلَعُ الْأَمْرِ حَقٌّ مُصَدِّقِ
 فَبِذَاكَ يَنْصُرُنَا وَيُظْهِرُ عِزَّنَا وَيَصِينُنَا مِنْ نَيْلِ ذَاكَ بِمَرْفَقِ
 إِنْ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ مُحَمَّدًا كَفَرُوا وَضَلُّوا عَنْ سَبِيلِ الْمَتَقِ

قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك أيضاً :

لَقَدْ عَلِمَ الْأَحْزَابُ حِينَ تَأَلَّبُوا عَلَيْنَا وَرَامُوا دِينَنَا مَا نَوَادِعِ
 أَضَامِيٍّ مِنْ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ أَصَقَّتْ وَخَنَفَتْ لَمْ يَدْرُوا بِمَا هُوَ وَاقِعِ
 يَهُودُونَنَا عَنْ دِينِنَا وَنُدُودِهِمْ عَنِ الْكُفْرِ وَالرَّحْمَنِ رَاءِ وَسَامِعِ
 إِذَا غَايَظُونَا فِي مَقَامِ أَعَانَتَا عَلَى غِيظِهِمْ نَصْرًا مِنْ اللَّهِ وَاسِعِ
 وَذَلِكَ حِفْظُ اللَّهِ فِينَا وَفَضْلُهُ عَلَيْنَا وَمَنْ لَمْ يُحْفَظْ بِاللَّهِ ضَائِعِ
 هَدَانَا لِلدِّينِ الْحَقِّ وَاخْتَارَهُ لَنَا وَاللَّهُ فَوْقَ الصَّانِعِينَ صَانِعِ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له — يعني طويلة — قال ابن اسحاق : وقال

حسان بن ثابت في مقتل بني قريظة :

لَقَدْ لَقِيتُ قُرَيْظَةً مَاسَاهَا وَمَا وَجَدْتُ لَدَيْهَا مِنْ نَصِيرِ

أصابهم بلاءٌ كان فيه سوى ما قد أصابَ بني النضير
غداةً أتاهم بهوي اليهم رسولُ الله كالقمر المنير
له خيل مجنبةٌ تصادى بفرسانٍ عليها كالصقور
تركناهم وما ظفروا بشيء دماؤهم عليها كالعبير
فهم صرعى تحوم الطير فيهم كذاك يدان ذو العنبد الفجور
فأنذر من أهلك نصيحاً قريشاً من الرحمن إن قبلت نذيري

قال وقال حسان بن ثابت أيضاً في بني قريظة :

تعاهد معشرُ نصرُوا قريشاً وليس لهم بيلدتهم نصير
هم أوتوا الكتاب فضيعوه وهم عني من التوراة بور
كفرتهم بالقراب وقد أتيتم بتصديق الذي قال النذير
فهان على سراة بني لؤي حريقٌ بالبؤيرة مستطير

فأحابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال :

أدام الله ذلك من ضئيعٍ وحرّق في طوائفها السعير
سنعلم أينما بترم وتعلم أي أرضينا نصير
فلو كان النخيل بها ركاباً لقالوا لأمقامكم فسيرا

قلت : وهذا قاله أبو سفيان بن الحارث قبل أن يسلم ، وقد تقدم في صحيح البخاري بعض هذه الايات . وذكر ابن اسحاق جواب حسان في ذلك لجبل بن جوال الثعلبي تركناه قصداً . قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يكي سعداً وجماعة ممن استشهد يوم بني قريظة :

ألا يا قومي هل لما حم دافعٌ وهل مامضى من صالح العيش راجع
تذكرتُ عصراً قد مضى قهاقتُ بناتُ الحشا وانهل مني المدامع
صبابةٌ وجدٍ ذكّرني إخوة وقتلي مضى فيها طفيل ورافع
وسعداً فأضحوا في الجنان وأوحشتُ منازلهم فالأرض منهم بلاقع
وفوا يوم بدر للرسول وفوقهم ظلالُ المنايا والسيوف اللوامع
دعا فأجابوه بحقٍ وكلمهم مطيعٌ له في كل أمر وسامع
فما نكلوا حتى توالوا بجماعة ولا يقطعُ الآجال إلا المصارع
لأنهم يرجون منه شفاعاة إذا لم يكن إلا النبيون شافع
فذلك يا خير العباد بلاؤنا إجابتنا لله والموت ناقم

لنا القَدَمُ الأولى اليكَ وخلفنا لأولنا في ملّة الله تابع
ونعلم أن الملك لله وحده وإن قضاء الله لا بُدَّ واقع

مسند أبي مدفع اليهودي

قال ابن اسحاق : ولما انقضى شأن الخندق وأمر بني قريظة وكان سلام بن أبي الحقيق - وهو أبو رافع - فيمن حزب الأحزاب على رسول الله (ص)، وكانت الأوس قبل أحدٍ قد قتلت كعب بن الأشرف فاستأذن الخزرج رسول الله (ص)، في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخير فأذن لهم . قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن مسلم الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك قال : وكان مما صنع الله لرسوله (ص)، أن هذين الحيين من الانصار الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله (ص)، تصاول الفحلين لا تصنع الاوس شيئاً فيه غناء عن رسول الله (ص)، الا وقالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله (ص)، فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها واذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الاوس مثل ذلك . قال : ولما أصابت الاوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله (ص)، قالت الخزرج والله لا يذهبون بها فضلاً علينا ابداً . قال : فتذاكروا من رجل لرسول الله (ص)، في العداوة كابن الأشرف فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخير فاستأذنوا الرسول (ص)، في قتله فأذن لهم فخرج من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر عبد الله بن عتيك ومسمود بن سنان وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة الحارث ابن ربي وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم فخرجوا وأمر عليهم رسول الله (ص)، عبد الله بن عتيك ونهام أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا حتى اذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً فلم يدعوا بيتاً في الدار حتى أغلقوه على أهله قال : وكان في عليه له اليها عجة قال : فأسندوا اليها حتى قاموا على بابها فاستأذنوا فخرجت اليهم امرأتها ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : أناس من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه . فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجر نخوفاً أن يكون دونه محاولة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته فتوهت بنا فابتدرناه وهو على فراشه بأسيفنا فوالله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية ملقاة . قال : فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهى رسول الله (ص)، فيكيف يده ولولا ذلك لفرغنا منها بليل . قال فلما ضربناه بأسيفنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قطي قطي أي حسي حسي . قال : وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك سيء البصر قال فوقع من الدرجة فوثبت يدموئياً شديداً وحملناه حتى نأى به منهراً من عيونهم فتدخل فيه فاوقدوا النيران واشتدوا

في كل وجه يطلبونا حتى اذا يئسوا رجعوا اليه فاكتنفوه وهو يقضى قال قتلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل في الناس قال : فوجدتها - يعني امرأته - ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدهم وتقول : أما والله قد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي وقلت : أتى ابن عتيك بهذه البلاد . ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه فقالت : فاظ والله يهود ، فاسمعت كلمة كانت الذ على نفسي منها . قال : ثم جاءنا فأخبرنا فاحتملنا صاحبنا وقدمنا على رسول الله (س) ، فأخبرناه بقتل عدو الله واختلفنا عنده في قتله كلنا يدعيه . قال فقال : هاتوا أسياقكم . فجئنا بها فنظر اليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله أرى ، فيه أثر الطعام . قال ابن اسحاق : قال حسان بن ثابت في ذلك :

لله در عصابة لاقيتهم يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم مرحاً كأشد في عرين مغرف
حتى أتوكم في محل بلادكم فسقوكم حتفاً ببيض ذقف
مستبصرين لنصر دين نبيهم مستصغرين لسكل أمر مجحف

هكذا أورد هذه القصة الامام محمد بن اسحاق رحمه الله . وقد قال الامام أبو عبد الله البخاري حدثنا اسحاق بن نصر حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن أبي زائدة عن أبيه عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال : بعث النبي (س) رهطاً الى أبي رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك بينه ليلاً وهو نائم فقتله . قال البخاري : حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبد الله بن موسى عن اسرا ئيل عن أبي اسحاق عن البراء قال : بعث رسول الله (س) الى أبي رافع اليهودي رجلاً من الانصار وأمر عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذى رسول الله (س) ويعين عليه وكان في حصن له بأرض الحجاز فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرهم قال عبد الله : اجلسوا مكانكم فاني منطلق متلطف للبواب لعل أن أدخل ، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تمنع بثوبه كأنه يقضى حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فاني أريد أن أغلق الباب . فدخلت فكنيت فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الاغاليق على ود قال : قميت الى الاقاليد وأخذتها وفتحت الباب وكان أبو رافع يسمر عنده وكان في علالي له فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت على من داخل فقلت ان القوم سدروا الى لم يخلصوا الى حتى أقتله . فانهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدرى أين هو من البيت قلت أبا رافع . قال من هذا . فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف ضربة وأنا دهش فما أغنيت شيئاً وصاح فخرجت من البيت فأمكثت غير بعيد ثم دخلت اليه فقلت ما هذا الصوت

يا أبا رافع قتال لأمك الويل ان رجلا في البيت قتل بالسيف . قال فأضربه ضربة أمتخته ولم أقتله ثم
 وضعت صبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فسرفت أنى قتله فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً
 حتى انتهيت الى درجة له فوضعت رجلى وأنا أرى أنى قد انتهيت فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت
 ساق فصعبتها بهامة حتى انطلقت حتى جلست على الباب فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتله فلما
 صاح الديك قام الناعى على السور فقال أنى أبا رافع ناصر أهل الحجاز فانطلقت الى أصحابي فقلت
 النجاء فقد قتل الله أبا رافع فاتميت الى النبي (س) . فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطت رجلى فمسحها
 فكأنما لم اشكها قط . قال البخارى حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الاودى حدثنا شريح حدثنا
 ابراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي اسحاق سمعت البراء قال بعث رسول الله (س) الى أبي رافع
 عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة في ناس معهم فانطلقوا حتى دنوا من الحصن فقال لهم عبد الله
 ابن عتيك امكثوا أنتم حتى أنطلق أنا فانظر قال : فتلطفت حتى أدخل الحصن ففقدوا حمارا لهم
 فخرجوا بقبس يطلبونه قال : فخشيت أن أعرف قال : فغطيت رأسي وجلست كأنى أقضى حاجة
 فقال : من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه . فدخلت ثم اختبأت في مربط حمار عند باب
 الحصن فتمشوا عند أبي رافع وتحدثوا حتى ذهب ساعة من الليل ثم رجعوا الى بيوتهم فلما
 هدأت الاصوات ولا أسمع حركة خرجت قال ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن
 في كوة فأخذته ففتحت به باب الحصن قال قلت ان نذري القوم انطلقت على مهل ثم عدت الى
 أبواب بيوتهم فغلقتها عليهم من ظاهر ثم صعدت الى أبي رافع في سلم فاذا البيت مظلم قد طوى
 سراجهم أدر أين الرجل فقلت يا أبا رافع قال من هذا فعمدت نحو الصوت فأضربه وصاح فلم
 تثن شيئا قال ثم جئته كأنى أغيبه فقلت مالك يا أبا رافع وغيرت صوتي قال لا أعجبك لأمك الويل
 دخل على رجل فضر بنى بالسيف قال فعمدت اليه أيضا فأضربه اخرى فلم تثن شيئا فصاح وقام
 أهله ثم جئت وغيرت صوتي كهيئة المغيث فاذا هو مستلق على ظهره فاضع السيف في بطنه ثم انكفى
 عليه حتى سمعت صوت العظم ثم خرجت دهشا حتى أتيت السلم أريد أن أنزل فاسقط منه فانخلعت
 رجلى فصعبتها ثم أتيت أصحابي أحجل فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله (س) فاني لأبرح حتى
 أسمع الناعية فلما كان في وجه الصبح صعد الناعية فقال أنى أبا رافع قال قممت أمشى ما بي قلبه
 فادركت أصحابي قبل أن يأتوا رسول الله (س) . فبشرته . تفرد به البخارى بهذه السياقات من
 بين أصحاب الكتب الستة ثم قال : قال الزهري قال أبي بن كعب قدموا على رسول الله
 (س) وهو على المنبر فقال أفلحت الوجوه قال أفلح وجهك يا رسول الله قال أفكتسموه قالوا نعم
 قال فاولى السيف فسله فقال اجل هذا تطامه في ذباب السيف . قلت يحتمل أن عبد الله بن عتيك

لما سقط من تلك الدرجة انفكت قدمه وانكسرت ساقه ووثبت رجله فلما عصها استكن مابه لما هو فيه من الامر الباهر ولما أراد المشي أعين على ذلك لما هو فيه من الجهاد النافع ثم لما وصل الى رسول الله (س) واستقرت نفسه ثاوره الوجع في رجله فلما بسط رجله ومسح رسول الله (س) ذهب ما كان بها من بأس في الماضي ولم يبق بها وجع يتوقع حصوله في المستقبل جمعا بين هذه الرواية والتي تقدمت والله أعلم . هذا وقد ذكر موسى بن عقبة في مغازيه مثل سياق محمد بن اسحاق وسمى الجماعة الذين ذهبوا اليه كما ذكره ابن اسحاق وابراهيم وأبو عبيد

مقتل خالد بن سفيان الهزلي

ذكره الحافظ البيهقي في الدلائل تلو مقتل أبي رافع . قال الامام أحمد حدثني يعقوب حدثنا أبي عن ابن اسحاق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن ابن عبد الله بن أنيس عن أبيه قال: دعاني رسول الله (س) فقال: انه قد بلغني ان خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي يجمع لي الناس ليغزوني وهو بعرة فائته فاقتله . قال قلت يا رسول الله انعمت لي حتى أعرفه . قال اذا رأيته وجدت له قشيرة قال فخرجت متوشحاً سبي حتى وقعت عليه وهو بعرة مع ظعن يرتاد لمن منزلاً وحين كان وقت العصر فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله (س) من القشيرة فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلي عن الصلاة فصليت وأنا أمشي نحوه أومئ برأسي للركوع والسجود فلما انتهيت اليه قال: من الرجل؟ قلت رجل من العرب سمع بك وبجمك لهذا الرجل فجاءك لذلك . قال أجل انا في ذلك قال فشيت معه شيئاً حتى اذا أمكنني حملت عليه السيف حتى قتلته ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه فلما قدمت على رسول الله (س) فرأني قال أفلح الوجه قال قلت قتله يا رسول الله قال صدقت قال ثم قام معي رسول الله (س) فدخل في بيته فأعطاني عصا فقال: امسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس . قال فخرجت بها على الناس فقالوا ماهذه العصا؟ قال قلت أعطانيها رسول الله (س) وأمرني أن أمسكها قالوا ألا ترجع الى رسول الله (س) فتمسأله عن ذلك . قال فرجعت الى رسول الله (س) فقلت يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا؟ قال آية بيني وبينك يوم القيامة ان أقل الناس المنحصرين يومئذ . قال فقرتها عبد الله بسيفه فلم تزل معه حتى اذا مات أمر بها فضمت في كفنه ثم دفنا جميعاً ثم رواه الامام أحمد عن يحيى بن آدم عن عبد الله بن ادريس عن محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن بعض ولد عبد الله بن أنيس - أو قال عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس - عن عبد الله بن أنيس فذكر نحوه . وهكذا رواه أبو داود عن أبي معمر عن عبد الوارث عن محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر عن عبد الله بن أنيس عن أبيه فذكر نحوه

ورواه الحافظ البيهقي من طريق محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبد الله بن عبد الله بن انيس عن أبيه فذكره . وقد ذكر قصة عروة بن الزبير وموسى بن عقبة في مفازيهما مرسله فله أعلم . قال ابن هشام وقال عبد الله بن أنيس في قتله خالد بن سفيان :

ترك ابن ثور كالحوار وحوله نوائح تفري كل جيب معد
تناولته والظفر خلقي وخلفه بأبيض من ماء الحديد المنسد
عجوم لهام الدارعين كأنه شهاب غص من ملبب متوقد
أقول له والسيف يعجم رأسه أنا ابن أنيس فارس غير فعد
أنا ابن الذي لم ينزل الدهر قدره رحيب فناء الدار غير مزند
وقلت له خذها بضربة ماجد خفيف على دين النبي محمد
وكنتم اذا هم النبي بكافر سبقت اليه باللسان وباليد

قلت عبد الله بن أنيس بن خرام أبو يحيى الجهني صحابي مشهور كبير القدر كان فيمن شهد العقبة وشهد أحداً والخندق وما بعد ذلك وتأخر موته بالشام الى سنة ثمانين على المشهور وقيل توفي سنة أربع وخسين والله أعلم . وقد فرق على بن الزبير وخليفة بن خياط بينه وبين عبد الله بن أنيس أبي عيسى الانصاري الذي روى عن النبي صلى الله عليه وآله . أنه دعا يوم أحد بآداة فيها ماء فخل فيها وشرب منها كما رواه أبو داود والترمذي من طريق عبد الله العمري عن عيسى بن عبد الله بن أنيس عن أبيه ثم قال الترمذي وليس اسناده يصح وعبد الله العمري ضعيف من قبل حفظه

قصة حمرو بن العاص مع النبي صلى الله عليه وآله

قال محمد بن اسحاق بعد مقتل أبي رافع وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن راشد مولى حبيب ابن اوس الثقفي عن حبيب بن اوس حدثني عمرو بن العاص من فيه قال : لما انصرفنا يوم الاحزاب عن الخندق جمعت رجلاً من قریش كانوا يرون رأبي ويسمعون مني فقلت لهم تعلمون والله اني ارى امر محمد يعلم الامور علواً منكراً وانى لقد رأيت امرأاً فأترون فيه . قالوا وما رأيت قال رأيت أن تلحق بالنجاشي فنكون عنده فان ظهر محمد على قومنا كننا عند النجاشي فاننا ان نكن تحت يديه أحب الينا من أن نكون تحت يدي محمد وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير . قالوا : ان هذا لرأى . قلت : فاجمعوا لنا ما نهدي له فكان أحب ما يهدي اليه من أرضنا الا دم فجمعنا له آدمياً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله اننا لعنده إذ جاءه عمرو بن

أمية الضمري وكان رسول الله ﷺ قد بعثه اليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال قلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه فإذا فعلت رأيت قریش أتى قد أجزأت عنهما حين قتلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه فسجنت له كما كنت أصنع . فقال : مرحبا بصديقي هل أهديت لي من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت نعم أيها الملك قد أهديت لك أدماً كثيراً . قال ثم قربته اليه فأعجبه واشتهاه . ثم قلت له أيها الملك اني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطينيه لاقته فانه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا . قال فغضب ثم مديده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره فلو انشقت الارض لدخلت فيها فرقا . ثم قلت أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك . قال أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى فقتله ؟ قال قلت أيها الملك أ كذاك هو ؟ قال ويحك يا عمرو أظنني وأتبعه فانه والله لعل الحق وليظهرن علي من خالفه كما ظهر موسى بن عمران علي فرعون وجنوده قال قلت افتبايعني له علي الاسلام قال نعم فبسط يده فبايعته علي الاسلام ثم خرجت علي أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابي اسلامي ثم خرجت عامداً الي رسول الله ﷺ لأسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة قلت أين أبا سليمان ؟ فقال والله لقد استقام الميسم وان الرجل لنبي أذهب والله أسلم فحقى متى ؟ قال قلت والله ماجئت الا لاسلم . قال فقدمنا المدينة علي النبي ﷺ . فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ثم دنوت فقلت يا رسول الله اني أبايعك علي أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر . قال فقال رسول الله ﷺ : يا عمرو بايع فان الاسلام يجب ما كان قبله وان الهجرة تجب ما كان قبلها . قال فبايعته ثم انصرفت . قال ابن اسحاق وقد حدثني من لا أتهم ان عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما أسلم حين أسلما ، فقال عبد الله بن أبي الزبير السهمي :

أُنشِدُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ خَلْفَنَا وَمَلَقَى نِعَالَ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمُقْبِلِ
وَمَا عَقَدَ الْآبَاءُ مِنْ كُلِّ جُلْفَةٍ وَمَا خَالَاهُ مِنْ مَثَلٍهَا بِمَحَلِ
أَمْفِتَاحَ بَيْتٍ غَيْرَ بَيْتِكَ تَبْتَغِي وَمَا تَبْتَغِي مِنْ بَيْتٍ مَجْدٍ مُؤَثِّلِ
فَلَا تَأْمَنَنَّ خَالِدًا بَعْدَ هَذِهِ وَعُثْمَانَ جَاءَ بِالْأَهْمِ الْمُعْضَلِ

قلت كان اسلامهم بعد الحديبية وذلك ان خالد بن الوليد كان يومئذ في خيل المشركين كما سيأتي بيانه فكان ذكر هذا الفصل في اسلامهم بعد ذلك أنسب ولكن ذكرنا ذلك تبعاً للامام محمد بن اسحاق رحمه الله تعالى لأن أول ذهاب عمرو بن العاص الي النجاشي كان بموقعة الخندق الظاهر انه ذهب بقية سنة خمس . والله أعلم

فصل في تزويج النبي ﷺ بأم حبيبة

ذكر البيهقي بعد وقعة الخندق من طريق الكلابي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ قال هو تزويج النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان فصارت أم المؤمنين وصار معاوية خال المؤمنين . ثم قال البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أحمد بن نجيمة حدثنا يحيى بن عبد الحميد أنبأنا ابن المبارك عن معمر عن الزهري عن عروة عن أم حبيبة أنها كانت عند عبد الله بن جحش وكان رحل إلى النجاشي فأتته وان رسول الله ﷺ تزوج بأم حبيبة وهي بأرض الحبشة وزوجها إياه النجاشي ومهرها أربعة آلاف درهم وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وجهازها من عنده وما بعث رسول الله ﷺ بشيء . قال وكان مهوور أزواج النبي ﷺ أربعائة . قلت والصحيح أن مهوور أزواج النبي ﷺ كانت ثنتي عشرة أوقية ونشأ والوقية أربعون درهما والنش النصف وذلك يعدل خمسمائة درهم . ثم روى البيهقي من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة أن عبيد الله بن جحش مات بالحبشة نصرانيا فخلع على زوجته أم حبيبة رسول الله ﷺ . زوجها منه عثمان بن عفان رضي الله عنه

قلت أما تنصر عبيد الله بن جحش فقد تقدم بيانه وذلك على أثر ما هاجر مع المسلمين إلى أرض الحبشة استنزله الشيطان فزين له دين النصراني فصار إليه حتى مات عليه لعنة الله وكان يعير المسلمين فيقول لهم أبصرنا وصا صائم وقد تقدم شرح ذلك في هجرة الحبشة . وأما قول عروة أن عثمان زوجها منه فغريب لأن عثمان كان قد رجع إلى مكة قبل ذلك ثم هاجر إلى المدينة وصحبته زوجته رقية كما تقدم والله أعلم . والصحيح ما ذكره يونس عن محمد بن اسحاق قال بلغني أن الذي ولي نكاحها ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص . قلت وكان وكيل رسول الله ﷺ في قبول العقد أصحمة النجاشي ملك الحبشة كما قال يونس عن محمد بن اسحاق حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين قال بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وساق عنه أربعائة دينار

وقال الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن زهير عن اسماعيل بن عمرو أن أم حبيبة بنت أبي سفيان قالت : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي جارية يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ووهنه فاستأذنت علي فأذن لها فقالت : إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجه فقلت بشرك الله بالخير وقالت يقول لك

الملك وكل من يزورك. قالت: فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته وأعطيت أبرة
سوارين من فضة وخدمتين من فضة كانتا على وخواتيم من فضة في كل أصابع رجل سرورا بما
بشرتني به. فلما أن كان من العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن كان هناك من المسلمين
أن يحضروا وخطب النجاشي وقال: الحمد لله الملك الذئوس المؤمن العزيز الجبار وأشهد أن لا إله
إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم. أما بعد فإن رسول الله س طلب
أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فاجبت إلى مادعا إليه رسول الله س. وقد أصدقها أربعاً
دينار ثم سكب الدنانير بين يدي القوم. فتكلم خالد بن سعيد فقال: الحمد لله أحمد واستغفره
وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون. أما بعد فقد أجت إلى مادعا إليه رسول الله س وزوجه أم حبيبة بنت
أبي سفيان فبارك الله لرسول الله س. ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ثم أرادوا
أن يقوموا فقال: اجلسوا فإن من سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج. فدعا بطعام
فأكلوا ثم تفرقوا. قلت: فلعل عمرو بن العاص لما رأى عمرو بن أمية خارجاً من عند النجاشي
بعد الخندق إنما كان في قضية أم حبيبة فأنه أعلم. لكن قال الحافظ البيهقي ذكر أبو عبد الله
ابن منده أن تزويجه عليه السلام بأم حبيبة كان في سنة ست وإن تزويجه بأم سلمة كان في سنة
أربع. قلت وكذا قال خليفة وأبو عبيد الله معمر بن المثنى وابن البرقي وإن تزويج أم حبيبة
كان في سنة ست وقال بعض الناس سنة سبع. قال البيهقي هو أشبه قلت قد تقدم تزويجه عليه
السلام بأم سلمة في أواخر سنة أربع وأما أم حبيبة فيحتمل أن يكون قبل ذلك ويحتمل أن يكون
بعده وكونه بعد الخندق أشبه لما تقدم من ذكر عمرو بن العاص أنه رأى عمرو بن أمية عند النجاشي
فهو في قضيتها والله أعلم. وقد حكى الحافظ ابن الأثير في الغابة عن قتادة أن أم حبيبة لما هاجرت
من الحبشة إلى المدينة خطبها رسول الله س. وتزوجها. وحكى عن بعضهم أنه تزوجها بعد إسلام
أبيها بعد الفتح واحتج هذا القائل بما رواه مسلم من طريق عكرمة بن عمار اليماني عن أبي ذميل
سماك بن الوليد عن ابن عباس أن أبا سفيان قال يا رسول الله ثلاث أعطينهن. قال نعم. قال تؤمرني
على أن أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين. قال نعم. قال ومعاوية يجعله كاتباً بين يديك. قال
نعم. قال وعندي أحسن العرب واجله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزواجكم. الحديث بتمامه.
قال ابن الأثير وهذا الحديث مما أنكر على مسلم لأن أبا سفيان لما جاء يحدد العقد قبل الفتح دخل
على ابنته أم حبيبة ففنت عنه فراش النبي س. فقال والله ما أدرى أرغبت بي عنه أو به عني؟
قالت بل هذا فراش رسول الله س. وأنت رجل مشرك. فقال والله لقد أصابك بعدى يابنية شر

وقال ابن حزم هذا الحديث وضعه عكرمة بن عمار وهذا القول منه لا يتابع عليه . وقال آخرون أراد أن يجد القدر لما فيه بغير إذنه من الغضاضة عليه . وقال بعضهم لأنه اعتقد انفساخ نكاح ابنته باسلامه . وهذه كلها ضعيفة والاحسن في هذا أنه أراد أن يزوجه ابنته الاخرى عرة لما رأى في ذلك من الشرف له واستعان باختها أم حبيبة كما في الصحيحين وإنما وهم الراوى في تسميته أم حبيبة وقد أوردنا لذلك خبراً مفرداً . قال أبو عبيد القاسم بن سلام توفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين وقال أبو بكر بن أبي خيثمة توفيت قبر معاوية لسنة وكانت وفاة معاوية في رجب سنة ستين

تزوج زينب بنت محسن

ابن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمعة الاسدية أم المؤمنين وهي بنت أميمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله (ص) . وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه قال قتادة والواقدي وبعض أهل المدينة تزوجها عليه السلام سنة خمس زاد بعضهم في ذي القعدة قال الحافظ البيهقي تزوجها بمسد بن قريظة وقال خليفة بن خياط وأبو عبيدة معمر بن المثنى وابن منده تزوجها سنة ثلاث والاول أشهر وهو الذي سلكه ابن حرير وغير واحد من أهل التاريخ وقد ذكر غير واحد من المفسرين والفقهاء وأهل التاريخ في سبب تزويجه إياها عليه السلام حديثاً ذكره أحمد بن حنبل في مسنده تركناه . إيراده قصداً لثلاث يضعه من لا يفهم على غير موضعه وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز : [وأذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في زواج أديعائهم اذا قضوا منها وطراً وكان أمر الله مفعولاً] . [ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً]

وقد تكلمنا على ذلك في التفسير بما فيه كفاية فلما أراد بالذي أنعم الله عليه هاهنا زيد بن حارثة مولى رسول الله (ص) أنعم الله عليه بالاسلام وأنعم عليه رسول الله (ص) . بالعق وزوجه بابنة عمه زينب بنت جحش . قال مقاتل بن حبان : وكان صداقه لها عشرة دنانير وستين درهماً وخمراً أو ملحفة ودرعاً وخسين مداً وعشرة أمداد من تمر فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها ثم وقع بينهما فجاء زوجها يشكو إلى رسول الله (ص) . فكان (ص) يقول له : اتق الله وامسك عليك زوجك . قال الله [وتخفى في نفسك ما الله مبديه] قال علي بن الحسين زين العابدين والسدي : كان الله قد علم أنها ستكون من أزواجه فهو الذي كان في نفسه عليه السلام . وقد تكلم كثير من السلف هاهنا بأخبار

غريبة وبعضها فيه نظر تركناها. قال الله تعالى [فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها] ، ذلك أن زيدا طلقها فلما انقضت عدتها بعث إليها رسول الله (س) ، يخطبها إلى نفسها ثم تزوجها وكان الذي زوجها منه رب العالمين تبارك وتعالى كما ثبت في صحيح البخاري عن أنس بن مالك أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي (س) ، فتقول : زوجكن أهليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات . وفي رواية من طريق عيسى بن طهمان عن أنس قال : كانت زينب تفخر على نساء النبي (س) ، وتقول : أنكحني الله من السماء . وفيها أنزلت آية الحجاب [يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه] الآية . وروى البيهقي من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : جاء زيد يشكو زينب فجعل رسول الله (س) يقول : اتق الله وأمسك عليك زوجك ، قال أنس : فلو كان رسول الله (س) ، كائناً شتتاً لكم هذه فكانت تفخر على أزواج النبي (س) ، تقول : زوجكن أهليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات ثم قال : رواه البخاري عن أحمد بن محمد بن أبي بكر الملقم عن حماد بن زيد ، ثم روى البيهقي من طريق عفان عن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : جاء زيد يشكو إلى رسول الله (س) من زينب بنت جحش فقال النبي (س) : أمسك عليك أهلك فزلت [ونحني في نفسك ما الله مبديه] ثم قال البخاري عن محمد بن عبد الرحيم عن معلى بن منصور عن محمد مختصراً وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن معوية عن الشعبي قال : كانت زينب تقول للنبي (س) ، اني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن ان جدى وجدك واحد تعنى عبد المطلب فانه أبو أبي النبي (س) ، وأبو أمها أميمة بنت عبد المطلب واني أنكحنيك الله عز وجل من السماء وان المنبر حبريل عليه السلام . وقال الامام أحمد حدثنا هاشم - يعنى ابن القاسم - حدثنا النضر حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال النبي (س) ، زيد اذهب فاذكرها على فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال : فلما رأيتها عظمت في صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر إليها ان رسول الله (س) ، ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي . وقلت يا زينب أبشري أرسلني رسول الله (س) ، بذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي عز وجل ثم قامت إلى مسجدتها ونزل القرآن وجاء رسول الله (س) ، فدخل عليها بغير إذن قال أنس : ولقد رأيتنا حين دخل عليها رسول الله (س) ، اطعمنا عليها الخبز واللحم فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله (س) ، واتبعته فجعل يتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن : يا رسول الله كيف وجدت أهلك ؟ فما أدرى أنا أخبرته والقوم قد خرجوا أو أخبر . قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فالتقى السرير بيني وبينه ونزل

الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به [لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم] الآية ؛ وكذا رواه مسلم والنسائي من طريق سليمان بن المغيرة

نزول الحجاب بحسب عرس زينب

فناسب نزول الحجاب في هذا العرس صيانة لها ولأخواتها من أمهات المؤمنين وذلك وفق الراي العمري . قال البخاري : حدثنا محمد بن عبد الله الرقاش حدثنا معتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا أبو مجاز عن أنس بن مالك قال : لما تزوج رسول الله (س) زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا وجلسوا يتخفون فإذا هو يتها للقيام فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام فلما قام قام وقعد ثلاثة نفر وجاء النبي (س) لينزل فإذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقوا ، فبحث فأخبرت النبي (س) أنهم قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فالتى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله تعالى [يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي] الآية ، وقد رواه البخاري في مواضع أخر ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر . ثم رواه البخاري منفردا به من حديث أيوب عن أبي قلابة عن أنس نحوه . وقال البخاري : حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : بنى على النبي (س) زينب بنت جحش بخبز ولحم فأرسلت على الطعام داعياً فيجىء قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجىء قوم فيأكلون ويخرجون فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه ، فقلت : يا نبي الله ما أجد أحداً أدعوه . قال : ارفعوا طعامكم ، وبقى ثلاثة رهط يتحدثون في البيت ، فخرج النبي (س) فانطلق إلى حجرة عائشة فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، قالت : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته كيف وجدت أهالك بارك الله لك ؟ فتقرى حجر نساء كلهن ويقول لمن كما يقول لعائشة ويقبلن له كما قالت عائشة ثم رجع النبي (س) ، فإذا رهط ثلاثة في البيت يتحدثون وكان النبي (س) شديد الحياء فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة فما أدرى أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا فخرج حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب وأخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب ، فقرأ به البخاري من هذا الوجه . ثم رواه منفرداً به أيضاً عن اسحاق هو ابن نصر عن عبد الله بن بكير السهمي عن حميد بن أنس بنحو ذلك ، وقال « رجلان » بدل ثلاثة والله أعلم قال البخاري : وقال إبراهيم بن طهمان عن الجعد أبي عثمان عن أنس فذكر نحوه . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو المظفر حدثنا جعفر بن سليمان عن الجعد أبي عثمان الشكري عن أنس بن مالك قال : أعرس رسول الله (س) بيمض نساءه فصنعت أم سليم حياءً ثم حطته في ثور فقالت اذهب إلى رسول الله (س) وأخبره ان هذا منا له قليل قال أنس والناس يومئذ في

جهد فجئت به فقلت يا رسول بعث بهذا أم سليم اليك وهي تقرأك السلام وتقول ان هذا منسأله
 قليل فنظر اليه ثم قال ضعه في ناحية البيت ثم قال اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً فسي رجلاً كثيراً
 قال ومن لقيت من المسلمين فدعوت من قال لي ومن لقيت من المسلمين فجئت والبيت والصفة
 والحجرة ملاء من الناس . فقلت يا أبا عثمان كم كانوا قال كانوا زهاء ثلثمائة . قال أنس فقال لي رسول
 الله (ص) جيء فجئت به اليه فوضع يده عليه ودعا وقال ما شاء الله ثم قال ليتخلق عشرة عشرة
 ويسموا وليأكل كل انسان مما يليه فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم فقال لي رسول
 الله (ص) ارفعه قال فجئت فأخذت الثور فنظرت فيه فلا أدري أهو حين وضعته أكثر أم حين
 رفعتة قال وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله (ص) وزوج رسول الله (ص) التي دخل
 بها معهم مولية وجهها الى الحائط فأطالوا الحديث فشقوا على رسول الله (ص) وكان أشد الناس
 حياء ولو علموا كان ذلك عليهم عزيزاً فقام رسول الله (ص) فسلم على حجره وعلى نسائه فلما رآوه
 قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا وجاء رسول الله (ص) حتى أرخى الستر
 ودخل البيت وأنا في الحجرة فكث رسول الله (ص) في بيته يسيرا وأنزل الله القرآن فخرج وهو
 يقرأ هذه الآية [يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين
 اناه ولكن اذا دعيت فادخلوا فاذا طعتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي
 النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق واذا سألتهم من متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم
 أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعد أبدأ
 ان ذلكم كان عند الله عظيماً . ان تبدوا شيئاً أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليماً] قال أنس
 فقرأهن على قبل الناس وأنا أحدث الناس بهن عهداً . وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي جميعاً
 عن قتيبة عن جعفر بن سليمان عن الجعد أبي عثمان به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه مسلم أيضاً
 عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الجعد أبي عثمان به وقد روى هذا الحديث البخاري
 والترمذي والنسائي من طرق عن أبي بشر الاحمسي الكوفي عن أنس بنحوه ورواه ابن أبي
 حاتم من حديث أبي نضرة العبدى عن أنس بنحوه ولم يخرجوه . ورواه ابن جرير من حديث
 عمرو بن سعيد ومن حديث الزهري عن أنس نحوه ذلك . قلت : كانت زينب بنت جحش رضي
 الله عنها من المهاجرات الاول وكانت كثيرة الخير والصدقة وكان اسمها أولاً برة فسماها النبي (ص)
 زينب وكانت تكنى بأب الحکم قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت امرأة قط خيراً في الدين
 من زينب وأتقى الله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة . وثبت في الصحيحين كما
 سيأتي في حديث الافك عن عائشة انها قالت وسأل رسول الله (ص) عن زينب بنت جحش

وهي التي كانت تساميني من نساء النبي (ص)، فقصها الله بالورع فقالت يا رسول الله احى سمى
و بصرى، ما علمت الا خيرا. وقال مسلم بن الحجاج في صحيحه حدثنا محمود بن غيلان حدثنا
الفضل بن موسى الشيباني حدثنا طلحة بن يحيى بن طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت قال رسول
الله (ص) : أسرعن لحوقاً بي أطولكن يداً قالت فكما نتناول أيناً أطول يداً قالت فكانت زينب
أطولنا يداً لأنها كانت تعمل يدها وتصدق. انعم به مسلم. قال الواقدي وغيره من أهل السير
والمغازي والتواريخ توفيت سنة عشرين من الهجرة وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ودفنت بالبقيع وهي أول امرأة صنع لها النعش

سنة سبت من الهجرة

قال البيهقي كان يقال في الحرم منها سرية محمد بن مسلمة قبل نجد وأسروا فيها ثمانية بن أنال
اليمامي قلت : لكن في سياق ابن اسحاق عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه شهد ذلك وهو
انما هاجر بعد خير فيؤخر الى ما بعدها والله أعلم. وهي السنة التي كان في أوائلها غزوة بني لحيان
على الصحيح قال ابن اسحاق وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر من ذي الحجة وولى تلك
الحجة المشركون يعني في سنة خمس كما تقدم. قال ثم أقام رسول الله (ص) بالمدينة ذا الحجة والحرم
وصفراً وشهرى ربيع وخرج في جمادى الاولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة الى بني
لحيان يطلب بأصحاب الربيع حبيب وأصحابه وأظهر انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة قال
ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم والمقصود انه عليه السلام لما انتهى الى منازلهم
هربوا من بين يديه فتحصنوا في رؤوس الجبال فمال الى عسفان فلقى بها جمعاً من المشركين
وصلى بها صلاة الخوف. وقد تقدم ذكر هذه الغزوة في سنة أربع وهناك ذكرها البيهقي والاشبه
ما ذكره ابن اسحاق انها كانت بعد الخندق وقد ثبت انه صلى بعسفان يوم بني لحيان فلتكتب
ها هنا ونحول من هناك اتباعاً لامام أصحاب المغازي في زمانه وبعده كما قال الشافعي رحمه الله :
من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن اسحاق. وقد قال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان :

لو أن بني لحيان كانوا تناظروا لقوا غضباً في دارهم ذات مصدق
لقوا سرعاناً يملأ السرب روعه أمام طحون كالحجرة فيلق
ولكنهم كانوا وباراً تتبعت شعاب حجاز غير ذي متفق

غزوة ذي قرد

قال ابن اسحاق : ثم قدم رسول الله (س) المدينة فلم يبق بها إلا ليالى قلائل حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري في خيل من غطفان على لقاح النبي (س) بالغابة وفيها رجل من بني غفار ومعه امرأته فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح . قال ابن اسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومن لا أنهم عن عبد الله بن كعب بن مالك - كل قد حدث في غزوة ذي قرد بعض الحديث - أنه كان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الاسلمي غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده حتى اذا علا ثنية الوداع نظر الى بعض خيولهم فاشرف في ناحية سلع ثم صرخ : واصباحاه ! ثم خرج يشتد في آثار القوم وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم فجعل يردم بالنبل ويقول :

خُذْهَا يَا ابْنَ الْأَكُوعِ الْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ

فاذا وجهت الخيل نحوه انطلق هارباً ثم عارضهم فاذا أمكنه الرمي رمى ثم قال :

خُذْهَا يَا ابْنَ الْأَكُوعِ الْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ

قال فيقول قائلهم : أويكمننا هو أول النهار . قال : وبلغ رسول الله (س) صباح ابن الأكوع فصرخ بالمدينة : الفرع الفرع . فترامت الخيول الى رسول الله (س) فكان أول من انتهى اليه من الفرسان المقداد بن الاسود ثم عباد بن بشر وسعد بن زيد وأسيد بن ظهير - يشك فيه - وعكاشة بن محصن ومحرز بن فضلة أخو بني أسد بن خزيمه وأبو قتادة الحارث بن ربیع أخو بني سلمة وأبو عياش عبيد بن زيد بن صامت أخو بني زريق قال : فلما اجتمعوا الى رسول الله (س) أمر عليهم سعد بن زيد ثم قال : أخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس وقد قال النبي (س) لا بي عياش فيما بلغني عن رجال من بني زريق يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك فلهق بالقوم قال أبو عياش : قتل يا رسول الله أنا أفرس الناس . ثم ضربت الفرس فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحني فعجبت من ذلك ، فزعم رجال من زريق أن رسول الله (س) أعطى فرساً أبي عياش معاذ بن معاص أو عائذ بن معاص بن قيس بن خلدة وكان ثامناً قال وبعض الناس يعد سلمة بن الأكوع ثامناً وي طرح أسيد بن ظهير فالله أعلم أي ذلك كان . قال : ولم يكن سلمة بن الأكوع يومئذ فارساً قد كان أول من لحق بالقوم على رجله . قال : فخرج الفرسان حتى تلاحقوا فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن فضلة وكان يقال له الاخزم ويقال له قير وكانت الفرس التي تحته لمحمود بن مسلمة وكان يقال للفرس ذو اللمة

فلما انتهى الى العدو قال لهم : قفوا معشر بني السكينة حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والانصار قال : فحمل عليه رجل منهم فقتله وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على أرية من بني عبد الأشهل أى رجع الى مربوطه الذى كان فيه بالمدينة

قال ابن اسحاق ولم يقتل يومئذ من المسلمين غيره قال ابن هشام وقد ذكر غير واحد من أهل العلم انه قد قتل معه أيضا وقاص بن مجرز المدلجي . قال ابن اسحاق وحدثني بعض من لا أنهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أن محرزا كان على فرس لعكاشة بن محصن يقال لها الجناح قتل مجرز واستلب جناح الله أعلم . قال ولما تلاحت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عيينة وغشاه برده ثم لحق بالناس وأقبل رسول الله (ص) في المسلمين . قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فاذا حبيب مسجى ببرد أبي قتادة فاسترجع الناس وقالوا قتل أبو قتادة فقال رسول الله (ص) ليس بأبي قتادة ولكنه قتيل لأبي قتادة ووضع عليه برده لتعرفوا أنه صاحبه قال وادرك عكاشة بن محصن أوبارا وابنه عمرو بن أوبار وهما على بعير واحد فانتظما بالرمح فقتلها جميعا واستنقذا بعض اللقاح قال وسار رسول الله (ص) حتى نزل بالجبل من ذى قرد وتلاحق به الناس فاقام عليه يوما وليلة وقال له سلمة بن الأكوع يارسول الله لوسرحتني في مائة رجل لاستنقذت بقية السرح وأخذت باعناق القوم فقال رسول الله (ص) فيما بلغني : انهم الآن ليغبقون في غطفان فقسم رسول الله (ص) في أصحابه في كل مائة رجل جزورا وأقاموا عليها ثم رجع قافلا حتى قدم المدينة قال واقبلت امرأة الغفاري على ناقة من ابل النبي (ص) حتى قدمت عليه المدينة فاخبرته الخبر فلما فرغت قالت يارسول الله اني قد نذرت الله أن أنحرها ان نجاني الله عليها قال فتبسم رسول الله (ص) ثم قال « بئسما جزيتها أن حملك الله عليها ونجأك بها ثم تنحرنيها انه لا نذر في مصية الله ولا فيما لا يملكك انما هي ناقة من ابل فارجعي الى أهلك على بركة الله » قال ابن اسحاق والحديث في ذلك عن أبي الزبير المكي عن الحسن البصري . هكذا أورد ابن اسحاق هذه القصة بما ذكر من الاسناد والسياق . وقد قال البخاري رحمه الله بعد قصة الحديبية وقبل خير غزوة ذى قرد وهي الغزوة التي أغاروا على لقاح النبي (ص) قبل خير بثلاث حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد سمعت سلمة بن الأكوع يقول خرجت قبل أن يؤذن بالاولى وكانت لقاح النبي (ص) ترعى بنى قرد قال فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال أخنت لقاح النبي (ص) فقلت من أخذها قال غطفان قال فصرخت ثلاث صرخات واصباحاه قال فاصممت ما بين لابق المدينة ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد أجنوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم ببلى وكنت راميا وأقول أنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع وأرنجز حتى استنقذت اللقاح منهم واستلبت منهم ثلاثين بردة قال وجاء النبي (ص) والناس فقلت يارسول الله قد حمت

القوم الماء وهم عطاش فابعث اليهم الساعة . فقال « يا ابن الاكوع ، ملكت فأسجح » ثم رجنا وردفني رسول الله .س. على ناقته حتى قدمنا المدينة . وهكذا رواه مسلم عن قتبية به ورواه البخاري عن أبي عاصم السهلي عن يزيد بن أبي عبيدة عن مولا سلمة بنحوه
وقال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عكرمة بن عمار حدثني اياس بن سلمة بن الاكوع عن أبيه قال : قدمنا المدينة زمن الحديبية مع رسول الله .س. فخرجت فها و رباح غلام النبي .س. بظهر رسول الله .س. وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله أريد أن أنديه مع الابل فلما كان بغلس أغار عبد الرحمن بن عيينة على ابل رسول الله .س. فقتل راعيها وخرج يطردها هو و أناس معه في خيل فقلت يارباج أقعد على هذا الفرس فالحقه بطلحة وأخبر رسول الله .س. أنه قد أغير على سرحه . قال : وقت على تل فجعلت وجهي من قبل المدينة ثم ناديت ثلاث مرات : يا صباها ! قال : ثم اتبعت القوم معي حتى ونبل فجعلت أرميهم وأعقر بهم وذلك حين يكثُر الشجر فاذا رجع إلى فارس جلست له في أصل شجرة ثم رميت فلا يقبل إلى فارس إلا عقرت به فجعلت أرميهم وأنا أقول :

أنا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع

قال : فالحق برجل منهم فارميه وهو على راحلته فيقع سهمي في الرجل حتى انتظم كتفه فقلت خذها وأنا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع

فاذا كنت في الشجر أحرقتهم بالنبل فاذا تضايقت الثنايا علوت الجبل فرددتهم بالحجارة فما زال ذاك شأني وشأنهم اتبعهم وارتجز حتى ما خلق الله شيئاً من ظهر رسول الله .س. إلا خلفته وراء ظهري فاستنقذته من أيديهم ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رجلاً وأكثر من ثلاثين بردة يستخفون منها ولا يلقون من ذلك شيئاً إلا جعلت عليه حجارة وجمعت على طريق رسول الله .س. حتى اذا امتد الضحى أتاهم عيينة بن بدر الفزاري مدداً لهم وهم في ثنية ضيقة ثم علوت الجبل فأنا فوقهم فقال عيينة ما هذا الذي أرى ؟ قالوا لقينا من هذا البرح ما فارقنا بسحر حتى الآن وأخذ كل شيء بأيدينا وجعله وراء ظهره . فقال عيينة لولا أن هذا يرى أن وراءه طلباً لقد ترككم ، ليقم اليه نفر منكم . فقام اليه نفر منهم أربعة فصعدوا في الجبل فلما أسمعهم الصوت قلت أنصرفوني قالوا ومن أنت قلت أنا ابن الاكوع والذي كرم وجه محمد لا يطلبني رجل منكم فيدركني ولا أطلبه فيفوتني . فقال رجل منهم ان أظن . قال فما برحت مقعدى ذلك حتى نظرت الى فوارس رسول الله .س. يخللون الشجر واذا أولهم الاخرم الاسدي وعلى أثره ابو قتادة فارس رسول الله .س. وعلى أثره المقداد بن الاسود الكندي فولى المشركون مدبرين وأنزل من الجبل

فأخذ عنان فرسه ، قلت : يا أخرم أئذن القوم - يعني احذرهم - فإني لا آمن أن يقتطعوك فأتد حتى يلحق رسول الله (س) وأصحابه . قال : ياسلمة ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق والنار حق فلا تحمل يدي وبين الشهادة . قال فخليت عنان فرسه فيلحق بعبد الرحمن ابن عيينة ويمطف عليه عبد الرحمن ، فاختلفا طعنتين ففقر الآخر بعبد الرحمن وطعنه عبد الرحمن فقتله فتحول عبد الرحمن على فرس الآخر فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن فاختلفا طعنتين ففقر بأبي قتادة وقتله أبو قتادة وتحول أبو قتادة على فرس الآخر . ثم اني خرجت أعدو في أثر القوم حتى ما أرى من غبار صحابة النبي (س) شيئاً ويعرضون قبل غيبوبة الشمس الى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد فأرادوا أن يشربوا منه فابصروني أعدو وراءهم فعطفوا عنه وأسندوا في الثنية ثنية ذى بئر وغربت الشمس وألحق رجلاً فارميه قلت : خذها وأنا . الا كـ - والدم دم الرضع . قال فقال يا ثكل أم أ كوع بكرة . قلت نعم أي عدو نفسه . وكان الذي رميته بكرة وأتبعته سهماً آخر فعلق به سهان ويخلفون فرسين فجئت بهما أسوقهما الى رسول الله (س) . يوهو على الماء الذي أجليتهم عنه ذو قرد واذا بنبي الله (س) في خمائة واذا بلال قد نحر جزوراً مما خلفت فهو يشوي (رسول الله (س) من كبها وسنامها فأتيت رسول الله (س) . قلت يا رسول الله خلني فأتحب من أصحابك مائة فأخذ على الكفار بالعشوة فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته . فقال أ كنت فاعلا ذلك ياسلمة ؟ قال قلت نعم والذي أكرمك . فضحك رسول الله (س) . حتى رأيت نواجذه في ضوء النار ثم قال : انهم يقرون الآن بأرض غطفان . فجاء رجل من غطفان فقال : مروا على فلان الغطفاني فنحر لم جزوراً فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا ! غيرة فتركوها وخرجوا هرا باً فلما أصبحنا قال رسول الله (س) . خير فرساننا أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة ، فاعطاني رسول الله (س) . سهم الفارس والراجل جميعاً ثم أردقني وراءه على العضباء راجعين الى المدينة فلما كان بيننا وبينها قريب من ضحوة وفي القوم رجل من الانصار كان لا يسبق جعل يتأدى : هل من مسابق ، ألا رجل يسابق الى المدينة ؟ فأعاد ذلك مراراً وأنا وراء رسول الله (س) . مردقني قلت له : اما تكرم كريماً ولا تهاب شريقاً ؟ قال : لا الا رسول الله (س) . قال قلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي خلني فلاسابق الرجل . قال : ان شئت . قلت أذهب اليك فطفر عن راحلته وثنيته رجلي فطفرت عن الناقة ثم اني ربطت عليه شرفاً أو شرفين يعني استبقيت من نفسي ثم اني عدوت حتى ألحقه فاصك بين كتفيه بيدي قلت سبقتك والله أو كلمة نحوها قال فضحك وقال : ان أظن . حتى قمنا المدينة . وهكذا رواه مسلم من طرق عن عكرمة بن عمار بنحوه وعنده فسبقته الى المدينة فلم نلبث إلا ثلاثاً حتى خرجنا الى خير . ولا أحد هذا السياق . ذكر البخاري والبيهقي هذه الغزوة بعد الحديبية وقبل خير وهو أشبه مما ذكره ابن اسحاق والله أعلم فينبغي

تأخيرها إلى أوائل سنة سبع من الهجرة فان خير كانت في صفر منها
 وأما قصة المرأة التي نجت على ناقة النبي (ص)، ونذرت فحرها لنجاتها عليها فقد أوردها ابن
 اسحاق بروايته عن أبي الزبير عن الحسن البصري مرسلًا . وقد جاء متصلًا من وجوه آخر
 وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي المهلب
 عن عمران بن حصين قال : كانت العضباء لرجل من بني عقيل وكانت من سوابق الحاج فأخذت
 العضباء معه . قال فمر به رسول الله (ص)، وهو في وثاق ورسول الله (ص) على حمار عليه قطيفة
 فقال يا محمد علام تأخذوني وتأخذون سابعة الحاج ؟ فقال رسول الله (ص)، تأخذك بمجيئة حلفائك
 ثقيف قال وكانت ثقيف قد أسروا رجلين من أصحاب النبي (ص)، . وقال فيما قال مسلم فقال رسول
 الله (ص)، لو قتلها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح قال ومضى رسول الله (ص)، فقال يا محمد
 اني جائع فاطعمني واني ظمآن فاسقني فقال رسول الله (ص)، هذه حاجتك ثم فدى بالرجلين وحبس
 رسول الله (ص)، العضباء لرحله . قال ثم ان المشركين أغاروا على سرح المدينة فذهبوا به وكانت
 العضباء فيه وأسروا امرأة من المسلمين . قال وكانوا اذا نزلوا أراحوا ابله بأفئدتهم قال فقالت المرأة
 ذات ليلة بعد ما نوموا فجعلت كلما أتت على بعير رغا حتى أتت على العضباء فأنت على ناقة ذلول
 بحرسه فركبتها ثم وجهتها قبل المدينة قال ونذرت ان الله أنجاها عليها لتنحرنها فلما قدمت المدينة
 عرفت الناقة فقيل ناقة رسول الله (ص)، قال وأخبر رسول الله (ص)، بنذرها أو أنه فأخبرته
 فقال بئس ماجزيتها أو بئس ماجزتها ان أنجاها الله عليها لتنحرنها . قال ثم قال رسول الله (ص)،
 لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم . ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني عن
 حماد بن زيد

قال ابن اسحاق وكان مما قيل من الاشعار في غزوة ذي قرد قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

لولا الذي لاقت ومسّ نسورها	بجنوب ساية أمس في التقواد
للقينكم يحملن كل مدجج	حامي الحقيقة ماجد الاجداد
ولسّر أولاد القبيطة اتنا	سلم غداة فوارس المقداد
كنا ثمانية وكانوا جحفا	لجبا فشكوا بالرماح بداد
كنا من القوم الذين يلونهم	ويقدمون عنان كل جواد
كلا ورب الراقصات الى منى	يقطن عرض مخارم الأطواد
حتى قبيل الخيل في غرصاتكم	وثوب بالليلات والأولاد
رهنوا بكل مقلص وطمرق	في كل معترك عطفن وواد

أَفَنِي دَوَابِرَهَا وَوَلَاخَ مُتُونَهَا يَوْمَ تَقَادُ بِهِ وَيَوْمَ طَرَادِ
فَكَذَلِكَ إِنْ جِيَادَنَا مَلْبُونَةٌ وَالْحَرْبُ مُشْعَلَةٌ بِرِيحِ غَوَادِ
وَسَيُوقِنَا بِيَضِّ الْحِدَائِدِ نَجْتَلِي جَنِّ الْحَدِيدِ وَهَامَةَ الْمِرْتَادِ
أَخَذَ إِلَهُ عَلَيْهِمُ الْحَرَامَ وَلَعَزَّةَ الرَّحْمَنِ بِالْأَسْدَادِ
كَانُوا بَدَارٍ نَاعِمِينَ فَبُتُّلُوا أَيْلَمُ ذِي قَرْدٍ وَجَوْهَ عِنَادِ

قال ابن اسحاق فغضب سعد بن زيد أمير سرية الفوارس المتقدمين أمام رسول الله (ص) على حسان وحلف لا يكلمه أبداً وقال انطلق الى خيلي وفوارسي فجعلها للقداد. فاعتذر اليه حسان بأنه وافق الروي اسم المقداد، ثم قال أحياناً يمدح بها سعد بن زيد :
إذا أردتم الأشد الجلداً أو ذا غناء فعليكم سعداً
سعد بن زيد يلهو هداً

قال فلم تقع منه بموقع. وقال حسان بن ثابت في يوم ذي قرد :
أظن عيينةً اذ زارها بأن سوف يهزم فيها قصورا
فأكذبت ما كنت صدقته وقلتم سنغم أمراً كبيراً
فمفت المدينة اذ زرتها وآنس للأسد فيها زئيراً
وولوا سراعا كشدة النعام ولم يكشفوا عن ملط حصيراً
أمير علينا رسول المليك أحبب بذاك الينا أميراً
رسول يصدق ما جاءه ويتلو كتاباً مضياً منيراً
وقال كعب بن مالك في يوم ذي قرد يمدح الفرسان أيومئذ من المسلمين :

أبحسب أولاد اللقيطة أنسا على الخيل لسناء مثلهم في الفوارس
وإننا أناس لا نرى القتل سبة ولا نقتنى عند الرماح المداعس
وإننا لنفري الضيف من قم القدرى ونضرب رأس الأبلج المتشالوس
نرد كمة المعلمين اذا انتحوا بضرب يسلي نخوة المتعاص
بكل فتي حامي الحقيقة ماجو كريم كسر حان العضة مغالوس
ينودون عن أحسابهم وبلاهم يبيض تده الهام تحت القوانس
فسائل بني بدر اذا ما لقيتهم بما فصل الإخوان يوم التمارس
اذا ما خر جثم فاصدقوا من لقيم ولا تكتموا أخباركم في المجالس
وقولوا زلنا عن مخالب خادر به وخر في الصدر ما لم يمارس

غزوة بني المصطلق من خزاعة

قال البخاري وهي غزوة المريسيع . قال محمد بن اسحاق وذلك في سنة ست . وقال موسى بن عقبة سنة أربع . وقال النعمان بن راشد عن الزهري كان حديث الافك في غزوة المريسيع هكذا رواه البخاري عن مغازي موسى بن عقبة انها كانت في سنة أربع . والذي حكاه عنه وعن عروة انها كانت في شعبان سنة خمس . وقال الواقدي كانت لليلتين من شعبان سنة خمس في سبعاثة من أصحابه . وقال محمد بن اسحاق بن يسار بعد ما أورد قصة ذي قرد فأقام رسول الله (ص) بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجب ثم غزا بني المصطلق من خزاعة في شعبان سنة ست . قال ابن هشام واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري ويقال نيلة بن عبد الله الليثي قال ابن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومحمد بن يحيى بن جبان كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق قالوا : بلغ رسول الله (ص) ان بني المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية بنت الحارث التي تزوجها رسول الله (ص) بعد ذلك فلما سمع بهم خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتراحم الناس واقتتلوا فزهم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم ونقل رسول الله (ص) أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأقامهم عليه وقال الواقدي خرج رسول الله (ص) لليلتين مضتا من شعبان سنة خمس من الهجرة في سبعاثة من أصحابه الى بني المصطلق وكانوا حلفاء بني مدلج فلما انتهى اليهم دفع راية المهاجرين الى أبي بكر الصديق ويقال الى عمار بن ياسر وراية الانصار الى سعد بن عباد ، ثم أمر عمر بن الخطاب فنادى في الناس أن قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم فأبوا فتراموا بالنبل ، ثم أمر رسول الله (ص) المسلمين فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم رجل واحد وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد . وثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عون قال كتبت الى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال فقال : قد أغار رسول الله (ص) على بني المصطلق وهم غارون في أنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبي سيبيهم فأصاب يومئذ - أحسبه قال - جويرية بنت الحارث . وأخبرني عبد الله بن عمر بذلك وكان بذلك الجيش قال ابن اسحاق وقد أصيب رجل من المسلمين يقال له هشام بن صبابه أصابه رجل من الانصار وهو يرى انه من العدو فقتله خطأ

وذكر ابن اسحاق أن أخاه مقيس بن صبابه قدم من مكة مظهراً للإسلام فطلب دية أخيه هشام من رسول الله (ص) لانه قتل خطأ فأعطاه دينه ثم مكث يسيراً ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ورجع

مرتداً الى مكة وقال في ذلك :

شفي النفس ان قد بات بالقاع مسنداً
يضرّجُ نويته دماءُ الاخادع
وكانت همومُ النفس من قبل قتله
نلّمُ فتحميني وطاءَ المضاجع
حلتُ به وتري وأدركتُ ثورتي
وكنّت الى الاوثان أولَ راجع
ثارتُ به فهِراً وحلّتُ عقلهُ
سراةُ بني النجار أربابَ فارع

قلت : ولهذا كان مقيس هذا من الاربعة الذين أهدر رسول الله (س) يوم الفتح دماءهم وان وجدوا معلقين باستار الكعبة . قال ابن اسحاق فبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني : يامعشر الانصار وصرخ جهجاه : يامعشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أبي بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد ابن أرقم غلام حدث فقال أوقد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما أعدنا وجلايب قريش هذه الا كما قال الاول « ممن كلبك يا كلك » أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل . ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : هذا ما فعلتم بانفسكم احلتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير داركم . فسمع ذلك زيد ابن أرقم فمشى به الى رسول الله (س) ، فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال من مر به عباد ابن بشر فليقتله . فقال رسول الله (س) : فكيف يا عمر اذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه لا ولكن آذن بالرحيل . وذلك في ساعة لم يكن رسول الله (س) يرتحل فيها فارتحل الناس وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول الى رسول الله (س) ، حين بلغه أن زيد بن أرقم بلغه ما سمع منه فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به وكان في قومه شريفاً عظيماً فقال من حضر رسول الله (س) من الانصار من أصحابه يارسل الله عسى ان يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل حذراً على ابن أبي ودفعه عنه . فلما استقل رسول الله (س) ، وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه وقال : يارسل الله والله لقد رحمت في ساعة منكورة ما كنت تروح في مثلها . فقال له رسول الله (س) : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال أي صاحب يارسل الله ؟ قال عبد الله بن أبي . قال وما قال قال زعم أنه ان رجع الى المدينة اخرج الأعز منها الاذل قال فانت والله يارسل الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وانت العزيز ثم قال يارسل الله ارفق فوالله لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظموه لخرز ليتوجه فانه ليرى انك قد استلبته ملكاً . ثم مشى رسول الله (س) بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذنتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم

يلبثوا ان وجبوا مس الارض فوقوا نياما . وانما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالامس من حديث عبد الله بن ابي نمر راح رسول الله (س)، بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع يقال له بقاء فلما راح رسول الله (س)، هبت على الناس ريح شديدة فأذتهم وتخوفوها فقال رسول الله (س)، : لا تخوفوها فانما هبت لموت عظيم من عطاء الكفار . فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعه بن زيد بن النابوت أحد بنى قينقاع وكان عظيما من عطاء اليهود وكهنا للمنافقين مات ذلك اليوم . وهكذا ذكر موسى بن عقبة والواقدي . وروى مسلم من طريق الاعمش عن ابي سفيان عن جابر نحوه هذه القصة الا أنه لم يسم الذى مات من المنافقين قال هبت ريح شديدة والنبي (س)، فى بعض أسفاره فقال هذه لموت منافق فلما قدمنا المدينة اذا هو قد مات عظيم من عطاء المنافقين . قال ابن اسحاق ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى ابن ابي ومن كان على مثل أمره فأخذ رسول الله (س)، بأذن زيد بن أرقم وقال هذا الذى أوفى الله بأذنه . قلت وقد تكلمنا على تفسيرها بتمامها فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية عن اعادته هاهنا وسردنا طرق هذا الحديث عن زيد بن أرقم والله الحمد والمنة ، فن أراد الوقوف عليه أو أحب أن يكتبه هاهنا فليطلبه من هناك والله التوفيق . قال ابن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن ابي بن سلول أتى رسول الله (س)، فقال يا رسول الله انه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن ابي فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمر لى به فأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده منى وأنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أن أنظر الى قاتل عبد الله بن ابي يمشى فى الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار . فقال رسول الله (س)، بل نترفق به ونحسن صحبتته ما بقى معنا . وجعل بعد ذلك اذا أحدث الحديث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخونه ويمنفونه فقال رسول الله (س)، لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم كيف ترى يا عمر أما والله لو قتلته يوم قلت لى لارعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته . فقال عمر قد والله علمت الأمر رسول الله (س)، أعظم بركة من أمرى . وقد ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما ان ابنه عبد الله رضى الله عنه وقف لايه عبد الله بن ابي بن سلول عند مضيق المدينة فقال قف فوالله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله (س)، فى ذلك فلما جاء رسول الله (س)، استأذنه فى ذلك فأذن له فأرسله حتى دخل المدينة . قال ابن اسحاق وأصيب يومئذ من بنى المصطلق ناس وقتل على بن ابي طالب منهم رجلين مالكا وابنه . قال ابن هشام وكان شعار المسلمين : يا منصور أمت أمت

قال ابن اسحاق وكان رسول الله (س)، أصاب منهم سبياً كثيراً قسمهم فى المسلمين وقال

البخارى حدثنا قتيبة بن سعيد أخبرني اسماعيل بن جعفر عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن محمد بن يحيى بن خبان عن ابن محيريز أنه قال دخلت المسجد فראيت أبا سعيد الخدرى فجلست اليه فسألته عن العزل فقال أبو سعيد خرجنا مع رسول الله (ص) في غزوة بنى المصطلق فأصبنا سبياً من سبي العرب فاشتبهينا النساء واشتد علينا العزوبة وأحببنا العزل وقلنا نعزل ورسول الله (ص) بين أظهرنا قبل أن نسأله فسألناه عن ذلك فقال : ما عليكم أن لا تفعلوا ما من نسمة كائنة الى يوم القيامة الا كائنة وهكذا رواه . قال ابن اسحاق : وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت : لما قسم رسول الله (ص) سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس ابن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاحه لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله (ص) لتستعينه في كتابتها قالت : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرى فكرهتها وعرفت أنه سبى منها ما رأيت . فدخلت عليه فقالت يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك فوقعت في السهم لثابت ابن قيس بن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسى فجئتك أستعينك على كتابتى . قال : فهل لك فى خير من ذلك ؟ قالت وما هو يا رسول الله قال أقضى عنك كتابك وتزوجك . قالت : نعم يا رسول الله قد فعلت . قالت : وخرج الخبر الى الناس أن رسول الله (ص) قد تزوج جويرية بنت الحارث فقال الناس أمهارة رسول الله (ص) فارسلوا ما بأيديهم قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها . ثم ذكر ابن اسحاق قصة الافك بتامها فى هذه الغزوة وكذلك البخارى وغير واحد من أهل العلم وقد حررت طرق ذلك كله فى تفسير سورة النور فليلق بكماله الى ها هنا والله المستعان

وقال الواقدي حدثنا حرام عن هشام بن عروة عن أبيه قال : قالت جويرية بنت الحارث رأيت قبل قدوم النبي (ص) بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع فى حجرى فكرهت أن أخبر به أحداً من الناس حتى قدم رسول الله (ص) فلما سئينا رجوت الرؤيا قالت : فأعتقنى رسول الله (ص) وتزوجنى والله ما كنت فى قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وما شعرت الا بجارية من بنات عى تخبرنى الخبر فحمدت الله تعالى . قال الواقدي : ويقال ان رسول الله (ص) جعل صداقها عتق أربعين من بنى المصطلق . وذكر موسى بن عقبة عن بنى المصطلق أن أباهما طلبها وافتداهما ثم خطبها منه رسول الله (ص) فزوجه إياها

قصّة اللؤلؤ

وهذا سياق محمد بن اسحاق حديث الافك : قال ابن اسحاق حدثني زهري عن علقمة بن وقاص وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعبد الله بن عبيد الله بن عتبة قال الزهري : وكل قد حدثني بهذا الحديث وبعض القوم كان أوعى له من بعض وقد جمعت كل الذي حدثني القوم . قال ابن اسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة وعبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة عن نفسها حين قال فيها أهل الافك ما قالوا ، فكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه وكل كان عنها قلة فكأنهم حدث عنها بما سمع قالت : كان رسول الله (س) إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فإيهن خرج سهمها خرج بها معه فلما كان غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهن معه فخرج بي رسول الله (س) . قالت : وكان النساء إذا ذاك يأكلن العلق لم يهجن اللحم فينقلن وكنت إذا رُحِل لي بعيري جلست في هودج ثم يأتي القوم الذين كانوا يرحلون لي فيحملوني ويأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله (س) من سفره ذلك وجه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل ثم أذن مؤذن في الناس بأرحيل فأرحل الناس وخرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد في فيه جزع ظفار فلما فرغت النسل من عنقي ولا أدري فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمس في عنقي فلم أجده وقد أخذ الناس في الرحيل فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون لي البعير وقد كانوا فرغوا من رحلته فأخذوا الهودج وهم يظنون أني فيه كما كنت أصنع فاحتملوه فشده على البعير ولم يشكوا أني فيه ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به فرجعت إلى المسكر وما فيه داع ولا حبيب قد انطلق الناس . قالت فتلفت ببجلبابي ثم اضطجعت في مكاني وعرفت أن لو افتقت لرجع الناس إلى . قالت فوالله أني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المطلب السلمي وكان قد تخلف عن المسكر لبعض حاجاته فلم يبت مع الناس فرأى سوادى فأقبل حتى وقف على وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب فلما رأيته قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ظمينة رسول الله (س) ؟ وأنا متلففة في ثيابي . قال ما خلفك يرحمك الله ؟ قالت فما كلمته . ثم قرب إلى البعير فقال اركبي واستأخر عني . قالت فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس فوالله ما أدركنا الناس وما افتقت حتى أصبحت وفزل الناس فلما اطمأنوا اطلع الرجل يقود بي فقال أهل الافك ما قالوا وأرتج المسكر ووالله ما أعلم بشيء من ذلك ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى

شديدة لا يبلغني من ذلك شيء . وقد انتهى الحديث الى رسول الله (س) ، والى أبوي لا يذكرون لي منه قليلا ولا كثيرا إلا أني قد أنكرت من رسول الله (س) ، بعض لطفه بي كنت اذا اشتكيت رحنى ولطف بي فلم يفعل ذلك بي في شكواي ذلك فانكرت ذلك منه ، كان اذا دخل على وعندى أمي (١) تمرضنى قال كيف تيكم ؟ لا يزيد على ذلك قالت حتى وجدت في نفسى فقلت يا رسول الله حين رأيت ما رأيت من جفائه لي : لو أذنت لي فانتقلت الى امي فرضتني قال لا عليك قالت فانتقلت الى أمي ولا علم لي بشيء مما كان حتى نهدت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة وكنتا قوماء عرايا لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذها الاعاجم نعاها ونكرها انما كنا نخرج في فسخ المدينة وانما كانت النساء يخرجن في كل ليلة في حوائجهن فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أم مسطح ابنة ابي رهم بن المطلب قالت فوالله إنها لتمشى معى اذ عثرت في مرطها فقالت تعس مسطح (ومسطح لقب واسمه عوف) قالت فقلت بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين وقد شهد بدرا قالت أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر قالت قلت وما الخبر فاخبرتنى بالذى كان من قول أهل الافك قلت أو قد كان هذا قالت نعم والله لقد كان قالت فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى ورجعت فوالله ما زلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي قالت وقلت لامي يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكريني لي من ذلك شيئا قالت أى بنية خفى عليك الشأن فوالله لقل ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها قالت وقد قام رسول الله (س) فخطبهم ولا أعلم بذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ما بال رجال يؤذونى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق والله ما علمت عليهم إلا خيرا ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيرا ، ولا يدخل بيتنا من بيوتى إلا وهو معى ، قالت وكان كبير ذلك عند عبد الله بن أبى بن سلول فى رجل من الخزرج مع الذى قال مسطح وحنه بنت جحش وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله (س) ، ولم تكن امرأة من نسائه تناصبنى فى المنزلة عنده غيرها فأما زينب فمصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيرا وأما حمنة فاشاعت من ذلك ما أشاعت تضارنى لاختها فشقيت بذلك فلما قال رسول الله (س) تلك المقالة قال أسيد بن حضير يا رسول الله ان يكونوا من الاوس فكفيكمهم وان يكونوا من اخواننا من الخزرج فرنا أمك فوالله انهم لأهل أن تضرب أعناقهم قالت فقام سعد بن عباد وكان قبل ذلك يرى رجلا صالحا فقال كذبت لعمر الله ما تضرب أعناقهم أما والله ما قلت هذه المقالة الا انك قد عرفت انهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا . فقال أسيد بن حضير كذبت لعمر الله ولكنك منافق تجادل عن المنافقين . قالت وتساور الناس حتى كاد

(١) فى سيرة ابن هشام : هى أم رومان ، واسمها زينب بنت عبد دهمان احد بنى فراس بن غنم بن مالك بن كنانة

يكون بين هذين الحين من الأوس والخزرج شر، ونزل رسول الله (ص) فدخل على فدعا
على بن أبي طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما فأما أسامة فأتني خيراً وقاله ثم قال يا رسول الله أهلك
وما نعلم منهم الا خيراً وهذا الكذب والباطل . وأما على فانه قال يا رسول الله ان النساء لكثير
وانك لقادر على أن تستخلف وسل الجارية فانها ستصدقك . فدعا رسول الله (ص) بريرة يسألها
قالت قدام اليها على فضربها ضرباً شديداً ويقول : أصدقى رسول الله (ص) . قالت فتقول والله
ما أعلم الا خيراً وما كنت أعيب على عائشة شيئاً الا اني كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه
فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله . قالت ثم دخل على رسول الله (ص) . وعندي أبواي وعندي امرأة
من الانصار وأنا أبكي وهي تبكي فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا عائشة انه قد كان ما بلغك
من قول الناس فاتني الله وان كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى الى الله فان الله يقبل
التوبة عن عباده . قالت فوالله ان هو الا أن قال لي ذلك فقلص دمعي حتى ما أحس منه شيئاً
. وانتظرت أبوي أن يجييا عني رسول الله (ص) فلم يتكلم . قالت وأيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي
وأصغر شأن من أن ينزل الله في قرآناً يقرأ به ويصلى به، ولكني كنت أرجو أن يرى النبي (ص)
في نومه شيئاً يكذب الله به عني لما يعلم من برائي ويخبر خبراً وأما قرآننا ينزل في فوالله لنفسي كانت
أحقر عندي من ذلك قالت فلما لم أر أبوي يتكلمان قلت لهما ألا تجييان رسول الله (ص) ؟ فقالا والله
ماندري بما نجيبه . قالت ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك
الايام قالت فلما استعجبا على استعبرت فبكيت ثم قلت والله لا أتوب الى الله مما ذكرت أبداً والله
اني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم اني منه بريئة لأقولن ما لم يكن ولئن أنا أنكرت
ما يقولون لا تصدقوني قالت ثم التمس اسم يعقوب فما أذكره فقلت ولكن سأقول كما قال أبو
يوسف [فصر جميل والله المستعان على ما تصفون] قالت فوالله ما برح رسول الله (ص) بحلمه حتى
تغشاه من الله ما كان يتغشاه فسجى بثوبه ووضعت وسادة من آدم تحت رأسه فأما أنا حين رأيت
من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعت وما باليت قد عرفت اني بريئة وان الله غير ظلمي وأما أبواي فوالذي
نفس عائشة بيده ما سري عن رسول الله (ص) حتى ظننت لنخرجن أنفسهما فرقاً من أن يأتي
من الله تحقيق ما قال الناس . قالت ثم سري عن رسول الله (ص) فجلس وانه ليتحدر من وجهه مثل
الجمان في يوم شات فجعل يمسح العرق عن وجهه ويقول : أبشري يا عائشة قد أنزل الله عز وجل
برائك . قالت قلت الحمد لله . ثم خرج الى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن
في ذلك ثم أمر بمسطح بن أئانة وحسان بن ثابت وحننة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة
فضربوا حذم

وهذا الحديث يخرج في الصحيحين عن الزهري . وهذا السياق فيه فوائد جمة . وذكر حد القنف لحسان ومن معه رواه أبو داود في سننه . قال ابن اسحاق وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه :

لقد ذاقَ حَسَّانُ الذي كان أهله وحنة اذ قالوا هجيراً ومسطح
تعاطوا برجم الغيب زوجَ نبيِّهم وسخطة ذي العرش الكريم فأترحوا
وآدوا رسولَ الله فيها فخللوا مخازي تبقي عموماً وفصحوا
وصبَّتْ عليهم محصداً كأنها شأيبُ قطرٍ في ذرا المزن تسفح
وقد ذكر ابن اسحاق أن حسان بن ثابت قال شعراً يهجو فيه صفوان بن المطلب وجماعة من قريش ممن تحاصم على الماء من أصحاب جهجاه كما تقدم أوله هي :

أسى الجلايب قد عزوا وقد كثروا وابنُ الفريعة أسى يئضة البلد
قد ثكلت أمه من كنت صاحبه أو كان منتشبا في برثن الاسد
ما لقتيلي الذي أعدو فأخذه من دية فيه يُعطاه ولا قود
ما البحر حين نهب الريح صميه فيفطّل ويرمي العبر بالزبد
يوماً بأغلب مني حين تُبصرني ملغظ أفرى كفرى العارض البرد
أما قريش فاني لا أسألها حتى يُليبوا من الفيات للرشد
ويتركوا اللات والعزى بمعزلة ويسجدوا كلهم للواحد الصمد
ويشهدوا أن ما قال الرسول لهم حق فيؤفوا بحق الله والوكد

قال : فاعترضه صفوان بن المطلب فضربه بالسيف وهو يقول :

تلقَ دُبابَ السيف عني فاني غلامٌ اذا هوجيتُ لستُ بشاعر

و ذكر أن ثابت بن قيس بن شماس أخذ صفوان حين ضرب حسان فشده وثاقاً فلقبه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ فقال : ضرب حسان بالسيف . فقال عبد الله هل علم رسول الله (س) بشيء من ذلك ؟ قال لا . فاطلقه ثم أتوا كلهم رسول الله (س) فقال ابن المطلب : يا رسول الله آذاني وهجاني فأحتملني الغضب فضربته . فقال رسول الله (س) : يا حسان أتشوهت على قومي إذ هدام الله . ثم قال : أحسن يا حسان فيما أصابك . فقال : هي لك يا رسول الله . فعوضه منها ببرحاء التي تصدق بها أبو طلحة وجارية قبطية يقال لها سيرين جاءه منها ابنه عبد الرحمن . قال : وكانت عائشة تقول سئل عن ابن المطلب فوجد رجلاً حصوراً ما يأتى النساء . ثم قتل بعد ذلك شهيداً رضى الله عنه . قال ابن اسحاق : ثم قال حسان ابن ثابت يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة :

حَصَانٌ رِزَانٌ مَا تُزْنُ بِرَبِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غَرَقَى مِنْ لُحُومِ النُّوَافِلِ
عَقِيلَةٌ حَتَّى مِنْ لُؤْيَ بْنِ غَالِبٍ كَرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ
وَأَنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَا تُطِ بَكَ الدَّهْرُ بَلْ قِيلَ أَمْرِي بِي مَاحِلِ
فَأَنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُ فَلَا رَفْعَ سَوَطِي إِلَى أَنْ أَمْلِي
فَكَيْفَ وَوَدَى مَا حَيِّتُ وَنُضِرْتُ لَا لَ رَسُولَ اللَّهِ زَيْنَ الْحَافِلِ
وَأَنْ لَمْ عَزَأْ تَرَى النَّاسَ دُونَهُ قِصَاراً وَطَالَ الْعَرُّ كُلُّ التَّطَاوُلِ

ولتكتب هاهنا الآيات من سورة النور وهي من قوله تعالى [ان الذين جاءوا بالا فلك عصابة منكم الانحسود شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الانم - الى - مغفرة ورزق كريم] وما أوردناه هنالك من الاحاديث والطرق والآثار عن السلف والخلف وبالله التوفيق

خزوة الحزبية

وقد كانت في ذى القعدة سنة ست بلا خلاف . ومن نص على ذلك الزهري ونافع مولى ابن عمر وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن اسحاق بن يسار وغيرهم . وهو الذي رواه ابن لمبة عن أبي الاسود عن عروة انها كانت في ذى القعدة سنة ست . وقال يعقوب بن سفيان حدثنا اسماعيل ابن الخليل على علي بن مسهر أخبرني هشام بن عروة عن أبيه قال خرج رسول الله (س) الى الحديبية في رمضان وكانت الحديبية في شوال . وهذا غريب جدا عن عروة . وقد روى البخاري ومسلم جميعا عن هذبة عن همام عن قتادة أن أنس بن مالك أخبره ان رسول الله (س) اعتمر أربع عمر في ذى القعدة الا العمرة التي مع حجته . عمرة من الحديبية في ذى القعدة وعمرة من العام المقبل في ذى القعدة ومن الجمرانة في ذى القعدة حيث قسم غنائم حنين وعمرة مع حجته . وهذا لفظ البخاري . وقال ابن اسحاق ثم أقام رسول الله (س) بالمدينة رمضان وشوال وخرج في ذى القعدة معتمرا لا يريد حربا قال ابن هشام واستعمل على المدينة نائلة بن عبد الله الليثي . قال ابن اسحاق واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الاعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ عليه كثير من الاعراب وخرج رسول الله (س) بمن معه من المهاجرين والانصار ومن لحق به من العرب وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وليعلم الناس انه انما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له . قال ابن اسحاق وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم انهما حدثاه قال خرج رسول الله (س) عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدى سبعين بدنة وكان الناس مبعثاة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر وكان جابر بن عبد الله

فيا بلغنى يقول كنا أصحاب الحديدية أربع عشرة مائة . قال الزهرى وخرج رسول الله (ص) حتى اذا كان بعسفان لقيه بشر^(١) بن سفيان الكعبي فقال يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جنود النور وقد نزلوا بنى طوى يماهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموا الى كراع النعيم قال فقال رسول الله (ص) يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فانهم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا وان أظهرني الله عليهم دخلوا في الاسلام وافرين وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على هذا الذي بعثنى الله به حتى يظهر الله أو تنفرد هذه السالفة ثم قال من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها . قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر ان رجلا من أسلم قال أنا يا رسول الله فسلك بهم طريقاً وعرا أجزل بين شعاب فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين فأفضوا الى أرض سهلة عند منقطع الوادي قال رسول الله قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها للحطة التي عرضت على بنى اسرائيل فلم يقولوها . قال ابن شهاب فأمر رسول الله (ص) الناس فقال اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الخضر في طريق يخرج على ثنية المزارع مبط الحديدية من أسفل مكة . قال فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأت حيل قريش قفرة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين الى قريش . وخرج رسول الله (ص) حتى إذا سلك في ثنية المزارع بركت ناقته فقال الناس خلأت فقال ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حاس الفيل عن مكة لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يسألوني فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها . ثم قال للناس انزلوا . قيل له يا رسول الله ما بالوادي ماء ينزل عليه . فأخرج سهما من كناته فأعطاه رجلا من أصحابه فنزل به في قليب من تلك القلب ففرزه في جوفه فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بطن . قال ابن اسحاق : فحدثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم ان الذي نزل في القليب بسهم رسول الله (ص) ناجية بن جندب^(٢) سائق بدن رسول الله (ص) . قال ابن اسحاق وقد زعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذي نزلت بسهم رسول الله (ص) فالله أعلم أي ذلك كان . ثم استدل ابن اسحاق للاول ان جارية من الانصار جاءت البئر وناجية أسفله يبيع فقالت :

يا أيها المائح دلوى دونكا
إني رأيتُ الناس يحمونكا
يثنون خيراً ويمجّونكا

(١) قال ابن هشام : ويقال « بشر » (٢) تمامه عند ابن هشام : ناجية بن جندب بن حمير بن عمار بن دارم بن عمرو بن وائلة بن سهم بن مازن بن سلامان بن أسلم بن أقي ن أبي حارثة

فأجابها فقال :

قد علمت جارية يمانية أني أنا المائض وأسمي ناجيه
وطعنة ذات رشاش وأهيه طعنتها عند صدور العاديه

قال الزهري في حديثه : فلما اطمان رسول الله .س. أتاه بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة فكلّموه وسألوه ما الذي جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً وإنما جاء زائراً للبيت ومعظما لحرمته . ثم قال لهم نحو ما قال لبشر بن سفيان فرجعوا الى قريش فقالوا : يا معشر قريش انكم تعجلون على محمد ، وإن محمداً لم يأت لقتال إنما جاء زائراً لهذا البيت . فاتهمهم وجههم وقالوا وإن جاء ولا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة ولا تحدث بذلك عنا العرب . قال الزهري : وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله .س. مسلمها ومشرکہا لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة . قال : ثم بعثوا اليه مكرز بن حفص بن الاخيف أخا بني عامر بن لؤي فلما رآه رسول الله .س. مقبلاً قال هذا رجل غادر فلما انتهى الى رسول الله .س. وكلمه قال له رسول الله .س. نحو ما قال لبديل وأصحابه فرجع الى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله .س. ثم بعثوا بجليس بن علقمة أو ابن زبان وكان يومئذ سيد الاحابيش وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة فلما رآه رسول الله .س. قال : ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه . فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أو باره من طول الحبس عن محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله .س. اعظاما لما رأى فقال لهم ذلك . قال فقالوا له : اجلس فانما أنت أعزّ أبي لا علم لك . قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن الحليس غضب عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالنا كم ولا على هذا عاهدناكم ، أيصد عن بيت الله من جاءه معظما له ؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاءه أو لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد . قالوا : مه كف عنا حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به . قال الزهري في حديثه : ثم بعثوا الى رسول الله .س. عروة بن مسعود الثقفي فقال : يا معشر قريش اني قد رأيت ما يلقي منكم من بعثتموه الى محمد اذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرقتكم أنكم وألدي واني ولد وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس وقد سمعت بالذي نابكم فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئتكم حتى آسيتمكم بنفسى . قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم . فخرج حتى أتى رسول الله .س. فجلس بين يديه ثم قال يا محمد أجمعت أو شاب الناس ثم جئت بهم الى بيضتك لتفضها بهم إنما قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً ، وإيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً . قال وأبو بكر الصديق رضي الله عنه خلف رسول الله .س. فقال : امصص بظر اللات

ألمن ننكشف عنه؟ قال من هذا يا محمد؟ قال هذا ابن أبي قحافة. قال أما والله لو لا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ولكن هذه بهنـه قال: ثم جعل يتناول لحية رسول الله (ص)، وهو يكلمه والمغيرة ابن شعبة واقف على رأس رسول الله (ص)، في الحديد، قال: فجعل يقرع يده اذ يتناول لحية رسول الله (ص)، ويقول اكفف يدك عن وجه رسول الله (ص)، قبل أن لاتصل اليك قال فيقول عروة ويحك ما أفظك وأغلظك. قال: فتبسم رسول الله (ص)، فقال له عروة من هذا يا محمد؟ قال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة قال أي غدر وهل غسـلت سوءك إلا بالامس. قال الزهري فكلمه رسول الله (ص)، الله بنحو مما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً فقام من عند رسول الله (ص)، وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ إلا ابتسروا وضوءه ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه فرجع الى قريش فقال: يامعشر قريش اني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رأيت ملكاً في قومه قط مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قوماً لا يسلّمونه لشيء أبداً فروا رأيكم. قال ابن اسحاق وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله (ص)، دعا خراش بن أمية الخزاعي فبعثه الى قريش بمكة وحمـله على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ماجاء له فمقروا به جعل رسول الله (ص)، وأرادوا قتله فثمنه الاحابيش نخلوا سبيله حتى أتى رسول الله (ص)،. قال ابن اسحاق وحدثني بعض من لا أنهم عن عكرمة عن ابن عباس أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين أمروء أن يطيفوا بعسكر رسول الله (ص)، ليصيبيوا لهم من أصحابه أحداً فأخذوا فأتى بهم رسول الله (ص)، فغفا عنهم وخلي سبيلهم وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله (ص)، بالحجارة والنبل ثم دعا عمر بن الخطاب ليعثه الى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ماجاء له فقال يا رسول الله اني أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة من بني عدى أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان ابن عفان فدعا رسول الله (ص)، عثمان بن عفان فبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت للحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقبه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمـله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله (ص)، فانطلق عثمان حتى أتى أباسفيان وعظاء قريش فبلغهم عن رسول الله (ص)، ما أرسله به فقالوا لعثمان حين بلغ رسالة رسول الله (ص)، إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. قال ما كنت لأفـل حتى يطوف به رسول الله (ص)،. واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله (ص)، والمسلمين أن عثمان قد قتل. قال ابن اسحاق فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله (ص)، قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: لا نبرح حتى نلجز القوم. ودعا رسول الله (ص)، الى البيعة وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة

وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله (ص)، على الموت وكان جابر بن عبد الله يقول ان رسول الله (ص) لم يبايعنا على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر فبايع رسول الله (ص) الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجند بن قيس أخو بني سلمة وكان جابر بن عبد الله يقول والله اكأنى أنظر اليه لاصقاً بأبط ناقته قد ضباً اليها يستتر من الناس . ثم أتى رسول الله (ص) أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل . قال ابن هشام وذكر وكيع عن اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي أن أول من بايع رسول الله (ص) بيعة الرضوان أبو سنان الاسدي . قال ابن هشام وحدثني من أثق به عن حديثه باسناد له عن ابن أبي مليكة عن ابن عمر أن رسول الله (ص) بايع لعثمان فضرب بأحدى يديه على الأخرى . وهذا الحديث الذي ذكره ابن هشام بهذا الاسناد ضعيف لكنه ثابت في الصحيحين . قال ابن اسحاق : قال الزهري ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي الى رسول الله (ص) وقالوا آت محمداً وصالحه ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبداً . فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله (ص) مقبلاً قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهل الى رسول الله (ص) تكلم فأطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر فأتى أبا بكر فقال يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ قال بلى . قال أولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى قال أوليسوا بالمشركين ؟ قال بلى . قال فعلام نعطي الدنية في ديننا قال أبو بكر يا عمر الزم غرزه فأتى اشهد انه رسول الله قال عمر وانا اشهد انه رسول الله : ثم أتى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله أأست برسول الله قال بلى قال أولسنا بالمسلمين قال بلى قال أوليسوا بالمشركين قال بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا قال انا عبد الله ورسوله لن اخالف أمره ولن يضيعني . وكان عمر رضى الله عنه يقول ما زلت أصوم واتصدق وأصلي واعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمته يومئذ حتى رجوت أن يكون خيراً . قال ثم دعا رسول الله (ص) على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال فقال سهيل لا اعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم قال فقال رسول الله (ص) اكتب باسمك اللهم فكتبها ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو . قال فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك . ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . قال فقال رسول الله (ص) : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلاحاً على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على انه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه وان بيننا عيبة مكفوفة وانه لا اسلال ولا اغلال وانه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه . فتوالت خراة فقالوا نحن في عقد محمد وعهده

وتوالت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ، وانك ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وانه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقت بها ثلاثاً معك سلاح الركب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها . قال : فبينما رسول الله (س) يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو ورسف في الحديد قد انقلت الى رسول الله (س) ، وقد كان أصحاب رسول الله (س) قد خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله (س) ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله (س) في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام اليه فضرب وجهه وأخذ بتأبيه وقال : يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : صدقت فجعل ينتره بتليبيه ويحجره يعني يردّه الى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أريد الى المشركين يفتنونني في ديني فزاد ذلك الناس الى ما بهم . فقال رسول الله (س) : يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً . انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله ، وانا لا نغدر بهم . قال : فوثب عمر ابن الخطاب مع أبي جندل يمشي الى جنبه ويقول : اصبر أبا جندل ، فانما هم المشركون وانما دم أحدم دم كلب . قال : ويدني قائم السيف منه . قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب أباه . قال : فضن الرجل بأبيه ونفنت القضية . فلما فرغ رسول الله (س) من الكتاب أشد على الصلح رجلاً من المسلمين ورجلاً من المشركين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة ومكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك وعلي بن أبي طالب ، وكتب وكان هو كاتب الصحيفة

وكان رسول الله (س) مضطرباً في الحل^(١) وكان يصلي في الحرم ، فلما فرغ من الصلح قام الى هديه فنحره ، ثم جلس فخلق رأسه ، وكان الذي خلقه في ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي ، فلما رأى الناس أن رسول الله (س) قد نحروا خلق توابوا ينحرون ويحلقون . قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال : خلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون ، قال رسول الله (س) : « يرحم الله المحلقين » قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحلقين » قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : « والمقصرين » قالوا : يا رسول الله فلم ظهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال : لم يشكروا . وقال عبد الله بن أبي نجيح : حدثني مجاهد عن ابن عباس أن رسول

(١) اي ضارباً خيلهم خارج منطقة الحرم

الله (س) : أهدي عام الحديبية في هداياه جلالي في جهل في رأسه برة من فضة ليقيظ بذلك المشركين هذا سياق محمد بن إسحاق رحمه الله لهذه القصة ، وفي سياق البخاري كما سيأتي مخالفة في بعض الأماكن لهذا السياق كما سترها ان شاء الله وبه الثقة . ولنوردها بتمامها ونذكر في الاحاديث الصحاح والحسان ما فيه ان شاء الله تعالى وعليه التكلان وهو المستعان

قال البخاري : حدثنا خالد بن محمد حدثنا سليمان بن بلال حدثنا صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله عن زيد بن خالد قال : خرجنا مع رسول الله (س) ، عام الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة فصلى بنا رسول الله (س) الصبح ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : أتدرون ماذا قال ربكم ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم . فقال : قال الله تعالى : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي ، فإما من قال مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بي كافر بالكوكب ، وإما من قال مطرنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكوكب كافر بي . وهكذا رواه في غير موضع من صحيحه ، ومسلم من طرق عن الزهري ، وقد روى عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن أبي هريرة

وقال البخاري حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال : تعدّون الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ، كذا مع النبي (س) أربع عشرة مائة والحديبية بئر فترحنها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي (س) فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بأناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبّه فيها فتركنها غير بعيد ثم أنها أصدرت لنا ما شئنا نحن وركأ بنا . انفرد به البخاري

وقال ابن إسحاق في قوله تعالى [فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً] : صلح الحديبية . قال الزهري : فما فتح في الاسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس كلهم بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد في الاسلام يعقل شيئاً الا دخل فيه ولقد دخل في تينك السفين مثل من كان دخل في الاسلام قبل ذلك أو أكثر . قال ابن هشام : والدليل على ما قاله الزهري أن رسول الله (س) خرج الى الحديبية في ألف وأربع مائة رجل في قول جابر ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف

وقال البخاري : حدثنا يوسف بن عيسى حدثنا ابن فضيل حدثنا حصين عن سالم عن جابر قال : عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله (س) بين يديه ركوة فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه فقال رسول الله (س) : ما لكم ؟ قالوا : يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا ما نشرب الا ما في ركوتك . فوضع النبي (س) يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون .

قال : فشر بنا وتو ضانا . قلنا لجابر كم كنتم يومئذ ؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة . وقد رواه البخارى أيضا ومسلم من طرق عن حصين عن سالم بن أبى الجعد عن جابر به وقال البخارى : حدثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قلت لسعيد بن المسيب بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يقول : كانوا أربع عشرة مائة . فقال لى سعيد : حدثنى جابر كانوا خمس عشرة مائة الذين يلعبوا النبی (س) . يوم الحديبية . تابعه أبو داود حدثنا قرة عن قتادة . تفرد به البخارى

ثم قال البخارى حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان قال عمرو سمعت جابراً قال : قال لنا رسول الله (س) يوم الحديبية « أنتم خير أهل الأرض » وكنا ألفاً وأربعمائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة . وقد روى البخارى أيضاً ومسلم من طرق عن سفيان بن عيينة به . وهكذا رواه الليث بن سعد عن أبى الزبير عن جابر قال : إن عبداً لحاطبٍ جاء يشكوه فقال يارسول الله لا تدخلن حاطب النار . فقال رسول الله (س) « كذبت لا يدخلها ، شهد بدرًا والحديبية » رواه مسلم . وعند مسلم أيضاً من طرق ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول أخبرتنى أم ميسر أنها سمعت رسول الله (س) يقول عند حفصة « لا يدخل أحد النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين يلعبوا تحتها » فقالت حفصة : بلى يارسول الله ، فأنهرها ، فقالت حفصة [وإن منكم إلا واردها] فقال رسول الله (س) قد قال تعالى [ثم تنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً] قال البخارى : وقال عبيد الله بن معاذ حدثنا أبى حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة حدثنى عبد الله ابن أبى أوفى قال : كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين . تابعه محمد بن بشار حدثنا أبو داود حدثنا شعبة . هكذا رواه البخارى معلقاً عن عبد الله . وقد رواه مسلم عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة به . وعن محمد بن المنثرى عن أبى داود عن اسحق بن ابراهيم عن النضر بن سميل كلاهما عن شعبة به

ثم قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان عن الزهرى عن عروة عن مروان والمِسْوَر بن مَخْرَمَةَ قالا : خرج النبي (س) عام الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه فلما كان بنى الخليفة قلد الهدى وأشعر وأحرم منها . تفرد به البخارى وسياقى هذا السياق بتمامه والمقصود أن هذه الروايات كلها مخالفة لما ذهب إليه ابن اسحاق من أن أصحاب الحديبية كانوا سبع مائة ، وهو والله أعلم انما قال ذلك تنقهاً من تلقاء نفسه من حيث ان البدن كن سبعين بدنة وكل منها عن عشرة على اختياره فيكون المليون سبع مائة ، ولا يلزم أن يهدى كلهم ولا أن يحرم كلهم أيضاً ، فقد ثبت أن رسول الله (س) بعث طائفة منهم فيهم أبو قتادة ولم يحرم أبو قتادة

حتى قتل ذلك الحمار الوحشي فأكل منه هو وأصحابه وحملوا منه إلى رسول الله (س) في أثناء الطريق فقال: هل منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار إليها؟ قالوا: لا. قال: فكأول ما بقي من الحمار. وقد قال البخاري: حدثنا شعبه بن الربيع حدثنا علي بن المبارك عن يحيى عن عبد الله بن أبي قتادة أن أباه حدثه قال: انطلقنا مع النبي (س)، علم الحديبية فأحرم أصحابي ولم أحرم وقال البخاري حدثنا محمد بن رافع حدثنا شبابة بن سوار القزاري حدثنا شعبه عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد فلم أعرفها. حدثنا موسى حدثنا أبو عوانة حدثنا طارق عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه كان فيمن بايع تحت الشجرة فرجعنا إليها العام المقبل فعميت علينا. وقال البخاري أيضاً حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن أسير أئيل عن طارق بن عبد الرحمن قال: انطلقت حاجاً فررت بقوم يصلون، فقلت ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع النبي (س)، بيعة الرضوان، فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله (س)، تحت الشجرة، قال: فلما كان من العام المقبل نسيناها فلم نذكر عليها. ثم قال سعيد: إن أصحاب محمد لم يعلموها، وعلتموها أنتم! فأنتم أعلم؟ ورواه البخاري ومسلم من حديث الثوري وأبي عوانة وشبابة عن طارق. وقال البخاري حدثنا سعيد حدثني أخي عن سليمان عن عمرو بن يحيى عن عباد بن تميم قال: لما كان يوم الحرة والناس يبايعون لعبد الله بن حنظلة، فقال ابن زيد: على ما يبايع ابن حنظلة الناس؟ قيل له على الموت، فقال: لا أبايع على ذلك أحداً بعد رسول الله (س)، وكان شهد معه الحديبية. وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن عمرو بن يحيى به. وقال البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد قال: سألت لسعة بن الأكوع: على أي شيء يبايعهم رسول الله (س)، يوم الحديبية؟ قال: على الموت. ورواه مسلم من حديث يزيد بن أبي عبيد. وفي صحيح مسلم عن لسعة أنه بايع ثلاث مرات في أوائل الناس ووسطهم وأواخرهم. وفي الصحيح عن عمار بن ياسر أنه كان أخفاً بأغصان الشجرة عن وجه رسول الله (س)، وهو يبايع للناس، وكان أول من بايع رسول الله (س)، يومئذ أبو سنان وهو وهب بن محصن أخو عكاشة بن محصن وقيل سنان بن أبي سنان.

وقال البخاري: حدثني شجاع بن الوليد مع النضر بن محمد حدثنا صخر بن الربيع عن نافع قال: إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر وليس كذلك، ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الانصار أن يأتي به ليقاتل عليه، ورسول الله (س)، يبايع عند الشجرة، وعمر لا يدري بذلك، فبايعه عبد الله، فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول

الله (س)، وهي التي تحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر . وقال هشام بن عمار حدثنا الوليد ابن مسلم حدثنا عمر بن محمد العمري أخبرني نافع عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبي (س) يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجرة فإذا الناس محدقون بالنبي (س) فقال يا عبد الله أنظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله (س) فوجدهم يبائعون فبايع ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع . تفرد به البخاري من هذين الوجهين

سياق البخاري لعمره الحديبية

قال في كتاب المغازي : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان سمعت الزهري حين حدث هذا الحديث حفظت بعضه وثبتني معمر عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يزيد أحدهما على صاحبه ، قالا خرج النبي (س) عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمره وبعث عيناً له من خزاعه ، وسار النبي (س) حتى إذا كان بفدير الاشطاط أتاه عينه قال : إن قریشاً قد جمعوا لك جمعاً وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك ، فقال : أشيروا أيها الناس على أنزول أن أميل إلى عيالم وذراي هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت فان يأتونا كان الله قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركنا لهم محرومين . قال أبو بكر : يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه . قال امضوا على اسم الله . هكذا رواه هاهنا ووقف ولم يزد شيئاً على هذا

وقال في كتاب الشهادات^(١) : حدثني عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر أخبرني الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه ، قالا خرج رسول الله (س) زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي (س) : إن خالد بن الوليد بالتميم في خيل لقریش طليعة فغنوا ذات اليمين ، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقریش ، وسار النبي (س) حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته ، فقال الناس : حل حل ، فألحقت . فقالوا : خلأت القصواء التي خلأت القصواء ، فقال رسول الله (س) : ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل ، ثم قال : والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت ، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على نمد قليل الماء يتبرّضه تبرضاً فلم يلبثه الناس

حتى نزحوه ، وُشكى الى رسول الله (س) ، العطش فانزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يحملوه فيه
 فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه ، فبينما هم كذلك إذ جاء بُديل بن وقاء الخراعى في نفر
 من قومه من خزاعة - وكانوا عبية نصيح رسول الله (س) ، من أهل تهامة - فقال : إني تركت كعب
 ابن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا اعداد مياه الحديدية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن
 البيت . فقال النبي (س) : انا لم نجيء لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وازقر يشاهد نهكتهم الحرب
 وأضرت بهم فان شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس ، فان أظهر فان شاءوا أن يدخلوا فيما
 دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جئوا ، وان هم أبوا فوالذى نفسى بيده لا قاتلهم على أمرى هذا حتى
 تنفرد سالفتى ولننفذن أمر الله . قال بديل : سأبلغهم ما تقول ، فانطلق حتى أتى قريشاً فقال : انا
 قد جئناكم من عند هذا الرجل ومعهما يقول قولاً فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفيهاؤهم
 لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء . وقال ذوو الرأي منهم : هات ما سمعته يقول . قال : سمعته يقول
 كذا وكذا ، فحدثهم بما قال رسول الله (س) ، فقام عروة بن مسعود فقال : أى قوم ، ألسنت
 بالوالد ؟ قالوا : بلى . قال : أولسنت بالولد ؟ قالوا : بلى . قال : فهل تهمونى ؟ قالوا : لا . قال : ألسنت
 تعلمون انى استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا على جئتمكم بأهل وولدى ومن أطاعوا ؟ قالوا : بلى . قال :
 فان هذا قد عرض لكم خطة رشد اقبلوها ودعوني آتية ، فقالوا : ائنه ، فأتاه ، فجعل يكلم النبي (س) ،
 فقال النبي (س) : نحواً من قوله لبديل ، فقال عروة عند ذلك : أى محمد أرايت ان استأصلت أمر
 قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أهله قبلك ؟ وان تكن الاخرى فانى والله لا أرى وجوها
 وانى لأرى أشواًباً من الناس خائفاً أن يفتروا ويدعوك . فقال له أبو بكر : أمص بظر اللات ، أنحن
 نفر عنه وندعه ؟ قال من ذا ؟ قالوا أبو بكر . قال أما والذى نفسى بيده لولا يد كانت لك عندى لم
 أجرك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي (س) ، فكلما تكلم أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس
 رسول الله (س) ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة يده الى لحية رسول الله (س) ضرب
 يده بنعل السيف وقال له : أخرج يدك عن لحية رسول الله (س) . فرفع عروة رأسه فقال : من هذا
 قالوا المغيرة بن شعبة . فقال أى غدر ألسنت أسعى في غدرتك ؟ وكان المغيرة بن شعبة صاحب
 قوماً فى الجاهلية قتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي (س) : أما الاسلام فأقبل وأما المال
 فلست منه فى شيء . ثم ان عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله (س) بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول
 الله (س) نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره
 واذا توطأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر
 تعظيماً له . فرجع عروة الى أصحابه فقال : أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ، وفدت على قبصر

وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا تواضعوا كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحيدون النظر إليه تعظيماً له ، وأنه قد عرض عليكم خطة رشداً فاقبلوها . فقال رجل من بني كنانة دعوني آتية . فقالوا آتية . فلما أشرف على النبي (ص) وأصحابه قال رسول الله (ص) : هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابصروها له . فبعثت له واستقبله الناس يلبون . فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت . فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البدن قد قلدت وأشعرت ، فما أرى أن يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مركز بن حفص فقال دعوني آتية . قالوا آتية . فلما أشرف عليهم قال رسول الله (ص) : هذا مركز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي (ص) ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو . قال معمر فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله (ص) : لقد سهل لكم من أمركم . قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل فقال هات فاكتب بيننا وبينكم كتاباً . فدعا النبي (ص) الكاتب فقال النبي (ص) : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن أكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب . فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا باسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبي (ص) : اكتب باسمك اللهم ، ثم قال : هذا ما قضى عليه محمد رسول الله . فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صدناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله . فقال رسول الله (ص) : والله أني رسول الله وإن كذبتموني . اكتب محمد بن عبد الله . قال الزهري : وذلك أقوله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة الله ، إلا أعطيتهم إياها ؟ فقال له النبي (ص) : على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به . قال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب . فقال سهيل وعلى أنه لا يأتيتك من رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا . قال المسلمون سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً . فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى نفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلى فقال النبي (ص) : أنا لم نقض الكتاب بعد . قال فوالله إذا لم أصلحك على شيء أبداً . قال النبي (ص) : فأجزه لي . قال ما أنا بمجيزه لك . قال : بلى فأفل قال : ما أنا بفاعل . قال مركز : بلى قد أجزناه لك . قال أبو جندل : أي معشر المسلمين أردت إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت . وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله . فقال عمر رضي الله عنه فأتيت رسول الله (ص) فقلت : أأستني الله حقاً ؟ قال : بلى ، قلت : أأستني على الحق

وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم تعطى الدنيا في ديننا اذن . قال : انى رسول الله ولست
أعصيه وهو ناصرى . قلت : اولست كنت نحمدتنا انا سنأتى البيت فنعطوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرت
أنا تأتية العام ؟ قال قلت لا . قال : فانك آتية ومطوف به . قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر
أليس هذا نبي الله حقاً . قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل . قال : بلى . قال :
قلت : فلم تعطى الدنيا في ديننا اذن . قال أيها الرجل انه لرسول الله وليس يعصى ربه وهو ناصره
فاستمسك بفرزه فوالله انه على الحق . قلت أليس كان يحدتنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال بلى
أفأخبرت أنك تأتية العام . قلت لا . قال فانك آتية ومطوف به . قال الزهري قال عمر : فعلت
لذلك أعمالا . قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله (س) : لأصحابه : قوموا فانحروا ثم
احلقوا . قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم
سلمة فذكر لها ما لقي من الناس . فقالت أم سلمة : يا نبي الله أحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم
كلمة حتى تنحر بُدْنَكَ وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك : نحر
بُذْنَهُ ودعا حالقه فحلقه فلما رآوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم
يقتل بعضاً غماً . ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى [يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات
مهاجرات فامتنحنوهن - حتى بلغ - بمعصم الكوافر] فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك .
فتزوج احدهما معاوية بن أبي سفيان والاخرى صفوان بن أمية . ثم رجع النبي (س) الى المدينة
فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا : العهد الذي جعلت لنا.
فدفعه الى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فزلا يا كلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد
الرجلين : والله انى لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً . فاستله الآخر فقال : أجل والله انه لجيد لقد
جربت به ثم جربت . فقال أبو بصير أرنى أنظر اليه . فأمكنه منه فضر به حتى برد وفرّ الآخر حتى
أتى المدينة فدخل المسجد يمدو ، فقال رسول الله (س) حين رآه : « لقد رأى هذا ذعراً » فلما انتهى
الى النبي (س) قال : قُتل والله صاحبي وانى لمقتول ، فجاء أبو بصير فقال : يا نبي الله قد والله أوفى
اللهُ ذمتك ، قد رددتني اليهم ثم أنجاني الله منهم . فقال النبي (س) : « ويل امة مسعر حرب لو كان
له أحد » فلما سمع ذلك عرف أنه سيروده اليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر . قال : وينفلت
منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو فلحق بأبى بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم الا
لحق بأبى بصير حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون بغير خرجت لقريش الى الشام الا
اعترضوا لها فقتلوه وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش الى النبي (س) : تناشده بالله والرحم لما
أرسل اليهم فن أتاه فهو آمن ، فأرسل النبي (س) اليهم فأنزل الله تعالى [وهو الذى كف أيديهم عنكم

وأيدىكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم - حتى بلغ - الحية حية الجاهلية [وكانت حينهم انهم لم يقرأوا أنه نبي الله ولم يقرأوا بيسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت . فهذا سياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست في رواية ابن اسحاق عن الزهري ، فقد رواه عن الزهري عن جماعة منهم سفيان بن عيينة ومعمر ومحمد بن اسحاق كلهم عن الزهري عن عروة عن مروان ومسور ، فذكر القصة

وقد رواه البخاري في أول كتاب الشروط عن يحيى بن بكير عن الليث بن سعد عن عقيل عن الزهري عن عروة^(١) عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة عن أصحاب رسول الله (ص) ، فذكر القصة . وهذا هو الاشبه فان مروان ومسوراً كانا صغيرين يوم الحديبية ، والظاهر أنهما أخذاه عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

وقال البخاري : حدثنا الحسن بن اسحاق حدثنا محمد بن سابق حدثنا مالك بن مغول سمعت أبا حصين قال قال أبو وائل : لما قدم سهيل بن حنيف من صفين أتيناها نستخبره فقال : اتهموا الرأي ، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول الله (ص) أمره لرددت ، والله ورسوله أعلم ، وما وضعنا أسيفنا عن عواتقنا لأمس يقطعنا إلا أسهلنا بنا إلى أمر نعرفه ، قبل هذا الأمر ما نُسئ منها خصباً إلا انفجر علينا خصم ما ندرى كيف تأتي له^(٢)

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله (ص) كان يسير في بعض أسفاره وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلاً فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله (ص) ، ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر بن الخطاب فكلنك أمك يا عمر فزرت رسول الله (ص) ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك . قال عمر : فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل في قرآن ، فما تشبعت أن سمعت صارخاً يصرخ بي ، قال فقلت لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن ، فجئت رسول الله (ص) فسلمت عليه فقال « لقد أنزلت على الليلة سورة لمي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس » ثم قرأ [انا فتحنا لك فتحاً مبيناً] . قلت : وقد تكلمنا على سورة الفتح بكلماتنا في كتابنا التفسير بما فيه كفاية لله الحمد والمنة ، ومن أحب أن يكتب ذلك هنا فليقل

(١) في صحيح البخاري (دار الطباعة العامة ١٣١٥ ج ٣ ص ١٧٢) : عقيل عن ابن شهاب

عن عروة (٢) كان جماعة اتهموا سهل بن حنيف بأنه قصر في القتال يوم صفين فقال لهم اتهموا رأيكم ولا تنهونني ، فاني لا أقصر وقت الحاجة ، كناز من النبي (ص) لا نلبس السلاح لأمري شتد علينا إلا افضى بنا سلاحنا إلى سهولة ، وأما أمر صفين فنحن لانسد منه جانباً حتى ينفجر علينا منه جانب آخر فلا يمكننا اصلاحه وتلافيه

فصل في السرايا

التي كانت في سنة ست من الهجرة

وتلخيص ذلك ما أورده الحافظ البيهقي عن الواقدي :

في ربيع الاول منها أو الآخر بعث رسول الله (س) عكاشة بن محصن في أربعين رجلا الى
... فهربوا منه ونزل على مياههم وبعث في آثارهم وأخذ منهم مائتي بعير فاستاقها
الى المدينة

وفيهما كان بعث أبي عبيدة بن الجراح الى ذى القصة بأربعين رجلا أيضاً فساروا اليهم مشاة
حتى أتوها في عماية الصبح فهربوا منه في رهوس الجبال فأسر منهم رجلا فقدم به على رسول الله
(س) وبعثه محمد بن مسلمة في عشرة نفر وكن القوم لهم حتى باتوا أصحاب محمد بن مسلمة كلهم
وافلت هو جريحا

وفيهما كان بعث زيد بن حارثة بالحوم فأصاب امرأة من مزينة يقال لها حليلة فدلنهم على محلة
من بحال بني سليم فأصابوا منها نساء وأسروا وكان فيهم زوج حليلة هذه فوهبه رسول الله
(س) لزوجها وأطلقهما

وفيهما كان بعث زيد بن حارثة أيضاً في جمادى الاولى الى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا
فهربت منه الأعراب فأصاب من نعمهم عشرين بعيراً ثم رجع بعد أربع ليال
وفيهما خرج زيد بن حارثة في جمادى الاولى الى العيص

قال وفيها أخذت الاموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع فاستجار بزينب بنت رسول
الله (س) فأجارته . وقد ذكر ابن اسحاق قصته حين أخذت العير التي كانت معه وقتل أصحابه وفر
هو من بينهم حتى قدم المدينة ، وكانت امرأته زينب بنت رسول الله (س) قد هاجرت بعد بدر
فلما جاء المدينة استجار بها فأجارته بعد صلاة الصبح فأجاره لها رسول الله (س) وأمر الناس برده
ما أخذوا من غيره فردوا كل شيء كانوا أخذوه منه حتى لم يبق منه شيئاً ، فلما رجع بها الى مكة
وأدى الى أهلها ما كان لهم معه من الودائع أسلم وخرج من مكة راجعاً الى المدينة فرد عليه رسول
الله (س) زوجته بالنكاح الاول ولم يحدث نكاحاً ولا عقداً كما تقدم بيان ذلك . وكان بين اسلامه
 وهجرتها ست سنين وروى سنتين . وقد بينا أنه لا منافاة بين الروايتين وان اسلامه تأخر عن وقت
تحريم المؤمنين على الكفار بستين وكان اسلامه في سنة ثمان في سنة الفتح لا كما تقدم في كلام
الواقدي من أنه سنة ست فالله أعلم

وذكر الواقدي في هذه السنة أن دحية بن خليفة الكلبي أقبل من عند قيصر قد أجازته بأموال

وخلع ، فلما كان بحسبي لقيه ناس من جذام قطعوا عليه الطريق فلم يتركوا معه شيئاً ، فبعث اليهم رسول الله (س) زيد بن حارثة أيضاً رضى الله عنه

قال الواقدي حدثني عبد الله بن جعفر عن يعقوب بن عتبة قال خرج علي رضى الله عنه في مائة رجل الى أن نزل الى حي من بني أسد بن بكر ، وذلك أنه بلغ رسول الله (س) أن لم يجمعوا يريدون أن يمدوا يهود خيبر ، فصار اليهم بالليل وكن بالنهار وأصاب عيناً لم فاقرو له أنه بعث الى خيبر يعرض عليهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر

قال الواقدي رحمه الله تعالى وفي سنة ست في شعبان كانت سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل ، وقال له رسول الله (س) انهم أطاعوا وتزوج بنت ملكهم ، فأسلم القوم وتزوج عبد الرحمن بنت ملكهم تماضر بنت الاصبع الكلبية وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال الواقدي في شوال سنة ست كانت سرية كرز بن جابر الفهري الى العرنيين الذين قتلوا راعي رسول الله (س) واستاقوا النعم ، فبعث رسول الله (س) في آثارهم كرز بن جابر في عشرين فارساً فردوهم وكان من أمرهم ما أخرجه البخاري ومسلم من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن رهطاً من عُكْلٍ وعُرَيْنَةٍ - وفي رواية من عكل أو عرينة - أتوا رسول الله (س) فقالوا : يا رسول الله انا أناس أهل ضرع ، ولم نكن أهل ريف فاستوخنا المدينة . فأمرهم رسول الله (س) بنود وراع وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا بناحية الحرة قتلوا راعي رسول الله (س) واستاقوا الذود وكفروا بعد اسلامهم ، فبعث النبي (س) في طلبهم فأمر بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وصمروا أعينهم وتركهم في الحرة حتى ماتوا وهم كذلك . قال قتادة فبلغنا أن رسول الله (س) كان اذا خطب بعد ذلك حَضَّ على الصدقة ونهى عن المثلة . وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة ورواه جماعة عن أنس بن مالك . وفي رواية مسلم عن معاوية بن قررة عن أنس أن نفراً من عُرَيْنَةٍ أتوا رسول الله (س) فأسلموا وبايعوه ، وقد وقع في المدينة الموم - وهو البرسام - فقالوا هذا الموم قد وقع يا رسول الله ، لو أذنت لنا فرجعنا الى الابل . قال نعم فأخرجوا فكونوا فيها . فخرجوا فقتلوا الراعيين وذهبوا بالابل . وعنده سار من الانصار قريب عشرين فارساً اليهم وبعث معهم قائماً يقتص أثرهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وصمروا أعينهم . وفي صحيح البخاري من طريق أيوب عن أبي قلابه عن أنس أنه قال قسم رهط من عكل فأسلموا واجتروا المدينة فأتوا رسول الله (س) ، فذكروا ذلك له فقال الحقوا بالابل واشربوا من أبوالها وألبانها . فذهبوا وكانوا فيها ما شاء الله ، فقتلوا الراعي واستاقوا الابل ، فجاء الصريح الى رسول الله (س) ، فلم ترتفع الشمس حتى أتى بهم فأمر بمسامير فأحيت فكواهم بها وقطع

أيديهم وأرجلهم وألقاهم في الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا ولم يحممهم . وفي رواية عن أنس قال فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض فيه من العطش . قال أبو قلابة فهؤلاء قتلوا وسرقوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله (س) . وقد روى البيهقي من طريق عثمان بن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن سليمان عن محمد بن عبيد الله عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله (س) لما بعث في آثارهم قال اللهم عمّ عليهم الطريق ، واجعلها عليهم أضيق من مسك جل قال فعسى الله عليهم السبيل فأدركوا فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم . وفي صحيح مسلم إنما سملهم لأنهم سملوا أعين الرعاء

فصل فيما وقع من المحلوسات في هذه السنة

أعني سنة ست من الهجرة فيها نزل فرض الحج كما قرره الشافعي رحمه الله زمن الحديبية في قوله تعالى [وأنموا الحج والعمرة لله] ولهذا ذهب إلى أن الحج على التراخي لا على الفور ، لأنه (س) لم يحج إلا في سنة عشر . وخالفه الثلاثة مالك وأبو حنيفة وأحمد فنقدم أن الحج يجب على كل من استطاعه على الفور ، ومنعوا أن يكون الوجوب مستفاداً من قوله تعالى [وأنموا الحج والعمرة لله] وإنما في هذه الآية الأمر بالانعام بعد الشروع فقط ، واستدلوا بأدلة قد أوردنا كثيراً منها عند تفسير هذه الآية من كتابنا التفسير والله الحمد والمنة بما فيه كفاية وفي هذه السنة حرمت المسلمات على المشركين تخصيصاً لعموم ما وقع به الصلح عام الحديبية على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته علينا ، فنزل قوله تعالى [يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن] فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لانهن حل لهن ولا لم يحملن لهن [الآية] وفي هذه السنة كانت غزوة المريسيع التي كان فيها قصة الافك ونزول براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما تقدم

وفيها كانت عمرة الحديبية وما كان من صدّ المشركين رسول الله (س) وكيف وقع الصلح بينهم على وضع الحرب بينهم عشر سنين ، فأمن الناس فيهنّ بعضهم بعضاً ، وعلى أنه لا إغلال ولا إسلال وقد تقدم كل ذلك مبسوطاً في أما كنهه والله الحمد والمنة . وولى الحج في هذه السنة المشركون قال الواقدي وفيها في ذي الحجة منها بعث رسول الله (س) ستة نفر مصطحبين حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الاسكندرية وشجاع بن وهب بن أسد بن جذيمة شهيد بدرأ إلى الحارث بن أبي شمر النخعي ملك عرب النصارى ، ورضية بن خليفة الكلبي إلى قيصر وهو هرقل ملك الروم ، وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس ، وسليط بن عمرو العامري إلى هوزة ابن على الخنفي ، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك النصارى بالحبشة وهو أصحبه ابن الحرّ

سنة سبع من الهجرة

غزوة خيبر في اولها

قال شعبة عن الحاكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله [وأتابهم فتحاً قريباً] قال خيبر . وقال موسى بن عقبة لما رجع رسول الله (ص) من الحديبية مكث عشرين يوماً أو قريباً من ذلك ثم خرج الى خيبر وهي التي وعده الله إياها . وحكى موسى عن الزهري أن افتتاح خيبر في سنة ست ، والصحيح أن ذلك في أول سنة سبع كما قدمنا : قال ابن اسحاق . ثم أقام رسول الله (ص) بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ، ثم خرج في بقية المحرم الى خيبر . وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن عروة عن مروان والمصور قالا : انصرف رسول الله (ص) عام الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح بين مكة والمدينة ، فقدم المدينة في ذي الحجة فأقام بها حتى سار الى خيبر فنزل بالرجيع واد بين ... غطفان فتخوف أن تدم غطفان حتى أصبح ففدا عليهم . قال البيهقي وبمعناه رواه الواقدي عن شيوخي في خروجه أول سنة سبع من الهجرة . وقال عبد الله بن ادريس عن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر قال : لما كان افتتاح خيبر في عقيب المحرم وقدم النبي (ص) في آخر صفر قال ابن هشام واستعمل على المدينة نائلة بن عبد الله الليثي . وقد قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا جسيم يعني ابن عراك عن أبيه أن أبا هريرة قدم المدينة في رطل من قومه والنبي (ص) في خيبر وقد استخلف سباع بن عرفة يعني الغطفاني على المدينة قال فأنتهيت اليه وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى كهيعة وفي الثانية ويل للطفقين ، فقلت في نفسي ويل لفلان اذا اكتمل بالوافي واذا كل كل بالناتق قل فلما صلى رددنا شيئاً حتى أتينا خيبر وقد افتتح النبي (ص) . خيبر قال فكل المسلم فأنشرونا في سهامهم . وقد رواه البيهقي من حديث سليمان بن حرب عن وهيب عن خنيس بن عراك عن أبيه عن نضر بن بنى غفار قال ان أبا هريرة قدم المدينة فذكره . قال ابن اسحاق وكان رسول الله (ص) حين خرج من المدينة الى خيبر سلك على مصر وبنى له فيها مسجداً ثم على الصبهاء ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بواد يقال له الرجيع فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين ان يمدوا أهل خيبر ، كانوا لهم مظاهرين على رسول الله (ص) بالله فبلغني ان غطفان لما سمعوا بذلك جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه حتى اذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حساً ظنوا أن القوم قد خلفوا

اليهم فرجموا على أعقابهم فأقاموا في أمواتهم وأهلهم وخلوا بين رسول الله (ص) وبين خير .
وقال البخاري حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن يحيى بن سعيد عن بشير بن سويد بن النعمان
أخبره أنه خرج مع رسول الله (ص) عام خير حتى إذا كانوا بالصهباء - وهي من أدنى خير - صلى
المصير ثم دعا بالازواد فلم يؤت إلا بالسويق فأمر به فترى فأكل وأكلنا ثم قام إلى المغرب فمضض
ثم صلى ولم يتوضأ . وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا حاتم بن اسماعيل
عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع : قال خرجنا مع رسول الله (ص) إلى خير فسرنا
ليلاً فقال رجل من القوم لعامر : يا عامر ألا تسمعن من هنيهاتك - وكان عامر رجلاً شاعراً -
فترى يحدو بالقوم يقول :

لَا مُمْ لَوْلَا أَنْتَ مَا امْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَاغْفِرْ فِدَاءَ لَكَ مَا أَقْبَيْنَا وَأَلْقَيْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا
وَبَيَّنَّا الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا إِنْ أَدَا صَبِيحَ بَنَّا أَبَيْنَا
وَبِالصَّبَاحِ مَوَّلُوا عَلَيْنَا

فقال رسول الله (ص) من هذا السائق قالوا عامر بن الأكوع قال يرحمه الله . فقال رجل من
القوم وجبت يا نبي الله لولا امتعتنا به . فأتينا خير فناصرناهم حتى أصابتنا محضة شديدة . ثم إن الله
فتحها عليهم فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم أوقدوا نيراناً كثيرة فقال رسول الله
(ص) ما هذه النيران على أي شيء توقنون قالوا على لحم قال على أي لحم قالوا اللحم الحمر الانسية
قال النبي (ص) اهرقوها واكسروها فقال رجل يارسول الله أو نهريقها ونفسلها فقال أو ذاك . فلما
تصاف الناس كان سيف عامر قصيراً فتناول به ساق يهودي ليضربه فيرجع ذئب سيفه فأصاب
عين ركة عامر فمات منه فلما قتلوا قال سلمة رأيت رسول الله (ص) وهو آخذ بيدي قال مالك قلت
فذاك أبي وأمي زعموا أن عامراً حبس عمله قال النبي (ص) كذب من قاله إن له لأجرين - وجمع بين
أصبعيه - أنه لجاهد مجاهد قل عربي مشى بها مثله . ورواه مسلم من حديث حاتم بن اسماعيل وغيره
عن يزيد بن أبي عبيد مثله . ويكون منصوباً على الحالية من فكرة وهو سائق إذا دلت على تصحيح
معنى كما جاء في الحديث فصرى وراه رجل قيلما . وقد روى ابن اسحاق قصة عامر بن الأكوع
من وجه آخر فقال حدثني : محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي الهيثم بن نصر بن دهر
الاسلمى أن أباه حدثه أنه سمع رسول الله (ص) يقول في مسيره إلى خير لعامر بن الأكوع وهو
عم سلمة بن عمرو بن الأكوع : أنزل يا ابن الأكوع نخد لنا من هنالك فقال قتل يرنجز لرسول
الله (ص) :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
 انا اذا قوم بنوا علينا وان ارادوا فتنة علينا
 فانزلن سكينه علينا وثبت الاقدام ان لا قينا

قال رسول الله (س) : برحمتك ربك . قال عمر بن الخطاب وجبت يا رسول الله لو امنتنا به .
 فقتل يوم خيبر شهيداً . ثم ذكر صفة قتله كنحو ما ذكره البخارى . قال ابن اسحاق : وحدثني من
 لاأنهم عن عطاء بن أبي مزوان الأسلمى عن أبيه عن أبي معتب بن عمرو أن رسول الله (س) لما
 أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال : اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين
 وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها
 وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، أقدموا بسم الله . وهذا حديث غريب
 جداً من هذا الوجه . وقد رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن المطاردى عن يونس بن
 بكير عن إبراهيم بن اسماعيل بن مجمع عن صالح بن كيسان عن أبي مروان الأسلمى عن أبيه عن
 جده قال خرجنا مع رسول الله (س) الى خيبر حتى اذا كنا قريباً وأشرطنا عليها قال رسول الله
 (س) : للناس قفوا فوقف الناس فقال اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما
 أقللن ورب الشياطين وما أضللن فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من
 شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها ، أقدموا بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن اسحاق وحدثني من لاأنهم عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله (س) اذا غزا
 قوماً لم يفر عليهم حتى يصبح فان سمع أذاناً أمسك وان لم يسمع أذاناً أغار ، فقلنا خير ليلا فبات
 رسول الله (س) حتى أصبح لم يسمع أذاناً فركب وركبنا معه وركبت خلف أبي طلحة وان قدمي
 لثمس قدم رسول الله (س) ، واستقبلنا عمال خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم ومكانتهم ، فلما رأوا
 رسول الله (س) والجيش قالوا : محمد والخميس معه ! فأدبروا هرباً ، فقال رسول الله (س) : الله
 أكبر خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنفرين . قال ابن اسحاق حدثنا
 هرون عن حميد عن أنس بمثله

وقال البخارى حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك
 أن رسول الله (س) أتى خيبر ليلاً وكان اذا أتى قوماً بليل لم يفر بهم حتى يصبح فلما أصبح خرجت
 اليهود بمساحيهم ومكانتهم فلما رأوه قالوا محمد والله ، محمد والخميس ! فقال رسول الله (س) :
 خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنفرين . تفرد به دون مسلم
 وقال البخارى حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا أبو عيينة حدثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن

أنس بن مالك قال : صبحنا خير بكرة نخرج أهلها بالمساحي فلما بصروا بالنبي (ص) قالوا : محمد والله ، محمد والخميس ! فقال رسول الله (ص) : الله أكبر خربت خير ، أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . قال فأصبنا من لحوم الحمر فنادى منادى النبي (ص) : ان الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فاتها رجس . تفرد به البخاري دون مسلم

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس قال لما أتى النبي (ص) خير فوجدهم حين خرجوا الى زرعهم ومساحيهم فلما رأوه ومعه الجيش نكصوا فرجعوا الى حصنهم فقال النبي (ص) الله أكبر خربت خير ، أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . تفرد به أحمد وهو على شرط الصحيحين

وقال البخاري حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك قال (ص) الصبح قريب من خير بفلس ، ثم قال الله أكبر خربت خير أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . نخرجوا يسعون بالسكك قتل النبي (ص) المقاتلة وسبى الذرية وكان في السبي صفية فصارت الى دحية الكلبي ثم صارت الى النبي (ص) فجعل عتقها صداقها . قال عبد العزيز ابن صهيب لثابت يا أبا محمد أنت قلت لأنس ما أصدقها ، فحرك ثابت رأسه تصديقاً له . تفرد به دون مسلم . وقد أورد البخاري ومسلم النهي عن لحوم الحمر الاهلية من طرق تذكر في كتاب الاحكام

وقد قال الحافظ البيهقي أنبأنا أبو طاهر الفقيه أنبأنا خطاب بن أحمد الطوسي حدثنا محمد بن حميد الايبوردي حدثنا محمد بن الفضل عن مسلم الاور الملائي عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله (ص) يعود المريض ويتبع الجنائز ويحجب دعوة المملوك ويركب الحمار ، وكان يوم بني قريظة والنضير على حمار ويوم خير على حمار مخطوم برسن ليف ونحته اكاف من ليف . وقد روى هذا الحديث بتمامه الترمذي عن علي بن حجر عن علي بن مسهر ، وابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان وعن عمر بن رافع عن جرير كلهم عن مسلم وهو ابن كيسان الملائي الاور الكوفي عن أنس به . وقال الترمذي لا نعرفه الا من حديثه وهو يضعف . قلت والذي ثبت في الصحيح عند البخاري عن أنس ان رسول الله (ص) أجرى في رفاق خير حتى انحسر الازار عن نفيه ، فالظاهر انه كان يومئذ على فرس لا على حمار . ولعل هذا الحديث ان كان صحيحاً محمول على انه ركبته في بعض الايام وهو محاصرهما والله أعلم

وقال البخاري حدثنا محمد بن سعيد الخراعي حدثنا زياد بن الربيع عن أبي عمران الجوني قال نظر أنس الى الناس يوم الجمعة فرأى طيالة فقال كأنهم الساعة يهود خير . وقال البخاري : حدثنا

عبد الله بن مسلمة حدثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الاكوع قال : كان علي بن أبي طالب تخلف عن رسول الله (ص) في خيبر وكان رمياً فقال أنا أتخلف عن النبي (ص) ؟ فلحق به . فلما بقنا الليلة التي فتحت خيبر قال : لأعطين الراية غداً (أو ليأخذن الراية غداً) رجل يحب الله ورسوله يفتح عليه . فنحن نرجوها . فقبل هذا علي فأعطاه ففتح عليه . وروى البخاري أيضاً ومسلم عن قتبية عن حاتم به . ثم قال البخاري : حدثنا قتبية حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال : أخبرني سهل بن سعد أن رسول الله (ص) قال يوم خيبر : لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أنهم يعطها ، فلما أصبح الناس غدواً على النبي (ص) كلهم يرجو أن يعطها فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه ، قال فأرسل اليه فأتى فبصق رسول الله (ص) في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال علي : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال (ص) : أفعد علي وسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم . وقد رواه مسلم والنسائي جميعاً عن قتبية به . وفي صحيح مسلم والبيهقي من حديث سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه ، قال عمر فما أحببت الامارة إلا يومئذ ، فدعا علياً فبعثه ثم قال : اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت . قال علي : على ما أقاتل الناس ؟ قال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منادياًم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ه لفظ البخاري

وقال الامام أحمد حدثنا مصعب بن المقدام وجحش بن المنفي قال حدثنا اسرائيل حدثنا عبد الله بن عصمة العجلي سمعت أبا سعيد الخدري رضى الله عنه يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الراية فهزها ثم قال : من يأخذها بحقها ؟ فجاء فلان فقال أنا ، قال : امض ، ثم جاء رجل آخر فقال امض ، ثم قال النبي (ص) : والذي كرم وجه محمد لأعطينها رجلاً لا يفر فقال هلك يا علي . فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بمعجوتها وقديدها . تفرد به أحمد واسناده لا بأس به ، وفيه غرابة وعبد الله بن عصمة ويقال ابن أعصم وهكذا يسكني باني حلوان العجلي وأصله من البجامة سكن الكوفة وقد وثقه ابن معين ، وقال أبو زرعة لا بأس به ، وقال أبو حاتم شيخ ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال يخطئ كثيراً وذكره في الضعفاء ، وقال يحدث عن الانيات مما لا يشبه حديث الثقات حتى يسبق الى القلب أنها موهومة أو موضوعة

وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق : حدثني بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمى عن
أبيه عن سلمة بن عمرو بن الاكوع رضى الله عنه قال : بعث النبي (ص) أبا بكر رضى الله عنه
الى بعض حصون خيبر فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد . ثم بعث عمر رضى الله عنه فقاتل ثم
رجع ولم يكن فتح . فقال رسول الله (ص) : لاعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب
الله ورسوله يفتح الله على يديه وليس بفرار . قال سلمة فدعا رسول الله (ص) على بن أبى طالب
رضى الله عنه وهو يومئذ أرمئى فى عينيه ثم قال : خذ الراية وامن بها حتى يفتح الله
عليك ، فخرج بها والله يصول^(١) يهزول هرولة وإنا خلفه نتبع أثره حتى ركز رايته فى رضم
من حجارة تحت الحصن فاطلع يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبى
طالب قتل اليهودى : غلبتم وما أنزل على موسى ، فما رجع حتى فتح الله على يديه .

وقال البيهقى : أنبأنا الحاكم أنبأنا الاصبم أنبأنا المطاردى عن يونس بن بكير عن الحسين بن
واقد عن عبد الله بن بريدة أخبرني أبى قال : لما كان يوم خيبر أخذ اللواء أبو بكر فرجع ولم يفتح
له وقتل محمود بن مسلمة ورجع الناس ، فقال رسول الله (ص) : لادفعن لوائى غداً الى رجل يحب
الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ان يرجع حتى يفتح الله له ، فبتنا طيبة نفوسنا أن الفتح غداً ، فصرى
رسول الله (ص) صلاة الغداة ثم دعا بالواء وقام قائماً فما منا من رجل له منزلة من رسول الله
(ص) إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل حتى تطلوأت أنا لها ورفعت رأسى لمنزلة كانت لى
منه ، فدعا على بن أبى طالب وهو يشتكى عينيه قال فمسحها ثم دفع اليه اللواء ففتح له ، فسمعت
عبد الله بن بريدة يقول : حدثني أبى أنه كان صاحب مرحب
قال يونس قال ابن اسحاق : كان أول حصون خيبر فتحاً حصن ناعم وعنده قتل محمود بن
مسلمة أقيت عليه رضى منه فقتلته

ثم روى البيهقى عن يونس بن بكير عن المسيب بن مسلمة الازدى حدثنا عبد الله بن
بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله (ص) ربما أخذته الشقيقة^(٢) فلبث اليوم واليومين لا يخرج ،
فلما نزل خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس ، وان أبا بكر أخذ راية رسول الله (ص) ثم
هض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع ، فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول ثم
رجع ، فأخبر بذلك رسول الله (ص) فقال لاعطينها غداً^(٣) يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله

(١) فى نسخة يساج

(٢) الشقيقة : نوع من صداع يعرض فى مقدم الرأس والى أحد جانبيه

(٣) يظهر سقوط « رجلاً » كما تقدم فى الاحاديث السابقة

يأخذها عنوة . وليس ثمَّ عليٌّ ، فتطاوالت لها قريش ورجا كل رجل منهم أن يكون صاحب ذلك فأصبح وجاء علي بن أبي طالب على بهـ يرله حتى أناخ قريباً وهو أرمـد قد عصب عينه بشقة برد قطري ، فقال رسول الله (ص) : مالك ؟ قال : رمدتُ بـمـدك ، قال ادنُ مني فتغل في عينه فما وجعها حتى مضى لسبيله ، ثم أعطاه الراية فتمض بها وعليه جبه أرجوان حمراء قد أخرج خملها فأتى مدينة خيبر وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يمانى وحجر قـمـقه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز ويقول :

قد علمتُ خيبرُ أني مرحبٌ شاكٍ سلاحي بطلٍ مجربٌ
إذا الأيوثُ أقبلتُ تـلـمُّبٌ وأحجبتُ عن صولة المغلبِ

فقال علي رضي الله عنه :
أنا الذي ستمتني أمتي حينَ دَرَه كليث غاباتٍ شديد القشورَه
أكيلكم بالصاع كـيـل السندره^(١)

قال فاخافا ضربتين ، فبدره على بضربة فقدَّ الحجر والمغفر ورأسه ووقع في الأرض ، وأخذ المدينة

وقد روى الحافظ البزار عن عباد بن يعقوب عن عبد الله بن بكر عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قصة بعث أبي بكر ثم عمر يوم خيبر ثم بعث علي فكان الفتح على يديه . وفي سياقه غرابة ونكارة وفي أسناده من هو منهم بالتشيع والله أعلم وقد روى مسلم والبيهقي واللفظه من طريق عكرمة بن نعيم عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه فذكر حديثاً طويلاً وذكر فيه رجوعهم من غزوة بني فزارة قال : فلم نمكث إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر . قال : وخرج عامر فجعل يقول :

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صأنا
ونحن من فضلك ما استغنينا فأَنْزَلَن سَكِينَةً عَلَيْنَا

وثبتت الأقدام إن لاقينا

قال فقال رسول الله (ص) : من هذا القائل ؟ فقالوا عامر . فقال غفر لك ربك . قال وما خصَّ رسول الله (ص) قط أحداً به إلا استشهد . فقال عمر وهو على جمل : لولا متمتنا بعامر . قال قدمنا خيبر فخرج مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول :

قد علمتُ خيبرُ أني مرحبٌ شاكِي السلاحِ بطلٍ مجربٌ

(١) السندرة : مكيال واسع . أراد : اقتلكم قتلاً واسماً ذريعاً

إذا الحروب أقبلت تلهم

قال فبرز له عامر رضى الله عنه وهو يقول :

قد علمت خير أنى عامر شاكى السلاح بطل مغامر

قال فاختلنا ضربين فوق سيف مرحب فى ترس عامر فذهب يسمل له فرجع على نفسه فقطع أ كحله فكانت فيها نفسه قال سلة فخرجت فاذا نفر من أصحاب رسول الله (س) يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه . قال فأتيت رسول الله (س) وأنا أبكى فقال مالك ؟ فقلت قالوا ان عامراً بطل عمله . فقال من قال ذلك ؟ فقلت نفر من أصحابك . فقال كذب أولئك بل له الاجر مرتين . قال وأرسل رسول الله (س) الى على رضى الله عنه يدعوه وهو أرمد وقال لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله . قال فجئت به أقوده قال فبصق رسول الله (س) فى عينه فبرأ فأعطاه الراية فبرز مرحب وهو يقول :

قد علمت خير أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

قال فبرز له على وهو يقول :

أنا الذى سميتنى أمى حيدره كليث غابت كريحه المنظرة
أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب مرحباً ففلق رأسه فقتله . وكان الفتح . هكذا وقع فى هذا السياق ان علياً هو الذى قتل مرحباً اليهودى لعنه الله

وقال أحمد حدثنا حسين بن حسن الاشقر حدثنى قابوس بن أبى غلبان عن أبيه عن جده عن على قال : لما قتل مرحباً جئت برأسه الى رسول الله (س) .

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهرى ان الذى قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة . وكذلك قال محمد بن اسحاق حدثنى عبد الله بن سهل أحد بنى حارثة عن جابر بن عبد الله قال : خرج مرحب اليهودى من حصن خيبر وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خير أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب اذا الليوث أقبلت تلهب
إن حماي لآحمى لايقرب

قال فأجابه كعب بن مالك :

قد علمت خير أنى كعب مفرج الغم جري صلب

اذ شَبَّتِ الحَرْبُ وَفَارَ الحَرْبُ مَعِيَ حُسَامٌ كَالْعَظِيقِ عَضِبُ
يَطَأُ كَوَ حَتَّى يَنْدَلَّ الصَّعْبُ بِكَفِّ مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ عَيْبُ

قال وجعل مرحب يرتجز ويقول : هل من مبارز . فقال رسول الله (س) من لهذا . فقال
محمد بن مسلمة أنا له يا رسول الله ، أنا والله الموتور والثائر قتلنا أخى بالامس . فقال قم اليه اللهم
أعنه عليه . قال فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عُمرية (١) من شجر العُشْرِ (٢)
المسد فجعل كل واحد منهما يلوذ من صاحبه بها كلما لاذ بها أحدهما اقتطع بسيفه مادونه حتى برز
كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم مافيها قن ، ثم حمل على محمد بن مسلمة فضربه
فاتقاه بالدرقة فوق سيفه فيها فضضت فاستله وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله

وقد رواه الامام أحمد عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن ابن اسحاق بنحوه .

قال ابن اسحاق : وزعم بعض الناس ان محمداً يرتجز حين ضربه وقال :

قد علمت خبير انى ماضٍ حُلُوٌّ اذا شَتَّتْ وَسُمَّ قَاضٍ

وهكذا رواه الواقدي عن جابر وغيره من السلف ان محمد بن مسلمة هو الذى قتل مرحباً ثم
ذكر الواقدي ان محمداً قطع رجل مرحب فقال له أجهز على . فقال لا ذق الموت كما ذاقه محمود بن
مسلمة . فمر به على وقطع رأسه فاختمها في سلبه الى (رسول الله (س) فاعطى رسول الله (س) محمد بن
مسلمة سيفه ورمحه ومغفره وبيضته . قال وكان مكتوباً على سيفه :

هَذَا سَيْفُ مَرْحَبٍ مِنْ يَدِّهِ يَنْطَبُ

ثم ذكر ابن اسحاق ان أخا مرحب وهو ياسر خرج بعده وهو يقول هل من مبارز . فزعم هشام
ابن عروة ان الزبير خرج له فقالت أم صفية بنت عبد المطلب يقتل ابني يا رسول الله فقال بل
ابنك يقتله ان شاء الله فالتقيا فقتله الزبير . قال فكان الزبير اذا قيل له والله ان كان سيفك يومئذ
صاروا يقول والله ما كان بصارم ولكنى أكرهته

وقال يونس عن ابن اسحاق عن بعض أهله عن أبي رافع مولى رسول الله (س) قال : خرجنا
مع على الى خيبر بعثه رسول الله (س) برأيته فلما دنا من الحصن خرج اليه أهله فقاتلهم
فضربه رجل منهم من يهود فطرح ترسه من يده فتناول على باب الحصن فترس به عن نفسه فلم
يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده فلقد رأيته فى نفر معي سبعة أنا ثامنهم
نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا ان نقلبه . وفي هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر . ولكن

(١) هى الشجرة العظيمة القديمة التى أنى عليها عمر طويل

(٢) هو شجر له صمغ يقال له سُكْرُ العُشْرِ

روى الخافظ البيهقي مالحاكم من طريق مطلب بن زياد عن ليث بن أبي سليم عن أبي جعفر الباقر عن جابر ان علياً حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها وأنه جرب بعد ذلك فلم يحملة أربعون رجلاً . وفيه ضعف أيضاً . وفي رواية ضعيفة عن جابر ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً وكان جهدهم أن أعادوا الباب

وقال البخاري حدثنا مكي بن إبراهيم حدثنا يزيد بن أبي عبيد قال : رأيت أثر ضربة في ساق سلمة ، قتل : يا أبا مسلم ماهذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابني يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فأتيت النبي (ص) فنفت فيه ثلاث نفثات فسا اشتكتها حتى الساعة

ثم قال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا ابن أبي حازم عن أبيه عن سهل قال : التقى النبي (ص) والمشركون في بعض مغازيه فاقتلوا ، قال كل قوم الى عسكرهم ، وفي المسلمين رجل لا يدع من المشركين شاة ولا فاذة إلا اتبعها فضر بها بسيفه ، فليل يارسول ما أجراً منا أحد ما أجراً فلان . قال انه من أهل النار . فقالوا أينما من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟ فقال رجل من القوم : لا تبعه فاذا أسرع وأبطأ كنت معه ، حتى جرح فاستعجل الموت فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين يديه ثم تحامل عليه فقتل نفسه . فجاء الرجل الى النبي (ص) فقال : أشهد أنك رسول الله . قال وما ذاك ؟ فأخبره فقال : ان الرجل يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وأنه من أهل النار ، ويعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وأنه من أهل الجنة . رواه أيضاً عن قتيبة عن يعقوب عن أبي حازم عن سهل فذكره مثله أو نحوه

ثم قال البخاري : حدثنا أبو الهيثم حدثنا شعيب عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال : شهدنا خيبر فقال رسول الله (ص) لرجل ممن معه يدعى الاسلام هذا من أهل النار . فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة حتى كاد بعض الناس يرتاب . فوجد الرجل ألم جراحه فأهوى بيده الى كنانته فاستخرج منها أسهما فنحر بها نفسه فاشتد رجال من المسلمين فقالوا يارسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه . فقال قم يا فلان فاذن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، وأن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري قصة العبد الأسود الذي رزقه الله الايمان والشهادة في ساعة واحدة . وكذلك رواها ابن لميعة عن أبي الأسود عن عروة قالوا وجاء عبد حبشي أسود من أهل خيبر كان في غم لسيدته فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم قال ما تريدون قالوا قاتل هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي . فوقع في نفسه ذكر النبي فأقبل بفنمه حتى عمدا لرسول الله (ص) فقال الى ماتدعو ؟ قال أدعوك الى الاسلام الى أن تشهد أن لا إله

إلا الله وآتى رسول الله وأن لا تمبدوا إلا الله . قال فقال العبد فماذا يكون لى ان شهدت بذلك وآمنت بالله قال رسول الله (س) الجنة إن مت على ذلك . فأسلم العبد فقال يا نبى الله ان هذه الغنم عندى أمانة . فقال رسول الله (س) أخرجها من عسكرنا وارمها بالحصا فان الله سيؤدى عنك أمانتك . ففعل فرجعت الغنم الى سيدھا فمر ف اليهودى أن غلام قد أسلم . فقام رسول الله (س) فوعظ الناس فذكر الحديث فى اعطائه الراية علياً ودنوه من حصن اليهود وقتله مرحباً وقتل مع على ذلك العبد الأسود فاحتمله المسلمون الى عسكرهم فادخل فى الفسطاط فرغموا أن رسول الله (س) اطلع فى الفسطاط ثم اطلع على أصحابه فقال : لقد أكرم الله هذا العبد وساقه الى خير قد كان الاسلام فى قلبه حقاً وقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين

وقد روى الحافظ البيهقي من طريق ابن وهب عن حيوة بن شريح عن ابن الهاد عن شرحبيل بن سعد عن جابر بن عبد الله قال كنا مع رسول الله (س) فى غزوة خيبر فخرجت سرية فأخذوا إنساناً معه غنم يرعاها فذكر نحو قصة هذا العبد الأسود وقال فيه : قتل شهيداً وما سجد لله سجدة

ثم قال البيهقي حدثنا محمد بن محمد بن محمد الفقيه حدثنا أبو بكر القطان حدثنا أبو الازھر حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس أن رجلاً آتى رسول الله (س) فقال يا رسول الله انى رجل أسود اللون قبيح الوجه لا مال لى فان قاتلت هؤلاء حتى اقتل أدخل الجنة؟ قال نعم فتقدم فقاتل حتى قتل فأتى عليه رسول الله (س) وهو مقتول فقال : لقد حسن الله وجهك وطيب ربهك وكثر مالك وقال لقد رأيت زوجتي من الحور العين يتنازعان جنته عليه يدخلان فيما بين جاده وجنته . ثم روى البيهقي من طريق ابن جريج أخبرنى عكرمة بن خالد عن ابن أبي عمار عن شداد ابن الهاد أن رجلاً من الأعراب جاء رسول الله (س) فأمن به واتبعه فقال أهاجر معك فأوصى به النبي (س) بعض أصحابه فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله (س) فقسمه وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهريهم فلما جاء دفعوه اليه فقال ما هذا؟ قالوا قسم قسمه لك رسول الله (س) فقال ما على هذا اتبعتك ولكنى اتبعك على أن أرمى هاهنا وأشار الى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة . فقال ان تصدق الله يصدقك . ثم نهضوا الى قتال العدو فأتى به رسول الله (س) بحمل وقد أصابه سهم حيث أشار فقال النبي (س) . هو هو؟ قالوا نعم . قال صدق الله فصدقه . وكفنه النبي (س) فى جبة النبي (س) . ثم قدمه فصلى عليه وكان مما ظهر من صلاته : اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً فى سبيلك قتل شهيداً وأنا عليه شهيد . وقد رواه النسائي عن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك عن ابن جريج به نحوه

فضائل

قال ابن اسحاق : وتدفني رسول الله (ص) الأموال يأخذها مالا مالا ويفتحها حصناً حصناً وكان أول حصونهم فتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه رحي منه فقتلته ثم القموص حصن بني أبي الحقيق . وأصاب رسول الله (ص) منهم سبايا منهم صفية بنت حيي بن أخطب وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وبنتي عم لها فاصطفي رسول الله (ص) صفية بنفسه وكان دحية بن خليفة قد سأل رسول الله (ص) صفية فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها . قال وقتل السبايا من خير في المسلمين وأكل الناس لحوم الحرم فذكر نهى رسول الله (ص) إياهم عن أكلها . وقد اعتنى البخاري بهذا الفصل فأورد النهي عنها من طرق جيدة ونحريمها مذهب جمهور العلماء سلفاً وخلفاً وهو مذهب الأئمة الأربعة . وقد ذهب بعض السلف منهم ابن عباس إلى إباحتها وتنوعت أجوبتهم عن الأحاديث الواردة في النهي عنها فقليل لأنها كانت ظهراً يستعينون بها في الحولة وقيل لأنها لم تكن خست بعد وقيل لأنها كانت تأكل العذرة يعني جلالة والصحيح أنه نهى عنها لذاتها فإن في الأثر الصحيح أنه نادى منادى رسول الله (ص) ان الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحرم فاتها رجس فاكفئوها والقذور تفور بها . وموضع تقرير ذلك في كتاب الأحكام . قال ابن اسحاق : حدثني سلام بن كركرة عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله ولم يشهد جابر خير أن رسول الله (ص) حين نهى الناس عن أكل لحوم الحرم أذن لهم في لحوم الخيل . وهذا الحديث أصله ثابت في الصحيحين من حديث حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن محمد بن علي عن جابر رضي الله عنه قال : نهى رسول الله (ص) يوم خير عن لحوم الحرم وخصص في الخيل . لفظ البخاري

قال ابن اسحاق : وحدثنا عبد الله بن أبي نعيم عن مكحول أن النبي (ص) نهام يومئذ عن أربع : عن إتيان الحبالى من النساء ، وعن أكل الحمار الأهلي ، وعن أكل كل ذي ناب من السباع ، وعن بيع المفاتيح حق تقسم . وهذا مرسل . وقال ابن اسحاق وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي مرزوق مولى نقيب عن حسن الصنعاني قال : غزونا مع ربيعة بن ثابت الأنصاري المغرب فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة ، فقام فيها خطيباً فقال : أيها الناس اني لا أقول فيكم الا ما سمعت من رسول الله (ص) يقول فينا يوم خير قام فينا رسول الله (ص) فقال : لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماء زرع غيره . يعني إتيان الحبالى من السبي لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم

الآخر أن يبيع مغنا حتى يقسم ، ولا يجل لأمري . يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فيه
المسلمين حتى إذا أعجزها ردها فيه ، ولا يجل لأمري . يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس يوما من فيه
المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه . وهكذا روى هذا الحديث أبو داود من طريق محمد بن اسحاق .
ورواه الترمذي عن حفص بن عمر . والشيباني عن ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن ربيعة بن سليم
عن بشر بن عبيد الله عن رويغ بن ثابت مختصراً وقال حسن

وفي صحيح البخاري عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) نهى يوم خيبر عن لحوم
الحر الأهلية وعن أكل الثوم . وقد حكى ابن حزم عن علي وشريك بن الحنبل أنهما ذهبا إلى
تحريم البصل والثوم النوى . والذي نقله الترمذي عنهما الكراهة فله أعلم . وقد تكلم الناس في
الحديث الوارد في الصحيحين من طريق الزهري عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن
أييها عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله (ص) نهى عن نكاح المتعة يوم
خيبر وعن لحوم الحر الأهلية . هذا لفظ الصحيحين من طريق مالك وغيره عن الزهري وهو
يقضي تقييد تحريم نكاح المتعة بيوم خيبر وهو مشكل من وجهين : أحدهما أن يوم خيبر لم
يكن ثم نساء يتمتعون بهن إذ قد حصل لهم الاستغناء بالسبائك عن نكاح المتعة . الثاني : أنه قد ثبت
في صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة عن عبيد عن أبيه أن رسول الله (ص) أذن لهم في المتعة زمن
الفتح ثم لم يخرج من مكة حتى نهى عنها وقال : أن الله قد حرمها إلى يوم القيامة فلي هذا
يكون قد نهى عنها ثم أذن فيها ثم حرمت فيلزم النسخ مرتين وهو بعيد . ومع هذا فقد نص
الشافعي على أنه لا يعلم شيئاً أبيح ثم حرم ثم أبيح ثم حرم غير نكاح المتعة وما حداه على هذا رحمه الله
إلا اعتماده على هذين الحديثين كما قدمناه ^(١)

وقد حكى السهيلي وغيره عن بعضهم أنه ادعى أنها أبيحت ثلاث مرات وحرمت ثلاث مرات
وقال آخرون أربع مرات وهذا بعيد جداً والله أعلم . واختلفوا أي وقت أول ما حرمت فقبل في
خيبر وقيل في غرة القضاء وقيل في عام الفتح وهذا يظهر وقيل في أوطاس وهو قريب من الذي قبله
وقيل في تبوك وقيل في حجة الوداع رواه أبو داود
وقد حاول بعض العلماء أن يجيب عن حديث علي رضي الله عنه بأنه وقع فيه تقديم وتأخير
وإنما المحفوظ فيه ما رواه الامام أحمد : حدثنا سفيان عن الزهري عن الحسن وعبد الله ابني محمد

(١) بياض بالأصل بمقدار سطر

عن أبيهما - وكان حسن أرضاهما في أنفسهما - أن علياً قال لابن عباس: إن رسول الله (ص) نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر . قالوا فاعتقدنا الراوى ان قوله خيبر ظرف للنهى عنهما وليس كذلك انما هو ظرف للنهى عن لحوم الحمر ، فأما نكاح المتعة فلم يذكر له ظرفاً وانما جمعه معه لأن علياً رضى الله عنه بلغه أن ابن عباس أباح نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية كما هو المشهور عنه ، فقال له أمير المؤمنين على : انك امرؤ فأنه أن رسول الله (ص) نهى عن نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية يوم خيبر ، فجمع له النهي ليرجع عما كان يعتقد في ذلك من الإباحة . وإلى هذا التقرب كان ميل شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي نعمه الله برحمته آمين . ومع هذا ما رجح ابن عباس عما كان يذهب [إليه] من [إباحة] الحمر والمتعة ، أما النهي عن الحمر فتأوله بأنها كانت حمولهم وأما المتعة فأنما كانت يبيحها عند الضرورة في الاسفار ، وحمل النهي على ذلك في حال الرقابة والوجدان وقد تبمه على ذلك طائفة من أصحابه وأتباعهم ولم يزل ذلك مشهوراً عن علماء الحجاز الى زمن ابن جريج وبعده . وقد حكى عن الامام أحمد بن حنبل رواية كذهب ابن عباس وهي ضعيفة وحاول بعض من صنف في الحلال نقل رواية عن الامام يمثل ذلك ولا يصح أيضاً والله أعلم . وموضع تحرير ذلك في كتاب الاحكام وبالله المستعان

قال ابن اسحاق : ثم جعل رسول الله (ص) يتدنى الحصون والاموال فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدثه بعض من أسلم أن بنى سهم من أسلم أتوا رسول الله (ص) فقالوا يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا شيء فلم يجدوا عند رسول الله (ص) شيئاً يعطيهم إياه فقال : اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست لهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غنى وأكثرها طعاماً وودكاً . ففدا الناس ففتح عليهم حصن الصعب بن معاذ وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه (١)

قال ابن اسحاق : ولما افتتح رسول الله (ص) من حصونهم ما افتتح وحاز من الاموال ما حاز انتهوا الى حصنهم الوطيع والسلام وكان آخر حصون خيبر افتتاحاً فحاصروا رسول الله (ص) بضع عشر ليلة . قال ابن هشام : وكان شعارهم يوم خيبر يا منصور أمت أمت

قال ابن اسحاق : وحدثني بريدة بن سفيان الاسدي الاسلمى عن بعض رجال بني سلمة عن أبي اليسر كعب بن عمرو قال : أتى لمع رسول الله (ص) بخيبر ذات عشية اذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم فقال رسول الله (ص) : من رجل يطعمنا من هذه الغنم قال أبو اليسر

(١) الودك : دسم اللحم ودُهْنه الذي يستخرج منه .

قلت أنا يا رسول الله قال فافعل . قال فخرجت أشد مثل الظليم فلما نظر الى رسول الله (س) . مولياً قال اللهم أمتعنا به قال فأدركت الغنم وقد دخلت أولها الحصن فأخذت شاتين من آخرها فاحتضنتهما تحت يدي ثم جئت بهما أشد كأنه ليس معي شيء حتى ألقىتهما عند رسول الله (س) . فذبوهما فأكلوهما فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله (س) . وموتا وكان إذا حدث هذا الحديث بكى ثم قال امتعوا بي لعمرى حتى كنت من آخرهم . وقال الحافظ البيهقي في الدلائل أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني حدثنا أبو سعيد بن الأعرابي حدثنا سعدان بن نصر حدثنا أبو معاوية عن عاصم الاحول عن أبي عثمان التهمدي أو عن أبي قلابة قال لما قدم النبي (س) . خير قدم والتمرة خضرة قال فأسرع الناس اليها فحتموا فشكوا ذلك اليه فأمرهم أن يقرسوا الماء في الشنان^(١) ثم يجرؤنه عليهم إذا أتى الفجر ويذكرون اسم الله عليه ، ففعلوا ذلك فكانما نشطوا من عقل . قال البيهقي وروى عنه عن عبد الرحمن بن رافع موصولاً وعنه بين صلاتي المغرب والعشاء . وقال الامام أحمد حدثنا يحيى وبهرز قال حدثنا سليمان بن الميمونة حدثنا حميد بن هلال حدثنا عبد الله بن مغفل قال دلى جراب من شحم يوم خير فالتزمته فقلت لأعطي أحداً منه شيئاً قال فالتفت فإذا رسول الله (س) . يتبسم . وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا شعبة عن حميد بن هلال عن عبد الله بن مغفل قال كنا نحاصر قصر خير فالتقى الينا جراب فيه شحم فذهبت فأخذته فرأيت النبي (س) . فاستحييت وقد أخرجه صاحبها الصحيح من حديث شعبة . ورواه مسلم أيضاً عن شيبان بن فروخ عن عثمان ابن الميمونة . وقال ابن اسحق وحدثني من لا اتهم عن عبد الله بن مغفل المزني قال أصبت من فيه خير جراب شحم قال فاحتملته على عنقي الى رحلى وأصحابي قال فلقيني صاحب المغامم الذي جعل عليها فأخذ بناحيته وقال هلم حتى تقسمه بين المسلمين قال وقلت لا والله لا أعطيكه قال وجعل يجاذبني الجراب قال فرأنا رسول الله (س) . ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكاً ثم قال لصاحب المغامم خل بينه وبينه قال فأرسله فانطلقت به الى رحلى وأصحابي فأكلناه . وقد استدلل الجمهور بهذا الحديث على الامام مالك في تحريمه شحوم ذبائح اليهود وما كان غلبهم عليه غيرهم من المسلمين لأن الله تعالى قال وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم قال لكم قال وليس هذا من طعامهم فاستدلوا عليه بهذا الحديث وفيه نظر وقد يكون هذا الشحم مما كان حلالاً لهم والله أعلم . وقد استدللوا بهذا الحديث على أن الطعام لا يخمس ويعضد ذلك ما رواه الامام أبو داود حدثنا محمد بن الملاء حدثنا أبو معاوية حدثنا اسحاق الشيباني عن محمد بن أبي مجالد عن عبد الله بن أبي أوفى قال قلت كنتم نخمسون الطعام في عهد رسول الله (س) . فقال أصبنا طعاماً يوم خير وكان الرجل يجيء فيأخذ منه قدر ما يكفيه ثم ينصرف . تفرد به أبو داود وهو حسن .

ذكر قصة صفية بنت حيي النضرية

كان من شأنها أنه لما أجلي رسول الله (س) يهود بني النضير من المدينة كما تقدم فذهب عاتمهم الى خيبر وفيهم حيي بن أخطب وبنو أبي الحقيق وكانوا ذوى أموال وشرف في قومه وكانت صفية اذ ذاك طفلة دون البلوغ ثم لما تأهلت للزواج تزوجها بعض بني عمها فلما زفت اليه وادخلت اليه بني بها ومضى على ذلك ليالى رأت في منامها كأن قمر السماء قد سقط في حجرها فقصت رؤياها على ابن عمها فطم وجهها وقال أتمنين ملك يثرب أن يصير بملك. فما كان الا يحىء رسول الله (س) وحصاره أيام فكانت صفية في جملة السبي وكان زوجها في جملة القتلى. ولما اصطفاه رسول الله (س) وصارت في حوزة وملكه كما سيأتي وبني بها بعد استبرائها وحلها وجد أثر تلك اللطمة في خدها فسألها ما شأنها فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصالحة رضى الله عنها وأرضاها قال البخارى حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك قال: صلى النبي (س) الصبح قريبا من خيبر بغلس ثم قال: الله أكبر خربت خيبر، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. فخرجوا يسعون في السكك فقتل النبي (س) المقاتلة وسبي الذرية، وكان في السبي صفية فصارت الى دحية الكلبي ثم صارت الى النبي (س) فجعل عتقها صداقها. ورواه مسلم أيضا من حديث حماد بن زيد وله طرق عن أنس. وقال البخارى: حدثنا آدم عن شعبة عن عبد العزيز ابن صهيب قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سبي النبي (س) صفية فأعتقها وتزوجها. قال ثابت لأنس ما أصدقها قال أصدقها نفسها فأعتقها تفرد به البخارى من هذا الوجه. وقال البخارى حدثنا عبد الغفار بن داود حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ح. وحدثنا أحمد بن عيسى حدثنا ابن وهب أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن عمرو مولى المطلب عن أنس بن مالك قال: قدمنا خيبر فلما فتح (س) الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب وقد قتل زوجها وكانت عروسا فاصطفاه النبي (س) لنفسه فخرج بها حتى بلغ بها سُد الصباه حلت فبني بها رسول الله (س) ثم صنع حيسا في نطع صغير ثم قال لي: آذن من حولك فكانت تلك ولجنته على صفية. ثم خرجنا الى المدينة فرأيت النبي (س) يحوى لها وراه بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تتركب. تفرد به دون مسلم. وقال البخارى حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير أخبرني حميد أنه سمع أنسا يقول: أقام رسول الله (س) بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يبنى عليه بصفية فدعوت المسلمين الى ولجنته وما كان فيها من خبز ولحم وما كان فيها الا أن أمر بلالا بالانطاع فبسطت فالتى عليها التمر والاقط والسمن فقال المسلمون احدى أمهات المؤمنين أو

ما ملكت يمينه ؟ فقالوا ان حجبتها فهي احدى أمهات المؤمنين وان لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه .
 فلما ارتحل وطأ لها خلفه ومد الحجاب . انفرد به البخاري . وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا حماد بن
 زيد عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : صارت صفية لدحية السكلي ثم صارت
 لرسول الله (س) . وقال أبو داود حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن عليه عن عبد العزيز بن
 صهيب عن أنس قال : جمع السبي - يعني بخيبر - فجاء دحية فقال : يا رسول الله اعطني جارية من السبي
 قال : اذهب فخذ جارية . فآخذ صفية بنت حيي فجاء رجل الى رسول الله (س) فقال يا نبي الله أعطيت
 دحية قال يعقوب صفية بنت حيي سيده قريظة والنضير ما تصلح الا لك قال ادعوا بها فلما نظر
 اليها النبي (س) قال خذ جارية من السبي غيرها وان رسول الله (س) اعتمها وتزوجها . وأخرجاه من
 حديث ابن عليه . وقال أبو داود حدثنا محمد بن خلاد الباهلي حدثنا بهز بن أسد حدثنا حماد بن سلمة
 حدثنا ثابت عن أنس قال وقع في سهم دحية جارية جميلة فاشتراها رسول الله (س) بسبعة أرؤس ثم
 دفعها الى أم سلمة تصنعها وتهيبها قال حماد وأحسبه قال وتعتدني بيتها صفية بنت حيي . تفرد به أبو داود
 قال ابن اسحاق فلما افتتح رسول الله (س) القدوص حصن بني أبي الحقيق أتى بصفية بنت حيي
 ابن أخطب وأخرى معها فربهما بلال - وهو الذي جاء بهما - على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التي مع
 صفية صاحت وصكت وجهها وحشت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله (س) قال : أعربوا
 عني هذه الشيطانة . وأمر بصفية فحبرت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله (س)
 قد اصطفاها لنفسه . وقال رسول الله (س) : لبلال فيما بلغني حين رأى بتلك اليهودية ما رأى :
 أنزعت منك الرحمة يا بلال حتى تمر بامرأتين على قتلى رجالهما . وكانت صفية قد رأت في المنام وهي
 عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن قرا وقع في حجرها ، فمرضت رؤياها على زوجها
 فقال : ما هذا الا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً . فلطم وجهها لكمة خضر عينها منها . فأتى بها
 رسول الله (س) . وبها أثر منه ، فسألها ما هذا ، فأخبرته الخبر . قال ابن اسحاق : وأتى رسول الله
 بكنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فسأله عنه فجحد ان يكون يعلم مكانه . فأتى رسول
 الله (س) رجل من اليهود فقال لرسول الله (س) : انى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة
 فقال رسول الله (س) : لكنانة أرايت ان وجدناه عندك أقتلك ؟ قال نعم . فأمر رسول الله (س)
 بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله عما بقى فأبى أن يؤديه فأمر به رسول الله (س)
 الزبير بن العوام فقال عذبه حتى تستأصل ما عنده . وكان الزبير يقدح بزنده في صدره حتى أشرف
 على نفسه ثم دفعه رسول الله الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة

قصة بني النضير

قال ابن اسحاق وحاصر رسول الله (ص) أهل خيبر في حصنهم الوطيج والسلام حتى اذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ففعل، وكان رسول الله (ص) قد حاز الاموال كلها الشق والنطاة والسكنية وجميع حصونهم الا ما كان من ذينك الحصنين، فلما سمع أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا الى رسول الله (ص) ان يسيرهم ويحقن دماءهم ويخلوا له الاموال ففعل وكان ممن مشى بين رسول الله (ص) وبينهم في ذلك محيصة بن مسعود أخو بني حارثة. فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألو رسول الله (ص) أن يعاملهم في الاموال على النصف، وقالوا: نحن أعلم بها منكم وأمر لها، فصالحهم رسول الله (ص) على النصف على أن اذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم. وعامل أهل فدك بمثل ذلك.

فتح حصونها وسبب أرضها

قصة بني النضير

قال الواقدي لما تحولت اليهود من حصن ناعم وحصن الصب بن معاذ الى قلعة الزبير حاصرهم رسول الله (ص) ثلاثة أيام فجاء رجل من اليهود يقال له عزال فقال يا أبا القاسم تؤمنني على أن أدلك على ما نستريح به من أهل النطاة ونخرج الى أهل الشق فان أهل الشق قد هلكوا رعباً منك قال فأمنه رسول الله (ص) على أهله وماله فقال له اليهودي انك لو أقت شهرآ تحاصرهم ما بالوا بك، ان لم تحت الارض دبولاً يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون الى قلعته، فأمر رسول الله (ص) بقطع دبولهم فخرجوا فقاتلوا أشد القتال وقتل من المسلمين يومئذ نفر وأصيب من اليهود عشرة وافتتحه رسول الله (ص) وكان آخر حصون النطاة. وتحول الى الشق وكان به حصون ذوات عدد فكان أول حصن بدأ به منها حصن أبي قحاف رسول الله (ص) على قلعة يقال لها صموان فقاتل عليها أشد القتال فخرج منهم رجل يقال له عزول فدنا الى البراز فبرز اليه الحباب بن المنذر فقطع يده اليمنى من نصف ذراعه ووقع السيف من يده وفر اليهودي راجعاً فاتبعه الحباب فقطع عرقه به وبرز منهم آخر فقام اليه رجل من المسلمين فقتله اليهودي فنهض اليه أبو دجانة فقتله وأخذ سلبه وأحجموا عن البراز فكبر المسلمون ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه وأمامهم أبو دجانة فوجدوا فيه أثاثاً ومتاعاً وغنماً وطعاماً وهرب من كان فيه من المقاتلة وتجمعوا الجزر كآتهم الضباب حتى صاروا الى حصن البراة بالشق وتمنعوا أشد الامتناع فرحف اليهم رسول الله (ص) وأصحابه فتراموا ورمى معهم رسول الله (ص) بيده الكريمة حتى أصاب نبلهم بناته عليه الصلاة والسلام فأخذ عليه السلام كفاً من الحصا فرمى حصنهم بها فرجف بهم حتى ساق في الارض وأخذهم المسلمون أخناً باليد. قال الواقدي:

ثم تحول رسول الله (ص) إلى أهل الأخبية والطيح والسلام حصنى أبي الحقيق ونحصنوا أشد التحصن وجاء إليهم كل من كان انهزم من النطاة إلى الشق فتحصنوا معهم في القمص وفي الكتيبة وكان حصناً منيعاً وفي الطيح والسلام وجعلوا لا يطمعون من حصونهم حتى هم رسول الله (ص) أن ينصب المنجنيق عليهم فلما أيقنوا بالمملكة وقد حصرهم رسول الله (ص) أربعة عشر يوماً نزل إليه ابن أبي الحقيق فصالحه على حق دعائهم ويسيرهم ويخلون بين رسول الله (ص) وبين ما كان لهم من الأرض والأموال والصفراء والبيضاء والكراع والحلقة وعلى البر إلا ما كان على ظهر إنسان يعني لباسهم فقال رسول الله (ص) وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتم شيئاً فصلحوه على ذلك قلت ولهذا لما كنتموا وكذبوا وأخفوا ذلك المسك الذي كان فيه أموال جزيلة تبين أنه لا عهد

لهم قتل ابن أبي الحقيق وطائفة من أهله بسبب قرض اليهود منهم والموانيق

وقال الحافظ البيهقي حدثني أبو الحسن علي بن محمد المقرئ الأسفرايني حدثنا الحسن بن محمد ابن اسحاق حدثنا يوسف بن يعقوب حدثنا عبد الواحد بن غياث حدثنا حماد بن سلمة حدثنا عبيد الله بن عمر فيما يحسب أبو سلمة عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم فغلب على الأرض والزرع والنخل فصلحوه على أن يجلبوا منها ولهم ما حملت ركائبهم ولرسول الله (ص) الصفراء والبيضاء ويخرجون منها واشترط عليهم أن لا يكتسبوا ولا يغيثوا شيئاً فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد فقبضوا مسكاً فيه مال وحلى لحبي بن أخطب وكان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت النضير فقال رسول الله (ص) حينئذ: ما فعل مسك حي الذي جاء به من النضير فقال أذهبته النعقات والحروب فقال العهد قريب والمال أكثر من ذلك فدفعه رسول الله (ص) إلى الزبير فسه بهذاب وقد كان حي قبل ذلك دخل خربة فقال قد رأيت حياً يطوف في خربة هاهنا فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة قتل رسول الله (ص) ابن أبي الحقيق وأحدهما زوج صفية بنت حيي بن أخطب وصي رسول الله (ص) فساهم وذراهم وقسم أموالهم بالنكت الذي نكثوا وأراد إجلاءهم منها فقالوا يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض فصلحها ونقوم عليها ولم يكن لرسول الله (ص) ولا لأصحابه خلال يقومون عليها وكانوا لا يفرغون أن يقوموا عليها فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع ونخيل وشيء ما بدا لرسول الله (ص) وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام فيخرجها عليهم ثم يضمنهم الشطر فشكوا إلى رسول الله (ص) شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه فقال يا أعداء الله قطموني السحت والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي ولا أنتم أبغض إلي من عدتكم من القرعة والخنازير ولا يحملني بغضى إليكم وحي إليهم على أن لا أعدل عليكم فقالوا بهذا قامت السموات والأرض قال فرأى رسول الله (ص)

بعين صفة خضرة فقال يا صفة ما هذه الخضرة فقالت : كان رأسى فى حجر ابن أبى الحقيق وأنا
 نائمة فرأيت كأن قرأ وقع فى حجرى فأخبرته بذلك فلطمنى وقال تتمنين ملك يثرب . قالت وكان
 رسول الله (ص) من أبغض الناس الى قتل زوجى وأبى فإزال يمتد إلى ويقول ان أهلك ألب
 على العرب وفعل ما فعل حتى ذهب ذلك من نفسى . وكان رسول الله (ص) يعطى كل امرأة من
 نسائه ثمانين وسقاً من تمر كل عام وعشرين وسقاً من شعير فلما كان فى زمان عمر غشوا المسلمين
 وألقوا ابن عمر من فوق بيت ففدعوا يديه فقال عمر : من كان له سهم بخير فليحضر حتى قسمها
 قسمها بينهم . فقال رئيسهم لا تخرجنا دهنا فكون فيها كما أقرنا رسول الله (ص) وأبو بكر فقال
 عمر : أترأى سقط على قول رسول الله (ص) كيف بك إذا وقعت بك راحلتك نحو الشام يوماً
 ثم يوماً ثم يوماً . وقسمها عمر بين من كان شهد خيبر من أهل المدينة . وقد رواه أبو داود مختصراً
 من حديث حماد بن سلمة . قال البيهقى وعقوله البخارى فى كتابه فقال : ورواه حماد بن سلمة .
 قلت : ولم أره فى الأطراف فافقه أعلم . وقال أبو داود وحدثني سليمان بن داود المهرى حدثنا
 ابن وهب أخبرني أسامة بن زيد البجلي عن نافع عن عبد الله بن عمرو قال : لما فتحت خيبر سألت
 يهود رسول الله (ص) أن يقرموا على أن يعملوا على النصف مما خرج منها فقال رسول الله (ص) :
 أقرم فيها على ذلك ما شئنا فكانوا على ذلك وكان التمر يقسم على السهمان من نصف خيبر ويأخذ
 رسول الله (ص) الخمس وكان أطعم كل امرأة من أزواجه من الخمس مائة وسق من تمر وعشرين
 وسقاً من شعير . فلما أراد عمر إخراج اليهود أرسل إلى أزواج النبي (ص) فقال لمن : من أحب منكن
 أن أقسم لها مائة وسق فيكون لها أصابها وأرضها وماؤها ومن الزرع مزرعة عشرين وسقاً من
 شعير فقلنا ومن أحب أن نعزل الذى لها فى الخمس كما هو فضلنا . وقد روى أبو داود من حديث
 محمد بن اسحاق حدثني نافع عن عبد الله بن عمر أن عمر قال أيها الناس ان رسول الله (ص) عامل
 يهود خيبر على أن يخرجهم إذا شاء فمن كان له مال فليملحق به فأتى يهود . فأخرجهم وقال
 البخارى حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن
 جبير بن مطعم أخبره قال مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله (ص) قلنا أعطيت بنى
 المطلب من خمس خيبر وتركنا ونحن وم بمزلة واحدة منك . فقال : إنما بنو هاشم وبنو المطلب
 شيء واحد . قال جبير بن مطعم ولم يقسم النبي (ص) لبنى عبد شمس وبنى نوفل شيئاً . تفرد به دون
 مسلم . وفى لفظ أن رسول الله (ص) قال : ان بنى هاشم وبنى عبد المطلب شيء واحد . انهم لم
 يفلتوا فى جاهلية ولا إسلام . قال الشافعى دخلوا معهم فى الشعب وقاصروهم فى إسلامهم
 جاهليتهم . قلت وقد ضم أبو طالب بنى عبد شمس و نوفلا حيث يقول :

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شرّ عَجَلًا غير آجل

وقال البخارى حدثنا الحسن بن اسحاق ثنا محمد بن ثابت ثنا زائدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال : قسم رسول الله (س) يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهما . قال فسرره نافع فقال : اذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم ، وإن لم يكن معه فرس فله سهم . وقال البخارى حدثنا سعيد بن أبي مرجم ثنا محمد بن جعفر أخبرني زيد عن أبيه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : أما والذي نفسي بيده لولا أن أترك آخر الناس بيانا^(١) ليس لهم شئ ما فتحت على قرية إلا قسمتها كما قسم النبي (س) خيبر ، ولكني أتركها خزائنه لم يقسمونها . وقد رواه البخارى أيضا من حديث مالك وأبو داود عن أحمد بن حنبل عن ابن مهدي عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن عبد الله . وهذا السياق يقتضى أن خيبر بكما لما قسمت بين الغنائم . وقد قال أبو داود ثنا ابن السرح أنبأنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال : بلغني أن رسول الله (س) افتتح خيبر عنوة بعد القتال وترك من ترك من أهلها [على الجلاء] بعد القتال ، وبهذا قال الزهري . قسم رسول الله (س) خيبر ثم قسم سائرهما على من شهدا . وفيما قاله الزهري نظر فإن الصحيح أن خيبر جميعها لم تقسم وإنما قسم نصفها بين الناس كما سيأتي بيانه وقد احتج بهذا مالك ومن تابعه على أن الامام مخير في الأراضى المغنومة إن شاء قسمها وإن شاء أرصدها لمصالح المسلمين وإن شاء قسم بعضها وأرصد بعضها لما ينوبه في الحاجات والمصالح . قال أبو داود : حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن ثنا أسد بن موسى حدثنا يحيى بن زكريا حدثني سفيان عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار عن سهل بن أبي حنمة قال : قسم رسول الله (س) خيبر نصفين ، نصفًا لنوابه ، ونصفًا بين المسلمين ، قسمها بينهم على ثمانية عشر سهما . تفرد به أبو داود ثم زواه أبو داود من حديث بشير بن يسار من سلاطين نصف النواصب الوطيط والسكتية والسلام وما حيز معها ، ونصف المسلمين الشق والنطاة وما حيز معها وسهم رسول الله (س) فيها حيز معها . وقال أيضا حدثنا حسين بن علي ثنا محمد بن فضيل عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار مولى الأنصار عن رجال من أصحاب رسول الله (س) أن رسول الله (س) لما ظهر على خيبر قسمها على ستة وثلاثين سهما ، جمع كل سهم مائة سهم ، فكان لرسول الله (س) وللمسلمين النصف من ذلك ، وعزل النصف الثاني لمن نزل به من الوفود والأمور ونواصب الناس . تفرد به أبو داود . قال أبو داود حدثنا محمد بن عيسى ثنا جمع بن يعقوب بن جمع بن يزيد الأنصارى سمعت أبي

(١) بتشديد الباء الثانية كما في النهاية والمصباح .

يعقوب بن مجمع يقول عن عمه عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري عن عمه مجمع بن حارثة الأنصاري -
 وكان أحد القراء الذين قرءوا القرآن - قال قسمت خير على أهل الحديبية ، فقسمها رسول الله (س) ،
 على ثمانية عشر سهما ، وكان الجيش الفا وخمسمائة فيهم ثلثمائة فارس ، فأعطى الفارس سهمين وأعطى
 الرجل سهما تفرد به أبو داود . وقال مالك عن الزهري أن سعيد بن المسيب أخبره أن النبي
 (س) افتتح بعض خير عنوة . ورواه أبو داود ثم قال أبو داود : قرئ على الحارث بن مسكين
 وأنا شاهد أخبركم ابن وهب حدثني مالك بن أنس عن ابن شهاب أن خير بعضها كان عنوة وبعضها
 صلحا والكتيبة أكثرها عنوة وفيها صلح ، قلت للمالك وما الكتيبة ؟ قال أرض خيبر وهي أربعون
 ألف عتق . قال أبو داود والعتق النخلة . والعتق العرجون . ولهذا قال البخاري حدثنا محمد بن بشار
 ثنا حرمي ثنا شعبة ثنا عمارة عن عكرمة عن عائشة قالت : لما فتحت خير قلنا الآن نشبع من التمر .
 حدثنا الحسن ثنا قرة بن حبيب ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر قال
 ماشبعنا - يعني من التمر - حتى فتحنا خير . وقال محمد بن اسحاق ! كانت الشق والنطاة في سهمان
 المسلمين الشق ثلاثة عشر سهما ونطاة خمسة أسهم قسم الجميع على ألف وثمانمائة سهم ودفع ذلك إلى
 من شهد الحديبية من حضر خير ومن غاب عنها ، ولم يغب عن خير ممن شهد الحديبية إلا جابر بن
 عبد الله فضرب له بسهمه ، قال وكان أهل الحديبية ألفا وأربعمائة وكان معهم مائتا فرس لكل
 فرس سهمان فصرف إلى كل مائة رجل سهم من ثمانية عشر سهما ، وزيد المائتا فارس أربعمائة سهم
 لخيولهم . وهكذا رواه البيهقي من طريق سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد عن صالح بن كيسان
 أنهم كانوا ألفا وأربعمائة معها مائتا فرس .

قلت : وضرب رسول الله (س) معهم بسهم وكان أول سهم من سهمان الشق مع عاصم بن عدي .
 قال ابن اسحاق : وكانت الكتيبة خمسا لله تعالى وسهم للنبي (س) وسهم ذوى القربى واليتامى
 والمساكين وابن السبيل وطعمة أزواج النبي (س) وطعمة أقوام مشوا في صلح أهل فداك ، منهم
 محبصة بن مسعود أقطعه رسول الله (س) ثلاثين وسقا من تمر وثلاثين وسقا من شعير ، قال وكان
 واديها اللذان قسمت عليه يقال لهما وادي السرير ووادي خاص . ثم ذكر ابن اسحاق تفاصيل
 الاقطاعات منها فأجاد وأفاد رحمه الله . قال وكان الذي ولي قسمتها وحسابها جبار بن صخر بن أنية
 ابن خفساء أخو بني سلمة وزيد بن ثابت رضي الله عنهما .

قلت : وكان الأمير على خرص نخيل خير عبد الله بن رواحة فخرصها سنتين ، ثم لما قتل رضي
 الله عنه كما سيأتي في يوم مؤتة ولي بعده جبار بن صخر رضي الله عنه وقد قال البخاري حدثنا اسماعيل
 حدثني مالك عن عبد المجيد بن سهيل عن سعيد بن المسيب عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة

أن رسول الله (ص) استعمل رجلا على خير فجاء بتمر جنيب ، فقال رسول الله (ص) : « أكل تمر خير هكذا ؟ » قال لا والله يا رسول الله إنما لناخذ الصاع من هذا بالصاعين والصاعين بالثلاثة . فقال « لا تفعل بع الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيبا » . قال البخاري وقال الدراوردي عن عبد المجيد عن سعيد بن المسيب أن أبا سعيد وأبا هريرة حدثاه أن رسول الله (ص) بعث أخا بني عدي من الأنصار إلى خير وأمره عليها ، وعن عبد المجيد عن أبي صالح السمان عن أبي سعيد وأبي هريرة مثله .

قلت : كان سهم النبي (ص) الذي أصاب مع المسلمين مما قسم بخير وفذك بكاملها وهي طائفة كبيرة من أرض خيبر نزلوا من شدة رعيهم منه صلوات الله وسلامه عليه فصالحوه ، وأموال بني النضير المتقدم ذكرها مما لم يوجب المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت هذه الأموال لرسول الله (ص) خاصة وكان يعمل منها نفقة أهله لسنة ثم يجعل ما بقي يجعل مال الله يصرفه في الكراع والسلاح ومصالح المسلمين ، فلما مات صلوات الله وسلامه عليه اعتدت فاطمة وأزواج النبي (ص) - أو أكثرهن - أن هذه الأراضي تكون موروثة عنه ولم يبلغن ما ثبت عنه من قوله (ص) : « نحن مشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة » ولما طلبت فاطمة وأزواج النبي (ص) والعباس نصيبهم من ذلك وسألوا الصديق أن يسعه اليهم ؛ وذكر لم قول رسول الله (ص) : « لا نورث ما تركنا صدقة » وقال : أنا أعول من كان يعول رسول الله (ص) والله لقرابة رسول الله (ص) أحب إلى أن أصل من قرابتي ، وصدق رضي الله عنه وأرضاه فانه البار الراشد في ذلك التابع للحق ، وطلب العباس وعلى على لسان فاطمة إذ قد فاتهم الميراث أن ينظروا في هذه الصدقة وأن يصرفوا ذلك في المصارف التي كان النبي (ص) يصرفها فيها ، فأبى عليهم الصديق ذلك ورأى أن حقا عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله (ص) ، وأن لا يخرج من مسلكه ولا عن سنته . فتغضبت فاطمة رضي الله عنها عليه في ذلك ووجدت في نفسها بعض المودة ولم يكن لها ذلك . والصديق من قد عرفت هي والمسلمون محله ومنزله من رسول الله (ص) ، وقيامه في نصرة النبي (ص) ، في حياته وبعد وفاته فجزاه الله عن نبيه وعن الاسلام وأهله خيرا ، وتوفيت فاطمة رضي الله عنها بعد ستة أشهر ثم جدد على البيعة بعد ذلك ، فلما كان أيام عمر بن الخطاب سأله أن يفرض أمر هذه الصدقة إلى علي والعباس وقلوا عليه بجماعة من سادات الصحابة ففعل عمر رضي الله عنه ذلك وذلك لكثرة اشغاله واتساع مملكته وامتداد رعيته ، فتغلب على علي عه العباس فيها ثم تساوفا يختصمان إلى عمر وقدمتا بين أيديهما جماعة من الصحابة وسألا منه أن يقسما بينهما فينظر كل منهما فيما لا ينظر فيه الآخر . فامتنع عمر من ذلك أشد الامتناع وخشى أن تكون هذه القسمة تشبه قسمة الموارث وقال انظروا فيها وأنتما جميع فان عجزتما عنها فادفعاها إلى ، والتي تقوم السماء والأرض بأمره لا أقضى فيها قضاء غير هذا . فاستمرا فيها ومن

بعدها الى ولدها الى أيام بنى العباس تصرف في المصارف التي كان رسول الله (س) يصرفها فيها؛
أموال بنى النضير وفدك وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير .

فَضْلُ خَيْرٍ

وأما من شهد خير من العبيد والفساء فرضخ^(١) لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من
الغنيمة ولم يسهم لهم . قال أبو داود حدثنا أحمد بن حنبل ثنا بشر بن المفضل عن محمد بن زيد
حدثني عمير مولى أبي اللحم قال : شهدت خير مع سادق فكلموا في رسول الله (س) فأمر بي فقلت
سيفا ، فاذا أنا أجره ، فأخبر أني مملوك فأمر لي بشئ من طريق المتاع . ورواه الترمذي والنسائي
جميعا عن قتيبة عن بشر بن المفضل به [وقال الترمذي حسن صحيح . ورواه ابن ماجه عن علي بن
محمد عن وكيع عن هشام بن سعد] عن محمد بن زيد بن المهاجر عن منقذ عن عمير به .

وقال محمد بن اسحاق : وشهد خير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء فرضخ لهن [من
التي] لم يضرب لهن بسهم حدثني سليمان بن سحيم عن أمية بنت أبي الصلت عن امرأة من بنى
غفار قد سماها الى قالت أتيت رسول الله (س) في نسوة من بنى غفار ، فقلنا يا رسول الله قد أردنا
أن نخرج معك الى وجهك هذا - وهو يسير الى خير - فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا
فقال « على بركة الله » قالت نخرجنا معه ، قالت وكنت جارية حادثة السن فأردفني رسول الله (س) ،
على حقيبة رحله ، [قالت فوالله لنزل رسول الله (س) الى الصبح ونزلت عن حقيبة رحله ، قالت]
واذا بهادهم منى وكانت أول حيضة حضتها ، قالت فتقبضت الى الناقة واستحييت . فلما رأى رسول
الله (س) ما بي ورأى الدم قال « مالك ؟ لعلك نفست » قالت قلت نعم ، قال « فاصلحي من نفسك
ثم خذي إياه من ماء فاطرحي فيه ملحاً ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودي لمركبك » قالت
فلما فتح الله خير رضح لنا من التي ، وأخذ هذه القلادة التي تزين في عنقي فأعطانيها وعلقها بيده
في عنقي فوالله لا تفارقني أبداً . وكانت في عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها ، قالت وكانت
لا تطهر من حيضها إلا جعلت في ظهورها ملحاً وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت . وهكذا
رواه الامام أحمد وأبو داود من حديث محمد بن اسحاق به . قال شيخنا أبو الحجاج المزي في أطرافه
ورواه الواقدي عن أبي بكر بن أبي سبرة عن سليمان بن سحيم عن أم علي بنت أبي الحكم عن أمية
^(٢) بنت أبي الصلت عن النبي (س) به . وقال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى ثنا رافع بن سلمة

(١) قال السهيلي : أصل الرضخ (بالمعجمة) أن تكسر من الشيء الرطب كسرة فتعطيه وأما
الرضخ بالخاء المهملة فكسر اليابس (٢) وفي الإصابة : أن اسمها أمة أو أمامة أو أمينة أو أمية
وقال في موضع أمية بنت قيس بن أبي الصلت .

الأشجعي حدثني حشرج بن زياد عن جدته أم أبيه قالت : خرجنا مع رسول الله (س) في غزاة خيبر وأنا سادسة ست نسوة ، قالت فبلغ النبي (س) أن معه نساء ، قالت فأرسل إلينا فدعانا . قالت فرأينا في وجهه الغضب فقال « ما أخرجكن وبأمر من خرجتن ؟ » قلنا خرجنا نناول السهام ونسقي السويق ومنا دواء للجرحى وننزل الشعر فتعين به في سبيل الله . قال قرن فانصرفن ، قالت فلما فتح الله عليه خيبر أخرج لنا سهاما كسهام الرجال ، فقلت لها يا جدة وما الذي أخرج لكن ؟ قالت تمرا . قلت : إنما أعطاهن من الحاصل ، فأما أنه أسهم لهن في الأرض كسهام الرجال فلا ! والله أعلم . وقال الحافظ البيهقي وفي كتابي عن أبي عبد الله الحافظ أن عبد الله الأصماني أخبره حدثنا الحسين ابن الجهم ثنا الحسين بن الفرج ثنا الواقدي حدثني عبد السلام بن موسى بن جبير عن أبيه عن جده عن عبد الله بن أنيس قال : خرجت مع رسول الله (س) إلى خيبر ومعى زوجتي وهي حبلى فنفست في الطريق ، فأخبرت رسول الله (س) ، فقال لي « انقع لها تمراً فإذا انقعر فأمر به لتشربه » ففعلت فما رأت شيئاً تكرهه ، فلما فتحنا خيبر أجدى النساء ولم يسهم لهن ، فأجدى زوجتي وولدي الذي ولد . قال عبد السلام : لست أدري غلام أو جارية .

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب ومسلمو الحبشة المهاجرون

قال البخاري : حدثنا محمد بن العلاء ثنا أبو اسامة ثنا يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى قال : بلغنا مخرج النبي (س) ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا ومزهرم أحداهم أبو بردة والآخر أبو رهم ، إما قال في بضع وإما قال في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي ، فركبنا سفينة فالتقنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقنا معه حتى قدمنا جميعاً ، فوافقنا النبي (س) حين افتتح خيبر ، فكان أناس من الناس يقولون لنا - يعني لأهل السفينة - سبقناكم بالمهجرة ، ودخلت أسماء بنت عميس - وهي ممن قدم معنا - على حفصة زوج النبي (س) زائرة ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر ، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال حين رأى أسماء : من هذه ؟ قالت أسماء ابنة عميس ، قال عمر الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ قالت أسماء نعم ! قال سبقناكم بالمهجرة فنحن أحق برسول الله (س) منكم ، فنضبت وقالت : كلا والله كنتم مع رسول الله (س) ، يطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم ، وكنا في دار - أوفى أرض - البعداء والبغضاء بالحبشة ، وذلك في الله وفي رسول الله (س) ، وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت للنبي (س) ، وأسأله ، ووالله لا أكنب ولا أزيغ ولا أزيد عليه ، فلما جاء النبي (س) ، قالت : يابني الله إن عمر قال كذا وكذا قالت قال « فما قلت

له ؟ » قالت قلت كذا وكذا ، قال « ليس بأحق بي منكم وله ولا صحابه هجرة واحدة . ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان » قالت فلقد رأيت أبا موسى وأهل السفينة يأتوني أرسالا يسألوني عن هذا الحديث ، مامن الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي (ص) قال أبو بردة قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى وأنه ليستعيد هذا الحديث مني . وقال أبو بردة عن أبي موسى قال النبي (ص) « إني لأعرف أصوات رفقة الأشعرين بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم حكيم بن حزام إذا لقي العدو - أو قال الخيل - قال لهم إن أصحابي يأمر ونسكم أن تنظروهم . » وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وعبد الله بن براد عن أبي أسامة به . ثم قال البخاري قال حدثنا اسحاق بن ابراهيم ثنا حفص بن غياث ثنا يزيد بن [عبد الله بن] أبي بردة عن أبي موسى قال : قدمنا على النبي (ص) بعد أن افتتح خير قسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا . تفرد به البخاري دون مسلم . ورواه أبو داود والترمذي وصححه من حديث يزيد به . وقد ذكر محمد بن اسحاق أن رسول الله (ص) بعث عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي يطلب منه من بقي من أصحابه بالحبشة ، فقدموا صحيفة جعفر وقد فتح النبي (ص) خير . قال وقد ذكر سفيان بن عيينة عن الأجلح عن الشعبي أن جعفر بن أبي طالب قدم على رسول الله (ص) يوم فتح خير فقبل رسول الله (ص) بين عينيه والتزمه وقال « ما أدرى بأيهما أنا أمر » بفتح خير أم بقدوم جعفر . وهكذا رواه سفيان الثوري عن الأجلح عن الشعبي مرسلًا وأسند البيهقي من طريق حسن من حسين العرزمي عن الأجلح عن الشعبي عن جابر قال : لما قدم رسول الله (ص) من خير قدم جعفر من الحبشة ، فلقاه وقبل جبهته وقال « والله ما أدرى بأيهما أفرح ، بفتح خير أم بقدوم جعفر » ثم قال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ ثنا الحسين بن أبي اسماعيل العلوي ثنا احمد بن محمد البرقي ثنا محمد بن احمد بن أبي طيبة حدثني مكى بن ابراهيم الرعيني ثنا سفيان الثوري عن أبي الزبير عن جابر قال : لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة تلقاه رسول الله (ص) ، فلما نظر جعفر اليه حجل - قال مكى يعني مشى على رجل واحدة - إعظاما لرسول الله (ص) ، فقبل رسول الله (ص) بين عينيه . ثم قال البيهقي : في إسناده من لا يعرف الى الثوري .

قال ابن اسحاق : وكان الذين تأخروا مع جعفر من أهل مكة الى أن قدموا معه خير ستة عشر رجلا ، وسرد أسماءهم وأسماء نسلهم وهم : جعفر بن أبي طالب الهاشمي ، وامراته أسماء بنت عميس ، وابنه عبد الله ولد بالحبشة ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وامراته أمينة (١) .

(١) كذا في ابن هشام وفي الاصابة : أميمة بنت خلف بن أسعد الخ وقال يقال أمينة وهمينة .

بنت خلف بن أسعد ، وولاه سعيد ، وأمة بنت خالد ولدا بأرض الحبشة ، وأخوه عمرو بن سميا
ابن العاص ، ومعبيب بن أبي قاطمة وكان إلى آل سعيد بن العاص ، قال وأبو موسى الأشعري عبدا
ابن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة ، وأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد الأسدي ، وجهم بن قيس
ابن عبد شرحبيل العبدي ، وقد ماتت امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بأرض الحبشة ، وابنا
عمرو ، وابنته خزيمة ماتا بها رحمهم الله ، وعامر بن أبي وقاص الزهري ، وعتبة بن مسعود حليف لهم
من هذيل ، والحارث بن خالد بن صخر التيمي ، وقد هلكت بها امرأته ريطة بنت الحارث رحما
الله ، وعثمان بن ربيعة بن أهبار الجحى ، ومحمية بن جزء الزبيدي حليف بني سهم ، ومعر بن
عبد الله بن فضلة العدوي ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ومالك بن ربيعة بن قيس بن
عبد شمس العامريان ، ومع مالك هذا امرأته عمرة بنت السعدى ، والحارث بن عبد شمس بن
لقيط الفهري .

قلت : ولم يذكر ابن اسحاق أسماء الأشعريين الذين كانوا مع أبي موسى الأشعري وأخويه أبا
بردة وأبا رم وعنه أبا عامر ، بل لم يذكر من الأشعريين غير أبي موسى ولم يتعرض لذكر أخويه
وهما أسن منه كما تقدم في صحيح البخارى . وكان ابن اسحاق رحمه الله لم يطلع على حديث أبي
موسى في ذلك والله أعلم قال وقد كان معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك من المسلمين هنالك
وقد حرر هاهنا شيئا كثيرا حسنا . قال البخارى حدثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان سمعت الزهري
وسأله اسماعيل بن أمية قال أخبرني عنبة بن سعيد أن أبا هريرة أتى رسول الله (س) ، وسأله - يعنى
أن يقسم له - فقال بعض بنى سعيد بن العاص لا تمطه ، فقال أبو هريرة هذا قاتل ابن قوطل فقال :
وا عجبا لو برتدلى من قديم الضال . تفرد به دون مسلم . قال البخارى ويذكر عن الزبيدي عن
الزهري أخبرني عنبة بن سعيد أنه سمع أبا هريرة يخبر سعيد بن العاص قال : بعث رسول الله (س)
أبانا على سرية من المدينة قبل نجد ، قال أبو هريرة فقدم أبان وأصحابه على النبي (س) بخير بعد
ما افتتحها ، وأن حزم خيلهم لليف . قال أبو هريرة فقلت يا رسول الله لا تقسم لهم ، فقال أبان وأنت
بهذا يا وبر تحذر من رأس ضال . وقال النبي (س) « يا أبان اجلس » ولم يقسم لهم ، وقد أسند أبو
داود هذا الحديث عن سعيد بن منصور عن اسماعيل بن عياش عن محمد بن الوليد الزبيدي به نحو
ثم قال البخارى حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا عمرو بن يحيى بن سعيد أخبرني جدى وهو سعيد بن
عمرو بن سعيد بن العاص أن أبان بن سعيد أقبل إلى النبي (س) ، فسلم عليه ، فقال أبو هريرة يا رسول
الله هذا قاتل ابن قوطل ، فقال أبان لأبي هريرة : وا عجبا لك يا وبر تردى من قديم ضال تنعى على
امرأاً أكرمك الله بيدي ، ومنعه أن يهينى بيده ؟ هكذا رواه منفرداً به هاهنا وقال في الجهاد بعد

حديث الحميدى عن سفيان عن الزهرى عن عنبسة بن سعيد عن أبى هريرة قال : أتيت رسول الله (س) وهو يغير بعد ما افتتحها ، قلت يا رسول الله أسهم لى ، فقال بعض آل سعيد بن العاص : لا تقسم له ، قلت يا رسول الله هذا قاتل ابن قوئل الحديث . قال سفيان حدثني السعيدى - يعنى عمرو بن يحيى بن سعيد - عن جده عن أبى هريرة بهذا . فى هذا الحديث التصريح من أبى هريرة بأنه لم يشهد خيبر وتقدم فى أول هذه الغزوة . رواه الامام احمد من طريق عبد الله بن مالك عن أبى هريرة وأنه قدم على رسول الله (س) بعد ما افتتح خيبر فكلّم المسلمين فأشركونا فى أسهامهم ، قال الامام احمد حدثنا روح ثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عمار بن أبى عمار قال : ماشهت مع رسول الله (س) ممنا قط إلا قسم لى ، إلا خير فانها كانت لأهل الحديبية خاصة .

قلت : وكان أبو هريرة وأبو موسى جا آيين الحديبية وخيبر . وقد قال البخارى حدثنا عبد الله ابن محمد ثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو اسحاق عن مالك بن أنس حدثنى ثور حدثنى سالم مولى [عبد الله] بن مطيع أنه سمع أبا هريرة يقول : افتتحنا خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضة ، إنما غنمنا الابل والبقر والمناخ والحوايط ، ثم انصرفنا مع رسول الله (س) الى وادى القرى ومعه عبد له يقال له مدغم أهده له بعض بنى الضبيب فبينما هو يحيط رحل رسول الله (س) إذ جاءه منهم عار حتى أصاب ذلك العبد . فقال الناس هنيئاً له الشهادة فقال رسول الله (س) « كلا والذى نفسى بيده إن الشملة التى أصابها يوم خيبر لم تصبها المقاسم لتشتمل عليه نارا » فجاء رجل حين سمع ذلك من رسول الله (س) بشراك أو شركاء فقال : هذا شئ كنت أصبته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شركاء أو شركاء كين من نار » .

قصة الشاة المسمومة والبرهان الذى ظهر

قال البخارى : رواه عروة عن عائشة عن النبى (س) . ثم قال حدثنا عبد الله بن يوسف ثنا الليث حدثنى سعيد عن أبى هريرة قال : لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله (س) شاة فيها سم هكذا أوردناه هاهنا مختصراً . وقد قال الامام احمد حدثنا حجاج ثنا ليث عن سعيد بن أبى سعيد عن أبى هريرة قال : لما فتحت خيبر أهديت للنبى (س) شاة فيها سم ، فقال رسول الله (س) « اجمعوا لى من كان هاهنا من يهود » فجمعوا له فقال النبى (س) « إني سألتكم عن شئ فهل أنتم صادق عنه ؟ » قالوا نعم يا أبا القاسم ، فقال لهم رسول الله (س) « من أبوك ؟ » قالوا أبونا فلان ، فقال رسول الله (س) « كذبتم بل أبوك فلان » قالوا صدقت وبررت فقال « هل أنتم صادق عن شئ اذا سألتكم عنه ؟ » قالوا نعم يا أبا القاسم وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفت فى أيينا ، فقال رسول الله (س) « من أهل النار ؟ » قالوا نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها ، فقال لهم رسول الله (س) « والله لا نخلفكم فيها

أبلاً « ثم قال لهم « هل أنتم صادق عن شيء إذا سألتكم ؟ » فقالوا نعم يا أبا القاسم ، فقال « هل جعلتم في هذه الشاة سمًا » فقالوا نعم ، قال « ما حملكم على ذلك ؟ » قالوا أردنا إن كنت كاذبا أن نستريح منك وإن كنت نبيا لم يضرك . وقد رواه البخاري في الجزية عن عبد الله بن يوسف ، وفي المغازي أيضاً عن قتيبة كلاهما عن الليث به . وقال البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو العباس الأصم حدثنا سعيد بن سليمان ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن امرأة من يهود أهدت لرسول الله (س) شاة مسمومة فقال لأصحابه « أمسكوا فانها مسمومة » وقال لها « ما حملك على ما صنعت ؟ » قالت أردت أن أعلم إن كنت نبياً فسيطعمك الله عليه ، وإن كنت كاذبا أريح الناس منك . قال فما عرض لها رسول الله (س) . رواه أبو داود عن هارون بن عبد الله عن سعيد بن سليمان به . ثم روى البيهقي عن طريق عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه عن جابر بن عبد الله نحو ذلك . وقال الامام احمد حدثنا شريح ثنا عباد عن هلال - هو ابن خباب - عن عكرمة عن ابن عباس أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله (س) شاة مسمومة ، فأرسل اليها فقال « ما حملك على ما صنعت ؟ » قالت أحبيت - أو أردت - إن كنت نبياً فإن الله سيطعمك عليه ، وإن لم تكن نبياً أريح الناس منك . قال فكان رسول الله (س) إذا وجد من ذلك شيئاً احتجم ، قال فصار مرة فلما أحرم وجد من ذلك شيئاً فاحتجم . تفرد به احمد واسناده حسن . وفي الصحيحين من حديث شعبة عن هشام ابن زيد عن أنس بن مالك أن امرأة يهودية أتت رسول الله (س) بشاة مسمومة فأكل منها ، فجيء بها الى رسول الله (س) فسألها عن ذلك ؟ قالت أردت لأقتلك ، فقال « ما ذكر الله ليسطرك على » أو قال « على ذلك » قالوا ألا تقتلها قال « لا » قال أنس فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله (س) . وقال أبو داود حدثنا سليمان بن داود المهري ثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال : كان جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية من أهل خيبر صممت شاة مصلية^(١) ثم أهدتها لرسول الله (س) ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها وأكل رطط من أصحابه معه ، ثم قال لم رسول الله (س) : « ارفعوا أيديكم » وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المرأة فدعاها فقال لها « أصممت هذه الشاة ؟ » قالت اليهودية من أخبرك ؟ قال « أخبرتنى هذه التي في يدي » وهي الذراع ، قالت [نعم] قال « أتأت بذلك ؟ » قالت قلت إن كنت نبيا فلن تضرك ، وإن لم تكن نبيا استرحنا منك . فعفا عنها رسول الله (س) ولم يعاقبها ، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم النبي (س) على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة حججه أبو هند بالقرن والشفرة

(١) صلى الله عليه وسلم صلى شواه في النار كأصلاه وصلاه . عن القاموس .

وهو مولى لبني بياضة من الأنصار . ثم قال أبو داود حدثنا وهب بن بقية ثنا خالد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة أن رسول الله (س) أهدت له يهودية بخير شاة مصلية نحو حديث جابر ، قال فأت بشر ابن البراء بن معرور ، فأرسل إلى اليهودية فقال « ما حلك على الذي صنعت ؟ » فذكر نحو حديث جابر ، فأمر رسول الله (س) قتلته ولم يذكر أمر الحجامة . قال البيهقي ورويناه من حديث حماد ابن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة . قال : ويحتمل أنه لم يقتلها في الابتداء ، ثم لما مات بشر بن البراء أمر بقتلها . وروى البيهقي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن امرأة يهودية أهدت إلى رسول الله (س) شاة مصلية بخير فقال « ما هذه ؟ » قالت هدية ، وحذرت أن تقول صدقة فلا يأكل ، قال فأكل وأصحابه ثم قال « امسكوا » ثم قال للمرأة « هل سمعت ؟ » قالت من أخبرك هذا ؟ قال « هذا العظيم » لسانها وهو في يده ، قالت نعم قال « لم ؟ » قالت أردت إن كنت كاذبا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيا لم يضرك . قال فاحتجم رسول الله (س) على الكاهل وأمر أصحابه فاحتجموا . ومات بعضهم . قال الزهري فأسلمت قتركها النبي (س) . قال البيهقي هذا مرسل ولعله قد يكون عبد الرحمن حمله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . وذكر ابن لميعة عن أبي الأسود عن عروة وكذلك موسى بن عقبة عن الزهري قالوا : لما فتح رسول الله (س) خير وقتل منهم من قتل ، أهدت زينب بنت الحارث اليهودية وهي ابنة أخي مرحب لصفية شاة مصلية وممتها ، وأكثرت في الكتف والذراع لأنه بلغها أنه أحب أعضاء الشاة إلى رسول الله (س) ، فدخل رسول الله (س) على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور وهو أحد بني سلمة ، قدمت إليهم الشاة المصلية فتناول رسول الله (س) الكتف وانتهش منها ، وتناول بشر عظما فأنتهش منه ، فلما استرط رسول الله (س) لقمته استرط بشر بن البراء مافي فيه ، فقال رسول الله (س) « ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة يخبرني أنني نعت (١) فيها » فقال بشر بن البراء والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلت فما منعني أن ألتقطها إلا أنني أعظمتك أن أبفضك طعامك ، فلما أسفت مافي فيك لم أرغب بنفسى عن نفسك ورجوت أن لاتكون استرطتها وفيها نعي فلم يقم بشر من مكانه حتى عادلونه كالطيلسان وماطله وجعه حتى كان لا يتحول حتى يحول . قال الزهري قال جابر واحتجم رسول الله (س) يومئذ حجمة مولى بني بياضة بالقرن والشفرة وبقى رسول الله (س) بعده ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفي فيه فقال « ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خير عداداً حتى كان هذا أو انقطع أبهرى » فتوفي رسول الله (س) شهيداً .

وقال محمد بن اسحاق : فلما اطمأن رسول الله (ص) ، أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام ابن مشكم شاة مصلية ، وقد سألت أى عضو أحب الى رسول الله (ص) ؟ فقيل لها الذراع فأكثر فيها من السم ، ثم سمحت سائر الشاة ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسفها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله (ص) ، فأما بشر فأساغها وأما رسول الله (ص) ، فلفظها ثم قال « إن هذا العظم يخبرنى أنه مسموم » ثم دعا بها فاعترفت ، فقال « ما حملك على ذلك ؟ » قالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك ، فقلت إن كان كذابا استرحت منه ، وإن كان نبياً فسيخبر . قال فتجاوز عنها رسول الله (ص) ، ومات بشر من أكلته التى أكل .

قال ابن اسحاق وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن الملقى قال : كان رسول الله (ص) قد قال فى مرضه الذى توفى فيه - ودخلت عليه أخت بشر بن البراء بن معرور - « يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت انقطاع أبهرى من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخير » . قال ابن هشام : الأبر العرق المعلق بالقلب . قال فان كان المسلمون ليرون أن رسول الله (ص) مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا هلال بن بشر وسليمان بن يوسف الحراى قالنا ثنا أبو غياث سهل بن حماد ثنا عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه عن أبي سعيد الخدرى أن يهودية أهدت الى رسول الله (ص) ، شاة مميتا ، فلما بسط القوم أيديهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمسكوا فان عضوا من أعضائها يخبرنى أنها مسمومة » فأرسل الى صاحبها « أعممت طعامك ؟ » قالت نعم قال « ما حملك على ذلك ؟ » قالت إن كنت كذابا أن أريح الناس منك ، وإن كنت صادقا علمت أن الله سيطلمك عليه . فبسط يده وقال « كلوا بسم الله » قال فأكلنا وذكروا اسم الله فلم يضر أحداً منا . ثم قال لا يروى عن عبد الملك بن أبي نضرة إلا من هذا الوجه .

قلت : وفيه نكارة وغرابة شديدة والله أعلم . وذكر الواقدي أن عيينة بن حصن قبل أن يسلم رأى فى منامه رؤيا ورسول الله (ص) ، محاصر خيبر فطمع من رؤياه أن يقاتل رسول الله (ص) ، فيظفر به ، فلما قدم على رسول الله (ص) ، خيبر وجده قد افتتحها ، فقال : يا محمد اعطنى ما غنمت من حلفائى - يعنى أهل خيبر - فقال له رسول الله (ص) ، « كذبت رؤياك » وأخبره بما رأى ، فرجع عيينة ففتق الحارث بن عوف فقال : ألم أقل إنك توضع فى غير شئ ، والله ليظهرن محمد على ما بين المشرق والمغرب ، وإن يهود كانوا يخبروننا بهذا ، أشهد لسمعت أبا رافع سلام بن أبي الحقيق يقول : إنا لنحسد محمداً على النبوة حيث خرجت من بنى هارون ، إنه لمسل ، ويهود لا تطاوعنى على هذا . ولنا

منه ذبحان ؛ واحد بيثرب وآخر بخيبر . قال الحارث : قلت لسلام يملك الأرض ؟ قال نعم والتوراة التي أنزلت على موسى وما أحب أن تعلم يهود بقولي فيه .

قصته

قال ابن اسحاق : فلما مرغ رسول الله (س) من خيبر انصرف إلى وادي القرى لخاصر أهلها ليال ثم انصرف راجعا إلى المدينة . ثم ذكر من قصة مدعم وكيف جاءه منهم غارب فقتله ، وقال الناس هنيئا له الشهادة فقال رسول الله (س) : « كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر لم يصيبها المقاسم لتشتعل عليه نارا » . وقد تقدم في صحيح البخاري نحو ما ذكره ابن اسحاق والله أعلم . وسيأتي ذكر قتله عليه السلام بوادي القرى . قال الامام احمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان عن أبي عمرة عن زيد بن خالد الجهني أن رجلا من أشجع من أصحاب رسول الله (س) توفي يوم خيبر ، فذكر ذلك للنبي (س) ، فقال « صلوا على صاحبكم » فتغير وجهه الناس من ذلك ، فقال « إن صاحبكم غل في سبيل الله » ففتشنا متاعه فوجدنا خروا من خرز يهود ما يساوي درهمين وهكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث يحيى بن سعيد القطان . ورواه أبو داود . بشر بن الفضل وابن ماجه من حديث الليث بن سعد ثلاثهم عن يحيى بن سعيد الأنصاري به وقد ذكر البيهقي أن بني فزارة أرادوا أن يقاتلوا رسول الله (س) ، مرجعه من خيبر ونجموا لذلك فبعث إليهم يواعدهم موعدا مميّنا فلما تحققوا ذلك هربوا كل مهرب ؛ وذهبوا من طريقه كل مذهب وتقدم أن رسول الله (س) لما حلت صفية من استبرائها دخل بها بمكان يقال له سد الصبياء في أثناء طريقه إلى المدينة ؛ وأولم عليها بحميس ، وأقام ثلاثة أيام يبنى عليه بها ، وأسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عناقها صداقها ، وكانت إحدى أمهات المؤمنين كما فهمه الصحابة لما مد عليها الحجاب وهو مردفها ورائه رضى الله عنها . وذكر محمد بن اسحاق في السيرة قال : لما أعرس رسول الله (س) بصفية بخيبر - أو ببعض الطريق - وكانت التي جعلتها إلى رسول الله (س) ، ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك ، وبات بها رسول الله (س) ، في قبة له وبات أبو أيوب متوشحا بسيفه يحرس رسول الله (س) ، ويظيف بالقبة حتى أصبح ، فلما رأى رسول الله (س) مكانه قال « مالك يا أبا أيوب ؟ » قال خفت عليك من هذه المرأة وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر نفختها عليك ، فزعموا أن رسول الله (س) قال « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني » . ثم قال حدثني الزهري عن سعيد بن المسيب قد ذكر نومهم عن صلاة الصبح مرجعهم من خيبر وأن رسول الله (س) كان أولهم استيقاظا فقال « ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ » قال

يارسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، قال « صدقت » ثم اقتاد ناقته غير كثير ثم نزل
 فتوضاً وصلى كما كان يصلها قبل ذلك . وهكذا رواه مالك عن الزهري عن سعيد مرسل وهذا
 مرسل من هذا الوجه . وقد قال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح ثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن
 شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) حين قتل من غزوة خيبر ، فسار
 ليلة حتى إذا أدركنا الكرى عرس وقال لبلال « اكلاً لنا الليل » قال فغلبت بلالا عيناه وهو
 مستند الى راحلته فلم يستيقظ النبي (ص) ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس ، كان
 رسول الله (ص) أولهم استيقاظاً ففزع رسول الله (ص) وقال « يا بلال » قال أخذ بنفسى الذى أخذ
 بنفسك بأبى أنت وأمى يارسول الله ، قال فاققادوا رواحلهم شيئاً ثم توضأ رسول الله (ص) فأمر بلالا
 فأقام الصلاة وصلى لم الصبح ، فلما أن قضى الصلاة قال « من نسى صلاة فليصلها إذا ذكرها فان
 الله تعالى يقول « وأقم الصلاة لذكري » قال يونس وكان ابن شهاب يقرأها كذلك . وهكذا رواه
 مسلم عن حرملة بن يحيى عن عبد الله بن وهب به وفيه أن ذلك كان مرجعهم من خيبر . وفي حديث
 شعبة عن جامع بن شداد عن عبد الرحمن بن أبي علقمة عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من
 الحديبية ، وفي رواية عنه أن بلالا هو الذى كان يكلؤهم ، وفي رواية عنه أنه هو الذى كان يكلؤهم .
 قال الحافظ البيهقي : فيحتمل أن ذلك كان مرتين . قال وفي حديث عمران بن حصين وأبي قتادة
 نومهم عن الصلاة وفيه حديث الميضاة فيحتمل أن ذلك إحدى هاتين المرتين أو مرة فالثلة . قال
 وذكر الواقدي في حديث أبي قتادة أن ذلك كان مرجعهم من غزوة تبوك . قال وروى زافر بن
 سليمان عن شعبة عن جامع بن شداد عن عبد الرحمن عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من
 تبوك فأنه أعلم . ثم أورد البيهقي ما رواه صاحب الصحيح من قصة عوف الاعرابي عن أبي رباح عن
 عمران بن حصين في قصة نومهم عن الصلاة وقصة المرأة صاحبة السطحيحتين وكيف أخذوا منها ماء
 روى الجيش بكاله ولم ينقص ذلك منها شيئاً . ثم ذكر ما رواه مسلم من حديث ثابت البناني عن
 عبد الله بن رباح عن أبي قتادة وهو حديث طويل وفيه نومهم عن الصلاة وتكثير الماء من تلك
 الميضاة . وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة . وقال البخاري حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا
 عبد الواحد عن طاهر عن أنى عثمان عن أبي موسى الأشعري قال : لما غزا رسول الله (ص) خيبراً ،
 وقال لما توجه رسول الله (ص) الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر
 لا إله إلا الله ، فقال رسول الله (ص) « أربعوا على أنفسكم إنكم لاتدعون أصم ولا غائباً إنكم
 تدعون جميعاً قريباً وهو معكم » وأنا خلف دابة رسول الله (ص) فسمعتي وأنا أقول لاحول ولا قوة
 إلا بالله ، فقال « يا عبد الله بن قيس » قلت لبيك يارسول الله قال « ألا ادلك على كلمة من كنز

الجنة « قلت بلى يا رسول الله فذاك ابى وأمى قال « لاحول ولا قوة إلا بالله » . وقد رواه بقية الجماعة من طرق عن عبد الرحمن بن مل أبى عثمان التهمى عن أبى موسى الأشعرى ، والصواب أنه كان مرجعهم من خير فان أبى موسى إنما قدم بعد فتح خيبر كما تقدم .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله (س) - فيما بلغنى - قد أعطى ابن لقيم العباسى حين افتتح خيبر ما بها من دجاجة أو داجن ، وكان فتح خيبر فى صفر ، فقال ابن لقيم فى فتح خيبر :

رُميت نطاة من الرسول بفيلق	شبهاء ذات مناكب وقفار ^(١)
واستيقنت بالذل لما شيعت	ورجال أسلم وسطها وغفار
صبحت بنى عمرو بن زرعة غدوة	والشق أعظم أهله بنهار
جرت بأبطحها الذبول فلم تدع	إلا الدجاج تصيح بالأسحار
ولكل حصن شاغل من خيلهم	من عبد الأشهل أو بنى النجار
ومهاجرين قد اعلوا سيامهم	فوق المغافر لم ينوا لفرار
ولقد علمت ليغلين محمد	ولينوين بها الى أصفار
فرت يهود عند ذلك فى الوغى	نحت العجاج غمام الأبصار

فَضْلُ اللَّهِ

من استشهد بخيبر من الصحابة

على ما ذكره ابن اسحاق بن يسار رحمه الله وغيره من أصحاب المغازى .

فمن خير المهاجرين ربيعة بن أكرم بن سخيرة الأسدي مولى بنى أمية ، وقتيب بن عمرو ورفاعة بن سروح حلفاء بنى أمية ، وعبد الله بن الهبيبة بن أهيب بن سحيم بن غيرة من بنى سعد ابن ليث حليف بنى أسد وابن أختهم ، ومن الأنصار بشر بن البراء بن معرور من أكلة الشاة المسمومة مع رسول الله (س) ، كما تقدم ، وفضيل بن النعمان السليمانى ، ومسعود بن سعد بن قيس بن خالد بن عمر بن زريق الزرقى ، ومحمود بن مسلمة الأشهل ، وأبو ضياح حارثة بن ثابت بن النعمان العمرى ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن مرة بن سراقه ، وأوس الفائد^(٢) وأنيف بن حبيب ، وثابت

(١) سماه فى الإصابة لقيم الدجاج وأورد له هذا البيت الأول هكذا :

رُميت مطاه من الرسول يقتون شبهاء ذات مذاكر وحفار

ونطاة حصن بخيبر وقيل عين ماء بقرية منها وقيل هو اسم لأرض خير وقد تقدم ذكره .

(٢) قال فى الإصابة : أوس بن فائد وقيل ابن فائد وقيل ابن الفائد وفى الأصل الفارض .

ابن أنلة وطلحة ، وعمارة بن عقبة رمى بسهم فقتله ، وعامر بن الأكواع ثم سلمة بن عمرو بن الأكواع أصابه طرف سيفه في ركبته فقتله رحمه الله كما تقدم ، والأسود الراعي . وقد أفرد ابن اسحاق هاهنا قصته وقد أسلفناها في أوائل الغزوة والله الحمد والمنة .

قال ابن اسحاق : ومن استشهد بخير فيما ذكره ابن شهاب من بني زهرة مسعود بن ربيعة حليف لهم من القارة ، ومن الأنصار ثم من بني عمرو بن عوف أوس بن قتادة رضي الله عنهم أجمعين .

خبر الحجاج بن علاط البهزي

قال ابن اسحاق : ولما فتحت خير كلم رسول الله ﷺ ، الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي فقال : يا رسول الله إن لي بمكة مالا عند صاحبتي أم شيبه بنت أبي طلحة - وكانت عنده له منها معوض بن الحجاج - ومالا متفرقا في تجار أهل مكة ، فأذن لي يا رسول الله فأذن له ، فقال إنه لا بد لي يا رسول من أن أقول ، قال قل ، قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجلا من قريش يستمعون الأخبار ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خير وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفاً ومنعة ورجالا ، وهم يتجسسون الأخبار من الركبان ، فلما رأوني قالوا الحجاج بن علاط - قال ولم يكونوا علموا بإسلامي - عنده والله الخبر أخبرنا يا أبا محمد فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خير وهي بلد يهود وريف الحجاز ؟ قال قلت قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم ، قال فالتبطوا يجنبني فأتني يقولون إيه يا حجاج ؟ قال قلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وقد قتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط وأسر محمد أسراً وقالوا لا تقتله حتى نبعث به إلى مكة [فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصلب من رجالهم قال قماموا وصاحوا بمكة] وقالوا . قد جاءكم الخبر وهذا محمد إنما تفتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم ، قال قلت أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي فاني أريد أن أقدم خير فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هناك قال قماموا فجمعوا إلى ما كان لي كأحت جمع سمعت به ، قال وجئت صاحبتي فقلت مالي وكان عندها مال موضوع فلعلني ألحق بخير فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التجار ، قال فلما سمع العباس ابن عبد المطلب الخبر وما جاءه عنى أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيم التجار ، فقال يا حجاج ما هذا الذي جئت به ؟ قال قلت وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال نعم ! قال قلت فاستأخر حتى ألقاك على خلاء فاني في جمع مالي كما ترى فانصرف حتى أفرغ ، قال حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة وأجمعت الخروج لقيت العباس فقلت احفظ على حديثي يا أبا الفضل فاني أخشى الطلب فلا تأثم قل ماشئت قال افعل قلت فاني والله تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم - يعني صفية بنت حيي - وقد افتتح خير وانتل ما فيها وصارت له ولأصحابه ، قال ما تقول

يا حجاج ! قال قلت أي والله ما كنتم عنى ولقد أسلمت وما جئت إلا لأخذ مالى فرقا عليه من أن أغلب عليه ، فإذا مضت ثلاث فظهر أمرك فهو والله على ما تحب ، قال حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخلق وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها ، فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة ! قال كلا والله الذى حلقتم به لقد افتتح محمد خير ونزل عروساً على بنت ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها وأصبحت له ولأصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر ؟ قال الذى جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلماً وأخذ أمواله فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه ، فقالوا يا لعباد الله انفلت عدو الله أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ، قال ولم ينشئوا أن جاءهم الخبر بذلك . هكذا ذكر ابن اسحاق هذه القصة منقطعة ، وقد أسند ذلك الامام احمد بن حنبل فقال حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر سمعت ثابتاً يحدث عن أنس قال : لما افتتح رسول الله (ص) خير قال الحجاج بن علاط يا رسول الله إن لى بمكة مالا وإن لى بها أهلاً وإنى أريد أن آتيهم أفأفأ فى حل إن انا نلت منك أو قلت شيئاً ؟ فأذن له رسول الله (ص) ، أن يقول ماشاء . فأتى امرأته حين قدم فقال : اجعى لى ما كان عندك فأتى أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه فانهم قد استبيحوا وأديبت أموالهم . قال وفشى ذلك بمكة فانقم المسلمون وأظهر المشركون فرحاً وسروراً ، قال وبلغ الخبر العباس فقهر وجمل لا يستطيع أن يقوم . قال معمر : فأخبرنى عثمان الخرزجى عن مقسم قال : فأخذ ابنا يقال له قثم واستلقى ووضع على صدره وهو يقول .

حيي قثم شبة ذى الأنف الأشم بني ذى النعم بزعم من زعم

قال ثابت عن أنس : ثم أرسل غلاماً له الى حجاج بن علاط فقال ويالك ماجئت به وماذا تقول ؟ فما وعد الله خير مما جئت به ، فقال حجاج بن علاط : اقرأ على أبى الفضل السلام وقل له فليخل لى فى بعض بيوته لا آتية فان الخبر على ما يسره ، فجاء غلامه فلما بلغ الدار قال أبشراً يا أبا الفضل ، قال فوثب العباس فرحاً حتى قبل بين عينيه فأخبره ما نال حجاج فأعنته ، قال ثم جاءه الحجاج فأخبره أن رسول الله (ص) قد افتتح خير وغنم أموالهم ، وجرت سهام الله فى أموالهم ، واصطفى رسول الله (ص) صفية بنت حيي واتخذها لنفسه ، وخيرها أن يمتعها وتكون زوجته أو تلحق بأهلها فاختارت أن يمتعها وتكون زوجته ، قال ولكنى جئت لى ما كان هاهنا أردت أن أجمعه فاذهب به فاستأذنت رسول الله (ص) ، فأذن لى أن أقول ماشئت ، فآخف على ثلاثاً ثم اذكر ما بدا لك . قال فجمعت امرأته ما كان عندها من حلى أو متاع فجمعتها ودفعته اليه ثم انشمر به ، فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال ما فعل زوجك ؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت لا يجوز لك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذى بلغك ، قال أجل لا يجوزنى الله ولم

يكن بحمد الله إلا ما أحببنا ، فتح الله خير على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى رسول الله (س) صفية لنفسه ، فان كانت لك حاجة في زوجك فالخى به . قالت : أظنك والله صادقاً قال فاني صادق والأمر على ما أخبرتك ، ثم ذهب حتى أتى بجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل ، قال لم يصبنى إلا خير بحمد الله ، أخبرني الحجاج بن علاط أن خير فتحها الله على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى صفية لنفسه ، وقد سألتني أن أخفي عنه ثلاثاً ، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء هاهنا ثم يذهب ، قال فرد الله الكأبة التي كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون من كان دخل بيته مكتئباً حتى أتى العباس فأخبرهم الخبر ، فسر المسلمون ورد ما كان من كأبة أو غيظ أو حزن على المشركين . وهذا الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى النسائي عن اسحاق بن ابراهيم عن عبد الرزاق به نحوه . ورواه الحافظ البيهقي من طريق محمود بن غيلان عن عبد الرزاق . ورواه أيضاً من طريق يعقوب بن سفيان عن زيد بن المبارك عن محمد بن ثور عن معمر بن نموه . وكذلك ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أن قريشا كان بينهم تراهن عظيم وتبايع ، منهم من يقول يظهر محمد وأصحابه ، ومنهم من يقول يظهر الخليفةان ويهود خير ، وكان الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي قد أسلم وشهد مع رسول الله (س) فتح خير ، وكان تحت أم شيبه أخت عبد الدار بن قصى ، وكان الحجاج مكثراً من المال ، وكانت له معادن أرض بنى سليم ، فلما ظهر رسول الله (س) ، على خير استأذن الحجاج رسول الله (س) في الذهاب الى مكة يجمع أمواله فأذن له نحو ما تقدم والله أعلم .

قال ابن اسحاق : ومما قيل من الشعر في غزوة خير قول حسان :

بئس ما قاتلت خيبر عما جمعوا من مزارع ونخيل
كرهوا الموت فاستبىح حمام وأقروا فعل النعم الذليل
أمن الموت يهربون فان المو ت موت المزال غير جميل

وقال كعب بن مالك فيما ذكره ابن هشام عن أبي زيد الأنصاري :

ونحن وردنا خيراً وفروضه بكل قى عاري الأشاجر مزود
جواد لدى الغايات لا واهن القوى جرى على الأعداء في كل مشهد
عظيم رماد القدر في كل شئوة ضروب بنصل المشرفي المهند
يرى القتل مدحاً إن أصاب شهادة من الله يرجوها وفوراً بأحمد
يزود ويحمي عن ذمار محمد ويدفع عنه باللسان وباليد
وينصره من كل أمر يريه يجود بنفس دون نفس محمد

يصدق بالأنبياء بالغيب مخلصاً يريد بذلك العز والفوز في غسد

فَضِّلْ

مروره (ص) بوادي القرى ومحاصرة اليهود ومصالحتهم

قال الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة
قال قال خرجنا مع رسول الله (ص) من خيبر الى وادي القرى وكان رفاعة بن يزيد بن وهب الجذامي
قد وهب لرسول الله (ص) عبداً أسود يقال له مدعم وكان يرسل لرسول الله (ص) فلما نزلنا بوادي
القرى انتبهنا الى يهود وقدم اليها فاس من العرب ، فبينما مدعم يحيط برجل رسول الله (ص) وقد
استقبنا يهود بالرعى حين نزلنا ولم نسكن على تعبئة ، وهم يصيحون في آطامهم فيقبل سهم عارفاً صاب
مدعماً فقتله ، فقال الناس هنيئاً له بالجنة . فقال النبي (ص) : « كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي
أخذها يوم خيبر من المغنم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » فلما جمع بذلك الناس جاء رجل الى
رسول الله (ص) : « بشراك أو شراكين . فقال النبي (ص) : « شراك من فار أو شراك من فار » .
وهذا الحديث في الصحيحين من حديث مالك عن ثور بن يزيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .

قال الواقدي : فعبي رسول الله أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه الى سعد بن عباد ، وراية الى
الخباب بن المنذر . وراية الى سهل بن حنيف ، وراية الى عباد بن بشر ، ثم دعاهم الى الاسلام
وأخبرهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحققوا دماءهم وحسابهم على الله ، قال فبرز رجل منهم فبرز اليه
الزبير بن العوام فقتله ، ثم برز آخر فبرز اليه علي فقتله ، حتى قتل منهم أحد عشر رجلاً كل ما قتل
منهم رجلاً دعى من بقي منهم الى الاسلام ، ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيصلى بأصحابه ثم
يعود فيدعونه الى الاسلام والى الله عز وجل ورسوله ، وقتلهم حتى أمسى وغدا عليهم فلم ترتفع
الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها غنوة وغنمهم الله أموالهم وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً
وأقام رسول الله (ص) بوادي القرى أربعة أيام قسم ما أصاب على أصحابه ، وترك الأرض والنخيل
في أيدي اليهود وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تيماء ماوطئ به رسول الله (ص) خيبر وفدك ووادي
القرى صالحوا رسول الله (ص) على الجزية ، وأقاموا بأيديهم أموالهم ، فلما كان عمر أخرج يهود خيبر
وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى لأنهما داخلتان في أرض الشام ، ويرى أن مادون وادي
القرى الى المدينة حجاز ، ومن وراء ذلك من الشام ، قال ثم انصرف رسول الله (ص) راجعاً الى

المدينة بعد أن فرغ من خيبر ووادي القرى وغنمه الله عز وجل .

قال الواقدي : حدثني يعقوب بن محمد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة عن الحارث ابن عبد الله بن كعب عن أم عمارة قالت سمعت رسول الله (س) ، بالجرف وهو يقول : « لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء » قالت فذهب رجل من الحى فطرق أهله فوجد ما يكره ، غلى سبيلها ولم يهجر وضن بزوجه أن يفارقها وكان له منها أولاد وكان يحبها ، فعصى رسول الله (س) ، فرأى ما يكره .

فصل في أخبار

ثبت في الصحيحين أن رسول الله (س) ، لما افتتح خيبر عامل يهودها عليها على شطر ما يخرج منها من تمر أو زرع . وقد ورد في بعض ألفاظ هذا الحديث على أن يعملوها من أموالها ، وفي بعضها وقال لهم النبي (س) ، « نقرم ماشئنا » . وفي السنن أنه كان يبعث عليهم عبد الله بن رواحة يخبرها عليهم عند استواء ثمارها ثم يضمهم إياه ، فلما قتل عبد الله بن رواحة بمؤنة بعث جبار بن صخر كما تقدم . وموضع تحرير ألفاظه وبيان طرقه كتاب المزارعة من كتاب الأحكام إن شاء الله وبه الثقة . وقال محمد بن اسحاق : سألت ابن شهاب كيف أعطى رسول الله (س) ، يهود خيبر فخلهم ؟ فأخبرني أن رسول الله (س) ، افتتح خيبر عنوة بعد القتال وكانت خيبر مما أفاء الله عليه ، خمسها وقسمها بين المسلمين ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله (س) ، فقال : « إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم فأقرم ما أقرم الله » فقبلوا وكانوا على ذلك يعملونها ، وكان رسول الله (س) ، يبعث عبد الله بن رواحة فيقسم ثمارها ويعمل عليهم في الخرص ، فلما توفي الله نبيه (س) ، أقرها أبو بكر بأيديهم على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله (س) ، حتى توفي ، ثم أقرهم عمر بن الخطاب صدراً من إمارته ، ثم بلغ عمر أن رسول الله (س) ، قال في وجهه الذي قبضه الله فيه « لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان » ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت ، فأرسل إلى يهود فقال : إن الله أذن لي في إجلائكم . وقد بلغني أن رسول الله (س) ، « لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان » فمن كان عنده عهد من رسول الله (س) ، فليأتني به أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد فليتهجز للجلاء ، فاجلى عمر من لم يكن عنده عهد رسول الله (س) ، . قلت : قد ادعى يهود خيبر في أزمان متأخرة بعد الثلاثمائة أن بأيديهم كتابا من رسول الله (س) ، فيه أنه وضع الجزية عنهم ، وقد اغتر بهذا الكتاب بعض العلماء حتى قال بإسقاط الجزية عنهم ، من الشافعية الشيخ أبو علي بن خيرون وهو كتاب مزور مكذوب مقتعل لأصل له ، وقد بينت بطلانه من وجوه عديدة في كتاب مفرد ، وقد تعرض لذكره وإبطاله جماعة من الأصحاب في كتبهم كان

الصباغ في مسائله ، والشيخ أبي حامد في تعليقه ، وصنف فيه ابن المسلمة جزءاً منفرداً للرد عليه ، وقد تبحروا به بعد السبعائة وأظهروا كتاباً فيه نسخة ماذ كره الأصحاب في كتبهم ، وقد وقفت عليه فاذا هو مكذوب ، فان فيه شهادة سعد بن معاذ وقد كان مات قبل زمن خير ، وفيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يومئذ ، وفي آخره وكتبه علي بن أبو طالب وعذا لحن وخطأ ، وفيه وضع الجزية ولم تكن شرعت بعد ، فانها إنما شرعت أول ما شرعت وأخذ من أهل نجران . وذكروا أنهم وفدوا في حدود سنة تسع والله أعلم .

ثم قال ابن اسحاق : وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال : خرجت أنا والزبير ابن العوام والمقداد بن الاسود الى أموالنا بخيبر نتماعدها ، فلما قمنا نتركنا في أموالنا ، قال فعدي على تحت الليل وأنا نائم على فراشي ففدعت ^(١) يداي من مرفقي ، فلما استصرخت على صاحبي فأتاني فسألاني من صنع هذا بك ؟ فقلت لا أدري فأصلحنا من بدى ثم قدما بي على عمر ، فقال هذا عمل يهود خيبر . ثم قام في الناس خطيباً فقال : أيها الناس إن رسول الله (ص) كان عامل يهود خيبر على أنا فنخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما بلغكم مع عدوتهم على الأنصارى قبله لانشك أنهم كانوا أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال من خير فليلحق به فاني مخرج يهود فأخرجهم .

قلت : كان لعمر بن الخطاب سهمه الذي بخيبر وقد كان وقفه في سبيل الله وشرط في الوقف ما أشار به رسول الله (ص) كما هو ثابت في الصحيحين ، وشرط أن يكون النظر فيه للأرشد فلا أرشد من بناته وبنيه .

قال الحافظ البيهقي في الدلائل : جماع أبواب السرايا التي تذكر بعد فتح خيبر وقبل عمرة القضية وإن كان تاريخ بعضها ليس بالواضح عند أهل المنازى .

سرية أبي بكر الصديق الى بني فزارة

قال الامام احمد : حدثنا بهز ثنا عكرمة بن عمار ثنا أياس بن سلمة حدثني أبي قال : خرجنا مع أبي بكر [ابن] أبي قحافة وأمره رسول الله (ص) علينا ففزوننا بني فزارة ، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر ففرسنا ، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننا الغارة فقتلنا على الماء من مر قبلنا ، قال سلمة ثم نظرت الى عنق من الناس فيه من الذرية والنساء نحو الجبل وأنا أعدو في آثارهم فخشيت أن يسبقوني الى الجبل فرميت بسهم فوقهم بينهم وبين الجبل ، قال فحشيت بهم أسوقهم الى أبي بكر حتى أتيتهم على الماء وفيهم امرأة من فزارة عليها قشع من آدم ومعهما ابنة لها من أحسن العرب ، قال فنزلني أبو بكر بنتها ،

(١) الفدع محركة اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم الى انسيها .

قال فما كشفت لها ثوباً حتى قدمت المدينة ثم بت فلم أكشف لها ثوباً ، قال فلقيني رسول الله (س) .
 في السوق فقال لي « يا سلمة هب لي المرأة » قال قلت والله يا رسول الله لقد أعجبتني وما كشفت لها
 ثوباً ، قال فسكت رسول الله (س) ، وتركني حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله (س) . في السوق فقال
 « يا سلمة هب لي المرأة » قال قلت يا رسول الله والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً ، قال فسكت
 رسول الله (س) ، وتركني حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله (س) . في السوق فقال « يا سلمة هب
 لي المرأة لله أبوك » قال قلت يا رسول الله والله ما كشفت لها ثوباً وهي لك يا رسول الله ، قال بعث بها
 رسول الله (س) . الى أهل مكة وفي أيديهم أسارى من المسلمين فقدم رسول الله (س) : بتلك المرأة .
 وقد رواه مسلم والبيهقي من حديث عكرمة بن عمار به .

سرية عمر بن الخطاب الى تربة وراء مكة بأربعة أميال

ثم أورد البيهقي من طريق الواقدي بأسانيد أن رسول الله (س) . بعث عمر بن الخطاب رضي
 الله عنه في ثلاثين راكباً ومعه دليل من بني هلال وكانوا يسرون الليل ويكنون النهار ، فلما انتهوا
 الى بلادهم هربوا منهم وكر عمر راجعاً الى المدينة ، فقيل له هل لك في قتال خشم ؟ فقال إن رسول الله
 (س) . لم يأمرني إلا بقتال هوازن في أرضهم .

سرية عبد الله بن رواحة الى يسير بن رزام اليهودي

ثم أورد من طريق إبراهيم بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة ومن طريق موسى بن عقبة
 عن الزهري أن رسول الله (س) . بعث عبد الله بن رواحة في ثلاثين راكباً فيهم عبد الله بن رواحة
 الى يسير بن رزام اليهودي حتى أتوه بخير ، وبلغ رسول الله (س) . أنه يجمع غطفان ليغزوه بهم ،
 فأتوه فقالوا أرسلنا اليك رسول الله (س) . ليستملك على خير فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلاً
 مع كل رجل منهم رديف من المسلمين ، فلما بلغوا قرقرة نيار وهي من خير على ستة أميال ندم يسير
 ابن رزام فأهوى بيده الى سيف عبد الله بن رواحة ، ففطن له عبد الله بن رواحة فزجر بعيره ثم
 اقتحم يسوق بالقوم حتى استمكن من يسير ضرب رجله قطعها ، واقتحم يسير وفي يده مخراش من
 شوحط فضرب به وجه عبد الله بن رواحة فشجه شجة مأمومة . وانكفاً كل رجل من المسلمين على
 رديفه فقتله غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شداً ولم يصب من المسلمين أحد ، وبصق رسول الله
 (س) . في شجة عبد الله بن رواحة فلم تقيح ولم تؤذه حتى مات .

سرية أخرى مع بشير بن سعد

روى من طريق الواقدي بإسناده أن رسول الله (س) . بعث بشير بن سعد في ثلاثين راكباً

الى بنى مرة من أرض فديك فاستاق نعمهم ، فقاتلوه وقتلوا عامة من معه وصبر هو يومئذ صبراً عظيماً ، وقاتل قتلاً شديداً ، ثم لجأ الى فديك فبات بها عند رجل من اليهود ، ثم كر راجعاً الى المدينة .

قال الواقدي : ثم بعث اليهم رسول الله (ص) ، غالب بن عبد الله ومعه جماعة من كبار الصحابة فذكر منهم أسامة بن زيد ، وأبا مسعود البدرى ، وكعب بن عجرة . ثم ذكر مقتل أسامة بن زيد لمرداس بن نهيك حليف بنى مرة وقوله حين علاه بالسيف : لا إله إلا الله : وأن الصحابة لا مؤء على ذلك حتى سقط في يده وندم على ما فعل . وقد ذكر هذه القصة يونس بن بكير عن ابن اسحاق عن شيخ من بنى سلمة عن رجال من قومه أن رسول الله (ص) بعث غالب بن عبد الله السكبي الى أرض بنى مرة فأصاب مرداس بن نهيك | حليفاً لهم من الحرقة فقتله أسامة . قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن أسامة بن محمد بن أسامة عن أبيه عن جده أسامة بن زيد قال أدركته أنا ورجل من الأنصار - يعنى مرداس بن نهيك - فلما شرفنا عليه السيف قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فلم ننزع عنه حتى قتله . فلما قدمنا على رسول الله (ص) أخبرناه فقال : « يا أسامة من لك بلا إله إلا الله » فقلت يا رسول الله إنما قالها متعوذاً من القتل . قال « فن لك يا أسامة بلا إله إلا الله » فوالذى بعثه بالحق ما زال يرددها على حتى تمنيت أن ماضى من اسلامى لم يكن ، وأنى أسلمت يومئذ ولم أقتله . فقلت إني أعطى الله عهداً أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً ، فقال : « بعدى يا أسامة » فقلت بعدك . قال الامام احمد : حدثنا عيسى بن بشير أنبأنا حصين عن أبي ظبيان قال سمعت أسامة بن زيد يحدث قال بعثنا رسول الله (ص) الى الحرقة من جهينة ، قال فصباحناهم وكان منهم رجل اذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا ، واذا أدبروا كان حاميتهم ، قال فغشيتة أنا ورجل من الأنصار ، فلما تغشينا قال لا إله إلا الله فكف عنه الأنصارى وقتلته ، فبلغ ذلك رسول الله (ص) ، فقال « يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » قال قلت يا رسول الله إنما كان متعوذاً من القتل ، قال فكبرها على حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت إلا يومئذ . وأخرجه البخارى ومسلم من حديث هشيم بن نحوه . وقال ابن اسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة عن مسلم بن عبد الله الجهنى عن جندب بن مكيث الجهنى قال : بعث رسول الله (ص) ، غالب بن عبد الله السكبي كلب ليث الى بنى الملوح بالسكيد وأمره أن يغير عليهم وكنت فى سريره ، فمضينا حتى اذا كنا بالقيديد^(١) لقينا الحارث بن مالك بن البرصاء الليثي فأخذناه فقال : إني إنما جئت لأسلم ، فقال له غالب بن عبد الله إن كنت إنما جئت لتسلم فلا يضيرك رباط يوم وليلة ، وإن كنت على غير ذلك استوفت منك ، قال فأوثقه رباطاً وخلف عليه رويجلاً أسود كان معنا وقال : أمكث معه حتى نمر عليك فان فازعك فاحتر رأسه . ومضينا حتى

أتينا بطن الكديد فزلنا عشية بعد العصر ، فبعثني أصحابي اليه فعدت الى تل يطل على الحاضر فانبطحت عليه وذلك قبل غروب الشمس ، فخرج رجل منهم فنظر فرآني منبطحا على التل فقال لامرأته : إني لأرى سواداً على هذا التل مارأيته في أول النهار فانظري لا تكون الكلاب اجترت بعض أوعيتك ؟ فنظرت فقالت والله ما أفقد منها شيئاً ، قال فناوليني قوسى وسهمين من نبلى فناولته فرماني بسهم في جنبي أو قال في جيبى فترعته فوضعته ولم أتحرك ، ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبى فترعته فوضعته ولم أتحرك ، فقال لامرأته أما والله لقد خالطه سهمى ولو كان ريبة لتحرك ، فاذا أصبحت فابتغى سهمى فخذيهما لاتمضيهما على الكلاب ، قال فأمهلنا حتى اذا راحت روايحهم وحق احتلبوا وعطنوا وسكنوا وذهبت عتمة من الليل ، شغنا عليهم الغارة فقتلنا واستقنا النعم ووجهنا قافلين به وخرج صريح القوم الى قومهم بقر بنا ، قال وخرجنا سراعا حتى نمر بالحارث بن مالك بن البرصاء وصاحبه ، فانطلقنا به معنا وآتانا صريح الناس فجاءنا مالا قبل لنا به ، حتى اذا لم يكن بيننا وبينهم الا بطن الوادى من قديد بعث الله من حيث شاء ماء مارأينا قبل ذلك مطراً ولا حالا ، وجاء بما لا يقدر أحد أن يقدم عليه ، فلقد رأيتهم وقوا ينظرون الينا ما يقدر أحد منهم أن يقدم عليه ، ونحن نجذبها أو نحدوها - شك النقيبى - فذهبنا سراعا حتى أسندنا بها فى المسلك ، ثم حذرنا عنه حتى أعجزنا القوم بما فى أيدينا . وقد رواه أبو داود من حديث محمد بن اسحاق فى روايته عبد الله بن غالب ، والصواب غالب بن عبد الله كما تقدم . وذكر الواقدى هذه القصة باسناد آخر وقال فيه : وكان معه من الصحابة مائة وثلاثون رجلاً . ثم ذكر البيهقى من طريق الواقدى سرية بشير ابن سعد أيضاً الى ناحية خيبر فلقوا جمعاً من العرب وغنموا نعماً كثيراً ، وكان بعثه فى هذه السرية بإشارة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وكان معه من المسلمين ثلاثمائة رجل ودليله حسيل بن نوبة وهو الذى كان دليل النبي (س) ، الى خيبر قاله الواقدى .

سرية بني حدرد الى الغابة

قال يونس عن محمد بن اسحاق : كان من حديث قصة أبى حدرد وغزوته الى الغابة ما حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم عن أبى حدرد قال : تزوجت امرأة من قومي فأصدقته مائتي درهم ، قال فأتيت رسول الله (س) ، أستعينه على نكاحي فقال « كم أصدقته ؟ » فقلت مائتي درهم ، فقال « سبحان الله والله لو كنتم تأخذونها من واد ما زدتم ، والله ما عندى ما أعينك به » فلتبته أياماً ثم أقبل رجل من جشم بن معاوية يقال له رفاعه بن قيس - أو قيس بن رفاعه - فى بطن عظيم من جشم حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة يريد أن يجمع قيساً على محاربة رسول الله (س) ، وكان ذا اسم وشرف فى جشم ، قال فدعاني رسول الله (س) ، ورجلين من المسلمين فقال « اخرجوا الى هذا الرجل

حتى تأتوا منه بخبر وعلم . « وقدم لنا شارفاً مجفاه فحمل عليه أحدنا فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دعما الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت ، وقال « تلبثوا على هذه » فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر مع غروب الشمس فكنت في ناحية وأمرت صاحبي فكنت في ناحية أخرى من حاضر القوم وقلت لهما : إذا سمعتماني قد كبرت وشدت في المسكر فكبروا وشدوا معي ، فوالله إنا كذلك ننتظر أن نرى غرة أو نرى شيئاً وقد غشنا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرح في ذلك البلد فأبطأ عليهم ونحوفوا عليه ، فقام صاحبهم رفاعه بن قيس فأخذ سيفه فجعله في عنقه فقال : والله لأتيقن أمر راعينا ولقد أصابه شر ، فقال نفر من معه والله لا تذهب نحن نسكنك ، فقال لا إلا أنا ، قالوا نحن معك . فقال والله لا يتبعني منكم أحد ، وخرج حتى مر بي فلما أمكنني نفخته بسهم فوضعت في فؤاده ، فوالله ما تكلم فوثبت إليه فاحتزرت رأسه ثم شددت ناحية المسكر وكبرت وشد صاحباي وكبرا ، فوالله ما كان إلا النجاء من كان فيه عندك ^(١) بكل ما قدروا عليه من نسلهم وأبنائهم وما خف معهم من أموالهم ؛ واستقنا إبلا عظيمة وغنما كثيرة فجئنا بها إلى رسول الله (س) . وجئت برأسه أحمله معي ، فأعطاني من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً في صداقي فجئمت إلى أهلي .

السرية التي قتل فيها عجل بن جشامة عامر بن الأضبط

قال ابن اسحاق : حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابن عبد الله بن أبي حدرد عن أبيه قال : بعثنا رسول الله (س) إلى أضم في نفر من المسلمين منهم ؛ أبو قتادة الخارث بن ربي ومحمم ابن جشامة بن قيس فخرجنا حتى إذا كنا ببطن أضم مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعوده معه متبع له ووطب من ابن فسلم علينا بتحية الإسلام فأمسكنا عنه ، وحمل عليه عجل بن جشامة فقتله لشره كان بينه وبينه وأخذ بعيره ومتبعه ، فلما قدمنا على رسول الله (س) أخبرناه الخبر فنزل فينا القرآن [يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً] هكذا رواه الإمام أحمد عن يعقوب عن أبيه عن محمد بن اسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن القمقاع بن عبد الله بن أبي حدرد عن أبيه فقد كره .

قال ابن اسحاق : حدثني محمد بن جعفر سمعت زياد بن ضميرة بن سعد الضمري يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه وعن جده قالاً - وكانا شهدا حنيناً - قالاً : فصلى رسول الله (س) صلاة الظهر فقام إلى ظل شجرة فقام فيه عيينة بن بدر فطلب بدم عامر بن الأضبط الأشجعي وهو سيد ^(١) كدائي الأصول والذي في ابن هشام : فوالله ما كان إلا النجاء من فيه عندك عندك الخ .

عمر هل لكم أن تأخذوا منا الآن خمسين بعيراً إذا رجعنا إلى المدينة ؟ قال عيينة بن بدر : والله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحزن مثل ما أذاق نسائي ، فقال رجل من بني ليث يقال له ابن مكيئل وهو قصير من الرجال فقال : يا رسول الله ما أجده لهذا القليل شهباً في غرة الإسلام إلا كنهم وردت فشربت ^(١) أولاهما ففترت أخراها استن اليوم وغير غدا ، فقال رسول الله (ص) : هل لكم أن تأخذوا خمسين بعيراً الآن وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ فلم يزل بهم حتى رضوا بالدية ، فقال قوم محم بن جثامة إيتوا به حتى يستغفر له رسول الله (ص) قال فجاء رجل طوال ضرب اللحم في حلة قد تمهياً فيها للقتل فقام بين يدي النبي (ص) فقال النبي (ص) : اللهم لا تغفر لحلم قالها ثلاثاً ، فقام وإنه ليتلقى دموه بعطف نوبة .

قال محمد بن اسحاق : زعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك . وهكذا رواه أبو داود من طريق حماد ابن سلمة عن ابن اسحاق ، ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر عن ابن اسحاق عن محمد بن جعفر عن زيد بن ضميرة عن أبيه وعمه فذكر بعضه ، والصواب كما رواه ابن اسحاق عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة ^(٢) عن أبيه وعن جده وهكذا رواه أبو داود من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن أبي الزناد وعن عبد الرحمن بن الحارث عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة عن أبيه وجده بنحوه كما تقدم .

وقال ابن اسحاق : حدثني سالم أبو النضر أنه قال لم يقبلوا الدية حتى قام الاقرع بن حابس فغلبهم وقال يا معشر قيس سألتكم رسول الله (ص) ، قتيلاً تتركونه ليصلح به بين الناس فنجتموه إياه أفأنتم أن يهضب عليكم رسول الله (ص) ، فيغضب الله لغضبه ويلعنكم رسول الله (ص) ، فيلعنكم الله بلعنته لكم ، لتسلن إلى رسول الله (ص) ، أو لا تين بخمسين من بني نعيم كلهم يشهدون أن القتيل كافر ماصلي قط فلا يطلبن دمه ، فلما قال ذلك لم أخفوا الدية . وهذا منقطع معضل وقد روى ابن اسحاق عن لايتهم عن الحسن البصري أن محملاً لما جلس بين يديه عليه الصلاة والسلام قال له : أمنتهم ثم قتلتهم ؟ ثم دعا عليه ، قال الحسن فوالله ما مكث محملاً إلا سبعا حتى مات فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض ، فرضوا عليه من الحجارة حتى واروه فبلغ رسول الله (ص) ، فقال ان الأرض لتطابق على من هو شر منه ولكن الله أراد أن يعظكم في حرم ما بينكم لما أراكم منه . وقال ابن جرير ثنا وكيع ثنا جرير عن ابن اسحاق عن نافع عن ابن عمر قال : بعث رسول الله (ص) ، محملاً بن جثامة مبعثاً فلقبهم عامر بن الأضبط فحياهم بتحية الإسلام - وكانت بينهم هنة في الجاهلية - فرماه محملاً بسهم فقتله فجاء الخبر إلى رسول الله (ص) ، فتكلم فيه عيينة والاقرع فقال الاقرع : يا رسول

(١) في ابن هشام : فرميت (٢) كذا في الاصل والخلاصة وفي ابن هشام : زياد بن ضميرة بن سعد .

الله سن اليوم وغير غدا ، قال عيينة : لا والله حتى تذوق نساؤه من الشك ما ذاق نسائي فجاء
 عجل في بردين فجلس بين يدي رسول الله (ص) ، ليستغفر له قال رسول الله (ص) : « لا غفر الله لك »
 فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه ، فما مضت له ساعة حتى مات فدفنوه فلفظته الأرض فجاءوا النبي (ص)
 فذكروا ذلك له قال « إن الأرض لتقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظكم من
 حرمتكم » ثم طرحوه في جبل فالتوا عليه من الحجارة ونزلت [يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل
 الله فتبينوا] الآية . وقد ذكره موسى بن عقبة عن الزهري ورواه شبيب عن الزهري عن عبد الله
 ابن وهب عن قبيصة بن ذؤيب نحو هذه القصة إلا أنه لم يسم عجل بن جثامة ولا عامر بن الاضطرب
 وكذلك رواه البيهقي عن الحسن البصري بنحو هذه القصة وقال وفيه نزل قوله تعالى [يا أيها الذين
 آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا] الآية .

قلت : وقد تكلمنا في سبب نزول هذه الآية ومعناها في التفسير بما فيه الكفاية والله الحمد والمنة .

سرية عبد الله بن حذافة السهمي

ثبت في الصحيحين من طريق الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن
 علي بن أبي طالب قال : استعمل النبي (ص) رجلاً من الأنصار على سرية بعثهم وأمرهم أن يسموا له
 ويطيعوا ، قال فغضبوه في شيء قال اجتمعوا لي خطباً فجمعوا فقال أوقدوا ناراً فاقعدوا ثم قال ألم يأمركم
 رسول الله (ص) أن تسمعوا لي وتطيعوا ؟ قالوا بلى قال فادخلوها قال فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا إنما
 فررنا إلى رسول الله (ص) من النار ، قال فسكن غضبه وطفئت النار ، فلما قدموا على النبي (ص)
 ذكروا ذلك له قال « لودخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة في المعروف » وهذه القصة ثابتة أيضاً
 في الصحيحين من طريق يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقد تكلمنا على هذه بما
 فيه كفاية في التفسير والله الحمد والمنة

بسم الله الرحمن الرحيم

عمرة القضاء

ويقال القصاص ورجعه السهيلي ويقال عمرة القضية فالأولى قضاء عما كان أحصر عام الحديبية
 والثاني من قوله تعالى (والحرمت قصاص) والثالث من المقاضاة التي كان قاضماً عليها على أن يرجع
 عنهم عامه هذا ثم يأتي في العلم القابل ولا يدخل مكة إلا في جلبان (١) السلاح وأن لا يقيم أكثر
 من ثلاثة أيام وهذه العمرة هي المذكورة في قوله تعالى في سورة الفتح المباركة [لقد صدق الله رسوله
 (١) الجلبان بضم الجيم وسكون اللام شبه الجراب من الادم يوضع فيه السيف وقيل القوس
 والسيف ونحوه .

الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محققين رؤسكم ومقصرين لا تخافون [الآية .
وقد تكلمنا عليها مستقصى في كتابنا التفسير بما فيه كفاية وهي الموعود بها في قوله عليه الصلاة
والسلام لعمر بن الخطاب حين قال له ألم تكن تجدنا أفا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال . بلى
أفأخبرت أنك تأتيه عامك هذا ؟ قال لا قال « فانك آتية ومطوف به » وهي المشار إليها في قول
عبد الله بن رواحة حين دخل بين يدي رسول الله (س) الى مكة يوم عمرة القضاء وهو يقول :
خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله

أى هذا تأويل الرؤيا التي كان رآها رسول الله (س) جاءت مثل فلق الصبح .
قال ابن اسحاق : فلما رجع رسول الله (س) من خيبر الى المدينة أقام بها شهرى ربيع وجماديين
ورجياً وشعبان وشهر رمضان وشوالاً يبعث فيما بين ذلك سراياه ثم خرج من ذى القعدة في الشهر
الذى صده فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء مكان عمرته التي صدوه عنها . قال ابن هشام : واستعمل
على المدينة عوف بن الأضبط الدثلي ويقال لها عمرة القصاص لأنهم صدوا رسول الله (س) في
ذى القعدة في الشهر الحرام من سنة ست فاقص رسول الله (س) منهم فدخل مكة في ذى القعدة في
الشهر الحرام الذى صدوه فيه من سنة سبع ، بلغنا عن ابن عباس أنه قال فأنزل الله تعالى في ذلك
[والحرمات قصاص] وقال معتمر بن سليمان عن أبيه في مغازيه لما رجع رسول الله (س) من خيبر
أقام بالمدينة وبعث سراياه حتى استهل ذى القعدة فنادى في الناس أن تجهزوا للعمرة فتجهزوا
وخرجوا الى مكة .

وقال ابن اسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صدمه في عمرته تلك وهي سنة سبع فلما سمع
به أهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قریش بينها أن محمداً في عسرة وجهه وشدة . قال ابن اسحاق :
فحدثني من لا أنهم عن عبد الله بن عباس قال : صفوا له عند دار الندوة لينظروا اليه والى أصحابه
فلما دخل رسول الله (س) المسجد اضطجع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال « رحم الله امرأ
أراهم اليوم من نفسه قوة » ثم استلم الركن ثم خرج يهرول ويهرول أصحابه معه حتى إذا واراها البيت
منهم واستلم الركن الباقى مشى حتى يستلم الركن الأسود ثم هرولا كذلك ثلاثة اطواف ومشى سائرهما
فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم وذلك أن رسول الله (س) إنما صلحها
لهذا الحى من قریش الذى بلغه عنهم حتى حج حجة الوداع فزماها ففضت السنة بها . وقال البخارى
ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد - هو ابن زيد - عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قدم
رسول الله (س) وأصحابه فقال المشركون إنه يقدم عليكم وقد وهنهم حتى يثرب فأمرهم النبي (س) .

أن يرملوا الا شواطئ الثلاث وأن يمشوا ما بين الركنين ، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الا شواطئ كلها إلا الابقاء عليهم . قال أبو عبد الله ورواه أبو سلمة - يعني حماد بن سلمة - عن أيوب عن سعيد عن ابن عباس قال : لما قدم النبي (ص) لعامهم الذي استأمن قال « ارملوا ليري | المشركون قوتكم » و | المشركين من قبل قميقةان . ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد وأسند البيهقي طريق حماد بن سلمة . وقال البخاري ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان ثنا اسماعيل بن أبي خالد سمع بن أبي أوفى يقول : لما اعتمر رسول الله (ص) سترناه من غلمان المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله (ص) وسيأتي بقية الكلام على هذا المقام

قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله (ص) حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة أخذ بخطام ناقته يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله
يا رب إني مؤمن بقبيله أعرف حق الله في قبوله
نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

قال ابن هشام : نحن قتلناكم على تأويله الى آخر الأبيات لعمر بن ياسر في غير هذا اليوم - يعني يوم صفين - قاله السهيلي قال ابن هشام : والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين والمشركون لم يقرؤوا بالتنزيل وإنما يقاتل على التأويل من أقر بالتنزيل ، وفيما قاله ابن هشام نظر فان الحافظ البيهقي روى من غير وجه عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس قال : لما دخل النبي (ص) مكة في عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة بين يديه وفي رواية وهو أخذ بفرزه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله قد نزل الرحمن في تنزيله
بأن خير القتل في سبيله نحن قتلناكم على تأويله

وفي رواية بهذا الاسناد بعينه :

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
يا رب إني مؤمن بقبيله

وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم أن رسول الله (ص) دخل عام القضية مكة فطاف بالبيت على ناقته واستلم الركن بحمجه . قال ابن هشام من غير علة ، والمسلمون

يشتدون حوله وعبد الله بن رواحة يقول :

بسم الذي لأدين إلهه بسم الذي محمد رسول
خلوا بني الكفار عن سبيله

قال موسى بن عقبة عن الزهري : ثم خرج رسول الله (س) من العام القابل من عام الحديبية معتمراً في ذي القعدة سنة سبع وهو الشهر الذي صده المشركون عن المسجد الحرام حتى إذا بلغ بأجج وضع الاداة كلها الحجب والمجان والرماح والنبل ودخلوا بسلاح الرأكب السيوف وبعث رسول الله (س) بين يديه جعفر بن أبي طالب الى ميمونة بنت الحارث العامرية فخطبها عليه فجعلت أمرها الى العباس وكان تحتها أختها أم الفضل بنت الحارث فزوجها العباس رسول الله (س) فلما قدم رسول الله (س) أمر أصحابه قال « اكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف » ليرى المشركون جلدكم وقوتهم وكان يكادهم بكل ما استطاع فاستكف أهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله (س) وأصحابه وهم يطوفون بالبیت وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله (س) متوشحاً بالسيف وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله أنا الشهيد أنه رسول
قد أنزل الرحمن في تنزيله في صحف تلي على رسول
فاليوم نضربكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

قال : وتغيب رجال من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله (س) غيظاً وحنقاً ، ونفاة وحسدًا . وخرجوا الى الخندمة فقام رسول الله (س) بمكة وأقام ثلاث ليل ، وكان ذلك آخر القضية يوم الحديبية ، فلما أتى الصبح من اليوم الرابع أقام سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ورسول الله (س) في مجلس الانصار يتحدث مع سعد بن عباد فصاح حويطب بن عبد العزى : نناشدك الله والعقد لما خرجت من أرضنا قد مضت الثلاث ، قال سعد بن عباد : كذبت لا أم لك ليس بأرضك ولا بأرض آبائك والله لا يخرج . ثم نادى رسول الله (س) سهيلاً وحويطلاً فقال : « إن قد أمكنت فيكم امرأة يضركم أن أمكت حتى أدخل بها ونصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا » فقالوا نناشدك الله والعقد إلا خرجت عنا ، فأمر رسول الله (س) أبا رافع فأذن بالرحيل ، وركب رسول الله (س) حتى نزل بطن سرف وأقام المسلمون وخلف رسول الله (س) أبا رافع ليحمل ميمونة ، وأقام بسرف حتى قدمت عليه ميمونة وقد لقيت ميمونة ومن معها عناء

وأذى من سفهاء المشركين ومن صبياتهم ، قدمت على رسول الله (س) ، بسرف فبني بها ثم أديج فسار حتى أتى المدينة ، وقدر الله أن يكون موت ميمونة بسرف بعد ذلك بحين ، فماتت حيث بني بها رسول الله (س) . ثم ذكر قصة ابنة حمزة إلى أن قال : وأنزل الله عز وجل في تلك العمرة [الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص] فاعتمر رسول الله (س) في الشهر الحرام الذي صدفيه . وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير نحواً من هذا السياق ، ولهذا السياق شواهد كثيرة من أحاديث متعددة ففي صحيح البخاري من طريق فليح بن سليمان عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (س) خرج معتمراً ، فخال كفار قریش بينه وبين البيت ، فحرق هديه وحلق رأسه بالحديبية وقاضاه على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحاً إلا سيوفاً ، ولا يقيم بها إلا ما أحبوا ، فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كان صلحهم ، فلما أن أقام بها ثلاثاً أمره أن يخرج فخرج فخرج . وقال الواقدي : حدثني عبد الله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال : لم تكن هذه عمرة قضاء وإنما كانت شرطاً على المسلمين أن يعتمروا من قابل في الشهر الذي صدم فيه المشركون وقال أبو داود ثنا النفيلي ثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن ميمون سمعت أبا حنيفة الحيري يحدث أن ميمون بن مهران قال : خرجت معتمراً فلم حاصر أهل الشام ابن الزبير بمكة وبعث معي رجال من قومي بهدي ، قال فلما انتهينا إلى أهل الشام منعوا أن ندخل الحرم ، قال ففحرت الهدي مكاني ثم أحللت ثم رجعت ، فلما كان من العام المقبل خرجت لأقضي عمرتي فأقبت ابن عباس فسألته فقال : أبدل الهدي فإن رسول الله (س) أمر أصحابه أن يبدلوا الهدي الذي نحرروا عام الحديبية في عمرة القضاء . تفرد به أبو داود من حديث أبي حنيفة عثمان بن حنيفة الحيري عن ابن عباس فذكره . وقال الحافظ البيهقي أنبأنا الحاكم أنبأنا الأصم ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني عمرو بن ميمون قال : كان أبي يسأل كثيراً أهل كان رسول الله (س) أبدل هديه الذي نحر حين صدم المشركون عن البيت ؟ ولا يجدي في ذلك شيئاً ، حتى سمعته يسأل أبا حنيفة الحيري عن ذلك فقال له : على الخبير سقطت ، حججت عام ابن الزبير في الحضر الأول فاهدت هدياً فخالوا بيننا وبين البيت ، ففحرت في الحرم ورجعت إلى اليمن وقلت لى رسول الله (س) أسوة ، فلما كان العام المقبل حججت فلقيت ابن عباس فسألته عما نحررت على بده أم لا ؟ قال نعم فأبدل ، فإن رسول الله (س) وأصحابه قد أبدلوا الهدي الذي نحرروا عام صدم المشركون فأبدلوا ذلك في عمرة القضاء ، ففرت الابل عليهم فرخص لهم رسول الله (س) في البقر .

وقال الواقدي : حدثني غاتم بن أبي غاتم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : جعل رسول الله (س) فاجية بن جندب الأسلمي على هديه يسير بالهدي أمامه يطلب الرعي في الشجر معه أربعة

فتيان من أسلم ، وقد ساق رسول الله (س) في عمرة القضية ستين بدنة . فحدثني محمد بن نعم الجعفي عن أبيه عن أبي هريرة قال : كنت مع صاحب البدن أسوقها . قال الواقدي وسار رسول الله (س) يلبي والمسلمون معه يلبيون ، ومضى محمد بن مسلة بالخليل الى مر الظهران فيجد بها نفرأ من قريش ، فسألوا محمد بن مسلة ؟ فقال هذا رسول الله (س) . يصبح هذا المنزل غدا إن شاء الله ، ورأوا سلاحا كثيرا مع بشير بن سعد ، فخرجوا سراعا حتى أتوا قريشا فاخبروهم بالذي رأوا من السلاح والخليل ، ففرغت قريش وقالوا والله ما أحدثنا حدثا وإنا على كتابنا وهدنتنا فقيم يفرزونا محمد في أصحابه ؟ ونزل رسول الله (س) مر الظهران ، وقدم رسول الله (س) السلاح الى بطن يأجج حيث ينظر الى أنصاب الحرم ، وبعث قريش مكرز بن حفص بن الاحنف في نفر من قريش حتى لقوه ببطن يأجج ورسول الله (س) في أصحابه والهدى والسلاح قد تلاحقوا ، فقالوا يا محمد ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر ، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك وقد شرطت لهم أن لا تدخل إلا بسلاح المسافر السيوف في القرب ، فقال النبي (س) « إني لا أدخل عليهم السلاح » فقال مكرز بن حفص : هذا الذي تعرف به البر والوفاء ، ثم رجع سريعا بأصحابه إلى مكة . فلما أن جاء مكرز بن حفص بخبر النبي (س) خرجت قريش من مكة الى رؤس الجبال وخلوا مكة وقالوا لا ننظر اليه ولا إلى أصحابه ، فامر رسول الله (س) بالهدى أماءه حتى حبس بذى طوى ، وخرج رسول الله (س) وأصحابه وهو على ناقته القصواء وهم محدقون به يلبيون وهم متوشحون السيوف ، فلما انتهى إلى ذى طوى وقف على ناقته القصواء وابن رواحة أخذ بزمامها وهو يرتجز بشعره ويقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله
إلى آخره

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال : قدم رسول الله (س) وأصحابه مبيحة رابطة . يعني من ذى القعدة سنة سبع . فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وقد وهنتهم حتى يثرب ، فامر رسول الله (س) أن يرموا الاشواط الثلاثة ، وأن يمشوا بين الركنين ، ولم يمنعه أن يرموا الاشواط كلها إلا الإبقاء عليهم . قال الإمام احمد : حدثنا محمد بن الصباح ثنا اسماعيل بن زكريا عن عبد الله بن عثمان عن أبي الطفيل عن ابن عباس أن رسول الله (س) لما نزل مر الظهران من عمرته بلغ أصحاب رسول الله (س) أن قريشا يقول : ما يتباعثون من المعجف ، فقال أصحابه : لو انتحرننا من ظهرنا فأكلنا من لحومهم وحسونا من مرقه أصبحنا غدا حين نخل على القوم وبنا جماعة ، فقال « لا تفعلوا ولكن اجمعوا لي من أزوادكم فجمعوا له وبسطوا الانطاع فأكلوا حتى تركوا ، وحشى كل واحد منهم في جرابه ، ثم أقبل رسول الله (س) حتى دخل المسجد وقصت قريش نحو الحجر ، فاضطجع بردائه ثم قال « لا يرى القوم فيكم غيرة » فاستلم الركن ثم رمل حتى اذا قضى بالركن الجباني مشى الى الركن

الأسود ، فقالت قريش : ما يرضون بالشئ أما أنهم لينفرون نفر الظباء ، ففعل ذلك ثلاثة أطواف فكانت سنة . قال أبو الطفيل : وأخبرني ابن عباس أن رسول الله (س) فعل ذلك في حجة الوداع . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

قال أبو داود ثنا أبو سلمة موسى ثنا حماد — يعني ابن سلمة — أنبأنا أبو عاصم الغنوي عن أبي الطفيل قال قلت لابن عباس يزعم قومك أن رسول الله (س) قد رمل بالبيت وأن ذلك سنة ؟ فقال : صدقوا وكذبوا ، قلت ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال صدقوا رمل رسول الله (س) ، وكذبوا ليس بسنة ، إن قريشاً زمن الحديبية قالت دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النعف ، فلما صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام فقدم رسول الله (س) والمشركون من قبل قعقعمان ، فقال رسول الله (س) لأصحابه « ارملوا بالبيت ثلاثاً » قال وليس بسنة . وقد رواه مسلم من حديث سعيد الجري وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين وعبد الملك بن سعيد بن أبي جبر ثلاثتهم عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن ابن عباس به نحوه . وكون الرمل في الطواف سنة مذهب الجمهور ، فإن رسول الله (س) رمل في عمرة القضاء وفي عمرة الجعرانة أيضاً كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الطفيل عن ابن عباس قد كره . وثبت في حديث جابر عند مسلم وغيره أنه عليه السلام رمل في حجة الوداع في الطواف ، ولهذا قال عمر بن الخطاب فيم الرملان وقد أطال الله الأسلام ؟ ومع هذا لا نترك شيئاً فعله رسول الله (س) ، وموضع تقرير هذا كتاب الأحكام . وكان ابن عباس في المشهور عنه لا يرى ذلك سنة كما ثبت في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس قال : إنما سعى النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت وبالضفا والمروة ليرى المشركين قوته . لفظ البخاري . وقال الواقدي : لما قضى رسول الله (س) نسكه في القضاء دخل البيت فلم يزل فيه حتى أذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة ، وكان رسول الله (س) أمره بذلك ، فقال عكرمة بن أبي جهل : لقد أكرم الله أبا الحكم - بن لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول ! قال صفوان بن أمية : الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا . وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذي أمات أبي ولم يشهد هذا اليوم حتى يقوم بلال ينهق فوق البيت . وأما سهيل بن عمرو ورجال معه لما سمعوا بذلك غطوا وجوههم . قال الحافظ البيهقي : قد أكرم الله أكثرهم بالاسلام .

قلت : كذا ذكره البيهقي من طريق الواقدي أن هذا كان في عمرة القضاء ، والمشهور أن ذلك كان في عام الفتح والله أعلم .

قصة تزويجه عليه السلام بميمونة

قال ابن اسحاق : حدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس أن رسول الله (ص) تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حرام ، وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب . قال ابن هشام : كانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل ، فجعلت أم الفضل أمرها إلى زوجها العباس ، فزوجها رسول الله (ص) وأصدقها عنه أربع مائة درهم . وذكر السهيلي أنه لما انتهت إليها خطبة رسول الله (ص) لها وهي راكبة بعيداً قالت : الجمل وما عليه لرسول الله (ص) . قال وفيها نزلت الآية [وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين] . وقد روى البخاري من طريق أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) تزوج ميمونة وهو محرم ، وبني بها وهو حلال ، وماتت بسرف . قال البيهقي : وروى الدارقطني من طريق أبي الأسود يقيم عروته ومن طريق مطر الوراق عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) تزوج ميمونة وهو حلال . قال وتأولوا رواية ابن عباس الأولى أنه كان محرماً أي في شهر حرام كما قال الشاعر :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرمًا فدعا فلم أر مثله مخذولا

أي في شهر حرام .

قلت : وفي هذا التأويل نظر ، لأن الرواية متظافرة عن ابن عباس بخلاف ذلك ولا سيما قوله تزوجها وهو محرم وبني بها وهو حلال ، وقد كان في شهر ذي القعدة أيضاً وهو شهر حرام . وقال محمد بن يحيى الذهلي : ثنا عبد الرزاق قال قال الثوري : لا يلتفت إلى قول أهل المدينة . أخبرني عمرو عن أبي الشعثاء عن ابن عباس أن رسول الله (ص) تزوج وهو محرم ، قال أبو عبد الله قلت لعبد الرزاق روى سفيان الحديثين جميعاً عن عمرو عن أبي الشعثاء عن ابن عباس وابن خثيم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ؟ قال نعم أما حديث ابن خثيم فحدثنا هاهنا - يعني باليمن - وأما حديث عمرو فحدثنا ثم - يعني بمكة - وأخرجاه في الصحيحين من حديث عمرو بن دينار به . وفي صحيح البخاري من طريق الأوزاعي أنباء عطاء عن ابن عباس أن رسول الله (ص) تزوج ميمونة وهو محرم . فقال سعيد بن المسيب : وم ابن عباس وإن كانت خالته ، ما تزوجها إلا بعد ما أحل . وقال بونس عن ابن اسحاق حدثني بقية عن سعيد بن المسيب أنه قال : هذا عبد الله بن عباس يزعم أن رسول الله (ص) نكح ميمونة وهو محرم فذكر كلمته ، إنما قدم رسول الله (ص) مكة فكان الحل والنكاح جميعاً فشبه ذلك على ابن عباس . وروى مسلم وأهل السنن من طرق عن

يزيد بن الأصم العامري عن خالته ميمونة بنت الحارث قالت : تزوجني رسول الله (ص)، ونحن حلال بسرف . لكن قال الترمذي : روى غير واحد هذا الحديث عن يزيد بن الأصم مرسلًا أن رسول الله (ص) تزوج ميمونة . وقال الحافظ البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الاصفهاني الزاهد ثنا اسماعيل بن اسحاق القاضي ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد ثنا مطر الوراق عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن سليمان بن يسار عن أبي رافع قال : تزوج رسول الله (ص) ميمونة وهو حلال وبني بها وهو حلال وكنت الرسول بينهما . وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن حماد بن زيد به ، ثم قال الترمذي حسن ولا نعلم أحداً أسنده عن حماد عن مطر ورواه مالك عن ربيعة عن سليمان مرسلًا ، ورواه سليمان بن بلال عن ربيعة مرسلًا قلت : وكانت وقتها بسرف سنة ثلاث وستين ويقال سنة ستين رضى الله عنها ذكر خروجه (ص) من مكة بعد قضاء عمرته

قد تقدم ما ذكره موسى بن عقبة أن قریشاً بعثوا اليه حويطب بن عبد العزى بعد مضي أربعة أيام^(١) ليرحل عنهم كما وقع به الشرط ، فعرض عليهم أن يعمل وليمة عرسه بميمونة عندهم وإنما أراد تأليفهم بذلك فأبوا عليه وقالوا بل اخرج عنا ، فخرج وكذلك ذكره ابن اسحاق^(٢) وقال البخاري حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء قال : اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام ، فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، قالوا لا تقرب هذا لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً ولكن أنت محمد بن عبد الله قال « أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله » ثم قال لعلي ابن أبي طالب « أمح رسول الله » قال لا والله لا أمحوك أبداً ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله لا يدخل مكة إلا بالسيف في القرب وأن لا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه ، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً أراد أن يقيم بها ، فلما دخل ومضى الاجل أتوا علياً فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الاجل ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة تنادي يا عم فتناولها على فأخذ بيدها وقال لفاطمة ذرنيك ابنة عمك ، فحملتها فاختصم فيها على وزيد وجعفر فقال علي : أنا أخذتها وهي ابنة عمي وقال جعفر : ابنة عمي وخالتها تحتي ، وقال زيد : ابنة أخي فقضى بها النبي (ص) لخالتها وقال « الخالة بمنزلة الأم » وقال لعلي « أنت مني وأنا منك » وقال لجعفر « أشبهت خلعتي وخلعتي » وقال زيد « أنت أخونا ومولانا » قال علي ألا تتزوج ابنة حمزة ، قال « إنها ابنة أخي من الرضاة » .

(١-١) كذا في الاصل وفي سيرة ابن هشام : ثلاثة أيام وأما حويطب في اليوم الثالث .

تفرد به البخاري من هذا الوجه وقد روى الواقدي قصة ابنة حمزة فقال حدثني ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن عمارة ابنة حمزة بن عبد المطلب وأما سلمى بنت عميس كانت بمكة ، فلما قدم رسول الله (س) ، كلم علي بن أبي طالب رسول الله (س) ، فقال : علام تركت ابنة عمنا يتيمة بين ظهرائي المشركين ؟ فلم ينه النبي (س) عن إخراجها ، فخرج بها فتكلم زيد بن حارثة وكان وصي حمزة ، وكان النبي (س) قد آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين ، فقال أنا أحق بها ابنة أخي ، فلما سمع بذلك جعفر قال : الخالة والدة وأنا أحق بها لمكان خالتها عندي أسماء بنت عميس وقال علي : ألا أراكم تختصمون هي ابنة عمي وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين : وليس لكم اليها سبب دوني وأنا أحق بها منكم فقال النبي (س) : « أنا أحكم بينكم ، أما أنت يا زيد فولي الله ومولى رسول الله ، وأما أنت يا جعفر فتشبه خلتي وخلتي ، وأنت يا جعفر أولى بها تحت خالتها ولا تضحك المرأة على خالتها ولا على عمتها » فقضى بها لجعفر . قال الواقدي : فلما قضى بها لجعفر قام جعفر فحجل حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال « ما هذا يا جعفر ؟ » فقال يا رسول الله كان النجاشي إذا أرضى أحداً قام فحجل حوله ، فقال للنبي (س) تزوجها فقال « ابنة أخي من الرضاة » فزوجها رسول الله (س) سلمة بن أبي سلمة ، فكان النبي (س) يقول « هل جزيت أباً سلمة » . قلت : لانه ذكر الواقدي وغيره أنه هو الذي زوج رسول الله (س) بامه أم سلمة ، لانه كان أكبر من أخيه عمر بن أبي سلمة والله أعلم .

قال ابن اسحاق : ورجع رسول الله (س) إلى المدينة في ذي الحجة ، وتولى المشركون تلك الحجة . قال ابن هشام : وأنزل الله في هذه العمرة فيما حدثني أبو عبيدة قوله تعالى [لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقتين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً] [يعني خبير] .

فضائل

ذكر البيهقي هاهنا سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم ، ثم ساق بسنده عن الواقدي حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهري قال : لما رجع رسول الله (س) من عمرة القضية رجع في ذي الحجة من سنة سبع ، فبعث ابن أبي العوجاء السلمي في خمسين فارساً فخرج العيين إلى قومه فحذرهم وأخبرهم فجمعوا جمعا كثيراً وجاءهم ابن أبي العوجاء والقوم معدون ، فلما أن رأوهم أصحاب رسول الله (س) ورأوا جمعهم دعوهم إلى الاسلام ، فرشعهم بالنبل ولم يسمعوا قولهم وقالوا لا حاجة لنا إلى ما دعوتهم اليه فرموم ساعة وجعلت الامداد تأتي حتى أحرقوا بهم من كل جانب ، فقاتل

القوم قتلاً شديداً حتى قتل عاتهم ، وأصيب ابن أبي العوجاء بجراحات كثيرة فمجاهل حتى رجع إلى المدينة بمن بقي معه من أصحابه في أول يوم من شهر صفر سنة ثمان .

فصل : قال الواقدي في الحجة من هذه السنة - يعني سنة سبع - رد رسول الله (س) ابنته زينب على زوجها أبي العاص بن الربيع وقد قدمنا الكلام على ذلك ، وفيها قدم حاطب بن أبي بلتعة من عند المقوقس ومعه مارية وسيرين وقد أسلما في الطريق ، وغلما خصي . قال الواقدي : وفيها اتخذ رسول الله (س) منبره درجتين ومقعده ، قال والنبت عندنا أنه عمل في سنة ثمان .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر وأعن بحولك وقوتك

سنة ثمان من الهجرة النبوية

اسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة

قد تقدم طرف من ذلك فيما ذكره ابن اسحاق بعد مقتل أبي رافع اليهودي (١) وذلك في سنة خمس من الهجرة ، وأما ذكره الحافظ البيهقي ها هنا بعد عمرة القضاء فروى من طريق الواقدي أنبأنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال عمرو بن العاص : كنت للإسلام مجانباً معانداً ، حضرت بدرًا مع المشركين فنجوت ، ثم حضرت أحدًا فنجوت ، ثم حضرت الخندق فنجوت ، قال قلت في نفسي كم أوضع والله ليظهرن محمداً على قريش فلعنت بآلى بالرهط وأقلت من الناس - أي من لقائهم - فلما حضر الحديبية وانصرف رسول الله (س) في الصلح ، ورجعت قريش إلى مكة ، جعلت أقول يدخل محمد قابلاً مكة بأصحابه ما مكة بمنزل ولا الطائف ، ولا شيء خير من الخروج ، وأنا بعد فاني عن الاسلام ، وأرى لو أسلمت قريش كلها لم أسلم ، قدمت مكة وجمعت رجالاً من قومي وكانوا يرون رأيي ويسمعون مني ويقدمونني فيما نابهم ، قلت لهم كيف أنا فيكم ؟ قالوا ذو رأينا ومدرهنا في بين نفسه وبركة أمر ، قال قلت تملكون أني والله لأرى أمر محمد أمراً يعلو الأمور علواً منكراً ، وإنني قد رأيت رأياً قالوا وما هو ؟ قلت نلحق بالنجاشي فنكون معه ، فإن يظهر محمد كنا عند النجاشي

(١) واسمه سلام بن أبي الحقيق أبو رافع الأعور قتله خمسة من أصحاب رسول الله بخيبر .

نكون تحت يد النجاشي أحب إلينا من أن نكون تحت يد محمد ، وإن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا ، قالوا هذا الرأي . قال قلت فاجعوا ما نهديه له . وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم . فحملنا أدمًا كثيرًا ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشي ، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري وكان رسول الله (س) ، قد بعثه بكتاب كتبه بزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان ،^(١) فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لاصحابي : هذا عمرو بن أمية ولو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فاعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك سرت قريش وكنت قد أجزأت عنها حتى قلت رسول محمد ، فدخلت على النجاشي فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال مرحبا بصديقي أهديت لي من بلادك شيئًا ؟ قال قلت نعم أيها الملك أهديت لك أدمًا كثيرًا ثم قدمته فاعجبه وفرق منه شيئًا بين بطارقه وأمر بسائره فادخل في موضع وأمر أن يكتب ويحتفظ به ، فلما رأيت طيب نفسه قلت أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول عدو لنا قد وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا فاعطنيه فاقته ، فغضب من ذلك ورفع يده فضرب بها أنفي ضربة ظننت أنه كسره ، فابتدر منخراي فجعلت أتلقى الدم بثيابي فاصابني من الدمل ما لو انشقت بي الأرض دخلت فيها فرقا منه ، ثم قلت أيها الملك لو ظننت أنك تكبر ما قلت ما سألتك ، قال فاستحيا وقال : يا عمرو تسألني أن أعطيك رسول من يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى والذي كان يأتي عيسى لتقتله ؟ قال عمرو فغير الله قلبي عما كنت عليه ، وقلت في نفسي عرف هذا الحق والعرب والمجم وتخالف أنت ثم قلت أتشهد أيها الملك بهذا ؟ قال نعم أشهد به عند الله يا عمرو فأطعني واتبعه فوالله إنه لملئ الحق وليظهرون على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قلت أتبايعني له على الاسلام ؟ قال نعم فبسط يده فبايعني على الاسلام ، ثم دعا بطست ففصل عني الدم وكساني ثيابا . وكانت ثيابي قد امتلأت بالدم فالتقيتها . ثم خرجت على أصحابي فلما رأوا كسوة النجاشي سروا بذلك وقالوا هل أدركت من صاحبك ما أردت ؟ فقلت لهم كرهت أن أكله في أول مرة وقلت أعود إليه ، فقالوا الرأي ما رأيته . قال ففارقهم وكأني أعمد إلى حاجة فعممت إلى موضع السفن فاجد سفينة قد شحنت تدفع ، قال فركبت معهم ودفعوها حتى انتهوا إلى الشعبة وخرجت من السفينة ومعى نفقة ، فابتعت بعيرا وخرجت أريد المدينة حتى مررت على مر الظهران ، ثم مضيت حتى إذا كنت بالهدة فإذا رجلان قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلا وأحدهما داخل في الخيمة والآخر يمسك الراحتين ، قال فنظرت فإذا خالد بن الوليد ، قال قلت أين تريد ؟ قال محمداً ، دخل الناس في الاسلام فلم يبق أحد به طم ، والله لو أقت

(١) هكذا في الأصل ، وفي ابن هشام كان قد جاء في شأن جعفر وأصحابه ، وفي السهيلي أنه جاء بكتاب النبي (س) وكان فيه دعوته إلى الاسلام .

لاخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة النضبع في مغارثها، قلت وأنا الله قد أردت محمداً وأردت الاسلام، فخرج
 عثمان بن طلحة فرحب بي فزولنا جميعاً في المنزل، ثم اتفقنا حتى أتينا المدينة فما أنس قول رجل لقيناه
 بيثر أبي عتبة يصيح : يارباح يارباح يارباح ، فتفاءلنا بقوله وسرنا ، ثم نظر إلينا فأصمعه يقول : قد
 أعطت مكة المقادة بعد هذين ، وظننت أنه يعني ويعني خالد بن الوليد وولي مدبراً إلى المسجد
 سريراً فظننت أنه بشر رسول الله (س)، بقدمونا فكان كما ظننت ، وأنخنا بالحرة فلبسنا من صالح
 ثيابنا ، ثم نودي بالمصر فانطلقنا على أظلعنا عليه ، وإن لوجهه تهللاً والمسلمون حوله قد سروا بإسلامنا
 فتقدم خالد بن الوليد فبايع ، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ، ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست
 بين يديه فما استطعت أن أرفع طرفي حياء منه . قال فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولم
 يحضرنى ما تأخر ، فقال « إن الاسلام يجب ما كان قبله ، والهجرة تجب ما كان قبلها » قال فوالله
 ما عدل بي رسول الله (س)، وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في أمر حربه منذ أسلما ، ولقد كنا
 عند أبي بكر بتلك المنزلة ، ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة وكان عمر على خالد كالعائب . قال
 عبد الحميد بن جعفر شيخ الواقدي : فذكرت هذا الحديث ليزيد بن حبيب فقال : أخبرني راشد
 مؤيد حبيب بن أبي أوس الثقفي عن مولاة حبيب عن عمرو بن العاص نحو ذلك .

قلت : كذلك رواه محمد بن اسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن راشد عن مولاة حبيب [قال]
 حدثني عمرو بن العاص من فيه ، فذكر ما تقدم في سنة خمس بعد مقتل أبي رافع ، وسياق الواقدي
 أبسط وأحسن . قال الواقدي عن شيخه عبد الحميد : قلت ليزيد بن أبي حبيب وقت لك متى
 قدم عمرو وخالد ؟ قال لا إلا أنه قال قبل الفتح ، قلت فان أبي أخبرني ان عمرا وخالداً وعثمان بن
 طلحة قدموا لهلل صفر سنة ثمان ، وسيأتي عند وفاة عمرو من صحيح مسلم ما يشهد لسياق اسلامه
 وكيفية حسن صحبته لرسول الله (س)، مدة حياته ، وكيف مات وهو يتأسف على ما كان منه في مدة
 مباشرته الامارة بعده عليه الصلاة والسلام ، وصفة موته رضى الله عنه .

طريق اسلام خالد بن الوليد

قال الواقدي : حدثني يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال سمعت أبي
 يحدث عن خالد بن الوليد قال : لما أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الاسلام وحضرنى
 رشدى ، قلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد (س)، ، فليس في موطن أشهد الا انصرف
 وأنا أرى في نفسي أنى موضع في غير شئ ، وأن محمداً سيظهر ، فلما خرج رسول الله (س)، إلى
 الحديبية خرجت في خيل من المشركين فلقيت رسول الله (س)، في أصحابه بعسفان ، فقامت بازائه

وتمرضت له فصلى باصحابه الظهر أمامنا فهممنا أن نغير عليهم ثم لم يعزم لنا - وكانت فيه خيرة - فاطلع على ما في أنفسنا من الهم به فصلى باصحابه صلاة العصر صلاة الخوف ، فوقع ذلك منا موقعا وقلت الرجل ممنوع فاعتزلنا ، وعدل عن سير خيلنا وأخذ ذات اليمين ، فلما صالح قريشاً بالحديبية ودافعتهم قريش بالرواح قلت في نفسي أى شئ بقي ؟ أين أذهب الى النجاشي ؟ فقد اتبع محمد وأصحابه عنده آمنون ، فأخرج الى هرقل فأخرج من ديني الى نصرانية أو يهودية ، فاقم في عجم ، فاقم في داري بمن بقي فانا في ذلك إذ دخل رسول الله (ص) مكة في عمرة القضية فتغيبت ولم أشهد دخوله ، وكان أخى الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي (ص) في عمرة القضية ، فطلبني فلم يجدني فكتب الى كتاباً فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ؛ فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك عقلك ! ومثل الاسلام جهله أحد ؟ وقد سألتني رسول الله (ص) عنك وقال أين خالد ؟ فقلت يأتى الله به ، فقال « مثله جهل الاسلام ؟ ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين كان خيرا له ، ولقد مناه على غيره » فاستدرك يا أخى ما قد فاتك [من] مواطن صالحة . قال فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الاسلام وسررت سؤال رسول الله (ص) ، عني ، وأرى في النوم كأني في بلاد ضيقة مجربة فخرجت في بلاد خضراء واسعة فقلت إن هذه لرؤيا ، فلما أن قدمت المدينة قلت لأزكرها لابني بكر ، فقال مخرجك الذي هداك الله للاسلام . والضيق الذي كنت فيه من الشرك ، قال فلما أجمعت الخروج الى رسول الله (ص) قلت من أصحاب الى رسول الله (ص) ؟ فقلت صفوان بن أمية فقلت يا أبا وهب أما ترى ما نحن فيه إنما نحن كاضراس وقد ظهر محمد على العرب والعجم ، فلو قدمنا على محمد واتبعناه فان شرف محمد لنا شرف ؟ فأبى أشد الالباء فقال : لو لم يبق غيري ما اتبعته أبدا . فافترقنا وقلت هذا رجل قتل أخوه وأبوه ببدر ، فقلت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية فقال لي مثل ما قال صفوان بن أمية ، قلت فأكتم على قال لا أذكره . فخرجت الى منزلي فأمرت براحلي فخرجت بها الى أن لقيت عثمان بن طلحة فقلت إن هذا لي صديق فلو ذكرت له ما أرجو ، ثم ذكرت من قتل من آبائه فكرهت أن أذكره ، ثم قلت وما على وأنا راحل من ساعتي فذكرت له ما صار الأمر اليه فقلت إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج ، وقلت له نحوا مما قلت لصاحبي فامرعه الاجابة ، وقلت له اني غدوت اليوم وأنا أريد ان اغدو وهذه راحلتي بفج مناخة ، قال فأتدت أنا وهو بأحجج إن سبقني أقام وإن سبقته أقمت عليه ، قال فادلجنا سحراً فلم يطلع الفجر حتى التفتينا بيأجج ، فغدونا حتى انتهينا الى الهدة فنجد عمرو بن العاص بها ، قال مرحباً بالقوم فقلنا وبك ، فقال إلى أين مسيركم ؟ قلنا وما أخرجك ؟ فقال وما أخرجكم ؟ قلنا الدخول في الاسلام واتباع محمد (ص) ، قال وذاك الذي أقدمني ، فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة فأنحنا بظهر الحرة

ركابنا فأخبر بنا رسول الله (س)، فسر بنا، فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت إلى رسول الله (س)، فقلتني أخى: فقال امبرع فان رسول الله (س) قد أخبر بك فسر بقدمك وهو ينتظركم، فأمرنا المشى فاطلمت عليه فما زال يتبسم إلى حتى وقفت عليه، فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق، فقلت إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، فقال « تعال » ثم قال رسول الله (س)، « الحمد لله الذى هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلك إلا إلى خير » قلت يارسول الله انى قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحق فادعوا الله أن يغفرها لى، فقال رسول الله (س)، « الاسلام يحجب ما كان قبله » قلت يارسول الله على ذلك، قال « اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيل الله » قال خالد: وتقدم عثمان وعمر و فبايعا رسول الله (س)، قال وكان قدومنا فى صفر سنة ثمان، قال والله ما كان رسول الله (س) يعدل بي أحداً من أصحابه فيما حزبه.

سرية شجاع بن وهب الأسدي الى هوازن

قال الواقدي: حدثني ابن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن عمر بن الحكم قال بعث رسول الله (س)، شجاع بن وهب فى أربعة وعشرين رجلا إلى جمع من هوازن وأمره أن يغفر عليهم، فخرج وكان يسير الليل ويكن النهار حتى جاءهم وهم غارتين، وقد أوعز إلى أصحابه أن لا تمنعوا فى الطلب، فاصابوا نعلماً كثيراً وشاء فاستاقوا ذلك حتى إذا قدموا إلى المدينة فكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً لكل رجل [وزعم غيره أنهم أصابوا سبياً أيضاً وأن الأمير اصطفى عنهم جارية وضيئة] ثم قدم أهلوم مسلمين فشاورة النبي (س)، أميرهم فى ردهن اليهم، فقال نعم فردوهن وخير التى عنده الجارية فاخترت المقام عنده، وقد تكون هذه السرية هى المذكورة فيما رواه الشافعى عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (س)، بعث سرية قبل نجد فكان فيهم عبد الله بن عمر، قال فاصبنا إبلا كثيراً فبلغت سهامنا اثنا عشر بعيراً وفلقنا رسول الله (س)، بعيراً بعيراً أخرجاه فى الصحاحين من حديث مالك، ورواه مسلم أيضاً من حديث الليث ومن حديث عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر بنحوه [وقال أبو داود حدثنا هناد حدثنا عبدة عن محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر] قال بعث رسول الله (س)، سرية إلى نجد فخرجت فيها فاصبنا نعلماً كثيراً ففلقنا أميرنا بعيراً بعيراً لكل إنسان، ثم قدمنا على رسول الله (س)، فقسم بيننا غنيمتنا فاصاب كل رجل منا اثنا عشر بعيراً بعد الخمس وما حاسبنا رسول الله (س)، بالذى أعطانا صاحبنا ولا عاب عليه ما صنع وكان لكل منا ثلاثة عشر بعيراً بنقله.

سرية كعب بن عمير الى بني قضاة

قال الواقدي : حدثنا محمد بن عبد الله الزهري قال بعث رسول الله (س) كعب بن عمير الفخاري في خمسة عشر رجلاً حتى انتهوا الى ذات اطلاق من الشام ، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً فدعوم الى الاسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل ، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله (س) قاتلهم أشد القتال حتى قتلوا ، فارتث منهم رجل جريح في القتلى ، فلما أن برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله (س) ، فهم بالبعثة اليهم فبلغه انهم ساروا الى موضع آخر .

غزوة مؤتة

وهي سرية زيد بن حارثة في نحو من ثلاثة آلاف الى ارض البلقاء من أرض الشام . قال محمد بن اسحاق بعد قصة عمرة القضية . فأقام رسول الله (س) بالمدينة بقية ذي الحجة ، - وولى تلك الحجة المشركون - والحرم وصفرأ وشهري ربيع وبعث في جمادى الاولى بعثه الى الشام الذين اصابوا بمؤتة . فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال بعث رسول الله (س) بعثه الى مؤتة في جمادى الاولى من سنة ثمان واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال « إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس » فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف .

وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان عن عمرو بن الحكم عن ابيه قال : جاء النعمان ابن فنحص اليهودي فوقف على رسول الله (س) مع الناس ، فقال رسول الله (س) « زيد بن حارثة أمير الناس ، فان قتل زيد فجعفر بن أبي طالب ، فان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة ، فان قتل عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلاً فليجملوه عليهم » . فقال النعمان : أبا القاسم إن كنت نبياً فلو سميت من سميت قليلاً أو كثيراً أصيبوا جميعاً ؛ ان الانبياء في بني اسرائيل كانوا اذا سموا الرجل على القوم فقالوا ان أصيب فلان فلان : فلو سموا مائة أصيبوا جميعاً ، ثم جمل يقول لزيد اعهد فانك لا ترجع أبداً إن كان محمد نبياً . فقال زيد : أشهد أنه نبي صادق بار . رواه البيهقي .

قال ابن اسحق : فلما حضر خروجهم ودع الناس امراء رسول الله (س) وسلموا عليهم ، فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع بكى ، فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباة بكم . ولكني سمعت رسول الله (س) يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار [وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً] فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود ؟ فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم وردكم البنا صالحين ، فقال عبد الله بن رواحة :

لَكُنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْعٍ تَقْنِفُ الزُّبْدَا
 أَوْ طَمَنَةً يَدِي حَرَانٍ مَجْهَرَةً بِحَرْبَةٍ تَقْنَعُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَيْدَا
 حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدِّي أَرْشَدَهُ اللَّهُ مِنْ غَارٍ وَقَدْ رَشَدَا
 قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ أَنَّ الْقَوْمَ تَهَيَّأُوا لِلْخُرُوجِ فَاتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ فَوَدَّعَهُ ثُمَّ قَالَ :

فَتَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ تَثْبِيتَ مَوْمَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا
 إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي نَابِتُ الْبَصَرِ
 أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحَرِّمُ نَوَافِلَهُ وَالْوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أَرَزَى بِهِ الْقَدْرُ
 قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ خَرَجَ الْقَوْمُ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ (س) ، يَشِيعُهُمْ حَتَّى إِذَا وَدَّعَهُمْ وَانْصَرَفَ ،
 قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ :

خَلَفَ السَّلَامُ عَلَى أَمْرِي وَدَّعْتُهُ فِي النَّخْلِ خَيْرٌ مُسَبِّحٌ وَخَلِيلٌ
 وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ ثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ عَنِ الْحَجَّاجِ عَنِ الْحَكَمِ عَنْ مَقْسَمٍ
 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (س) ، بَعَثَ إِلَى مَوْتَةَ فَاسْتَعْمَلَ زَيْدًا ، فَان قَتَلَ زَيْدٌ لَجُفْرًا فَان قَتَلَ
 جُفْرًا بِنَ رَوَاحَةَ ، فَتَخَلَّفَ ابْنُ رَوَاحَةَ لَجَمْعٍ مَعَ النَّبِيِّ (س) ، فَرَأَاهُ فَقَالَ « مَا خَلَفُكَ ؟ » فَقَالَ اجْمَعْ
 مَعَكَ « قَالَ لِقَدْوَةٍ أَوْ رُوْحَةٍ خَيْرٍ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » . وَقَالَ أَحْمَدُ ثَنَا أَبُو مَعَاوِيَةَ ثَنَا الْحَجَّاجُ
 عَنِ الْحَكَمِ عَنْ مَقْسَمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ (س) ، عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ فِي سِرِّيَّةٍ
 فَوَافَقَ ذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، قَالَ فَقَدَّمُ أَصْحَابُهُ وَقَالَ اتَّخَلَّفَ فَاصْلَى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (س) ، الْجُمُعَةَ ثُمَّ الْحَقُّهُمْ ،
 قَالَ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ (س) ، رَأَاهُ فَقَالَ « مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقْدُمَ مَعَ أَصْحَابِكَ ؟ » فَقَالَ أَرَدْتُ أَنْ أَصْلَى
 مَعَكَ الْجُمُعَةَ ثُمَّ الْحَقُّهُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (س) ، « لَوْ أَفْقَعْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أُدْرِكْتُ غَدَوْنَهُمْ » .
 وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَعَاوِيَةَ عَنِ الْحَجَّاجِ - وَهُوَ ابْنُ أَرْطَاةٍ - ثُمَّ عَلَيْهِ
 التِّرْمِذِيُّ بِمَا حَكَاهُ عَنْ شُعْبَةَ أَنَّهُ قَالَ لَمْ يَسْمَعْ الْحَكَمُ عَنْ مَقْسَمٍ إِلَّا خَمْسَةَ أَحَادِيثَ وَلَيْسَ هَذَا مِنْهَا .
 قُلْتُ وَالْحَجَّاجُ بْنُ أَرْطَاةٍ فِي رَوَايَتِهِ نَظَرَ وَاللَّهُ اعْلَمَ ، وَالْمَقْصُودُ مِنْ إِرَادَةِ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ يَقْتَضِي
 أَنَّ خُرُوجَ الْأَمْوَاءِ إِلَى مَوْتَةَ كَانَ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ وَاللَّهُ اعْلَمَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ مَضَوْا حَتَّى نَزَلُوا مَعَانًا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ فَبَلَغَ النَّاسُ أَنَّ هِرَقْلَ قَدْ نَزَلَ بِمَا ب
 مِنْ أَرْضِ الْبِلْقَاءِ فِي مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِ مِنْ نَحْلٍ وَجَذَلٍ وَالْقَيْنِ وَبِهَرَاءٍ وَبَلَى مِائَةِ أَلْفٍ مِنْهُمْ
 عَلَيْهِمْ رِجْلٌ مِنْ بَلَى ، ثُمَّ لِحْمًا رَاشَةً يُقَالُ لَهُ مَالِكُ بْنُ رَافِلَةَ ، وَفِي رَوَايَةِ يُونُسَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ فَبَلَغَهُمْ
 أَنَّ هِرَقْلَ نَزَلَ بِمَا بَ فِي مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ وَمِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمُسْتَعْرَبَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ أَقَامُوا

على معان ليلتين ينظرون في أمرهم ، وقالوا نكتب الى رسول الله (ص) نخبه بعدد عدونا ، فاما
أن يمدنا بالرجال ، وإما ان يأمرنا بأمره فنمضي له ، قال فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال : يا قوم
والله إن التي تكروهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما قاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ،
ما تقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هي إحدى الحسينين ، إما ظهور وإما
شهادة ، قال فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة ، فمضى الناس فقال عبد الله بن رواحة في
محبسهم ذلك :

جلبنا الخيل من أجأ وفرع	نمر من الحشيش الى المعكم
حدوناها من الصوان سبتا	أزل كانت صفحته أديم
أقامت ليلتين على معان	فأعقب بعد قترتها جوم
فرحنا والجياذ مسومات	تنفس في مناخرها موم
فلا وأبي مآب لناقينها	وإن كانت بها عرب وروم
فنبأنا أعتنها فقامت	عوايس والغباء لها يريم
بذي لحب كان البيض فيه	إذا برزت قوائسها النجوم
فراضية الميشة طلقها	استقنا (١) فتسكح أوثيم

قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم قال : كنت يقبا
لمبداه بن رواحة في حجره ، فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله فوالله انه ليسير ليلشفي
محمته وهو يفسد أبياته هذه :

إذا أدنيتني وحلت رجلي	مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك أنعم وخلاك ذم	ولا أرجع الى أهلي وراني
وجاء المسلمون وغادروني	بأرض الشام مستنهي (٢) النواء
وردك كل ذي نسب قريب	الى الرحمن منقطع الأخاء
هنالك لا أبالي طلع بطل	ولا نخل أسافلها زواء

قال فلما سمعتهن منه بكيت ، فغفني بالردة وقال : ما عليك بالك أن يرزقني الله الشهادة
وترجع بين شعبتي الرجل ؟ ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرفج :
يازيد زيد الأعمال القبل تطاول الليل هديت قاتل

(١) في ابن هشام : أسفها . (٢) قال السبيل : مستنهي النواء مستفعل من التهاية والانتهاه
أي حيث انتهى منواء ، ومن رواه مشتهى للنواء (كما في الاصل) أي لا أريد رجوعا .

قال ابن اسحاق : ثم مضى الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها فتعجب لهم المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بني عنزة يقال له قطبة بن قتادة وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عباية بن مالك . وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان عن المقبري عن أبي هريرة قال : شهدت مؤتة فلما دنا منا المشركون رأينا مالا قبل لاحد به من العدة والسلاح والكرع والديباج والحرير والذهب ، فبرق بصري ، فقال لي ثابت بن أرقم : يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرة ؟ قلت نعم ! قال إنك لم تشهد بداراً معنا ، إنا لم ننصر بالكثرة رواء البيهقي . قال ابن اسحاق ثم التقى الناس فقتلوا فقاتل زيد بن حارثة براءة رسول الله (ص) حتى شاط في رماح القوم ، ثم أخذها جعفر فقاتل القوم حتى قتل ، فكان جعفر أول المسلمين عقر في الاسلام . وقال ابن اسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد حدثني أبي الذي أَرْضَعْنِي وكان أحد بني مرة بن عوف وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال : والله لكانني أنظر الى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول :

يَا حَبْدَا الْجَنَّةَ وَأَقْرَابَهَا طَيِّبَةً وَبَارِدًا شَرَابَهَا

وَالرُّومُ رَوْمٌ قَدْ دَنَا عَذَابَهَا كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابَهَا عَلَىٰ إِنْ لَا قِيَّتَهَا ضِرَابَهَا

وهذا الحديث قد رواه أبو داود من حديث أبي اسحاق ولم يذكر الشعر ، وقد استدل من جواز قتل الحيوان خشية أن ينفع به العدو كما يقول أبو حنيفة في الأغنام اذا لم تتبع في السير ويخشى من لحوق العدو وانتفاعهم بها أنها تذبح وتحرق ليحال بينهم وبين ذلك والله أعلم . قال السهيلي ولم ينكر أحد على جعفر ، فدل على جوازه إلا اذا أمن أخذ العدو له ولا يدخل ذلك في النهي عن قتل الحيوان عبثا . قال ابن هشام : وحدثني من أثق به من أهل العلم أن جعفر أخذ اللواء يمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء ، ويقال : إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه بنصفين . قال ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال حدثني أبي الذي أَرْضَعْنِي وكان أحد بني مرة بن عوف قال : فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ويقول :

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّ لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتُكْرَهَنَّ

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدَّوْا الرِّثَّةَ مَالِي أَرَاكَ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ

قد طال ما قد كنت مطمئنة هل أنتِ إلا نطفة في شئ

وقال أيضاً :

يا نفسُ إن لا تُقتلي نموتي هذا حمام الموتِ قد صليتِ

وما تمنيتِ قد أعطيتِ إن تفعلي فعلهما هُديتِ

يريد صاحبيه زيداً وجعفرأ ، ثم نزل فلما نزل اتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك فانك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده فانهس منه نهسة . ثم معج الحطمة في ناحية الناس فقال وافت في الدنيا ثم ؟ القاه من يده ثم أخذ سيفه ثم تقدم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه . قال ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم اخو بني العجلان . فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا أنت قال ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى ^(١) بهم ثم انحازوا ونحيز عنه حتى انصرف بالناس . قال ابن اسحق : ولما أصيب القوم قال رسول الله (س) - فيما بلغني - أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر مائتاً بها حتى قتل شهيداً ، قال ثم صمت رسول الله (س) حتى تغيرت وجوه الانصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم قال لقد رفعوا الى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله ابن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه ، فقلت عم هذا ؟ فقيل لي مضيا وتردد عبد الله بن رواحة بعض التردد ثم مضى . هكذا ذكر ابن اسحق هذا منقطعاً ، وقد قال البخاري ثنا أحمد بن واقد ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن حميد بن هلال عن انس بن مالك ان رسول الله (س) نعى زيداً وجعفرأ وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبر ، فقال أخذ الراية زيد فاصيب ، ثم أخذها جعفر فاصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فاصيب ، وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم . تفرد به البخاري ورواه في موضع آخر وقال فيه وهو على المنبر : وما يسرهم أنهم عندنا . وقال البخاري ثنا أحمد بن أبي بكير ثنا مغيرة بن عبد الرحمن الخزومي وليس بالحرامي عن عبد الله بن سعيد عن نافع عن عبد الله بن عمر . قال أمر رسول الله (س) في غزوة مؤتة زيد ابن حارثة ، فقال رسول الله (س) ان قتل زيد فجعفر ، وان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة ، قال عبد الله كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى ووجدنا في جسده بضاً وتسعين من ضربة ورمية تفرد به البخاري أيضاً . وقال البخاري أيضاً حدثنا أحمد ثنا ابن

(١) في السهيلي : المحاشاة المحاجزة وهي مفاعلة من الخشية لانه خشى على المسلمين لقلة عددهم .

ثم قال : ومن رواه حاشى بالحاء المهملة فهو من الحشى وهي الناحية . وقيل حاشى بهم انحاز بهم .

وهب عن ابن عمرو عن أبي هلال - هو سعيد بن أبي هلال الليثي - قالاً : وأخبرني نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر بن أبي طالب يومئذ وهو قاتل فعددت به خمسين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره ، وهذا أيضاً من أفراد البخاري . ووجه الجميع بين هذه الرواية والتي قبلها أن ابن عمر اطلع على هذا العدد ، وغيره اطلع على أكثر من ذلك ، وأن هذه في قبله أصيبت قبل أن يقتل ، فلما صرع إلى الأرض ضربه أيضاً ضربات في ظهره ، فقد ابن عمر ما كان في قبله وهو في وجه الأعداء قبل أن يقتل رضي الله عنه . وما يشهد لما ذكره ابن هشام من قطع يمينه وهي ممسكة اللواء ثم شماله ما رواه البخاري ثنا محمد بن أبي بكر ثنا عمر بن علي عن اسمعيل بن أبي خلاد عن عامر قال كان ابن عمر إذا حيا ابن جعفر قال السلام عليك يا ابن ذي الجناحين . ورواه أيضاً في المناقب والفسافي من حديث يزيد بن هرون عن اسمعيل بن أبي خالد ، وقال البخاري ثنا أبو نعيم ثنا سفیان بن اسمعيل عن قيس بن أبي حازم قال سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي إلا صفحة يمانية . ثم رواه عن محمد بن المنثري عن يحيى بن اسمعيل حدثني قيس سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وصبرت في يدي صفحة يمانية انفرد به البخاري . قال الحافظ أبو بكر البیهقي ثنا أبو نصر بن قتادة ثنا أبو عمرو مطر ثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي ثنا سليمان بن حرب ثنا الأسود بن شيبان عن خالد بن سمير قال : قدم علينا عبدالله بن رباح الأنصاري وكانت الأنصار تقفه ، فغشيه الناس فغشيته فيمن غشيه فقال أبو قتادة فارس رسول الله (س) ، قال بعث رسول الله (س) جيش الأمراء وقال عليكم زيد بن حارثة ، وقال إن أصيب زيد فجعفر ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ، قال فوثب جعفر وقال يا رسول الله ما كنت أرحب أن تستعمل زيدا عليّ قال امض فانك لا تدري أي ذلك خير ، فانطلقوا فلبشوا ما شاء الله فضعف رسول الله (س) ، المنبر فامر فنودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس على رسول الله (س) ، فقال أخبركم عن جيشكم هذا ، انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيداً فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء جعفر فشده على القوم حتى قتل شهيداً شهده له بالشهادة واستغفر له ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فثبت قدميه حتى قتل شهيداً فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء هو أمر نفسه ثم قال رسول الله (س) : « اللهم انه سيف من سيوفك أنت تنصره » فمن يومئذ سمى خالد سيف الله . ورواه النسائي من حديث عبدالله بن المبارك عن الأسود بن شيبان به نحوه ، وفيه زيادة حسنة وهو انه عليه الصلاة والسلام لما اجتمع اليه الناس قال بلب خير باب خير وذكر الحديث . وقال الواقدي حدثني عبد الجبار بن عمارة بن غزيرة عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم . قال : لما التقى الناس بمؤتة جلس رسول الله (س) على المنبر وكشف الله له ما بينه وبين الشام فهو ينظر

الى معتركهم ، فقال أخذ الراية زيد بن حارثة فجاء الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ، وحبب اليه الدنيا فقال الآن استحكم الايمان في قلوب المؤمنين تحبب الي الدنيا ، قضى قنما حتى استشهد فصلى عليه رسول الله (س) ، وقال استغفروا له فقد دخل الجنة وهو شهيد . قال الواقدي وحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله (س) ، قال لما قتل زيد أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فجاءه الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ومنه الدنيا فقال الآن حين استحكم الايمان في قلوب المؤمنين يميني الدنيا ، ثم مضى قنما حتى استشهد فصلى عليه رسول الله (س) ، وقال استغفروا لاختيكم فانه شهيد دخل الجنة وهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث يشاء في الجنة ، قال ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد ثم دخل الجنة معترضا فشق ذلك على الأنصار فقبل يا رسول الله ما أعترضه ؟ قال لما أصابته الجراح نكل فعاتب نفسه فتشجع واستشهد ودخل الجنة فسرى عن قومه . قال الواقدي وحدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه قال : لما أخذ خالد بن الوليد الراية قال رسول الله (س) ، الآن حي الوطيس . قال الواقدي فحدثني المطاف بن خالد قال لما قتل ابن رواحة مساء بات خالد بن الوليد فلما أصبح غدا وقد جعل مقعته ساقته وساقته مقدمته وميمينته ميسرته ، قال فانكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم وقالوا قد جاءهم مدد ، فرعبوا وانكشفوا منهزمين ، قال فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم . وهذا يوافق ما ذكره موسى بن عقبة رحمه الله في مغازيه فانه قال بعد عمرة الحديبية ثم صدر رسول الله (س) الى المدينة فكثبها ستة أشهر ثم إنه بعث جيشا الى مؤتة وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال إن أصيب جعفر بن أبي طالب أميرهم ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة أميرهم ، فانطلقوا حتى اذا لقوا ابن أبي سبرة الغساني بمؤتة وبها جموع من نصارى العرب والروم بها تنوخ وبهراء فاغلق ابن أبي سبرة دون المسلمين الحصن ثلاثة أيام ، ثم التقوا على زرع أحمر فاقتتلوا قتالا شديدا ، فاخذ اللواء زيد بن حارثة فقتل ، ثم اخذه جعفر فقتل ، ثم أخذه عبد الله بن رواحة فقتل ثم اصطالح المسلمون بعد اصراء رسول الله (س) ، على خالد بن الوليد المخزومي فهزم الله العدو وظهر المسلمين قال وبعثهم رسول الله (س) ، في جمادى الاولى - يعني سنة ثمان - قال موسى بن عقبة : وزعموا ان رسول الله (س) ، قال مر علي جعفر في الملائكة يطير كما يطيرون وله جناحان . قال وزعموا - والله أعلم - أن يعلى بن أمية قدم على رسول الله (س) ، فخير أهل مؤتة فقال له رسول الله (س) ، ان شئت فاخبرني وان شئت أخبرك ، قال أخبرني يا رسول الله قال فاخبرهم رسول الله (س) ، خبرهم كله ووصفه لهم ، فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرقا لم تذكره ، وإن أمرهم لكما ذكرت . فقال رسول الله (س) ، « ان الله رفع لي الارض حتى رأيت معتركهم » فهذا السياق فيه فوائد كثيرة ليست عند ابن اسحاق وفيه مخالفة لما ذكره ابن اسحاق من أن خالد اتما

حاش بالقوم حتى تخلصوا من الروم وعرب النصارى فقط . وموسى بن عقبة والواقدي مصرحان بانهم هزموه جموع الروم والعرب الذين معهم وهو ظاهر الحديث المتقدم عن أنس مرفوعاً ، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه . ورواه البخاري وهذا هو الذي رحبه ومال اليه الحافظ البيهقي بعد حكاية القولين لما ذكر من الحديث .

قلت : ويمكن الجمع بين قول ابن اسحاق وبين قول الباقرين وهو أن خالد لما أخذ الراية حاش بالقوم المسلمين حتى خلصهم من أيدي الكافرين من الروم والمستعربة ، فلما أصبح وحول الجيش ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة كما ذكره الواقدي توهم الروم أن ذلك عن مدد جاء الى المسلمين ، فلما حمل عليهم خالد هزمهم بأذن الله والله أعلم . وقد قال ابن اسحاق حدثني محمد بن جعفر عن عروة قال لما أقبل أصحاب مؤتة تلقاهم رسول الله (ص) ، والمسلمون معه [قال ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله (ص) مقبل مع القوم على دابة فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم واعطوني ابن جعفر فأتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه] فجعلوا يحنون عليهم بالتراب ويقولون يا فرار فررت في سبيل الله ، فقال رسول الله (ص) : « ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله عز وجل » وهذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة ، وعندى أن ابن اسحاق قد وهم في هذا السياق فظن أن هذا الجمهور الجيش ، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان ، وأما بقيتهم فلم يفروا بل نصروا كما أخبر بذلك رسول الله (ص) للمسلمين وهو على المنبر في قوله ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه ، فما كان المسلمون ليسمونهم فراراً بعد ذلك وإنما تلقوهم إكراماً واعظاماً ، وإنما كان التأنيب وحتى التراب للذين فروا وتركوهم هنالك ، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . قال الامام احمد حدثنا حسن ثنا زهير ثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر قال : كنت في سرية من سرايا رسول الله (ص) . فخاص الناس حيصة وكنت فيمن خاص ، قتلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالفضب ؟ ثم قلنا لو دخلنا المدينة قتلنا ، ثم قلنا لو عرضنا انفسنا على رسول الله (ص) ، فان كانت لنا توبة والا ذهبنا ، فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال من القوم ؟ قال قلنا نحن فرارون ، فقال لا بل انتم الكرارون انا فقتلكم وانا فئة المسلمين ، قال فأتيناه حتى قبلنا يده . ثم رواه غندر عن شعبة عن يزيد بن أبي زياد عن ابن أبي ليلى عن ابن عمر قال : كنا في سرية ففررنا فاردنا أن نركب البحر ، فأتينا رسول الله (ص) ، قتلنا يا رسول الله نحن الفرارون ، فقال لا بل انتم العكارون . رواه الترمذي وابن ماجه من حديث يزيد بن أبي زياد وقال الترمذي حسن لا نعرفه الا من حديثه . وقال احمد حدثنا اسحاق بن عيسى وأسود بن عامر قالا : حدثنا شريك عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ابن عمر قال : بعثنا رسول

الله (س) في سرية ، فلما لقينا العدو انهزمنا في أول غلادية ، فقدمنا المدينة في نهر ليلا فاختفيينا ثم قلنا لو خرجنا الى رسول الله (س) واعتذرنا اليه ، فخرجنا اليه ثم التقينا قلنا نحن الفرارون : رسول الله قال « بل أنتم المكارون وانا فقتكم » قال الاسود « وانا فئة كل مسلم » وقال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن عامر بن عبد الله بن الزبير أن أم سلمة زوج النبي (س) قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة : مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله (س) ومع المسلمين ؟ قالت ما يستطيع أن يخرج كلما خرج صاح به الناس يفرار فررتهم في سبيل الله ، حتى قعد في بيته ما يخرج وكان في غزاة مؤتة .

قلت : لعل طائفة منهم فروا لما عاينوا كثرة جموع العدو على ما ذكره مائتي الف ، ومثل هذا يسوغ الفرار على ما قد تقرر ، فلما فر هؤلاء ثبت باقيهم وفتح الله عليهم وتخلصوا من أيدي اولئك وقتلوا منهم مقتلة عظيمة كما ذكره الواقدي وموسى بن عقبة من قبله ، ويؤيد ذلك ويشأ كله بالصحة ما رواه الامام احمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثني صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير عن أبيه عن عوف بن مالك الاشجعي قال : خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين في غزوة مؤتة ، ومدوى من الان ليس معه غير سيفه فنحز رجل من المسلمين جزورا فسأله المدوى طابقة من جلده فاعطاه اياه فأتخذه كهيئة الدرقه ، ومضينا فلقينا جموع الروم وفيهم رجل على فرس له اشقر عليه سرج مذهب وسلاح مذهب ، فجعل الرومي يفرزى بالمسلمين ، وقعد له المدوى خلف صخرة فمر به الرومي فمرقه نحر وعلاه فقتله ، وحاز فرسه وسلاحه ، فلما فتح الله للمسلمين بعث اليه خالد بن الوليد يأخذ من السلب ، قال عوف فاتيته فقلت ياخالد اما علمت ان رسول الله (س) قضى بالسلب للقاتل ؟ قال بلى ولكني استكثر به ، فقلت به ؟ فقلت لتردنه اليه اولا عرفنكها عند رسول الله (س) ، فابي أن يرد عليه . قال عوف فاجتمعنا عند رسول الله (س) فقصصت عليه قصة المدوى وما فعل خالد فقال رسول الله (س) « ياخالد رد عليه ما أخذت منه » قال عوف فقلت دونك ياخالد ألم أف لك ؟ فقال رسول الله (س) ، وما ذاك فاخبرته فغضب رسول الله (س) وقال « ياخالد لا ترد عليه هل أنتم تاركوا أمرائي لكم صفوة أمرهم وعليهم كدره » قال الوليد سألت ثورا عن هذا الحديث فحدثني عن خالد بن معدان عن جبير بن نفيير عن عوف بنحوه . ورواه مسلم وأبو داود من حديث جبير بن نفيير عن عوف بن مالك به نحوه وهذا يقتضي انهم غنموا منهم وسلبوا من أشرافهم وقتلوا من أمرائهم ، وقد تقدم فيما رواه البخاري أن خلادا رضى الله عنه قال اندقت في يدي يوم مؤتة تسمة أسياف وما ثبت في يدي الا صفحة يمانية ، وهذا يقتضي انهم اتخنوا فيهم قتلا ولو لم يكن كذلك لما قد روا على التخلص منهم ، وهذا وحده دليل مستقل والله أعلم . وهذا هو

اختيار موسى بن عقبة والواقدي والبيهقي وحكام ابن هشام عن الزهري . قال البيهقي رحمه الله :
اختلف أهل المغازي في فرارهم وانحيازهم ، فمنهم من ذهب الى ذلك ومنهم من زعم أن المسلمين ظهر
على المشركين وأن المشركين انهزموا . قال وحديث أنس بن مالك عن النبي (ص) « ثم أخذها خاله
ففتح الله عليه » يدل على ظهورهم عليهم والله أعلم .

قلت : وقد ذكر ابن اسحاق أن قطبة بن قنادة العذري - وكان رأس ميمنة المسلمين - حمل على
مالك بن زافة ويقال رافة . وهو أمير أعراب النصارى فقتله وقال يفخر بذلك :

طعنْتُ ابنَ رافةَ بنَ الاراشِ برمحٍ مضى فيه ثم انحطم
ضربتُ على جِديهِ ضربةً قال كما مال غُصنُ السَّلمِ
وسُقنا نساءَ بني عمِّه غداةَ رقوقين سَوَّوْا النِّعمَ

وهذا يؤيد ما نحن فيه لأن من عادة أمير الجيش اذا قتل أن يفر أصحابه ، ثم إنه صرح في
شعره بأنهم سبوا من نساءهم وهذا واضح فيما ذكرناه والله اعلم . واما ابن اسحاق فانه ذهب الى أنه
لم يكن الا الخاشاة والتخلص من أيدي الروم وصحى هذا نصراً وفتحاً أى باعتبار ما كانوا فيه من
إحاطة العدو بهم وتراكمهم وتكاثرهم وتكاثفهم عليهم ، فكان مقتضى العادات أن يصطلحوا بالكلية ،
فلما تخلصوا منهم وانحازوا عنهم كان هذا غاية المرام في هذا المقام وهذا متحمل لكنه خلاف الظاهر
من قوله عليه الصلاة والسلام « ففتح الله عليهم » والمقصود أن ابن اسحاق يستدل على ما ذهب اليه
بقوله : وقد قال فيما كان أمر الناس وأمر خالد بن الوليد ومحاشاته بالناس وانصرافه بهم قيس بن
الحسر البعري يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس يقول :

فوالله لا تَنفَكُ نفسي تلومني على موقفي والغليلُ قابعةٌ قبل
وقفتُ بها لا مستجيزاً فَنافِداً ولا مانعاً من كان حُماً له القتل
على أنني آسيتُ نفسي بخالدٍ ألا خالدٌ في التَّوَمِ ليس له مثل
وجاشتُ الى النفس من نحو جعفرٍ بمؤتةٍ إذ لا ينفعُ التَّأبُّلُ التَّبلُ
وضمَّ إلينا حِجْزَهم كليهما مهاجرةً لا مشركون ولا عُذْلُ

قال ابن اسحاق : فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره أن القوم جاحزوا وكرهوا
الموت ، وحق انحياز خالد بن معه . قال ابن هشام : واما الزهري فقال - فيما بلغنا عنه - أمر المسلمون
عليهم خالد بن الوليد ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى رجع الى المدينة .

قَضَى اللَّهُ

قال ابن اسحاق : حدثني عبدالله بن أبي بكر عن أم عيسى الخزاعية عن أم جعفر بنت محمد بن

جعفر بن أبي طالب عن جدتها اسماء بنت عيسى قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل علي رسول الله (س)، وقد دبغت أربعين مناء وعجنت عجيني وغسلت بني ودهنتهم ونظفهم ، فقال رسول الله (س) : « إئتني ببني جعفر » فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه ، فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال « نعم أصيبوا هذا اليوم » قالت فممت أصيح واجتمع إلى النساء وخرج رسول الله (س) إلى أهله فقال « لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم » . وهكذا رواه الامام أحمد من حديث ابن اسحاق ورواه ابن اسحاق من طريق عبد الله بن أبي بكر عن أم عيسى عن أم عون بنت محمد بن جعفر عن أسماء فذكر الأمر بعمل الطعام ، والصواب أنها أم جعفر وأم عون . وقال الامام أحمد حدثنا سفيان ثنا جعفر بن خالد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال : لما جاء نبي جعفر حين قتل قال النبي (س) : « اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أقام أمر يشغلهم . أو أنام ما يشغلهم » وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد بن سارة الخزومي المكي عن أبيه عن عبد الله بن جعفر وقال الترمذي حسن . ثم قال محمد بن اسحاق حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة زوج النبي (س) قالت : لما أتني نبي جعفر عرفنا في وجه رسول الله (س) الحزن . قالت فدخل عليه رجل فقال يا رسول الله [إن النساء] عييننا وفننا ، قال « أرجع اليهن فاسكنهن » قالت فذهب ثم رجع فقال له مثل ذلك ، قالت [يقول] وربما ضر التكلف - يعني أهله - [قالت قال فاذهب] فاسكنهن فان أبين فاحشوا في أفواههن التراب » قالت [وقلت] في نفسي أبعدك الله فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله (س) ، قالت وعرفت أنه لا يقدر يحثي في أفواههن التراب . إنفرد به ابن اسحاق من هذا الوجه وليس في شيء من الكتب وقال البخاري ثنا قتيبة ثنا عبد الوهاب سمعت يحيى بن سعيد قال أخبرني عمرة قالت سمعت عائشة تقول : لما قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة جلس رسول الله (س) . يعرف في وجهه الحزن ، قالت عائشة وأنا اطلع من صابر الباب - شق - فأنه رجل فقال : أي رسول الله إن نساء جعفر وذكر بكاهن ، فامرته أن ينهأهن قالت فذهب الرجل ثم أتني فقال والله لقد غلبتنا ، فزعمت أن رسول الله (س) قال « فاحش في أفواههن من التراب » قالت عائشة رضى الله عنها فقلت أرغم الله أنفك ، فوالله ما أنت تفعل ذلك وما تركت رسول الله (س) من العناء . وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن يحيى بن سعيد الانصاري عن عمرة عنها . وقال الامام أحمد حدثنا وهب بن جرير ثنا أبي سمعت محمد بن أبي يعقوب يحدث عن الحسن بن سعيد عن عبد الله بن جعفر قال : بعث رسول الله (س) جيشاً استعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال « إن قتل زيد أو استشهد فأمركم جعفر ، فان قتل أو استشهد

فأميركم عبد الله بن رواحة « فلقوا العدو فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه وأتى خبرهم النبي (س) ، فخرج إلى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : « إن إخوانكم لقوا العدو ، وإن زيدا أخذ الراية فقاتل حتى قتل أو استشهد ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه » قال ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتهم ، ثم أتاهم فقال « لا تبكوا على أخي بعد اليوم ، أدعوا إلى بني أخي » قال فجئ بنا كأننا أفرخ ، فقال « ادعوا إلى الخلاق » فجئ بالخلاق فخلق رؤسنا ، ثم قال « أما محمد فشبيهه عنما أبي طالب ، وأما عبد الله فشبيهه خلقي وخلق » ثم أخذ بيدي فأشأها وقال « اللهم اخلف جعفراً في أهله ، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه » قالها ثلاث مرات . قال فجاءت أمنا فذكرت له يتمنا وجعلت تفرح ^(١) له فقال « العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة ؟ » ورواه أبو داود ببعضه ، والنسائي في السير بتمامه من حديث وهب بن جرير به ، وهذا يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام أرخص لهم في البكاء ثلاثة أيام ثم نهى عنهم بعدها . ولله معنى الحديث الذي رواه الإمام أحمد من حديث الحكم بن عبد الله بن شداد عن أسماء أن رسول الله (س) قال لها لما أصيب جعفر « تسلي ثلاثاً ثم اصنع ما شئت » نفرد به أحمد فيحتمل أنه أذن لها في التسلب وهو المبالغة في البكاء وشق الثياب ، ويكون هذا من باب التخصيص لها بهذا لشدة حزنها على جعفر أبي أولادها وقد يحتمل أن يكون أمراً لها بالتسلب وهو المبالغة في الاحداد ثلاثة أيام . ثم تصنع بعد ذلك ما شئت مما يفعله المعتدات على أزواجهن من الاحداد المعتاد والله أعلم . و يروى تسلي ثلاثاً - أي تصبري ثلاثاً - وهذا بخلاف الرواية الأخرى والله أعلم . فاما الحديث الذي قال الإمام أحمد حدثنا يزيد ثنا محمد بن طلحة ثنا الحكم بن عيينة عن عبد الله بن شداد عن أسماء بنت عيسى قالت دخل رسول الله (س) اليوم الثالث من قتل جعفر فقال لا تحمدى بعد يومك هذا . فانه من أفراد أحمد أيضاً وإسناده لا بأس به ولكنه مشكل إن حمل على ظاهره لانه قد ثبت في الصحيحين أن رسول الله (س) قال « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحمد على ميتها أكثر من ثلاثة أيام الأعلى زوج أربعة أشهر وعشراً » فان كان ما رواه الإمام أحمد محفوظاً فتكون مخصوصة بذلك أو هو أمر بالمبالغة في الاحداد هذه الثلاثة أيام كما تقدم والله أعلم .

(١) في النهاية تفسيراً لهذا الخبر : فهو من أفرحه إذا غمه وإزال عنه الفرح (ثم قال) وإن كان بالجيم فهو من المفرج الذي لا عشيرة له حتى قال لها النبي (س) : تخافين العيلة وأنا وليهم .

قلت : ورثت أسماء بنت عميس زوجها بقصيدة تقول فيها :

فَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكُ نَفْسِي حَزِينَةٌ عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جُلْدِي أَغْبَرًا
فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَقِي أَكْرَ وَأَحْمَى فِي الْهِيَاجِ وَأَضْرًا

ثم لم تنسب أن انقضت عدتها فخطبها أبو بكر الصديق رضي الله عنه فزوجها فأولم وجاء الناس للولبة فكان فيهم علي بن أبي طالب ، فلما ذهب الناس استأذن علي أبا بكر رضي الله عنهما في أن يكلم أسماء من وراء الستر فأذن له ، فلما اقترب من الستر نفحه ريح طيبها فقال لها علي : — علي وجه البسط — من القائلة في شعرها :

فَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكُ نَفْسِي حَزِينَةٌ عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جُلْدِي أَغْبَرًا ؟

قالت دعنا منك يا أبا الحسن فانك امرؤ فيك دعاة . فولدت للصديق محمد بن أبي بكر ، ولدته بالشجرة بين مكة والمدينة ورسول الله (س) ، ذاهب الى حجة الوداع ، فأمرها أن تغتسل ونهل وسيأتي في موضعه ، ثم لما توفي الصديق تزوجها بعده علي بن أبي طالب وولدت له أولاداً رضي الله عنه وعنهما وعنهم أجمعين .

قصة أم كلثوم

قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال : فلما دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله (س) ، والمسلمون ، قال ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله (س) ، مقبل مع القوم على دابة ، فقال « خذوا الصبيان فاحملوهم واعطوني ابن جعفر » فأتى بعبد الله بن جعفر فحمله بين يديه ، قال وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون يا فرار فررتم في سبيل الله ! قال فيقول رسول الله (س) ، « ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله » وهذا مرسل . وقد قال الامام أحمد ثنا أبو معاوية ثنا عاصم عن مروق المعجلي عن عبد الله بن جعفر قال كان رسول الله (س) ، اذا قدم من سفر تلقى الصبيان من أهل بيته ، وأنه قدم من سفر فسبق في اليه ، قال فحملني بين يديه ثم قال « جئ باحد بنى فاطمة » إما حسن وإما حسين ، فأردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة . وقد رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عاصم الاحول عن مروق به . وقال الامام أحمد ثنا روح حدثنا ابن جريج ثنا خالد بن سارة أن أبا عبد الله أخبره أن عبد الله بن جعفر قال : لو رأيته وقما وعبيد الله ابني العباس ونحن صبيان نلعب اذ مر النبي (س) ، على دابة فقال « ارفعوا هذا الى » فحملني أمانه وقال لقم « ارفعوا هذا الى » فجعله وراءه ، وكان عبيد الله أحب الى عباس من قثم فما استحي من عمه أن حمل قتما وتركه قال ، ثم مسح على رأسه ثلاثا وقال كلما مسح « اللهم اخلف جعفراً في ولده » قال

قلت لعبد الله ما فعل قم؟ قال استشهد؟ قال قلت لله ورسوله أعلم بالخير؟ قال أجل. ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جريج به. وهذا كان بعد الفتح فان العباس إنما قدم المدينة بعد الفتح فاما الحديث رواه الامام أحمد ثنا اسماعيل ثنا حبيب بن الشهيد عن عبد الله بن أبي مليكة قال قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير: أتذكر اذ تلقينا رسول الله (س) أنا وأنت وابن عباس؟ قال نعم فحملنا وتركك. وبهذا اللفظ أخرجه البخاري ومسلم من حديث حبيب بن الشهيد وهذا يعد من الاجوبة المسكتة، ويروى أن عبد الله بن عباس أجاب به ابن الزبير أيضاً، وهذه القصة قصة أخرى كانت بعد الفتح كما قدمنا بيانها والله أعلم.

فصل في فضل هؤلاء الامراء الثلاثة زيد وجعفر وعبد الله رضي الله عنهم

اما زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة الكلبي القضاعي مولى رسول الله (س)، وذلك أن أمه ذهبت تزور أهلها فاغارت عليهم خيل فأخذوه فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد، وقيل اشتراه رسول الله (س)، لها فوهبته من رسول الله (س)، قبل النبوة فوجده أبوه فاختار المقام عند رسول الله (س)، فاعتقه وتبناه، فكان يقال له زيد بن محمد، وكان رسول الله (س)، يحبه حباً شديداً، وكان أول من أسلم من الموالى، ونزل فيه آيات من القرآن منها قوله تعالى [وما جعل أدياءكم أبناءكم] وقوله تعالى [ادعواهم لأبائهم هو أقسط عند الله] وقوله تعالى [ما كان محمد أباً أحد من رجالكم] وقوله [وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها] الآية أجمعوا أن هذه الآيات أنزلت فيه، ومعنى أنعم الله عليه أى بالاسلام، وأنعمت عليه أى بالعتق، وقد تكلمنا عليها في التفسير. والمقصود أن الله تعالى لم يسم أحداً من الصحابة في القرآن غيره، وهداه الى الاسلام وأعتقه رسول الله (س)، وزوجه مولاه أم أيمن واسمها بركة فولدت له أسامة بن زيد، فكان يقال له الحب بن الحب، ثم زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش وأخى بينه وبين عمه حمزة بن عبد المطلب وقدمه في الامرة على ابن عمه جعفر بن أبي طالب يوم مؤتة كما ذكرناه. وقد قال الامام أحمد والامام الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة - وهذا لفظه - ثنا محمد بن

عبيد عن وائل بن داود سمعت البهي يحدث أن عائشة كانت تقول : ما بعث رسول الله (س) زيد ابن حارثة في سرية الا أمره عليهم ، ولو بقي بعد لاستخلفه . ورواه النسائي عن أحمد بن سلمان عن محمد بن عبيد الطنافسي به . وهذا اسناد جيد قوى على شرط الصحيح وهو غريب جدا والله أعلم . وقال الامام أحمد ثنا سليمان ثنا اسمعيل أخبرني ابن دينار عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله (س) بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد ، فطعن بعض الناس في أمرته ، فقام رسول الله (س) فقال « ان تطعنوا في إمرة فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل ، وإيم الله ان كان خليقاً للإمرة وإن كان لمن أحب الناس الى وإن هذا لمن أحب الناس الى بعده » وأخرجه في الصحيحين عن قتيبة عن اسمعيل - هو ابن جعفر بن أبي كثير المدني - عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر فذكره ورواه البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه . ورواه البزار من حديث عاصم بن عمر عن عبيد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر ثم استغربه من هذا الوجه ، وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا عمر بن اسمعيل عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت : لما أصيب زيد ابن حارثة وجئ بأسامة بن زيد وأوقف بين يدي رسول الله (س) ، فدمعت عينا رسول الله (س) فأخر ثم عاد من الغد فوقف بين يديه فقال « ألا في منك اليوم ما لقيت منك أمس » وهذا الحديث فيه غرابة والله أعلم . وقد تقدم في الصحيحين أنه لما ذكر مصابهم وهو عليه السلام فوق المنبر جعل يقول « أخذ الراية زيد فاصيب ، ثم أخذها جعفر فاصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فاصيب ، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله عليه » قال وإن عينيه لتذرقان ، وقال وما يسرهم أنهم عندنا . وفي الحديث الآخر أنه شهد لهم بالشهادة فهم ممن يقطع لهم بالجنة . وقد قال حسان بن ثابت يرثي زيد بن حارثة وابن رواحة :

واذ كُري في الرِّخاء أهل القبور	عين جودي بدمعك المتزود
يوم راحوا في وقعة التغوير	واذ كُري مؤتة وما كان فيها
نعم ماوى الصبريك والمأسور	حين راحوا وغادروا ثم زيدا
سيد الناس حبه في الصدور	حب خير الأنام طراً جميعاً
ذاك حزني له معاً وسروري	إذا كم أحمد الذي لا سواه
ليس أمر المكثب المغرور	إن زيدا قد كان منا بأمر
سيلاً كان ثم غير نزور	ثم جودي للخزرجي بدمع
فبحزن نبئت غير سرور	قد ألقانا من قتلهم ما كفانا

واما جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم فهو ابن عم رسول الله (س) وكان أكبر

من أخيه على بعشر سنين ، وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين ، وكلن طالب أسن من عقيل بعشر سنين ، أسلم جعفر قديماً وهاجر الى الحبشة وكانت له هناك مواقف مشهورة ، ومقامات محودة ، وأجوبة سديدة ، وأحوال رشيدة ، وقد قدمنا ذلك في هجرة الحبشة والله الحمد . وقد قديم على رسول الله (س) يوم خيبر فقال عليه الصلاة السلام « ما أدري أنا بأيهما أسر ، أبقدم جعفر أم بفتح خيبر » وقام اليه واعتنقه وقبل بين عينيه ، وقال له يوم خرجوا من عمرة القضية « أشبهت خلقي وخلقي » فيقال إنه حجل عند ذلك فرحاً كما تقدم في موضعه والله الحمد والمنة . ولما بعثه الى مؤتة جعل في الامرة مصلياً - أى قائماً - لزيد بن حارثة ، ولما قتل وجدوا فيه بضماً وتسمين ما بين ضربة بسيف ، وطئنة برمح ، ورمية بسهم ، وهو في ذلك كله مقبل غير مدبر ، وكانت قد طعنت يده اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك للواء فلما قدحها احتضنه حتى قتل وهو كذلك . فيقال إن رجلاً من الروم ضرب به بسيف فقطعه باثنتين رضي الله عن جعفر ولعن قاتله ، وقد أخبر عنه رسول الله (س) بأنه شهيد ، فهو ممن يقطع له الجنة . وجاء بالاحاديث تسميته بذى الجناحين . وروى البخارى عن ابن عمر أنه كان اذا سلم على ابنه عبد الله بن جعفر يقول : السلام عليك يا ابن ذى الجناحين ، وبعضهم يرويه عن عمر بن الخطاب نفسه ، والصحيح ما في الصحيح عن ابن عمر . قالوا لأن الله تعالى عوضه عن يديه بجناحين في الجنة وقد تقدم بعض ما روى في ذلك . قال الحافظ أبو عيسى الترمذى : حدثنا علي بن حجر ثنا عبد الله بن جعفر عن الملاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال (س) « رأيت جعفرًا يطير في الجنة مع الملائكة » وتقدم في حديث أنه رضى الله عنه قتل وعمره ثلاث وثلاثين سنة . وقال ابن الاثير في الغابة كان عمره يوم قتل إحدى وأربعين ، قال وقيل غير ذلك .

قلت : وعلى ما قيل إنه كان أسن من على بعشر سنين يقتضى أن عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة لأن علياً أسلم وهو ابن ثمان سنين على المشهور فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر وعمره إحدى وعشرين سنة ، ويوم مؤتة كان في سنة ثمان من الهجرة والله أعلم . وقد كان يقال لجعفر بعد قتله الطيار لما ذكرنا ، وكان كريماً جواداً ممدحاً ، وكان لكرمه يقال له أبا المساكين لاحسانه اليهم . قال الامام احمد وحدثنا عفان بن وهيب ثنا خالد عن عكرمة عن أبي هريرة قال : ما احتذى النعال ولا انتعل ، ولا ركب المطايا ولا لبس الثياب من رجل بعد رسول الله (س) أفضل من جعفر بن أبي طالب وهذا إسناد جيد الى أبي هريرة وكأنه إنما يفضل في الكرم ، فاما في الفضيلة الدينية فمعلوم أن الصديق والفاروق بل وعثمان بن عفان أفضل منه ، واما أخوه على رضى الله عنهما فالظاهر أنهما متكافئان أو على أفضل منه ، وانما أراد أبو هريرة تفضيله في الكرم بدليل ما رواه البخارى ثنا

أحمد بن أبي بكر ثنا محمد بن إبراهيم بن دينار أبو عبد الله الجهمي عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ، أن الناس كانوا يقولون أكثر أبو هريرة وأني كنت ألزم رسول الله (س) بشمع بطني خبز لا آكل الخبز ولا ألبس الحرير ولا يخدمني فلان وفلانة ، وكنت ألصق بطني بالحصباء من الجوع ، وإن كنت لاستقرئ الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني ، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب ، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى إن كان ليخرج البنا العككة التي ليس فيها شيء فنشقها فنلحق ما فيها . تفرد به البخاري . وقال حسان ابن ثابت يرفي جعفرًا :

ولقد بكيتُ وعزَّ مهلكَ جعفرُ	حبَّ النبي على البرية كلها
ولقد جزعْتُ وقلتُ حين نُعيْتُ لي	من الجلالِ لدى المقابِ وظلها
بالبيض حين نُسلُّ من أغمادِها	ضرباً وإنهالِ الرماحِ وعَلَّها
بعد ابنِ فاطمةَ المباركِ جعفرُ	خير البرية كلها وأجلها
رُزءاً وأكرمها جميعاً تحديداً	وأعزها متظلاً وأذلها
للحق حين ينوبُ غيرُ تنخلٍ	كذباً وأنداءها يداً وأقلها
خُشاً وأكثرها إذا ما يجتدي	فضلاً وأنداءها يداً وأبلها
بالعرفِ غيرُ محمدٍ لأمثله	حيٍّ من أحياء البرية كلها

وأما ابن رواحة فهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس لا كبير بن مالك بن الاغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج أبو محمد ويقال أبو رواحة ، ويقال أبو عمرو الانصاري الخزرجي وهو خال النعمان بن بشير ، اخته عمرة بنت رواحة أسلم قديماً وشهد العقبة وكان أحد النقباء ليلتشد لبني الحارث بن الخزرج وشهد بدرًا وأحداً والخندق والحديبية وخيبر وكان يبعثه على خروصها كما قدمنا وشهد عمرة القضاء ودخل يومئذ وهو ممسك بزمام باقة رسول الله (س) وقيل بفرزها - يعني الركاب - وهو يقول * خلوا بني الكفار عن سبيله * الأبيات كما تقدم . وكان أحد الامراء الشهداء يوم مؤتة كما تقدم وقد شجع المسلمين لقاء الروم حين اشتوروا في ذلك وشجع نفسه أيضاً حتى نزل بعد ما قتل صاحبه ، وقد شهد له رسول الله (س) بالشهادة فهو ممن يقطع له بدخول الجنة . وروى أنه لما أنشد النبي (س) شعره حين ودعه الذي يقول فيه :

فنبتَ الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

قال له رسول الله (س) « وأنت فنبتكَ الله » قال هشام بن عروة : فنبته الله حتى قتل شهيداً ودخل الجنة . وروى حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عبد الله بن رواحة أتى

رسول الله (س)، وهو يخطب فسمعه يقول « اجلسوا » فجلس مكانه خارجاً من المسجد حتى فرغ الناس من خطبته، فبلغ ذلك النبي (س)، فقال « زادك الله حرصاً على طوعية الله وطوعية رسوله » وقال البخاري في صحيحه وقال ابن معاذ اجلس بناؤ من ساعة . وقد ورد الحديث المرفوع في ذلك عن عبد الله بن رواحة بنحو ذلك فقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد عن عمارة عن زياد النحوي عن أنس قال : كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه يقول : تعال نؤمن بربنا ساعة ، فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل فجاء فقال يا رسول الله ألا ترى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة ؟ فقال النبي (س)، « رحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة » وهذا حديث غريب جداً . وقال البيهقي ثنا الحارث بن أبي بكر ثنا محمد بن أيوب ثنا أحمد بن يونس ثنا شيخ من أهل المدينة عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار أن عبد الله بن رواحة قال لصاحب له : تعال حتى نؤمن ساعة : قال أو لسنا بمؤمنين ؟ قال بلى ولكننا نذكر الله فترداد إيماناً . وقد روى الحافظ أبو القاسم اللالكاني (١) من حديث أبي الهيثم عن صفوان بن سليم عن شرح بن عبيد أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه فيقول : قم بنا نؤمن ساعة فنجلس في مجلس ذكر . وهذا مرسل من هذين الوجهين وقد استقصينا الكلام على ذلك في أول شرح البخاري والله الحمد والمنة . وفي صحيح البخاري عن أبي الدرداء قال : كنا مع رسول الله (س) في سفر في حر شديد وما فينا صائم إلا رسول الله (س)، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، وقد كان من شعراء الصحابة المشهورين ، ومما نقله البخاري من شعره في رسول الله (س) :

وفينا رسول الله تتلوا كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
يبعث يجافي جنبه عن فراشه إذا استقبلت بالشر كين المضاجع
أني بالهدى بعد العمى قلوبنا به موقنات أن ما قال واقع

وقال البخاري حدثنا عمران بن ميسرة ثنا محمد بن فضيل عن حصين عن عامر عن النعمان بن بشير قال : أغشى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكي ؛ واجبلأه واكذا واكذا تمدد عليه فقال حين أفاق ما قلت شيئاً الا قيل لي أنت كذلك ؟ حدثنا قتيبة ثنا خيثمة عن حصين عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال : أغشى على عبد الله بن رواحة ، بهذا . فلما مات لم تبك عليه وقد قدمنا ما رواه به حسان بن ثابت مع غيره . وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من مؤتة مع من رجع رضي الله عنهم :

كني حزناً أني رجعت وجعفرٌ وزيدٌ وعبد الله في رمسٍ أقبر

(١) كذا في الأصل وفي الحلية : اللالكاني والمحفوظ : اللالكاني .

قَضَوْا نَجْبَهُمْ لَمَّا مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ وَخَلَقْتُ لِبَلْوَى مَعَ التَّغْيِيرِ
وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بَقِيَّةُ مَارْتِي بِهِ هَؤُلَاءِ الْأَمْرَاءُ الثَّلَاثُ مِنْ شَعْرِ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ وَكُتُبِ بْنِ
مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَرْضَاهُمَا .

فصل في من استشهد يوم مؤتة

فمن المهاجرين جعفر بن أبي طالب ، ومولاهم زيد بن حارثة الكلبي ، ومسعود بن الأسود بن
حارثة بن نضلة العدوي ، ووهب بن سعد بن أبي سرح ، فهؤلاء أربعة نفر . ومن الانصار عبد الله
ابن رواحة ، وعبيد بن قيس الخزرجي ، والحارث بن النعمان بن اساف بن نضلة النجاري ، وسراقة
ابن عمرو بن عطية بن خنساء المازني ، أربعة نفر . فمجموع من قتل من المسلمين يومئذ هؤلاء الثمانية
علي ما ذكره ابن اسحاق لكن قال ابن هشام : ومن استشهد يوم مؤتة فيما ذكره ابن شهاب الزهري
أبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول المازنيان وهما شقيقان لأب وأم ، وعمرو وعامر
ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أنص بن فهؤلاء أربعة من
الانصار أيضاً فالمجموع على القولين اثنا عشر رجلاً وهذا عظيم جداً أن يتقاتل جيشان متعاديان في
الدين أحدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله عدتها ثلاثة آلاف ، وأخرى كافرة وعدتها مائتا ألف
مقاتل ، من الروم مائة ألف ، ومن نصارى العرب مائة ألف ، يتبارزون ويتصاولون ثم مع هذا كله
لا يقتل من المسلمين الا اثنا عشر رجلاً وقد قتل من المشركين خلق كثير . هذا خالد وحده يقول
لقد اندقت في يدي يومئذ تسعة أسياف وما صبرت في يدي الا صفحة يمانية فماذا ترى قد قتل بهذه
الاسياف كلها ١١ دغ غيره من الابطال والشجعان من حملة القرآن ، وقد تمسكوا في عبدة الصليبان
عليهم لعائن الرحمن ، في ذلك الزمان وفي كل أوان . وهذا مما يمتثل في قوله تعالى [وقد كان لكم
في قتيلين للتقافة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة ترونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره
من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الابصار] .

حديث فيه فضيلة عظيمة لامراء هذه السرية

وم زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبيد الله بن رواحة رضي الله عنهم . قال الامام العالم
الحافظ أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي نصر الله وجهه في كتابه دلائل النبوة - وهو
كتاب جليل - حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي ثنا الوليد ثنا ابن جابر . وحدثنا عبد الرحمن بن

إبراهيم الدمشقي ثنا الوليد وعمر - يعني ابن عبد الواحد - قال : ثنا ابن جابر سمعت سليم بن عامر الخباري يقول أخبرني أبو أمامة الباهلي سمعت رسول الله (ص) يقول « بينا أنا قائم إذا أتاني رجلان فأخذوا بضبعي فأتيا بي جبلا وعراً فقالا اصعد ، فقلت لا أطيقه فقالا إنا سنسهله لك قال فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة فقلت ما هؤلاء الاصوات ؟ فقالا عواء أهل النار ثم انطلقا بي فإذا بقوم معلقين بعراقيهم مشققه أشداقهم تسيل أشداقهم دما فقلت ما هؤلاء ؟ فقالا هؤلاء الذين يفطرون قبل ليلة صومهم فقال خابت اليهود والنصارى » قال سليم سمعته من رسول الله (ص) أم من رأيه ؟ « ثم انطلقا بي فإذا قوم أشد شئاً انتفاخاً وأتّن شئاً ريجاً كأن ريجهم المراحيض قلت من هؤلاء ؟ قال هؤلاء قتلى الكفار ثم انطلقا بي فإذا بقوم أشد انتفاخاً وأتّن شئاً ريجاً كأن ريجهم المراحيض قلت من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الزانون والزواني ثم انطلقا بي فإذا بنساء ينهش ثديهن الحيات فقلت ما بال هؤلاء ؟ قال هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن البائس ثم انطلقا بي فإذا بغلمان يلعبون بين بحرين قلت من هؤلاء ؟ قال هؤلاء ذراري المؤمنين ثم أشرقا بي شرقاً فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم فقلت من هؤلاء ؟ قال هذا جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله ابن رواحة ثم أشرقا بي شرقاً فإذا أنا بنفر ثلاثة فقلت من هؤلاء ؟ قال هذا إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهم ينتظرونك .

ما قيل من الاشعار في غزوة مؤتة

قال ابن أسحاق : وكان مما بكى به أصحاب مؤتة قول حسان :

تأؤبني ليل يثرب أعسر	وهم إذا ما نؤم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لي عبرة	سفوحاً وأسباب البكاء التذكر
بلى إن فقدان الحبيب بليّة	وكم من كريم بيتا ثم يصبر
رأيت خيار المسلمين تواردوا	شعوباً وخلقا بدم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا ^(١)	بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا ^(١)	جميعاً وأسباب النية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم	الى الموت ميمون النقيبة أزهـر
أغر كضوء البدر من آل هاشم	أبي إذا سيم الظلامه مجسر
فطاعن حتى مال غير مؤسد	بمترك فيه القنا متكسر

فصار مع المستشيدين ثوابه
 وكنا نرى في جعفر من محمد
 وما زال في الاسلام من آل هاشم
 هموا جيل الاسلام والناس حولهم
 بهاليل منهم جعفر وابن أمه
 وحزرة والعباس منهم ومنهموا
 بهم تفرج اللاواء في كل مازي
 م أولياء الله أنزل حكمة
 وقال كعب بن مالك رضى الله عنه :

نام العيون ودمع عينك بهيل
 في ليلة وردت علي همومها
 واعتادني حزن فبت كافي
 وكأنما بين الجوانح والحشا
 وجداً على النفر الذين تتابوا
 صلى الاله عليهم من رقية
 صبروا بمؤتة للاله نفوسهم
 فضوا أمام المسلمين كأنهم
 إذ يهتدون بجعفر ولوائه
 حق تفرجت الصفوف وجعفر
 فتغير القمر المنير لقدمه
 قوم على بليانه من هاشم
 قوم بهم عصم الاله عباده
 فضلوا المعاشرة عزّة وتكرماً
 لا يطلقون الى السفاه حباها

سَخَا كَا وَكَفَ الطَّبَابُ الْخُضْلُ (٢)
 طَوْرًا أَخْنُ وَقَارَةً أُنْعَمِلُ (٣)
 بينت نفس والتهاك موكل
 مما تأوَّيني شهاب مدخل
 يوماً بمؤتة أسندوا لم ينقلوا
 وسقى عظامهم الغمام المسيل
 حفر الردى وخفاة أن ينكلوا
 فنقَّ عليهم الحديد المرفل
 قدام أولهم فيمّ الأول
 حيث التقى وعث الصفوف مجتل
 والشمس قد كسفت وكادت تأفل
 فرعاً أشمَّ وسودداً ما ينقل
 وعليهم نزل الكتاب المنزل
 وتغنمت أحلامهم من بهيل
 ترى خطيبهم بحق ينصل

(١) العباس المظلم والأعمس الضعيف البصر . (٢) في الأصل الطباء الخضل وهو تصحيف .
 والطبيب كما في السهلي جمع طبابة وهي سير بين خريزتين في المزاينة فإذا كان غير محكم وكف منه
 الماء . وأيضاً جمع طبة وهي شقة مستطيلة . (٣) كذا في الأصل وفي ابن هشام : أُنْعَمِلُ .

بيضُ الوجوه ترى بطونَ أكرمهم تندى إذا اعتنر الزمانُ المحمل
وبهتهم رضى الآلهُ خلقه ويجدُم (١) نصر النبي المرسل

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب بعث رسول الله (ص) الى ملوك الآفاق وكتبه اليهم

ذكر الواقدي أن ذلك كان في آخر سنة ست في ذى الحجة بعد عمرة الحديبية ، وذكر البيهقي هذا الفصل في هذا الموضع بعد غزوة مؤتة والله أعلم . ولا خلاف بينهم أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحديبية لقول أبي سفيان لم يقل حين سأل هل يغدر فقال لا ونحن منه في مدة لا ندرى ما هو صانع فيها . وفي لفظ البخارى وذلك في الملة التي مآذ فيها أبو سفيان رسول الله (ص) . وقال محمد بن اسحاق : كان ذلك ما بين الحديبية وفاته عليه السلام . ونحن نذكر ذلك ها هنا وإن كان قول الواقدي محتملا والله أعلم . وقد روى مسلم عن يوسف بن حماد لمعني عن عبد الأعلى عن سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) كتب قبل مؤتة الى كسرى وقيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل وليس بالنجاشي الذي صلى عليه . وقال يونس ابن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن عباس حدثني أبو سفيان من فيه إلى في قال : كنا قوماً تجاراً وكانت الحرب قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا ، فلما كانت الهدنة - هدنة الحديبية - بيننا وبين رسول الله (ص) ، لا نأمن إن وجدنا أمناً ، فخرجت فاجراً إلى الشام مع رهط من قريش فوالله ما علمت بمكة امرأة ولا رجلاً الا وقد حملني بضاعة ، وكان وجه متجرنا من الشام غرة من أرض فلسطين فخرجنا حتى قدمناها وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من كان في بلاده من الفرس فأخرجهم منها ورد عليه صليبه الاعظم وقد كان استلبوه إياه ، فلما أن بلغه ذلك وقد كان منزله بمحصر من الشام فخرج منها يمشي متشكراً إلى بيت المقدس ليصلي فيه تبسط له البسط ويطرح عليها الراحين ، حتى انتهى إلى إيلياء فصلى بها فأصبح ذات غداة وهو مهموم يقلب طرفه إلى السماء ، فقالت له بطارقه أيها الملك لقد أصبحت مهموماً ؟ فقال أجل ، قالوا وما ذاك ؟ فقال أريت في هذه الليلة أن ملك الختان ظاهر ، قالوا والله ما نعلم أمة من الأمم تختنن الا اليهود وهم تحت يديك وفي سلطانك فإن كان قد وقع ذلك في نفسك

(١) كذا في الاصول وفي ابن هشام : بمجدهم بلحاء المهلة .

منهم فابعث في مملكته كلها فلا يبقى يهودى الا ضربت عنقه ، فتستريح من هذا الهم . فانهم في ذلك من رأيهم يدبرونه بينهم إذ أتاهم رسول صاحب بصرى برجل من العرب قد وقع اليهم ، فقال : أيها الملك إن هذا الرجل من العرب من أهل الشام والابل يحدثك عن حدث كان ببلاد فأسأله عنه ، فلما انتهى اليه قال لترجمانه : سله ما هذا الخبر الذى كان في بلاده ؟ فسأله فقال : هو رجل من العرب من قریش خرج يزعم أنه نبي وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن فخرجت من بلادى وهم على ذلك . فلما أخبره الخبر قال جردوه فاذا هو مختن فقال هذا والله الذى قد أريت لا ما تقولون ، أعطه ثوبه ، انطلق لشأنك . ثم إنه دعا صاحب شرطته فقال له قلب لى الشام ظهراً لبطن حتى تأتى برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه ، قال أبو سفيان فوالله إني وأصحابي لبغزة إذ هجم علينا فأسألنا ممن أنتم ؟ فأخبرنا فأسأله جميعاً فلما انتهينا اليه قال أبو سفيان : فوالله ما رأيت من رجل قط أزعج أنه كان أدهى من ذلك الا غلف - يريد هرقل - قال فلما انتهينا اليه قال أيكم أمس به رحماً ؟ فقلت أنا ، قال ادنوه منى ، قال فاجلسنى بين يديه ثم أمر أصحابي فاجلسهم خلفي وقال : إن كذب فردوا عليه ، قال أبو سفيان فلقد عرفت أنى لو كذبت ما ردوا على ولكنى كنت امرأاً سيدياً أتكرم وأستحي من الكذب وعرفت أن أدنى ما يكون في ذلك أن يرووه عنى ثم يتحدثونه عنى بمكة فلم أكذب ، فقال أخبرنى عن هذا الرجل الذى خرج فيكم ، فزهدت له شأنه وصغرت له أمره ، فقلت سألنى عما بدا لك ؟ قال كيف نسبه فيكم ؟ فقلت محضاً من أوسطنا نسباً ، قال فأخبرنى هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به ؟ فقلت لا قال فأخبرنى هل له ملك فأسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوه عليه ؟ فقلت لا قال فأخبرنى عن اتباعه من هم ؟ فقلت الأحداث والضعفاء والمساكين فاما أشرافهم وذووا الأنساب منهم فلا ، قال فأخبرنى عن صحبه أئجه ويكرمه أم يقلبه ويفارقه ؟ فقلت ما صحبه رجل ففارقه قال فأخبرنى عن الحرب بينكم وبينه ؟ فقلت سجال يدال علينا ونдал عليه . قال فأخبرنى هل يغدر فلم أجده شيئاً أغره به إلا هى قلت لا ونحن منه في مدة ولا نأمن غدرة فيها . فوالله ما التفت إليها منى قال فاعاد على الحديث ، قال : زعمت أنه من أمحضكم نسباً وكذلك يأخذ الله النبی لا يأخذه الا من أوسط قومه ، وسألتك هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به فقلت لا ، وسألتك هل كان له ملك فأسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه فقلت لا ، وسألتك عن اتباعه فزعمت أنهم الأحداث والمساكين والضعفاء وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان ، وسألتك عن يقيمه أئجه ويكرمه أم يقلبه ويفارقه فزعمت أنه قل من يصحبه فيفارقه وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه ، وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه فزعمت أنها سجال يدال عليكم وتداولون عليه وكذلك يكون حرب الأنبياء

ولهم تكون العاقبة، وسألتك هل يغدر فرعمت أنه لا يغدر فلئن كنت صدقتني ليغلبن على ما تحت قدمي هاتين ولوددت أني عنده فأغسل عن قدميه ، ثم قال الحق بشأنك قال فعمت وأنا أضرب إحدى يدي على الأخرى وأقول : يا عباد الله لقد أمر [أمر ابن أبي كبشة ، وأصبح ملوك بني الأصفر يخافونه في سلطانهم . قال ابن اسحاق : وحدثني] الزهري قال حدثني أسقف من النصراني قد أدرك ذلك الزمان قال : قدم حمية بن خليفة على هرقل بكتاب رسول الله (س) فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاسلم تسلم يؤتلك الله أجر ك مرتين ، فان أبيت فان إثم الا كاريين عليك . قال فلما انتهى اليه كتابه وقرأه أخذ فخله بين غنذه وخاصرته ثم كتب الى رجل من اهل رومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ يخبره عما جاء من رسول الله (س) فكتب اليه إنه النبي الذي ينتظر لا شك فيه فاتبعه ، فأمر بعضاه الروم فجمعوا له في دسكرة ملكه ثم امر بها فأشرفت (١) عليهم واطلع عليهم من عليه له وهو منهم خائف فقال : يا معشر الروم إنه قد جاءني كتاب احد وإنه والله النبي الذي كنا نتظر ومجل ذكره في كتابنا نعرفه بعلاماته وزمانه فاسلموا واتبعوه تسلم لكم دنياكم وآخرتكم فنخروا ونخروا رجل واحد وابتدروا أبواب الدسكرة فوجدوها مغلقة دونهم ، فخافهم وقال ردوم على فردوم عليه فقال لهم يا معشر الروم إني إنما قلت لكم هذه المقالة أختبركم بها لأنظر كيف صلابتكم في دينكم ؟ فلقد رأيت منكم ما سرني فوقوا له سجدا ثم فتحت لهم أبواب الدسكرة فخرجوا . وقد روى البخاري قصة أبي سفيان مع هرقل بزيادات أخرأ حبينا أن نوردناها بسندها وحررفها من الصحيح ليعلم ما بين السياقين من التباين وما فيهما من الفوائد . قال البخاري قبل الايمان من صحيحه حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ثنا شبيب عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل اليه في ركب من قريش وكاتوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله (س) ، ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأتوه وهم بايلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بالترجمان فقال : أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ قال أبو سفيان فقلت أنا أقربهم نسباً ، قال ادنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوم عند ظهري . ثم قال لترجمانه قل لهم إني سألت هذا عن هذا الرجل فان كذبني فكذبوه ، فوالله لولا أن يؤثروا عني كذباً لكذبت عنه ، ثم كان أول ما سألتني عنه أن قال كيف نسبه فيكم ؟ قلت هو فينا ذونسب قال فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت لا قال فهل كان من آباءه من ملك ؟ قلت لا قال فأشرف الناس اتبعوه أم ضغافؤم ؟ قلت بل ضغافؤم قال أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت بل يزيدون قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه

(١) كذا بالأصل ولعلها : فأشرفت عليهم .

بعد أن يدخل فيه ؟ قلت لا قال فهل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت لا قال
فهل يفند ، قلت لا ونحن منه في مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها . قال ولم يمكنى كلمة أدخل فيها شيئاً
غير هذه الكلمة ، قال فهل قاتلتهمونه ؟ قلت نعم قل فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت الحرب بيننا
وبينه سجال ينال منا وقتال منه ، قال ماذا يأمركم ؟ قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به
شيئاً واتركوا ما يقول آبائكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ، فقال للرجلان : قل له سألتك
عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . وسألتك هل قال أحد
منكم هذا القول قبله فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأذى بقول
قبله ، وسألتك هل كان من آبائه [من ملك] فذكرت أن لا فلو كان من آبائه من ملك قلت
رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا ،
فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك أشرف الناس اتبعوه
أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت
أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم ، وسألتك أيرتد أحد منهم سخطاً لدينه بعد أن يدخل
فيه فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين يخالط بشاشته القلوب ، وسألتك هل يفند فذكرت أن
لا وكذلك الرسل لا تفند ، وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به
شيئاً وينهاكم عن عبادة الآلهة ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك
موضع قدمي هاتين . وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أعلم أني أخلص إليه
لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لفلسن عن قدميه . ثم دعا بكتاب رسول الله - الذي بعث
به مع دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله
ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام
اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و (يا أهل الكتاب
تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً
أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) قال أبوسفیان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة
الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا ، فقلت لأصحابي حين خرجنا لقد أمر أمر
ابن أبي كبشة أنه يخافه ملك بنى الأصفر ، فإزالت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام
قال وكان ابن الناطور صاحب إيلياء وهرقل أسقف على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم
إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس ، فقال بعض بطارفته قد استنكرنا هيئتكم ؟ قال ابن الناطور : وكان
هرقل حزاء ينظر في النجوم ، فقال لهم حين سألوه إني رأيت حين بظلمت في النجوم ملك الختان

قد ظهر فن يختن من هذه الأمم ، قالوا ليس يختن الا اليهود ولا يهمنك شأنهم واكتب الى مدائن
 ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود ، فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان
 فخبّرهم عن خبر رسول الله . س . ، فلما استخبره هرقل قال اذهبوا فانظروا يختن هوأم لا ؟ فنظروا
 اليه فحدثوه أنه يختن ، وسأله عن العرب فقال هم يختنون ، فقال هرقل : هذا ملك هذه الامة قد
 ظهر . ثم كتب إلى صاحب له برومية . وكان نظيره في العلم . وسار هرقل إلى حصص فلم يرم بحمص
 حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النبي . س . وهو نبي ، فأذن هرقل لعظاءه
 الروم في دسكرة له بحمص ثم أمر بابوابها فغلقت . ثم اطلع فقال : يا مشر الروم هل لكم في الفلاح
 والرشد وأن يثبت لكم ملككم ؟ فتتابعوا لهذا النبي ، فخاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب
 فوجدوها قد غقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الايمان قال ردوهم على . وقال إني إنما قلت
 بمقاتلي آتياً فأتى بها شدتكم على دينكم فقد رأيته ، فسجدوا له ورضوا عنه . فكان ذلك آخر
 شأن هرقل . قال البخاري : ورواه صالح بن كيسان وبنو مسعود عن الزهري . وقد رواه البخاري
 في مواضع كثيرة في صحيحه بالفاظ يطول استقصاؤها . وأخرجه بقية الجماعة الا ابن ماجه من طرق
 عن الزهري . وقد تكلمنا على هذا الحديث مطولاً في أول شرحنا لصحيح البخاري بما فيه كفاية
 وذكرنا فيه من الفوائد والنكت المعنوية واللفظية والله الحمد والمنة . وقال ابن أبي عمير عن الاسود عن
 عروة قال : خرج أبو سفيان بن حرب إلى الشام تاجراً في نفر من قريش وبلغ هرقل شأن رسول
 الله . س . فأراد أن يعلم ما يعلم من شأن رسول الله . س . فأرسل إلى صاحب العرب الذي بالشام في
 ملكه يأمره أن يبعث اليه برجال من العرب يسألهم عنه ، فأرسل اليه ثلاثين رجلاً منهم أبو سفيان
 ابن حرب ، فدخلوا عليه في كنيسة إيلياء التي في جوفها ، فقال هرقل : أرسلت اليكم لتخبروني عن
 هذا الذي بمكة ما أمره ؟ قالوا ساحر كذاب وليس بنبي ، قال فاخبروني من أعلمكم به وأقر بكم منه
 رجلاً ؟ قالوا هذا أبو سفيان ابن عمه وقد قاتله ، فلما أخبروه ذلك أمر بهم فاخرجوا عنه ثم اجلس أبا
 سفيان فاستخبره ، قال أخبرني يا أبا سفيان ؟ فقال هو ساحر كذاب ، فقال هرقل إني لا أريد شتمه
 ولكن كيف نسبه فيكم ؟ قال هو والله من بيت قريش ، قال كيف عقله ورأيه ؟ قال لم ينب له رأى
 قط . قال هرقل هل كان حلفاً كذاباً مخادعاً في أمره ؟ قال لا والله ما كان كذلك ، قال لعله
 يطلب ملكاً أو شرفاً كان لاحد من اهل بيته قبله ؟ قال أبو سفيان لا ، ثم قال من يتبعه منكم هل
 يرجع اليكم منهم أحد ؟ قال لا ، قال هرقل هل يغدر اذا عاهد ؟ قال لا إلا أن يغدر مدته هذه . فقال
 هرقل وما تخاف من مدته هذه ؟ قال إن قومي أمدوا حلفاءهم على حلفائه وهو بالمدينة ، قال هرقل إن
 كنتم أنتم بدائتم فأنتم أغدر ، فنضب أبو سفيان وقال لم يغلبنا الامرة واحدة وأنا يومئذ غائب وهو يوم

بدر ، ثم غزوته مرتين في بيوتهم بنقر البطون ونجدع الا آذان والفروج ، فقال هرقل كذاباً براه أم صادقاً فقال بل هو كاذب ، فقال إن كان فيكم نبي فلا تقتلوه فان أفعال الناس لذلك اليهود . ثم رجع أبو سفيان في هذا السياق غرابة وفيه فوائد ليست عند ابن اسحاق ولا البخاري . وقد اورد موسى ابن عقبة في مغازيه قريباً مما ذكره عروة بن الزبير والله اعلم . وقال ابن جرير في تاريخه : حدثنا ابن حميد ثنا سلمة ثنا محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم قال : إن هرقل قال لدحية بن خليفة الكلبي حين قدم عليه بكتاب رسول الله (س) ، والله إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل ، وأنه الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا ولكني أخاف الروم على نفسي ، ولولا ذلك لاتبعته ، فاذهب الى صفاطر الاسقف فاذكر له أمر صاحبكم فهو والله في الروم أعظم مني وأجود قولاً عندهم مني ، فانظر ماذا يقول لك ؟ قال فجاء دحية فاخبره بما جاء به من رسول الله (س) ، الى هرقل وبما يدعو اليه ، فقال صفاطر والله صاحبك نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتابنا باسمه ، ثم دخل وألقى ثياباً كانت عليه - ودأ وليس ثياباً بياضاً ثم أخذ عصاه فخرج على الروم في الكنيسة فقال : يا معشر الروم إنه قد جاءنا كتاب من احد يدعونا فيه الى الله واتى أشهد أن لا اله الا الله وأن احمد عبده ورسوله . قال فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فضربوه حتى قتلوه قال فلما رجع دحية الى هرقل فاخبره الخبر قال قد قلت لك إنما نخافهم على أنفسنا ، فصفاطر والله كان أعظم عندهم واجوز قولاً مني [وقد روى الطبراني من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل عن ابيه عن عبد الله بن شداد عن دحية الكلبي قال : بعثني رسول الله (س) الى قيصر صاحب الروم بكتاب قتل استأذنوا رسول رسول الله (س) ، فأتى قيصر فقيل له إن على الباب رجلاً يزعم أنه رسول رسول الله ففرعوا لذلك وقال أدخله فادخلني عليه وعنده بطارقه فاعطيته الكتاب فاذا فيه ، بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم ، فنخر ابن أخ له احمر ازرق سبط فقال لا تقرأ الكتاب اليوم فانه بدأ بنفسه وكتب صاحب الروم ولم يكتب ملك الروم ، قال فقرأ الكتاب حتى فرغ منه ثم أمرهم فخرجوا من عنده ثم بعث الى فدخلت عليه فسألني فاخبرته ، فبعث الى الاسقف فدخل عليه - وكان صاحب أمرهم يصدرون عن رأيه وعن قوله - فلما قرأ الكتاب قال الاسقف : هو والله الذي بشرنا به موسى وعيسى الذي كنا ننتظر . قال قيصر فما تأمرني ؟ قال الاسقف أما أنا فأتى مصدقه ومتبعه ، فقال قيصر : أعرف أنه كذلك ولكن لا أستطيع أن أفعل إن فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم] وبه قال محمد بن اسحاق عن خالد بن يسار عن رجل من قدماء اهل الشام قال : لما أراد هرقل الخروج من ارض الشام الى القسطنطينية لما بلغه من أمر النبي (س) ، جمع الروم فقال : يا معشر الروم إني عارض

عليكم أموراً فانظروا فيما أردت بها ؟ قالوا ما هي ؟ قال تعلمون والله ان هذا الرجل لنبي مرسل نجده نعرفه بصفته التي وصف لنا فهل فلننتقمه فتسلي لنا دينانا وآخرتنا فقالوا نحن نكون تحت ايدي العرب ونحن أعظم الناس ملكاً ، وأكثروا رجلاً . وأقصاه بلداً ؟ قال فهل أعطيه الجزية كل سنة أ كسر شركته وأستريح من حربه بما أعطيه إياه ، قالوا نحن نعطي العرب الذل والصغار يخرج يأخذونه منا ونحن أ كثر الناس عدداً ، وأعظمه ملكاً ، وأمنعه بلداً ، لا والله لا نفعل هذا أبداً ، قال فهل فلا صالحه علي أن أعطيه أرض سورية ويدعني وأرض الشام ، قال وكانت أرض سورية ، فلسطين والأردن ودمشق وحمص وما دون الدرب سورية ، وما كان وراء الدرب عندهم فهو الشام . فقالوا نحن نعطي أرض سورية وقد عرفت أنها أرض سورية الشام لا نفعل هذا أبداً ، فلما أبوا عليه قال أما والله لتودن أنكم قد ظفرتم اذا امتنعتم منه في مدينتكم . قال ثم جلس على بغل له فانطلق حتى اذا أشرف على الدرب استقبل أرض الشام ثم قال : السلام عليك يا أرض سورية تسليم الوداع ، ثم ركض حتى دخل قسطنطينية والله أعلم .

ارساله (ص) الى ملك العرب من النصاري بالشام

قال ابن اسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب أخا بني أسد بن خزيمه الى المنذر ابن الحارث بن أبي شمر الفسائي صاحب دمشق (١) . قال الواقدي : وكتب معه ، سلام على من اتبع الهدى وآمن به ، وادعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبق لك ملكك . فقدم شجاع بن وهب فقرأه عليه فقال : ومن ينتزع ملكي ؟ إني سأسير اليه .

بعثه الى كسرى ملك الفرس

وروى البخاري من حديث الليث عن يونس عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه مع رجل الى كسرى وأمره أن يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى ، فلما قرأه كسرى مرزقه قال فحسبت أن ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول الله ﷺ ، أن يمزقوا كل ممزق . وقال عبد الله بن وهب عن يونس عن الزهري حدثني عبد الرحمن بن عبد القاري أن رسول الله ﷺ قام ذات يوم على المنبر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال : « أما بعد فاني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الاعاجم فلا تختلفوا علي كما اختلفت بنو اسرائيل على عيسى بن مريم » فقال المهاجرون : يا رسول الله إنا لا نختلف عليك في شيء أبداً فرأنا وابعثنا ، فبعث شجاع بن وهب إلى كسرى فأمر كسرى بآوانه أن يزين (١) كذا بالأصل ، وفي ابن هشام : بعث شجاع بن وهب الاسدي الى الحارث بن شمير الفسائي ملك فخم الشام . ثم جاء برواية أخرى أنه بعثه الى جبلة بن الأيهم الفسائي .

ثم اذن لعطاء فارس ، ثم اذن لشجاع بن وهب ، فلما أن دخل عليه أمر كسرى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبض منه ، فقال شجاع بن وهب : لا حتى أدفعه أنا إليك كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال كسرى ادنه فدنا فتناوله الكتاب ثم دعا كاتباً له من أهل الحيرة فقرأه فإذا فيه : من محمد بن عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس . قال فاغضبه حين بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصاح وفضب ومزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه ، وأمر بشجاع ابن وهب فأخرج ، فلما رأى ذلك قصد على راحلته ثم سار ثم قال : والله ما أبالي على أي الطريقين أكون إذ أديت كتاب رسول الله (س) . قال ولما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث إلى شجاع ليدخل عليه فالتبس فلم يوجد ، فطلب إلى الحيرة فسبق ، فلما قدم شجاع على النبي (س) أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله (س) ، فقال رسول الله (س) : « مزق كسرى ملكه » وروى محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن أبي سلمة أن رسول الله (س) بعث عبد الله بن حذافة بكتابه إلى كسرى ؟ فلما قرأه مزقه ، فلما بلغ رسول الله (س) قال « مزق ملكه » وقال ابن جرير^(١) حدثنا أحمد بن حميد ثنا سلمة ثنا ابن اسحاق عن زيد بن أبي حبيب قال : وبعث عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . فان تسلم تسلم وإن أبيت فان إثم الجحوس عليك . قال فلما قرأه شقه وقال : يكتب إلى بهذا وهو عبدي ؟ قال ثم كتب كسرى إلى باذان وهو قائمه على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جليدين فليأتيا به ، فبعث باذان قهرمانه - وكان كاتباً حاسباً - بكتاب فارس وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له خرخرة ، وكتب معهما إلى رسول الله (س) يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى وقال : لأبأ ذويه إيت بلاد هذا الرجل وكله واثنى بخبره ، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلاً من قريش في أرض الطائف فسأله عنه فقال هو بالمدينة ، واستبشر أهل الطائف - يعني وقريش بهما - وفرحوا . وقال بعضهم لبعض أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك كنتم الرجل ، فخرجا حتى قدما على رسول الله (س) فكلمه أبأ ذويه فقال : شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك وقد بعثني إليك لتنتلق معي ، فان

(١) في ابن جرير اختلاف في الأسماء فانه معي باذان باذان وابأذويه بابويه وخرخرة خرخرة إلى غير ذلك فراجع في السنة السادسة .

فعلت كتب لك الى ملك الملوك ينفعك ويكف عنه عذبت ، وإن أبيت فهو من قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك وغرب بلادك . ودخلا على رسول الله (ص) وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فذكره النظر اليهما وقال « ويلكما من أمركما بهذا ؟ » قالا أمرنا ربنا - يعنيان كسرى - فقال رسول الله (ص) « ولكن ربي أمرني باعفاء لحيتي وقص شاربي » ثم قال « ارجعا حتى تأتيا غداً » قال وأتى رسول الله (ص) الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا من الليل سلط عليه ابنه شيرويه فقتله . قال فدعاها فأنبأها فقلا هل تدري ما تقول ؟ إنا قد نعمنا عليك ما هو أيسر من هذا فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك بأذا ؟ قال « نعم أخبره ذاك عني وقولا له إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى ويقتني الى الخلف والخافر ، وقولا له إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك ولمسكتك على قومك من الابناء » ثم أعطى خرخرة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك فخرجا من عنده حتى قدما على بأذا فأنبأها الخبر فقال والله ما هذا بكلام ملك وإني لأرى الرجل نبياً كما يقول وليكون ما قد قال ، فلئن كان هذا حقاً فهو نبي مرسل ، وإن لم يكن فسنرى فيه رأياً . فلم ينشب بأذا أن قدم عليه كتاب شيرويه أما بعد ؛ فاني قد قتلت كسرى ولم أقتله الا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم ونحرم في ثغورهم ، فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك ، وانطلق الى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمرى فيه . فلما انتهى كتاب شيرويه الى بأذا قال : إن هذا الرجل لرسول فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن . قال وقد قال بأذويه لبأذا : ما كنت أحماً أهيب عندي منه . فقال له بأذا هل معه شرط ؟ قال لا قال الواقدي رحمه الله : وكان قتل كبرى على يدي ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الآخرة من سنة سبع من الهجرة است ساعات مضت منها :

قلت : وفي شعر بعضهم ما يرشد أن قتله كان في شهر الحرام وهو قول بعض الشعراء :

قتلوا كسرى بليل محرماً فتولى لم يتبع بكفن

قال بعض شعراء العرب :

وكسرى إذ تقامحه بنوه بأسيا ف كما اقتسم اللحام

تمخضت المنون له بيوم أتى ولكل حامله تمام

وروى الحافظ البيهقي من حديث حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن أبي بكرة أن رجلاً من أهل فارس أتى رسول الله (ص) فقال رسول الله (ص) « إن ربي قد قتل الليلة ربك » قال وقيل له - يعني النبي (ص) - إنه قد استخلف ابنته فقال « لا يفلح قوم تملكهم امرأة » . قال

البهقي : وروى في حديث دحية بن خليفة أنه لما رجع من عند قيصر وجد عند رسول الله (س) رسل كسرى ، وذلك أن كسرى بعث يتوعد صاحب صنعاء ويقول له : ألا تكفيني أمر رجل قد ظهر بارضك يدعوني الى دينه ، لتكفينه أو لا فعلن بك ، فبعث اليه فقال لرسله « أخبروه أن ربى قد قتل ربه الليلة » فوجدوه كما قال . قال وروى داود بن أبي هند عن عامر الشعبي نحوه هذا . ثم روى البهقي من طريق أبي بكر بن عياش عن داود بن أبي هند عن أبيه عن أبي هريرة قال : أقبل سعد الى رسول الله (س) فقال : « إن في وجه سعد خيراً » فقال يا رسول الله هلك كسرى ، فقال « لعن الله كسرى أول الناس هلاكا فارس ثم العرب » .

قلت : الظاهر أنه لما أخبر رسول الله (س) بهلاك كسرى لذينك الرجلين يعنى الاميرين اللذين قدما من نائب اليمن بإدام ، فلما جاء الخبر بوفق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام وشاع في البلاد وكان سعد بن أبي وقاص أول من سمع جاء الى رسول الله (س) فأخبره بوفق إخباره عليه السلام وهكذا بنحو هذا التقدير ذكره البهقي رحمه الله . ثم روى البهقي من غير وجه عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه بلغه أن كسرى بينما هو في دسكرة ملكه بعث له - أو قبض له - عارض يعرض عليه الحق فلم فنجأ كسرى الا برجل يمشي وفي يده عصاً فقال : يا كسرى هل لك في الاسلام قبل أن أكر هذه العصا ؟ فقال كسرى نعم لا تكسرهما ، فولى الرجل فلما ذهب أرسل كسرى الى حجابيه فقال من أذن لهذا الرجل على ؟ فقالوا ما دخل عليك أحد ، فقال كذبتم ، قال فغضب عليهم وتهددهم ثم تركهم . قال فلما كان رأس الحول أتى ذلك الرجل ومعه العصا قال يا كسرى هل لك في الاسلام قبل أن أكر هذه العصا ؟ قال نعم لا تكسرهما ، فلما انصرف عنه دعا حجابيه قال لم كالمرة الأولى ، فلما كان العام المستقبل أتاه ذلك الرجل معه العصا فقال له هل لك يا كسرى في الاسلام قبل أن أكر العصا فقال لا تكسرهما لا تكسرهما فكسرهما ، فأهلك الله كسرى عند ذلك . وقال الامام الشافعي : أنبا ابن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله (س) قال : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، فوالذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله » أخرجه مسلم من حديث ابن عيينة وأخرجه من حديث الزهري به . قال الشافعي ولما أتى كسرى بكتاب رسول الله (س) مرقة فقال رسول الله (س) « يمزق ملكه » وحفظنا أن قيصر أكرم كتاب رسول الله (س) ووضع في مسك ، فقال رسول الله (س) « ثبت ملكه » قال الشافعي وغيره من العلماء ولما كانت العرب تأتي الشام والعراق للتجارة فأسلم من أسلم منهم شكوا خوفهم من ملكي العراق والشام الى رسول الله (س) فقال « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » قال فباد ملك

الا كاسرة بالكلية وزال ملك قيصر عن الشام بالكلية ، وإن ثبت لهم ملك في الجملة بركة دعاء رسول الله (ص) ، لم حين عظموا كتابه والله أعلم .

قلت : وفي هذا بشارة عظيمة بأن ملك الروم لا يمود أبداً الى أرض الشام . وكانت العرب تسمى قيصر لمن ملك الشام مع الجزيرة من الروم ، وكسرى لمن ملك الفرس ، والنجاشي لمن ملك الحبشة ، والمقوقس لمن ملك الاسكندرية ، وفرعون لمن ملك مصر كافرآ ، وبطليموس لمن ملك الهند ولم أعلام أجناس غير ذلك وقد ذكرناها في غير هذا الموضع والله اعلم . وروى مسلم عن قتبية وغيره عن أبي عوانة عن سماك عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله (ص) : « لتفتحن عصابة من المسلمين كنوز كسرى في القصر الابيض » وروى اسباط عن سماك عن جابر بن سمرة مثل ذلك وزاد : وكنت أنا وأبي فيهم فأصبنا من ذلك ألف درهم .

بعثه (ص) الى المقوقس

صاحب مدينة الاسكندرية واسمه جريج بن مينا القبطي

قال يونس بن بكير عن ابن اسحاق : حدثني الزهري عن عبد الله بن عبد القاري ان رسول الله (ص) بعث حاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندرية ففوض بكتاب رسول الله (ص) اليه ، فقبل الكتاب وأكرم حاطباً وأحسن نزله وسرحه الى النبي (ص) ، وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسرجهما وجارين اثنين احداهما أم ابراهيم واما الاخرى فوهبها رسول الله (ص) لمحمد بن قيس العبدى . رواه البيهقي ثم روى من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه عن جده حاطب بن أبي بلتعة قال : بعثني رسول الله (ص) الى المقوقس ملك الاسكندرية ، قال فجئته بكتاب رسول الله (ص) ، فانزلني في منزله وأقمت عنده ، ثم بعث الى وقد جمع بطارقته وقال : إني سأئك عن كلام فأحب أن تفهم عني قال قلت هلم قال أخبرني عن صاحبك أليس هو نبي ؟ قلت بل هو رسول الله ، قال فإله حيث كان هكذا لم يبع على قومه حيث أخرجوه من بلده الى غيرها ؟ قال قلت عيسى ابن مريم أليس تشهد أنه رسول الله ؟ قال بلى قلت فإله حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حيث رفضه الله الى السماء الدنيا ؟ فقال لي : أنت حكيم قد جاء من عند حكيم هذه هدايا أبعث بها معك الى محمد وارسل معك بذرقة بينذر ثونك الى مأمئك ، قال فاهدى الى رسول الله (ص) ثلاث جوار منهم أم ابراهيم ابن رسول الله (ص) ، وواحدة وهبها رسول الله (ص) لحسان بن ثابت الانصاري ، وأرسل اليه بطرف من طرفهم . وذكر ابن اسحاق أنه أهدى الى رسول الله (ص) أربع جوار احداهن مارية أم ابراهيم والاخرى سيرين التي وهبها لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن بن حسان .

قلت : وكان في جملة الهدية غلام أسود خصى اسمه مابور وخفين ساذجين أسودين وبغلة بيضاء
اسمها اللبل ، وكان مابور هذا خصياً ولم يعلموا بأمره بادى الأمر فصار يدخل على مارية كما كان من
عادتهم ببلاد مصر ، فجعل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ولا يعلمون بحقيقة الحال وأنه
خصى حتى قال بعضهم إنه الذي أمر رسول الله ﷺ ، على بن أبي طالب بقتله فوجده خصياً فتركه
والحديث في صحيح مسلم من طريق ... (١) .

قال ابن اسحاق : وبث سليط بن عمرو بن عبدود أخا بني عامر بن لؤى إلى هوزة بن علي
صاحب البمامة وبث العلاء بن الحضرمي إلى جيفر بن الجلتدي وعمار بن الجلتدي الأزديين
صاحبي عمان (٢) .

غزوة ذات السلاسل

ذكرها الحافظ البيهقي هاهنا قبل غزوة الفتح ، فساق من طريق موسى بن عقبة وعروة بن الزبير
قالا : بث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل من مشارف الشام في بلى وعبد الله
ومن يليهم من قضاة . قال عروة بن الزبير وبنو بلى أخوال العاص بن وائل ، فلما صار إلى هناك
خاف من كثرة عدوه فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فندب رسول الله ﷺ المهاجرين الأولين
فانتدب أبو بكر وعمر في جماعة من سراة المهاجرين رضي الله عنهم اجمعين ، وأقر عليهم رسول الله
ﷺ أبا عبيدة بن الجراح . قال موسى بن عقبة فلما قدموا على عمرو قال أنا أميركم وأنا أرسلت إلى
رسول الله ﷺ أستمده بكم ، فقال المهاجرون بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين ، فقال
عمرو إنما أنتم مدد أمددته ، فلما رأى ذلك أبو عبيدة - وكان رجل حسن الخلق لين الشيمة - قال :
تعلم يا عمرو أن آخر ما عهد إلى رسول الله ﷺ أن قال : « إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا » وإنك
إن عصيتني لأطعنك . فسلم أبو عبيدة الامارة لعمر بن العاص . وقال محمد بن اسحاق حدثني محمد
ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التيمي قال : بث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يستنفر
العرب إلى الاسلام (٣) وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بنى بلى فبعثه رسول الله ﷺ إليهم
يتألفهم بذلك ، حتى إذا كان على ماء بارض جذام يقال له السلاسل - وبه سميت تلك الغزوة ذات
السلاسل - قال فلما كان عليه وخاف بئث إلى رسول الله ﷺ يستمده فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح

(١) بياض في الاصل الحلبي والمصرية وفي التيمورية : اقتصر على قوله في صحيح مسلم .

(٢) ليست هذه الجملة في التيمورية وفي ابن هشام أنه بث العلاء بن الحضرمي إلى المتذر بن
ساوى العبدي ملك البحرين ، وعمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابنى الجلتدي وسليط إلى ثمامة بن
أفل وهوزة بن علي . (٣) في ابن هشام : إلى الشام وأحسبه خطأ .

في المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر وعمر، وقال لأبي عبيدة حين وجهه « لا تختلفا » فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو : إنما جئت مدداً لي ، فقال له أبو عبيدة لا ولكنني على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه . وكان أبو عبيدة رجلاً ليناً سهلاً ، حيناً عليه أمر الدنيا . فقال له عمرو أنت مددي فقال له أبو عبيدة يا عمرو إن رسول الله ﷺ قد قال لي « لا تختلفا » وإنك إن عصيتني أطمعتك ، فقال له عمرو فاني أمير عليك وإنما أنت مددي ، قال فدوئك فصلى عمرو بن العاص بالناس . وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان عن يزيد بن رومان أن أبا عبيدة لما آب إلى عمرو ابن العاص فصاروا خمسمائة فساروا الليل والنهار حتى وطئ بلاد بلي ودوخها ، وكما انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع فلما سمعوا بك تفرقوا حتى انتهى إلى أقصى بلاد بلي وعذرة وبلقين . أتى في آخر ذلك جمعاً ليس بالكثير فاقتلوا ساعة ، وتراموا بالنبل ساعة ، و... يومئذ عامر بن ربيعة وأصيب ذراعه ، وحمل المسلمون عليهم فهزموا وأعجزوا هرباً في البلاد وتفرقوا ودوخ عمرو ما هناك أو قام أياماً لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه . وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاة والنعم فكانوا ينحرون ويذبحون ولم يكن في ذلك أكثر من ذلك ، ولم تكن غنائم تقسم . وقال أبو داود ثنا ابن المنني ثنا وهب بن جرير ثنا أبي سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص . قال : احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فاشتقت إن اغتسلت أن أهلك ، قال فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ . فقال « يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب ؟ » قال فآخبرته بالذي منمنى من الاغتسال وقلت إني سمعت الله يقول [ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً] فضحك نبي الله ﷺ . ولم يقل شيئاً . حدثنا محمد بن سلمة ثنا ابن لهيعة وعمر بن الحارث عن يزيد ابن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص . وكان على سرية . فذكر الحديث بنحوه قال فضل مغابنه وتوضاً وضوءه للصلاة ثم صلى بهم فذكر نحوه ولم يذكر التيمم . قال أبو داود : وروى هذه القصة عن الأوزاعي عن حسان بن عطية وقال فيه تيمم . وقال الواقدي حدثني أفلح بن سميد عن ابن عبد الرحمن بن رقيش عن أبي بكر بن حزم قال : كان عمرو بن العاص حين قفلوا احتلم في ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد ، فقال لأصحابه ما ترون والله احتلمت فان اغتسلت مت ، فدعا بماء فتوضأ وغسل فرجه وتيمم ثم قام فصلى بهم فكان أول من بعث عوف بن مالك يريداً ، قال عوف قدمت على رسول الله ﷺ في السحر وهو يصلي في بيته فسلمت عليه فقال رسول الله ﷺ « عوف بن مالك ؟ » فقلت عوف بن مالك يا رسول الله ، قال « صاحب الجزور ؟ » قلت نعم ولم يزد علي هذا بعد ذلك شيئاً ثم قال « أخبرني »

فأخبرته بما كان من مسيرنا وما كان من أبي عبيدة وعمر ومطاوعة أبي عبيدة ، فقال رسول الله (س) :
« برحم الله أبا عبيدة بن الجراح » قال ثم أخبرته أن عمرأ صلى بالناس وهو جنب ومعه ماء لم يزد
على أن غسل فرجه وتوضأ ، فسكت رسول الله (س) ، فلما قدم عمرو على رسول الله (س) سألته عن
صلاته فأخبره فقال : والذي بعثك بالحق إني لو اغتسلت لمت لم أجد برداً قط مثله . وقد قال تعالى
[ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً] قال فضحك رسول الله (س) ولم يبلغنا أنه قال شيئاً .
وقال ابن اسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن مالك الأشجعي قال كنت في الغزوة
التي بعث فيها رسول الله (س) عمرو بن العاص وهي غزوة ذات السلاسل فصحبت أبا بكر وعمر
فررت بقوم وم على جزور قد نحروها وم لا يقدرن على أن يعضوها وكنت امرأ جازراً ، فقلت
لهم تعطوني منها عشراً على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا نعم فأخذت الشفرة فجزأتها مكاني وأخذت منها
جزءاً فحملته إلى أصحابي فاطبخناه وأكلناه ، فقال أبو بكر وعمر : أتى لك هذا اللحم يا عوف ؟ فأخبرتهما
فقالا لا والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيان ما في بطونهما منه ، فلما أن قتل الناس من
ذلك السفر كنت أول قادم على رسول الله (س) فحشنته وهو يصلي في بيته فقلت السلام عليك يا رسول
الله ورحمة الله وبركاته ، فقال « أعوف بن مالك ؟ » فقلت نعم بأبي أنت وأمي فقال « صاحب
الجزور ؟ » ولم يزدني على ذلك شيئاً . هكذا رواه محمد بن اسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن
عوف بن مالك وهو منقطع بل معضل . قال الحافظ البيهقي : وقد رواه ابن لهيعة وسعيد بن أبي
أبوب عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن ربيعة بن لقيط عن مالك بن زهدم أظنه عن عوف بن مالك
فذكر نحوه إلا أنه قال : فرضته على عمر فسألني عنه فأخبرته فقل قد تعجلت أجرك ولم يأكله .
ثم حكى عن أبي عبيدة مثله ولم يذكر فيه أبا بكر وعلمه كتحوما تقدم . وقال الحافظ البيهقي أنبا
أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالوا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا يحيى
ابن أبي طالب ثنا علي بن عاصم ثنا خالد الحذاء عن أبي عثمان التهدي سمعت عمرو بن العاص يقول
بعضني رسول الله (س) على جيش ذات السلاسل وفي القوم أبو بكر وعمر ، فحدثت نفسي أنه لم يبعثني
على أبي بكر وعمر إلا للزلة لي عنده ، قال فأتيته حتى قبضت بين يديه فقلت يا رسول الله من أحب
الناس إليك قال « عائشة » ؟ قلت إني لست أسألك عن أهلك قال « فأبوها » قلت ثم من ؟ قال « عمر »
قلت ثم من ؟ حتى عدد رهناء قال قلت في فضو لا أعود أسأل عن هذا ، وهذا الحديث مخرج في
الصحيحين من طريق خالد بن مهران الحذاء عن أبي عثمان التهدي واسمه عبد الرحمن بن مل حدثني
عمرو بن العاص أن رسول الله (س) بعثني على جيش ذات السلاسل ، فأتيته فقلت أي الناس
أحب إليك ؟ قال « عائشة » قلت فمن الرجال ؟ قال « أبوها » قلت ثم من ؟ قال « ثم عمر بن الخطاب »

فعدد رجالا . وهذا لفظ البخاري وفي رواية قال عمرو . فسكت مخافة أن يجملني في آخرهم .

سرية ابي عبيدة الى سيف البحر

قال الامام مالك عن وهب بن كيسان عن جابر قال : بعث رسول الله (س) بعثا قبل الساحل وأمر عليهم ابا عبيدة بن الجراح وم ثلثة قال جابر وأنا فيهم ، خرجنا حتى اذا كنا ببعض الطريق فني الزاد فاتوا ابا عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع كله فكان مزودي تمر ، فكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا حتى فني ولم يكن يدبرنا الا تمر تمر ، قال قلت وما تفنى تمر ؟ فقال لقد وجدنا قنصا حين فنيتم . قال ثم انتهينا الى البحر فاذا حوت مثل الطرب ، قال فأكل منه ذلك الجيش ثمانى عشر ليلة ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبنا ثم أمر براحلته فرحلت ثم مرتحتها فم يصبها . أخرجه في الصحيحين من حديث مالك بنحوه وهو في الصحيحين أيضا من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر قال : بعثنا رسول الله (س) في ثلثة راكب وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح نرصد عيرا لقريش ، فاصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط ، فسمى ذلك الجيش جيش الخبط قال ونحمر رجل ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ثم ثلاثا فقام أبو عبيدة ، قال وألقى البحر دابة يقال لها العنبر فأكلنا منها نصف شهر وادها حتى ثابت الينا أجسامنا وصلحت ثم ذكر قصة الضلع . ف قوله في الحديث نرصد عيرا لقريش دليل على أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية والله أعلم والرجل الذي نحر لم الجزائر هو قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنهما . وقال الحافظ البيهقي أنبأنا أبو بكر بن اسحاق ثنا اسمعيل بن قتيبة ثنا يحيى بن يحيى ثنا أبو خيثمة وهو زهير بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر قال : بعثنا رسول الله (س) وأمر علينا أبا عبيدة نلقى عيرا لقريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمر تمر . قال قلت كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال كنا نمصها كما نمص الصبي ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل وكنا نضرب بمصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله ، قال فانطلقنا الى ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكتيب الضخم ، فأتيناه فلذا به دابة تدعى العنبر ، فقال أبو عبيدة : ميتة ، ثم قال لا بل نحن رسل رسول الله (س) وفي سبيل الله وقد اضطررتم فاكلوا ، قال فأقنا عليه شهرا ونحن ثلثة حتى ممنا ولقد كنا نفرق من رقب عينة بالقلال الدهن ، وقتطع منه القدر كالنور أو كقدر النور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فاقدم في عينة ، وأخذ ضلعا من أضلاعه فقامها ثم رحل أعظم بعير منها فرتحها وتزودنا من لحما وشايق فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله (س) فذكرنا ذلك له فقال « هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمه تطعمونا ؟ » قال فإرسلنا الى رسول الله (س) فأكل منه . ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وأحمد بن يونس وأبو داود عن النخيل ثلاثهم عن أبي

خيشمة زهير بن معاوية الجعفي الكوفي عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي عن جابر بن عبد الله الانصاري به .

قلت : ومقتضى أكثر هذه السياقات أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية ولكن أوردناها هاهنا تبعاً للحافظ البيهقي رحمه الله فإنه أوردناها بعد مؤتة وقبل غزوة الفتح . الله أعلم . وقد ذكر البخاري بعد غزوة مؤتة سرية أسامة بن زيد إلى الحرات من جهينة فقال حدثنا عمرو بن محمد ثنا هشيم ثانياً حصين بن جندب ثنا أبو ظبيان قال سمعت أسامة بن زيد يقول : بعثنا رسول الله (س) إلى الحرة فصباحنا للقوم فهزمنام ، ولحقنا أنا ورجل من الانصار رجلاً منهم فلما غشيناه قال لا إله إلا الله ، فكف الانصاري وطعنته برمحى حتى قتله ، فلما قدمنا بلغ النبي (س) فقال « يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » قلت كان متعوذاً ، فما زال يكررها حتى تمت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم . وقد تقدم هذا الحديث والكلام عليه فيما سلف . ثم روى البخاري من حديث يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال : غزوت مع رسول الله (س) سبع غزوات وخرجت فيها يبعث من البعث تسع غزوات علينا مرة أبو بكر ومرة أسامة بن زيد رضى الله عنهما . ثم ذكر الحافظ البيهقي هاهنا موت النجاشي صاحب الحبشة على الاسلام ونفى رسول الله (س) له إلى المسلمين وصلاته عليه . فروى من طريق مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله (س) نفى إلى الناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات أخرجاه من حديث مالك وأخرجاه أيضاً من حديث الليث عن عقيل عن الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه . وأخرجاه من حديث ابن جريج عن عطاء عن جابر قال قال رسول الله (س) « مات اليوم رجل صالح فصلوا على أوصيته » وقد تقدمت هذه الأحاديث أيضاً والكلام عليها والله الحمد .

قلت : والظاهر أن موت النجاشي كان قبل الفتح بكثير فإن في صحيح مسلم أنه لما كتب إلى ملوك الآفاق كتب إلى النجاشي وليس هو بالمسلم ، وزعم آخرون كالواقدي أنه هو والله أعلم . وروى الحافظ البيهقي من طريق مسلم بن خالد الزنجي عن موسى بن عقبة عن أبيه عن أم كلثوم قالت : لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة قال « قد أهديت إلى النجاشي أواق من مسك وحلة وإني لأراه قد مات ، ولا أرى الهدية إلا سترد على فان ردت على — أظنه قال — قسمتها بينكن أو فهي لك » قال فكان كما قال رسول الله (س) ، مات النجاشي وردت الهدية فلما ردت عليه أعطى امرأة من نسائه أوقية ، من ذلك المسك ، وأعطى سائر أم سلمة ، وأعطاهما الحلة والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. غزوة الفتح الاعظم وكانت في رمضان سنة ثمان
وقد ذكرها الله تعالى في القرآن في غير موضع فقال تعالى [لا يستوى منكم من أنفق من قبل
الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى] الآية .
وقال تعالى [إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك
واستغفره إنه كان توابا] .

وكان سبب الفتح بعد هدنة الحديبية ما ذكره محمد بن اسحاق حدثني الزهري عن عروة بن
الزبير عن المسور بن مخرمة وروان بن الحكم انهما حدثاه جميعاً قالا : كان في صلح الحديبية
أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم
[فتوانبت خزاعة وقالوا نحن ندخل في عقد محمد وعهده ، وتوانبت بنو بكر وقالوا نحن ندخل في عقد
قريش وعهدهم] فسكرنا في تلك المدة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً ثم إن بنى بكر وثبوا على
خزاعة ليلاً بما يقال له الوثير وهو قريب من مكة ، وقالت قريش ما يعلم بنا محمد وهذا الليل وما
برأنا من أحد ، فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح وقتلواهم معهم للضغن على رسول الله (س) ، وأن
عمر بن سالم ركب عند ما كان من أمر خزاعة وبنى بكر بالوثير حتى قدم على رسول الله (س) ، يخبر
الخبر وقد قال أبيات شعر ، فلما قدم على رسول الله (س) ، أنشدها إياه :

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا جَلَفْتُ أَيْهَ وَأَيْنَا الْأَتْلَا
قَدْ كُنْتُمْوَا وَلَمَّا وَكُنَّا وَاللَّهِ نَمَتْ أَسْلَمْنَا فَلَمْ تَنْزِعْ يَدَا
فَانصُرْ رَسُولَ اللَّهِ نَصْرًا أَبَدًا وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَا تَوْأَمَا مَدَا
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا إِنْ يَسِمْ خَسْفًا وَجْهَهُ تَرْبَدَا
فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبَدَا إِنْ قَرِيشًا أَخْلَفُوكَ الْمُوعَدَا
وَقَضُّوَا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا وَجَعَلُوا لِي فِي كَيْدَاءٍ رَصَدَا
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا فَهَمْ أَذَلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا
مُمْ يَتَتُونَا بِالْوَيْثِرِ هَجْدَا وَقَتَلُونَا رُكْمًا وَسَجْدَا

قال رسول الله (س) : نصرت يا عمرو بن سالم ، فابرح حتى مرت بنا عنانة في السماء فقال

رسول الله (س) : « إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب » وأمر رسول الله (س) الناس بالجهاز وكنتمهم مخرجه وسأل الله أن يعصى على قريش خبره حتى يبعثهم في بلادهم .

قال ابن اسحاق : وكان السبب الذي هاجهم أن رجلاً من بنى الحضرمي اسمه مالك بن عباد من حلفاء الاسود بن رزن خرج تاجراً فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من بنى خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الاسلام على بنى الاسود بن رزن الدثلي وهم مفخر بنى كنانة وأشرفهم ؛ سلمى وكثوم وذؤيب فقتلهم بعرفة عندا نصاب الحرم . قال ابن اسحاق : وحدثني رجل من الدثلي قال كان بنو الاسود بن رزن يودون في الجاهلية ديتين ديتين . قال ابن اسحاق : فبينما بنو بكر وخزاعة على ذلك إذ حجز بينهم الاسلام ، فلما كان يوم الحديبية ودخل بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عقد رسول الله (س) ، وكانت الهدنة اغتنمها بنو الدثلي من بنى بكر وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثاراً من أولئك النفر ، فخرج نوفل بن معاوية الدثلي في قومه وهو يومئذ سيدهم وقائدهم وليس كل بنى بكر تابعه ، فبيت خزاعة وهم على الوثير - ماء لهم - فأصابوا رجلاً منهم ونحازوا واقتتلوا ورفعت قريش بنى بكر بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً حتى حلوزوا خزاعة الى الحرم ، فلما انتهوا اليه قالت بنو بكر إنا قد دخلنا الحرم إهلك إهلك فقال كفة عظيمة لا إله اليوم يا بنى بكر أصيبوا ناركم فلمصرى إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ناركم ؟ ولجأت خزاعة الى دار بديل بن ورقاء بمكة والى دار مولى لهم يقال له رافع ، وقد قال الاخضر ابن لوط الدثلي في ذلك :

ألا هل أتى قصوى الأحايش أنا	رددنا بنى كعب بأفوق ناصل
حبسناهم في دارة المبد رافع	وعند بديل نجساً غير طائل
بدار الدليل الآخذ الضم بعد ما	شفينا النفوس منهم بالمناصل
حبسناهم حتى إذا طلك يومهم	نفخنا لهم من كل شعب بوابل
فدبحهم ذبح التيوس كأننا	أسود نبارى فيهم بالقواصل
هم ظلمونا واعتدوا في مسيرهم	وكانوا لدى الانصب أول قاتل
كانهم بالجزع إذ يطردونهم	فكان نور حنان النعم الجواقل

قال فاجابه بديل بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الأجب وكان يقال له بديل بن أم أصرم فقال :

فعاقد قومت يفخرون ولم ندع	لهم سينا يندوهم غير نافل
أمن خيف القوم الأولى تزدريهم	نجيز الوثير خافاً غير آيل
وفي كل يوم نحن نحبوا حباؤنا	لعل ولا يجي لنا في المعائل

وَنَحْنُ صَبَحْنَا بِالتَّلَاعَةِ (١) دَارَكُمْ بِاسْيَافِنَا يَسْبِقُنْ لَوْمُ الْعَوَازِلِ
وَنَحْنُ مَنَعْنَا بَيْنَ بَيْضٍ وَعَتُودٍ إِلَى خَيْفِ رِضْوَى مِنْ مَجَرِّ الْقَبَائِلِ
وَيَوْمَ النَّمِيمِ قَدْ تَكَفَّتْ سَاعِيًا عَبِيسَ فُجْعَاهُ بِمَجْلَدٍ حَلَّاحِلِ
أِنْ أَجْرَتْ فِي بَيْتِهَا أُمُّ بَعْضِكُمْ بِمَجْمُوسِهَا تَنْزُونُ إِنْ لَمْ تَقَاتِلِ
كَذِبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ مَا إِنْ قَتَلْتُمُوهُ وَلَكِنْ تَرَكْنَا أَمْرَكُمْ فِي بِلَابِلِ

قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي سلمة أن رسول الله (س) قال : « كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم يشد في العقد وبزيد في المدة » قال ابن اسحاق : ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله (س) فأخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين حتى لقوا أبا سفيان بعسفان قد بعثته قريش إلى رسول الله (س) يشد العقد وبزيد في المدة وقد رهبوا للذي صنعوا ، فلما أتى أبو سفيان بديلاً قال من أين أقبلت يا بديل ؟ وظن أنه قد أتى رسول الله (س) فقال : سرت في خزاعة في هذا الساحل في بطن هذا الوادي . قال فصد أبو سفيان إلى مبرك ناقته فأخذ من برها ففته فرأى فيه النوى فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً ، ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله (س) المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله (س) طوته ، فقال يا بنية ما أدرى أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت به عني ؟ فقالت هو فراش رسول الله (س) وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراشه ، فقال يا بنية والله لقد أصابك بعدي شر ، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله (س) ، فقال ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال عمر أنا أشفع لكم إلى رسول الله (س) ؟ فوالله لو لم أجد لكم إلا اللد لجاهدتكم به ، ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب وعده ، فاطمة بنت رسول الله (س) . وعندها حسن غلام ينب بين يديهما ، فقال يا علي إنك أمس القوم بي رحماً وأقربهم مني قرابة ، وقد جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت خائباً فاشفع لي إلى رسول الله (س) ؟ فقال ويحك أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله (س) على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة فقال يا بنت محمد هل لك أن تأمرى بفيك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما بلغ بنية ذلك أن يجبر بين الناس وما يجبر أحد على النبي (س) ، فقال يا أبا الحسن إنني أرى الأمور قد اشتدت على فأنصحني ؟ قال والله ما أعلم شيئاً يغني عنك ، ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك ، فقال أو ترى ذلك مغنياً عني شيئاً ؟ قال لا والله ما أظن ولكن لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سفيان في المسجد . فقال : أيها الناس إنني قد أجرت بين الناس ، ثم ركب

بغيره فإللق فلما أن قدم على قريش قالوا ما وراءك؟ قال جئت محمداً فكلتمته فوالله ما رد علي شيئاً
ثم جئت ابن أبي قحافة فوالله ما وجدت فيه خيراً، ثم جئت عمر فوجدته أعدي عدو، ثم جئت علياً
فوجدته ألين القوم وقد أشار علي بأمر صنعته فوالله ما أدري هل يغني عنا شيئاً أم لا؟ قالوا بماذا
أمرك؟ قال أمرني أن أجير بين الناس ففعلت، قالوا هل أجاز ذلك محمد؟ قال لا، قالوا ويحك ما زادك
الرجل على أن لعب بك فما يغني عنا ما قلت، فقال لا والله ما وجدت غير ذلك [(فائدة) ذكرها
السهيلي فتسكلم على قول فاطمة في هذا الحديث؛ وما يجير أحد على رسول الله (س)، على ما جاء في
الحديث «ويجير على المسلمين أديانهم» قال: وجه الجمع بينهما بأن المراد بالحديث من يجير واحداً ونفراً
يسيراً، وقول فاطمة فمن يجير عدداً من غزو الإمام أيام فليس له ذلك. قال كان سحنون وابن
الماجشون يقولان: إن أمان المرأة موقوف على إجازة الإمام لقوله لام هائي «قد أجرنا من أجرت يا أم
هائي» قال وروى هذا عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد. وقال أبو حنيفة: لا يجوز أمان العبد
وفي قوله عليه السلام «ويجير عليهم أديانهم» ما يقتضي دخول العبد والمرأة والله أعلم [(١) وقد روى
البيهقي من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قالت بنو كعب:

اللهم إني ناشدُ محمداً جَلَبْتُ أَيْبِنَا وَأَيْبِيهِ الْأَتْلَا

فانصر هذاك الله نصرّاً عتداً وادعُ عباد الله يأتوا مدداً

وقال موسى بن عقبة في فتح مكة: ثم إن بني نفاعة من بني الدئل أغاروا على بني كعب وهم في
المدة التي بين رسول الله (س) وبين قريش، وكانت بنو كعب في صلح رسول الله (س)، وكانت
بنو نفاعة في صلح قريش، فأعانت بنو بكر بني نفاعة وأعانتهم قريش بالسلاح والرفيق واعتزلتهم بنو
مدلج ووفوا بالعهد الذي كانوا عاهدوا عليه رسول الله (س)، وفي بني الدئل رجلان هما سيدهم؛ سفي
ابن الأسود وكنثوم بن الأسود، ويذكرون أن ممن أعطهم صفوان بن أمية وشيبة بن عثمان وسهيل
ابن عمرو، فأغلرت بنو الدئل على بني عمرو وعانتهم زعموا نساء وصبيان وضعفاء الرجال فألجؤهم
وقتلهم حتى أدخلوهم إلى دار بديل بن ورقاء بمكة، فخرج ركب من بني كعب حتى أتوا رسول الله
(س)، فذكروا له الذي أصابهم وما كان من أمر قريش عليهم في ذلك، فقال لهم رسول الله (س)،
«ارجعوا فتمزقوا في البلدان» وخرج أبو سفيان من مكة إلى رسول الله (س)، ونخوف الذي كان،
فقال: يا محمد اشد العقد وزدنا في المدة، فقال رسول الله (س)، «ولذلك قدمت، هل كان من حدث
قبلكم؟» فقال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية لا نفعر ولا نبذل، فخرج من عند
رسول الله (س)، وأتى أبا بكر فقال: جدد العقد وزدنا في المدة؟ فقال أبو بكر: جوارى في جوار رسول

الله (س)، والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم، ثم خرج فأتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال عمر بن الخطاب : ما كان من حلفنا جديد فأخلقه الله : وما كان منه مثبتاً فقطعه الله ، وما كان منه مقطوعاً فلا وصله الله . فقال له أبو سفيان جزيت من ذي رحم شراً ، ثم دخل على عثمان فكلمه فقال عثمان : جوارى فى جوار رسول الله (س)، ثم اتبع أشراف قريش يكلمهم فكلهم يقول عقدنا فى عقد رسول الله (س)، فلما يئس مما عندهم دخل على فاطمة بنت رسول الله (س)، فكلما قالت إنما أنا امرأة وإنما ذلك إلى رسول الله (س)، فقال لها فأمرى أحد ابنيك ، قالت إنهما صبيان ليس مثلها يجير ، قال فكلمى علياً ، قالت أنت فكلمه ، فكلم علياً فقال له يا أبا سفيان إنه ليس أحد من أصحاب رسول الله (س). يفتات على رسول الله (س). بجوار ، وأنت سيد قريش وأكبرها وأمنعها فأجر بين عشيرتك ، قال صدقت وأنا كذلك ، فخرج فصاح ألا إني قد أجرت بين الناس ولا والله ما أظن أن يخفنى أحد ، ثم دخل على النبي (س). فقال : يا محمد إني قد أجرت بين الناس ولا والله ما أظن أن يخفنى أحد ولا يرد جوارى ؟ فقال « أنت تقول يا أبا حنظلة » فخرج أبو سفيان على ذلك فزعوا - والله أعلم - أن رسول الله (س). قال حين أدبر أبو سفيان « اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بقتة ولا يسمعون بنا إلا نجاة » وقدم أبو سفيان مكة فقالت له قريش ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟ قال لا والله لقد أبى على وقد تتبعته أصحابه فإرايت قوماً لملك عليهم أطوع منهم له ، غير أن على بن أبي طالب قد قال لى التمس جوار الناس عليك ولا نجير أنت عليه وعلى قومك وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقها أن لا تخفر جواره فقامت بالجوار ثم دخلت على محمد فذكرت له أنى قد أجرت بين الناس وقلت ما أظن أن تخفنى ؟ فقال أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة : فقالوا - بحبين له - رضيت بغير رضى ، وجئتنا بما لا يفتى عنا ولا عنك شيئاً وإنما لعب بك على لعمر الله ما جوارك بمجائز وإن إخبارك عليهم لهين ، ثم دخل على امرأته فحدثها الحديث فقالت : قبحك الله من وافد قوم فما جئت بخير ، قال ورأى رسول الله (س). أصحابا فقال « إن هذه السحاب لتبض بنصر بني كعب » فكث رسول الله (س). ما شاء الله أن يمكث بعد ما خرج أبو سفيان ، ثم أخذ فى الجهاز وأمر عائشة أن تجهزه وتنفخ ذلك ، ثم خرج رسول الله (س). إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته ، فدخل أبو بكر على عائشة فوجد عندها حنطة تنسف وتنقى ، فقال لها يا بنية لم تصنعين هذا الطعام ؟ فسكتت فقال أريد رسول الله (س). أن يغزو ؟ فصمتت فقال أريد بنى الاصر - وم الروم - ؟ فصمتت. قال فلعله يريد أهل نجد ؟ فصمتت قال فلعله يريد قريشا ؟ فصمتت قال فدخل رسول الله (س). فقال له : يا رسول الله أتريد أن تخرج مخرجاً ؟ قال نعم قال فلعلك تريد بنى الاصر ؟ قال لا : قال أتريد أهل نجد ؟ قال لا ، قال فلعلك تريد قريشاً ؟ قال نعم ، قال أبو

بكر يا رسول الله أليس بينك وبينهم مدة ؟ قال : « ألم يبلغك ما صنعوا بيني كعب » قال وأذن رسول الله (س) في الناس بالغزو ، وكتب حاطب بن أبي بلتعة الى قريش وأطلع الله رسوله (س) على الكتاب وذكر القصة كما سيأتي . وقال محمد بن اسحاق : حدثني محمد بن جعفر عن عروة عن عائشة أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تغزل حنطة فقال ما هذا ؟ أمركم رسول الله (س) بالجهاز ؟ قالت نعم فتجهز ، قال والى أين ؟ قالت ما صهي لنا شيئاً غير أنه قد أمرنا بالجهاز قال ابن اسحاق : ثم إن رسول الله (س) أعلم الناس أنه سار الى مكة وأمر بالجد والتبؤ وقال « اللهم خذ العيون والاعبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها » فتجهز الناس فقال حسان يجرى الناس ويذكر مصاب خراقة :

عناي ولم أشهد يبطحاء مكة رجال بني كعب يحز رقابها
بأيدي رجال لم يسألوا سيوفهم وقتل كثير لم نجد ثيابها
الليت شمري هل تنالن نصرتي سهيل بن عمرو حرها وعقابها
وصفوان عوداً حزم من شفر أستة فهذا أو أن الحرب شد عصابها
فلا تأمننا يا ابن أم بجالد اذا احتلبت صرنا وأعصل قابها
ولا تجزعوا منها فان سيوفنا لها وقعة بالوت يفتح بابها

قصة حاطب بن أبي بلتعة

قال محمد بن اسحاق : حدثني محمد بن جعفر عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قالوا : لما أجمع رسول الله (س) المسير الى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله (س) من الأمر في السير اليهم ، ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة ، وزعم لي غيره أنها سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب وجعل لها جملا على أن تبليخه قريشاً ، فجعلته في رأسها ثم قتلت عليه قرونها ثم خرجت به ، وأتى رسول الله (س) الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال « أدركا امرأة قد كتبت معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب الى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم » فخرجا حتى أدركاها بالحليفة حليفة بني أبي احمد فاستزلاها فالتصاه في رحلها فلم يجدا فيه شيئاً ، فقال لها على : إني أحلف بالله ما كذب رسول الله (س) ولا كذبتنا ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك ، فلما رأت الجدة منه قالت أعرض فأعرض ، فخلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته اليه ، فأتى به رسول الله (س) فدعا رسول الله (س) حاطباً فقال « يا حاطب ما حملك على هذا ؟ » قال : يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله ما غيرت ولا بدلت ولكنني كنت امرأاً ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانتمهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله دعني فلا ضرب عنقه

فان الرجل قد نافق؟ فقال رسول الله (ص) : « وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وأنزل الله في حاطب [يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة] الى آخر القصة . هكذا أورد ابن اسحاق هذه القصة مرسله وقد ذكر السهيلي أنه كان في كتاب حاطب أن رسول الله قد توجه اليكم بمحيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه منجز له ما وعده . قال وفي تفسير ابن سلام أن حاطبا كتب : إن محمداً قد نفر فاما اليكم وإما الى غيركم فعليكم الحذر . وقد قال البخاري ثنا قتيبة ثنا سفيان عن عمرو بن دينار أخبرني الحسن بن محمد أنه سمع عبيد الله بن أبي رافع سمعت علياً يقول : بعثني رسول الله (ص) أنا والزبير والمقداد فقال « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظمينة معها كتاب فخذوه منها » فانطلقنا فمادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظمينة ، فقلنا أخرجي الكتاب ، فقالت ما معي ، فقلنا لنخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب . قال فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله (ص) . فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة الى فاس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله (ص) . فقال « يا حاطب ما هذا ؟ » فقال : يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأة مملوكة (١) في قريش يقول كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم ، فأحببت اذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ، فقال رسول الله (ص) : « أما إنه قد صدقكم » فقال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ؟ فقال « إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدراً فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فانزل الله سورة [يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء] الى قوله [فقد ضل سواء السبيل] وأخرجه بقية الجماعة الا ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة وقال الترمذي حسن صحيح . وقال الامام احمد ثنا حجيين وبونس قالوا : حدثنا ليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر ابن عبد الله أن حاطب بن أبي بلتعة كتب الى أهل مكة يذكر أن رسول الله (ص) أراد غزوهم ، فدل رسول الله (ص) على المرأة التي معها الكتاب فأرسل اليها فآخذ كتابها من رأسها وقال « يا حاطب أفعلت ؟ » قال نعم ، قال أما إني لم أفعله غشاً لرسول الله (ص) ، ولا نفاقاً ، قد علمت أن الله مظهر رسوله وتم له أمره غير أني كنت غريباً بين ظهرانيهم وكانت والدي معهم فأردت أن أتخذ يدا عندهم ، فقال له عمر : ألا أضرب رأس هذا ؟ فقال « أقتل رجلاً من أهل بدر وما يدريك

(١) كذا في الاصل . وقال السهيلي : كنت عربياً وفسر العربي بالغريب .

لعل الله قد اطلع الى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم . تفرد بهذا الحديث من هذا الوجه الامام احمد وإسناده على شرط مسلم والله الحمد .

فصل في

قال ابن اسحاق : حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : ثم مضى رسول الله (س) لسفره واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خاف الغفاري ، وخرج لعشر مضين من شهر رمضان فصام وصام الناس معه ، حتى اذا كان بالكديد بين عسفان وأميج أفطر ، ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ، وقال عروة بن الزبير : كان معه اثنا عشر الفا . وكذا قال الزهري وموسى بن عتبة ، فسبعت سليم وبعضهم يقول ألفت سليم وألفت مزينة وفي كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله (س) المهاجرون والانصار فلم يتخلف عنه منهم أحد . وروى البخاري عن محمود عن عبد الرزاق عن معمر بن الزهري نحوه . وقد روى البيهقي من حديث عاصم بن علي عن الليث بن سعد عن عقيل عن الزهري اخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن رسول الله (س) غزا غزوة الفتح في رمضان . قال وممعت سعيد بن المسيب يقول مثل ذلك لا أدري أخرج في ليل من شعبان فاستقبل رمضان ، أو خرج في رمضان بعد ما دخل ؟ غير أن عبيد الله بن عبد الله أخبرني أن ابن عباس قال صام رسول الله (س) حتى بلغ الكديد - الماء الذي بين قديد وعسفان - أفطر ، فلم يزل يفطر حتى انصرم الشهر . ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف عن الليث غير أنه لم يذكر التريديد بين شعبان ورمضان . وقال البخاري ثنا علي بن عبد الله ثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاووس عن ابن عباس قال : سافر رسول الله (س) في رمضان ، فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا بأناه فشرب نهراً ليراه الناس ، فأفطر حتى قدم مكة . قال وكان ابن عباس يقول : صام رسول الله (س) في السفر وأفطر ، فمن شاء صام ، ومن شاء أفطر . وقال يونس عن ابن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : مضى رسول الله (س) لسفرة الفتح واستعمل على المدينة أبا رهم كلثوم ابن الحصين الغفاري وخرج لعشر مضين من رمضان : فصام وصام الناس معه حتى أتى الكديد بين عسفان وأميج فأفطر ، ودخل مكة فمظروا فكان الناس يرون آخر الأمرين من رسول الله (س) الفطر ، وأنه نسخ ما كان قبله . قال البيهقي : فقوله خرج لعشر من رمضان مدرج في الحديث ، وكذلك ذكره عبد الله بن ادريس عن ابن اسحاق ، ثم روى من طريق يعقوب بن سفيان عن جابر عن يحيى عن صدقة عن ابن اسحاق أنه قال : خرج رسول الله (س) لعشر مضين من رمضان سنة ثمان ثم روي

البيهقي من حديث أبي اسحاق الفزاري عن محمد بن أبي حفصة عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : كان الفتح ثلاث عشر خلت من شهر رمضان قال البيهقي : وهذا الإدراج وهم إنما هو من كلام الزهري ، ثم روى من طريق ابن وهب عن يونس عن الزهري قال قال : غزا رسول الله (س) غزوة الفتح - فتح - مكة فخرج من المدينة في رمضان ومعه من المسلمين عشرة آلاف ، وذلك على رأس ثمانين سنة ونصف سنة من مقدمه المدينة . وافتتح مكة ثلاث عشرة بقين من رمضان . وروى البيهقي من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن رسول الله (س) خرج في رمضان ومعه عشرة آلاف من المسلمين ، فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر . قال الزهري وإنما يؤخذ بالأحدث فلا أحدث . قال الزهري فصبح رسول الله (س) مكة ثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ، ثم عزاه في الصحيحين من طريق عبد الرزاق والله أعلم . وروى البيهقي من طريق سعيد بن عبد العزيز التنوخي عن عطية بن قيس عن أبي سعيد الخدري قال : آذنتنا رسول الله (س) بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان فخرجنا صواماً حتى بلغنا الكديد فأمرنا رسول الله (س) بالفطر فأصبح الناس مرحى منهم الصائم ومنهم المفطر ، حتى إذا بلغنا المنزل الذي تلقى العدو أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعين . وقد رواه الامام احمد عن أبي المغيرة عن سعيد بن عبد العزيز حدثني عطية بن قيس عن حدثه عن أبي سعيد الخدري قال : آذنتنا رسول الله (س) بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان فخرجنا صواماً حتى بلغنا الكديد فأمرنا رسول الله (س) بالفطر فأصبح الناس منهم الصائم ومنهم المفطر حتى إذا بلغ أدنى منزل يلقى العدو أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعون .

قلت : فعلى ما ذكره الزهري من أن الفتح كان يوم الثالث عشر من رمضان ، وما ذكره أبو سعيد من أنهم خرجوا من المدينة في ثاني شهر رمضان يقتضى أن مسيرهم كان بين مكة والمدينة في إحدى عشرة ليلة . ولكن روى البيهقي عن أبي الحسين بن الفضل عن عبد الله بن جعفر عن يعقوب ابن سفيان عن الحسن بن الربيع عن ابن إدريس عن محمد بن اسحاق عن الزهري ومحمد بن علي ابن الحسين وعاصم بن عمر بن قتادة وعمر بن شعيب وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم قالوا : كان فتح مكة في عشر بقيت من شهر رمضان سنة ثمان . قال أبو داود الطيالسي : ثنا وهيب عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر عن عبد الله قال : خرج رسول الله (س) عام الفتح صائماً حتى أتى كراع النعيم والناس معه مشاة وركباً وذلك في شهر رمضان ، فقيل يا رسول الله إن الناس قد اشتد عليهم الصوم وإنما ينظرون كيف فعلت ؟ فبما رسول الله (س) قدح فيه ماء فرفه فشرب والناس ينظرون ، فصام بعض الناس وأفطر البعض حتى أخبر النبي (س) أن بعضهم صائم فقال رسول الله (س) :

« أولئك العصاة » وقد رواه مسلم من حديث الثقي والدروردي عن جعفر بن محمد . وروى الامام أحمد من حديث محمد بن اسحاق حدثني بشير بن يسار عن ابن عباس قال : خرج رسول الله (ص) عام الفتح في رمضان فصام وصام المسلمون معه ، حتى اذا كان بالكديد دعا بماء في قصب وهو على راحلته فشرب والناس ينظرون يعلمون أنه قد أفطر ، فافطر المسلمون ، تفرد به احمد .

فضائله

في اسلام العباس بن عبد المطلب عم النبي (ص) ، وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله (ص) ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي أخى أم سلمة أم المؤمنين وهجرتهن الى رسول الله (ص) فوجدوه في أثناء الطريق وهو ذاهب الى فتح مكة . قال ابن اسحاق : وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله (ص) يعض الطريق ، قال ابن هشام : لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله وقد كان قبل ذلك مقبلاً بمكة على سقايته ورسول الله (ص) عنه راض فيما ذكره ابن شهاب الزهري . قال ابن اسحاق : وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية قد لقيا رسول الله (ص) ايضاً بفتح المقاب فيما بين مكة والمدينة واتمسا بالدخول عليه ، فكلمته أم سلمة فيهما فقالت : يا رسول الله إن ابن عمك وابن عمتك وصهرك قال « لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فتهتك عرضي : وأما ابن عمتي فهو الذي تذر لي بمكة ما قال » (١) قال فلما خرج اليهما الخبر بذلك ومع أبي سفيان بنى له فقال : والله ليأذنن لي أو لا آخذن بيد بني هذا ثم لنذهبن في الارض ثم نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك النبي (ص) رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما ، وأثنى أبو سفيان قوله في إسلامه واعتنق اليه مما كان مضى منه :

لمرّك أنى يوم أحلّ رايةً	لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكا لذيخ الخير ان أعظم ليّله	فهذا أواني حين أهدي وأهتدي
هدا بي هادر غير نفسي وتالي	مع الله من طرّكت كل مطرد
أصد وأناى جاهداً عن محمد	وأدعى وإن لم أتسب من محمد
هموا ما هموا من لم يقل بهوام	وإن كنن ذا رأيي يكلم ويثند
أريد لأرضيهم وليست بلائط	مع القوم ما لم أهد في كل مقعد
قل لتقيف لا أريد قتالها	وقل لتقيف تلك عيري أو عدي

(١) قال السهيلي : يعني حين قال له : والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلماً الى السماء فتخرج فيه وأنا أنظر ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلك .

فما كنت في الجيش الذي نال عامراً وما كان عن جري لساني ولا يدي
قبائل جاءت من بلاد بعيدة نزاع جاءت من سهام ومردد
قال ابن اسحاق : فرغموا أنه حين أنشد رسول الله (س) ، وقالني مع الله من طردت كل مطرد ،
ضرب رسول الله (س) ، يده في صدره وقال « أنت طردتني كل مطرد » .

قصص الأنبياء

ولما انتهى رسول الله (س) إلى مر الظهران نزل فيه فاقام كما روى البخاري عن يحيى بن بكير
عن الليث ومسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب كلاهما عن يونس عن الزهري عن أبي سلمة عن جابر
قال : كنا مع رسول الله (س) بمر الظهران فمجتني الكعبث ، وإن رسول الله (س) قال « عليكم
بالاسود منه فانه أطيب » قالوا يا رسول الله أ كنت ترعى الغنم ؟ قال « نعم وهل من نبي الا وقد
رعاها » وقال البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن سنان بن
اسماعيل عن أبي الوليد سعيد بن مينا قال : لما فرغ أهل مكة ورجعوا أمرهم رسول الله (س) بالمسير
إلى مكة ، فلما انتهى إلى مر الظهران نزل بالعقبة فارسل الجناة يجتنون الكعبث ، فقلت لسعيد
وما هو ؟ قال نمر الأراك قال فانطلق ابن مسعود فيمن يجتني ، قال فجعل أحدهم اذا أصاب حبة طيبة
قدفها في فيه ، وكانوا ينظرون إلى دقة ساقى ابن مسعود وهو يرقى في الشجرة فيضحكون فقال رسول
الله (س) « تعجبون من دقة ساقيه فوالذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد » وكان ابن
مسعود ما اجتني من شيء جاء به وخياره إلى رسول الله (س) فقال في ذلك :

هذا جنائي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

وفي الصحيحين عن أنس قال : أنفجنا أرنباً ونحن بمر الظهران فسمى القوم فلغبوا فادركتها
فأخذتها فأتيت بها أبا طلحة فذببحها ، وبعث إلى رسول الله (س) بركها ونفخها قبله . وقال ابن
اسحاق : ونزل رسول الله (س) مر الظهران وقد عميت الاخبار عن قریش فلا يأتيهم خبر عن رسول
الله (س) ولا يدرون ما رسول الله (س) فاعل ، وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم
ابن حزام و بديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به . وذکره
ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة أن رسول الله (س) بعث بين يديه عيوناً خيلاً يقتصون العيون
وخزاعة لا تدع أحداً يمضي وراءها ، فلما جاء أبو سفيان واصحابه أخذتهم خيل المسلمين وقام اليه عمر
بجاً في عنقه حتى أجاره العباس بن عبد المطلب وكان صاحباً لابي سفيان . قال ابن اسحاق : وقال
العباس حين نزل رسول الله (س) مر الظهران قلت واصباح قریش والله لئن دخل رسول الله (س) .

مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلك قريش إلى آخر الدهر ، قال فجلست على بغلة رسول الله (ص) البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت لعلي أجد بعض الخطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله (ص) يخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة ، قال فوالله إني لأسير عليها وألتبس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً . قال يقول بديل : هذه والله خزاعة حمشتها الحرب ، قال يقول أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها . قال فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة ؟ فعرف صوتي فقال أبو الفضل : قال قلت نعم ، قال مالك فدى لك أبي وأمي ؟ قال قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله (ص) في الناس فقال واصباح قريش والله ، فما الحيلة فذاك أبي وأمي ؟ قال قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فأركب في عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله (ص) فاستأمنه لك ، قال فركب خلفي ورجع صاحبه ^(١) وقال عروة : بل ذهبوا إلى النبي (ص) فأسلموا وجعل يستخبرهما عن أهل مكة . وقال الزهري وموسى بن عقبة : بل دخلوا مع العباس على رسول الله (ص) . [قال ابن اسحاق : قال فجئت به كلما مرت بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا ؟ فاذا رأوا بغلة رسول الله (ص) وأنا عليها قالوا هم رسول الله (ص) على بغلة رسول الله (ص) ، حتى مرت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا ؟ وقام إلى ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال أبو سفيان عدو الله [الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ؟ وزعم عروة بن الزبير أن عمر وجأ في رقبة أبي سفيان وأراد قتله فمنعه منه العباس . وهكذا ذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن عيون رسول الله (ص) أخذوهم بأزمة جهلهم فقالوا من أنتم ؟ قالوا وقد رسول الله (ص) فلقبهم العباس فدخل بهم على رسول الله فحدثهم عامة الليل ثم دعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله فشهدوا وأن محمداً رسول الله فشهدوا بحكيم وبديل وقال أبو سفيان : ما أعلم ذلك ثم أسلم بعد الصبح ثم سأله أن يؤمن قريشا فقال : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن - وكانت بأعلا مكة - ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن - وكانت بأسفل مكة - ومن أغلق بابي فهو آمن » قال العباس : ^(٢) ثم خرج عمر يشتد نحو رسول الله (ص) وركضت البغلة فسبقتة بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء ، قال فاقترحت عن البغلة فدخلت على رسول الله (ص) ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني فلاضرب عنقه ؟ قال قلت يا رسول الله إني قد أجرته ، ثم جلست إلى رسول الله (ص) فأخذت برأسه فقلت والله لا ينجيه الليلة دوني رجل ، فلما أكثر عمر في شأنه قال قلت : مهلا يا عمر فوالله أن لو كان من رجال بني عدى بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت

(١) صاحبه بديل بن ورقاء وحكيم بن حزام . (٢) ما بين المربعين عن المصرية فقط .

أنه من رجال بني عبد مناف ، فقال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب الى من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي الا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب الى رسول الله ص من إسلام الخطاب [لو أسلم] ، فقال رسول الله ص اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا أصبحت فأقني به ص قال فذهبت به الى رحلي فبات عندي فلما أصبح غدوت به الى رسول الله ص ، فلما [رآه قال] ص ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا اله الا الله ؟ فقال بأبي أنت وأمي ما أحلك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئا بعد ، قال ص ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ قال بأبي أنت وأمي ما أحلك وأكرمك وأوصلك أما هذه والله فان في النفس منها حتى الآن شيئا ، فقال له العباس : ويحك أسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك ؟ قال فشهد شهادة الحق فأسلم ، قال العباس فقلت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئا ؟ قال : نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ص [زاد عروة ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ص وهكذا قال موسى بن عقبة عن الزهري ^(١)] ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ص فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ص : يا عباس أحبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها ص [وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن أبا سفيان وبديلا وحكيم بن حزام كانوا وقوا مع العباس عند خطم الجبل ، وذكر أن سعدا لما قال لأبي سفيان : اليوم يوم الملحمة . اليوم تستحل الحرمة ، فشكى أبو سفيان الى رسول الله ص : فعزله عن راية الانصار وأعطاها الزبير بن العوام فدخل بها من أعلا مكة وغرزاها بالحجون ، ودخل خالد من أسفل مكة فلقية بنو بكر وهذيل فقتل من بني بكر عشرين ومن هذيل ثلاثة أو أربعة وانهزموا فقتلوا بالحزرة حتى بلغ قتلهم باب المسجد] ^(٢) قال العباس : فخرجت بأبي سفيان حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ص . أن أحبسه ، قال ومرت القبائل على راياتها كلها صرت قبيلة قال يا عباس من هؤلاء ؟ فأقول سليم فيقول مالي وسليم ، ثم تمر به القبيلة فيقول يا عباس من هؤلاء ؟ فأقول مزينة فيقول مالي ولمزينة ، حتى ففنت القبائل ما تمر به قبيلة إلا سألتني عنها فاذا أخبرته قال مالي ولبنى فلان حتى مر رسول الله ص . في كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحديد فقال سبحانه الله يا عباس من هؤلاء ؟ قال قلت هذا رسول الله ص . في المهاجرين والانصار ، قال ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما ! قال قلت يا أبا سفيان إنها النبوة ، قال فنعم إذن ، قال قلت النجاء إلى قومك حتى إذا جاءهم صرخ بأعلا صوته يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل

لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، فقامت اليه هند بنت عتبة فاخذت بشاربه فقالت اقتلوا الحميت الدسم الأحمس قبح من طليعة قوم ، فقال أبو سفيان : ويلكم لا تفرنكم هذه من أنفسكم فانه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، قالوا فأتلك الله وما تنفى عنا دارك ؟ قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . ففرق الناس الى دورهم والى المسجد [وذكر عروة بن الزبير أن رسول الله (س) ، لما مر بأبي سفيان قال له : إني لأرى وجوها كثيرة لا أعرفها لقد كثرت هذه الوجوه على ؟ فقال له رسول الله : « أنت فعلت هذا وقومك إن هؤلاء صدقوني إذ كذبتهموني ونصروني إذ أخرجتهموني » ثم شكى اليه قول سعد بن عبادة حين مر عليه فقال : يا أبا سفيان اليوم يوم الملحة ، اليوم تستحل الحزمة . فقال رسول الله : « كذب سعد بل هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة » وذكر عروة أن أبا سفيان لما أصبح صبيحة تلك الليلة التي كان عند العباس ورأى الناس يجنحون للصلاة وينتشرون في استعمال الطهارة خاف وقال للعباس ما بالهم ؟ قال إنهم معمو النداء فهم ينتشرون للصلاة ، فلما حضرت الصلاة ورأهم يركعون يركوعه ويسجدون بسجوده قال : يا عباس ما يأمرهم بشئ الا فعلوه ؟ قال نعم والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه . وذكر موسى بن عقية عن الزهري أنه لما تواضأ رسول الله (س) جعلوا يتكفون ، فقال يا عباس ما رأيت كالليلة ولا ملك كسرى وقيصراً ^(١) . وقد روى الخافظ البيهقي عن الحاكم وغيره عن الأصم عن أحمد بن الجبار عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني الحسين ابن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس فذكر هذه القصة بتامها كما أوردتها زياد البكائي عن ابن اسحاق منقطعة قاله اعلم . على أنه قد روى البيهقي من طريق أبي بلال الأشعري عن زياد البكائي عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال : جاء العباس بأبي سفيان الى رسول الله (س) ، قال فذكر القصة الا أنه ذكر أنه أسلم ليلته قبل أن يصبح بين يدي رسول الله (س) ، وأنه لما قال له رسول الله (س) : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » قال أبو سفيان وما تسع داري ؟ فقال « ومن دخل الكعبة فهو آمن » قال وما تسع الكعبة ؟ فقال « ومن دخل المسجد فهو آمن » قال وما يسع المسجد فقال « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » فقال أبو سفيان هذه وائمة . وقال البخاري حدثنا عبيد بن المعميل ثنا أبو أسامة عن هشام عن ابيه قال : لما سار رسول الله (س) ، عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله (س) ، فأقبلوا يسرون حتى أتوا مر الظهران فاذا هم نيران كأنها نيران عرفة ، فقال أبو سفيان ما هذه كأنها نيران عرفة ؟ فقال بديل بن ورقاء نيران بني

عمر، فقال أبو سفيان عمرو أقل من ذلك، فرآهم ناس من حرس رسول الله (ص)، فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله (ص)، فأسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس «احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين» فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع رسول الله (ص)، تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمرت كتيبة فقال يا عباس من هذه؟ قال هذه غفار قال مالي ولغفار، ثم مرت جبهة فقال مثل ذلك، ثم مرت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك، ومرت سليم فقال مثل ذلك، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها فقال من هذه؟ قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عباداة معه الراية، فقال سعد بن عباداة: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة. فقال أبو سفيان: يا عباس حبنا يوم الذمار ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب فيهم رسول الله (ص)، وأصحابه وراية رسول الله (ص)، مع الزبير بن العوام، فلما مر رسول الله (ص)، بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عباداة؟ فقال ما قال؟ قال كذا وكذا فقال «كذب سعد ولا يكن هذا يوم يعظم الله الكعبة، ويوم تسكني فيه الكعبة» وأمر رسول الله (ص)، أن تركز رايته بالحجون. قال عروة أخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال سمعت العباس يقول للزبير بن العوام: ها هنا أمر رسول الله (ص)، أن تركز الراية؟ قال نعم قال وأمر رسول الله (ص)، خالد بن الوليد أن يدخل من أعلا مكة من كدءاء ودخل رسول الله (ص)، من كدءى فقتل من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلاً حنيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهري. وقال أبو داود ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا يحيى بن آدم ثنا ادريس عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن رسول الله (ص)، عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان بن حرب فأسلم عمر الظهران، فقال له العباس يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فلو جعلت له شيئاً؟ قال «نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن».

صفة دخوله (ص)، مكة

ثبت في الصحيحين من حديث مالك عن الزهري عن أنس أن رسول الله (ص)، دخل مكة وعلى رأسه المغفر، فلما نزع جاءه رجل فقال: إن ابن خطل متعلق باستار الكعبة فقال «اقتلوه» قال مالك ولم يكن رسول الله (ص)، فيها نرى والله أعلم محرمًا. وقال أحمد ثنا عفان ثنا حماد أنبأ أبو الزبير عن جابر أن رسول الله (ص)، دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء. ورواه أهل السنن الأربعة من حديث حماد بن سلمة وقال الترمذي حسن صحيح. ورواه مسلم عن قتبية ويحيى بن يحيى عن معاوية بن عمار الدهني عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله (ص)، دخل مكة وعليه عمامة سوداء من غير إحرام وروى مسلم من حديث أبي أسامة عن مسور الوراق عن جعفر بن عمرو بن

حريث عن أبيه قال : كَاتِي أَنْظِرْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (س) ، يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ حَرَقَانِيَّةٌ سَوْدَاءُ قَدْ أَرَخَى طَرَفَهَا بَيْنَ كَتْفَيْهِ . وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ عِمَارِ الدَّهْنِيِّ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (س) دَخَلَ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ . وَرَوَى أَهْلُ السَّنَنِ الْأَرْبَعَةُ مِنْ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ آدَمَ عَنْ شَرِيكَ الْقَاضِي عَنْ عِمَارِ الدَّهْنِيِّ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ : كَانَ لَوَاهِ رَسُولِ اللَّهِ (س) يَوْمَ دَخَلَ مَكَّةَ أَيْبُضٌ . وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَائِشَةَ : كَانَ كَانَ لَوَاهِ رَسُولِ اللَّهِ (س) يَوْمَ الْفَتْحِ أَيْبُضٌ وَرَايَتُهُ سَوْدَاءُ تَسْمَى الْعَقَابُ ، وَكَانَتْ قِطْعَةً مِنْ مِرْطَ مَرَجَلٍ . وَقَالَ الْبُخَارِيُّ ثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ ثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرَّةَ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَغْفَلٍ يَقُولُ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (س) يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ عَلَى نَاقَتِهِ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ يَرْجِعُ وَقَالَ لَوْلَا أَنْ يَجْتَمِعَ النَّاسُ حَوْلِي لَرَجَمْتُ كَمَا رَجِمَ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (س) لَمَّا أَنْتَهَى إِلَى ذِي طُوًى وَقَفَ عَلَى رَاحِلَتِهِ مَعْتَجِرًا بِشَقَّةٍ بِرَدْحَةِ حَرَاءَ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (س) لَبِضَعَ رَأْسَهُ تَوَاضَعًا لِلَّهِ حِينَ رَأَى مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ حَتَّى أَنْ عَشْنُونَهُ لِيَكَادَ يَمَسُّ وَاسِطَةَ الرَّحْلِ . وَقَالَ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ أَنبَأَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ أَنبَأَ دَعْلَجُ بْنُ أَحْمَدَ ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْإِبَارِيُّ ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمَقْدِسِيُّ ثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ (س) مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَذَقْنَهُ عَلَى رَاحِلَتِهِ مَتَخَشَعًا . وَقَالَ أَنبَأَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ ثَنَا أَبُو بَكْرٍ بِالْوَيْهِ ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَاعِدٍ ثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي الْحَارِثِ ثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ ثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ عَنْ قَيْسٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَجُلًا كَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ (س) يَوْمَ الْفَتْحِ فَأَخَذَتْهُ الرَّعْدَةُ ، فَقَالَ « هُوَ عَلَيْكَ فَاتِمَّا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ » قَالَ وَهَكَذَا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ فَارِسٍ وَأَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ابْنُ زُهَيْرٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي الْحَارِثِ مُوَصَّلًا . ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ أَبِي زَكْرِيَّا الْمَرْكَبِيُّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ ابْنِ يَعْقُوبَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَوْنٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ قَيْسٍ مَرْسَلًا وَهُوَ الْمَحْفُوظُ وَهَذَا التَّوَاضُّعُ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ عِنْدَ دُخُولِهِ (س) مَكَّةَ فِي مِثْلِ هَذَا الْجَيْشِ الْكَشِيفِ الْعَرْمَرَمِ بِخِلَافِ مَا اعْتَمَدَهُ سَفَهَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ أَمَرُوا أَنْ يَدْخُلُوا بَابَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمِنْ سَجُودٍ - أَيْ رُكْعٍ - يَقُولُونَ حِطَّةً فَدَخَلُوا يَرْحَفُونَ عَلَى اسْتَاهِمِهِمْ وَمِنْ يَقُولُونَ حِطَّةً فِي شَعْرَةٍ . وَقَالَ الْبُخَارِيُّ ثَنَا النَّاسِمُ بْنُ خَارِجَةَ ثَنَا حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (س) دَخَلَ عَامَ الْفَتْحِ مِنْ كَدَاءٍ الَّتِي بِأَعْلَى مَكَّةَ ، تَابَعَهُ أَبُو أُسَامَةَ وَوَهَبٌ فِي كَدَاءٍ . حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامِ عَنْ أَبِيهِ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ (س) عَامَ الْفَتْحِ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ مِنْ كَدَاءٍ وَهُوَ أَصَحُّ إِنْ أَرَادَ أَنْ الْمَرْسَلُ أَصَحُّ مِنَ الْمُسْنَدِ الْمُتَقَدِّمِ انْتِظَامُ الْكَلَامِ وَالْأَفْكَدَاءُ بِالْمَدِّ هِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي الرَّوَايَتَيْنِ وَهِيَ فِي أَعْلَى مَكَّةَ وَكَذَلِكَ مَقْصُورٌ فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ وَالْأَنْسَبُ وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعث خالد بن الوليد من أعلام مكة ودخل هو عليه السلام من أسفلها من كُدَى وهو في صحيح البخاري والله أعلم . وقد قال البيهقي أنبا أبو الحسين بن عبدان أنبا أحمد بن عبيد الصفار ثنا عبد الله بن إبراهيم بن المنذر الحزامي ثنا معن ثنا عبد الله بن عمر بن حفص عن فافع عن ابن عمر قال : لما دخل رسول الله (ص) عام الفتح وأتى النساء يلطمن وجوه الخليل فتبسم إلى أبي بكر وقال : « يا أبا بكر كيف قال حسان ؟ » فأنشده أبو بكر رضى الله عنه :

عَدِمْتُ بَيْتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُنِيرُ النَّعْمَ مِنْ كُنْفِي كِدَاءِ
يَنَازِعُنُ الْأَعْنَةَ مَسْرَجَاتِ يَلْطَمُنُ بِالْحُمْرِ النِّسَاءِ

فقال رسول الله (ص) « ادخلوها من حيث قال حسان » . وقال محمد بن اسحاق : حدثني يحيى ابن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت : لما وقف رسول الله (ص) بذي طوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده أى بنية اظهري بي على أبى قبيس ، قالت وقد كف بصره ، قالت فأشرفت به عليه فقال أى بنية ماذا ترين ؟ قالت أرى سواداً مجتمعاً قال تلك الخليل ، قالت وأرى رجلاً يسمى بين يدي ذلك السواد مقبلاً ومديراً ، قال أى بنية ذلك الوازع - يعنى الذي يأمر الخليل ويتقدم إليها - ثم قالت قد والله انتشر السواد ، فقال قد والله إذن دفعت الخليل فاسرعى بي الى يدي فأنحطت به وتلقاه الخليل قبل أن يصل الى بيته ، قالت وفى عنق الجارية طوق من ورق فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها قالت فلما دخل رسول الله (ص) مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بابيه يقوده فلما رآه رسول الله (ص) قال « هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتية فيه ؟ » قال أبو بكر يا رسول الله هو أحق أن يمشى اليك من أن تمشى أنت اليه . فجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال اسلم فاسلم ، قالت ودخل به أبو بكر وكان رأسه كالثغامة بياضاً فقال رسول الله (ص) « غيروا هذا من شعره » ثم قام أبو بكر فاخذ بيد اخته وقال : أنشد الله والاسلام طوق أختي ؟ فلم يجبه أحد قال فقال أى أختية احتسبى طوقك فوالله إن الأمانة فى الناس اليوم القليل . يعنى به الصديق ذلك اليوم على التعمين لان الجيش فيه كثرة ولا يكاد أحد يلوى على أحد مع انتشار الناس ولعل الذى أخذه فأول أنه من حربى والله أعلم . وقال الحافظ البيهقي أنبا عبد الله الحافظ أنبا أبو العباس الاصم أنبا بحر بن نصر أنبا ابن وهب أخبرني ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبى قحافة فأتى به النبي (ص) ، فلما وقف به على رسول الله (ص) قال « غيره ولا تقربوه سواداً » قال ابن وهب وأخبرني عمر بن محمد عن زيد بن أسلم أن رسول الله (ص) هنا أبا بكر بإسلام أبيه قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي نجيح أن رسول الله (ص) حين فرق جيشه من ذى طوى أمر الزبير بن العوام أن يدخل فى بعض الناس من كداء ، وكان الزبير على المجنبه اليسرى ، وأمر

سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كدى ، قال ابن اسحاق [من المهاجرين] : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخل قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل . قال ابن هشام يقال إنه عمر بن الخطاب ، فقال يارسول الله أسمع ما يقول سعد بن عبادة ؟ ما فأمن أن يكون له في قريش صولة فقال رسول الله (س) ، لعلى « أدركه نخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها » . قلت : وذكر غير محمد بن اسحاق أن رسول الله (س) لما شكى إليه أبو سفيان قول سعد بن عبادة حين مر به ، وقال ياأبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة - يعنى الكعبة - فقال النبي (س) ، « بل هذا يوم تعظم فيه الكعبة » وأمر بالراية - راية الانصار - أن تؤخذ من سعد بن عبادة كالتأديب له ، ويقال إنها دفعت الى ابنه قيس بن سعد . وقال موسى بن عقبة عن الزهري دفعها الى الزبير بن العوام فآله اعلم .

[وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة يعقوب بن اسحاق بن دينار ثنا عبد الله بن السري الانطاكي ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد . وحدثنى موسى بن عقبة عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : دفع رسول الله (س) الراية يوم فتح مكة الى سعد بن عبادة فجعل يهزها ويقول : اليوم يوم الملحمة يوم تستحل الحرمة . قال فشق ذلك على قريش وكبر في نفوسهم ، قال فعارضت امرأة رسول الله (س) في مسيره وأنشأت تقول :

يا نبي الهدى اليك بجأحي قريش ولات حين بلاء
حين ضاقت عليهم سعة الأَرْض وعادام آله السماء
[والتقت حلقتنا البطان على القوم ونودوا بالصَّيْلُ الصلحاء (١)]
إن سعداً يريد قاصية الظبَر ر بأهل الحُجُون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغية ظرَ رمانا بالنَّسرِ والعواء
[فانهيئنه فانه الاسد الاله ود والبيت والتع في الدماء]
فلئن أقحم اللواء ونادى يا حاة اللواء أهل اللواء
لتكوننَّ بالبطاح قريش بقة القاع في أكت الاماء
[إنه مصلت يريد لها الراية صوت كلية الصماء]

قال فلما سمع رسول الله (س) هذا الشعر دخله رحمة لهم ورأفة بهم ، وأمر بالراية فأخذت من سعد بن عبادة ودفعت إلى ابنه قيس بن سعد ، قال فيروى أنه عليه الصلاة والسلام أحب أن لا (١) هذا البيت لم يرد في الاصل وإنما أورده السهيلي في الروض الاف و نسب الشعر الى ضرار بن الخطاب . ولم يورد البيهقي المشار اليهما بعد هذا بمرتين . مع تحوير بعض الفاظ منها .

يحبها إذ رغبت إليه واستغاثت به ، وأحب أن لا يفضب سعد فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه قال ابن اسحاق ^(١) [وذكر ابن أبي نجيح في حديثه أن رسول الله (ص) أمر خالد بن الوليد فدخل من الليط أسفل مكة في بعض الناس ، وكان خالد على المجنبه اليمنى وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب ، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله (ص) ودخل رسول الله (ص) من أذاخر حتى نزل بأعلام مكة فضربت له هنالك قبته . وروى البخاري من حديث الزهري عن علي بن الحسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد أنه قال زمن الفتح : يا رسول الله أين تنزل غداً ؟ فقال « وهل ترك لنا عقيل من رباع » ثم قال « لا يرث الكافر المؤمن ولا المؤمن الكافر » . ثم قال البخاري ثنا أبو الهيثم ثنا شعيب ثنا أبو الزبير عن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال « منزلنا إن شاء الله إذا فتح الله ، الخيف حيث تقاسموا على الكفر » وقال الامام أحمد ثنا يونس ثنا إبراهيم - يعني ابن سعد - عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) « منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر » ورواه البخاري من حديث إبراهيم بن سعد بن نحوه . وقال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله ابن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخدمة ليقاتلوا ، وكان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يعد سلاحاً قبل قدوم رسول الله (ص) ويصلح منه ، فقالت له امرأته لماذا تعد ما أرى ؟ قال لمحمد وأصحابه ، فقالت والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء ، قال والله إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم . ثم قال :

إِنْ يُقْبَلُوا الْيَوْمَ فَمَا لِي عَلَيْهِ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَاللَّهِ
وَذُو غَرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَهِ

قال ثم شهد الخدمة مع صفوان وعكرمة وسهيل فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد فاوشوم شيئاً من قتال فقتل كرز بن جابر أحد بني محارب بن فهر وحنيش ^(٢) بن خالد بن ربيعة بن أصرم حليف بني منقذ وكان في جيش خالد ، فشدوا عنه فسلكا غير طريقه فقتل جميعاً ، وكان قتل كرز قبل حنيش ^(٣) قالوا : وقتل من خيل خالد أيضاً سلمة بن الميلاء الجهني وأصيب من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر ثم انهزموا فخرج حماس منهزماً حتى دخل بيته ثم قال لامرأته اغلطي على بابي ، قالت فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

- (١) ما بين المربعين المروى عن ابن عساكر لم يرد في نسخة دار الكتب المصرية .
(٢) في الاصل حنيش وفي ابن هشام والتميمورية حنيس وقال السهيلي إن الصواب حنيش .
(٣) وفي ابن هشام : أن حنيس بن خالد قتل فآخذه كرز فجعله بين رجله ثم قاتل عنه حتى قتل .

إنك لو شهدت يوم الخندق إذ فرَّ صفوان وفرَّ عكرمه
وأبو يزيد قائم كالنومة واستقبلتهم بالسيوف المسله
يقطعن كلَّ ساعد وجمجمه ضرباً فلا يُسمع إلا غمغه
لهم نهيت خلفنا ومهيه لم تنطقي في اللؤم أدنى كلمه

قال ابن هشام : وتروى هذه الايات للراش الهذلي ، قال وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف يا بني عبد الرحمن ، وشعار الخزرج يا بني عبد الله ، وشعار الأوس يا بني عبيد الله . وقال الطبراني ثنا علي بن سعيد الرازي ثنا أبو حسان الزبدي ثنا شعيب بن صفوان عن عطاء بن السائب عن طاووس عن ابن عباس عن رسول الله (س) : قال : « إن الله حرم هذا البلد يوم خلق السموات والارض وصاغه يوم صاغ الشمس والقمر وما حياله من السماء حرام وأنه لا يحل لاحد قبلي وإنما حل لي ساعة من نهار ثم عاد كما كان » فقيل له هذا خالد بن الوليد يقتل ؟ فقال « قم يا فلان فأت خالد بن الوليد فقل له فليرفع يديه من القتل » فأماه الرجل فقال إن النبي (س) يقول أقتل من قدرت عليه ، فقتل سبعين إنساناً فأتى النبي (س) ، فذكر ذلك له ، فأرسل الى خالد فقال « ألم أنهك عن القتل ؟ » فقال جاءني فلان فأمرني أن أقتل من قدرت عليه ، فأرسل اليه « ألم أمرك ؟ » قال أردت أمراً وأراد الله أمراً فكان أمر الله فوق أمرك ، وما استطعت إلا الذي كان . فسكت عنه النبي (س) ، فارد عليه شيئاً . قال ابن اسحاق : وقد كان رسول الله (س) عهد الى أمرائه أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم غير أنه أهدر دم نفر ساهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة وهم ؛ عبد الله بن سعد بن أبي مروح كان قد أسلم وكتب الوحي ثم ارتد ، فلما دخل رسول الله (س) مكة وقد أهدر دمه فر الى عثمان وكان أخاه من الرضاة ، فلما جاء به ليستأمن له صمت عنه رسول الله (س) . طويلاً ثم قال « نعم » فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله (س) : لمن حوله « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين رأي قد صمت فيقتله » فقالوا يا رسول الله هلا أومات الينا ؟ فقال « إن النبي لا يقتل بالاشارة » وفي رواية « إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين » قال ابن هشام : وقد حسن إسلامه بعد ذلك وولاه عمر بعض أعماله ثم ولاه عثمان .

قلت : ومات وهو ساجد في صلاة الصبح أو بعد انقضاء صلاتها في بيته كما سيأتي بيانه . قال ابن اسحاق : وعبد الله بن خطل رجل من بني تميم بن غالب .

قلت : ويقال إن اسمه عبد العزى بن خطل ويحتمل أنه كاف كذلك ثم لما أسلم معي عبد الله (١) ولما أسلم بعثه رسول الله (س) مصداً وبث معه رجلاً من الانصار ، وكان معه مولى له فغضب (١) وقال السهيلي : وقد قيل في اسمه هلال وقيل إن هلالاً كان أخاه وكان يقال لهما الخطلان .

عليه غضبة قتلته ، ثم ارتد مشركا ، وكان له قيتان فرقى وصاحبتهما فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله (س) والمسلمين ، فلهدا أهدر دمه ودم قيتيه قتل وهو متعلق بأستار الكعبة ، اشترك في قتله أبو برزة الاسلمى وسعيد بن حريث الخزومي وقتلت إحدى قيتيه واستؤمن للآخرى . قال والحويث ابن قتيذ بن وهب بن عبد قصى وكان ممن يؤذى رسول الله (س) بمكة ، ولما تحمل العباس بفاطمة وأم كلثوم ليذهب بهما الى المدينة يلحقهما برسول الله (س) أول الهجرة فحس بهما الحويث هذا الجمل الذى هما عليه فسقطتا الى الارض ، فلما أهدر دمه قتله على بن أبى طالب ، قال ومقيس بن صبابه لأنه قتل قاتل أخيه خطأ بعد ما أخذ الدية ثم ارتد مشركا ، قتله رجل من قومه يقال له نميلة بن عبد الله قال وسارة مولاة لبني عبد المطلب ولعكرمة بن أبى جهل لاتها كانت تؤذى رسول الله (س) وهى بمكة . قلت : وقد تقدم عن بعضهم أنها التى تحملت الكتاب من حاطب بن أبى بلنعة وكأنها عفى عنها أو هربت ثم أهدر دهما والله أعلم . فهربت حتى استؤمن لها من رسول الله (س) فأمنها فعاشت الى زمن عمر فأوطأها رجل فرساً فماتت . وذكر السهيلي أن فرتى أسلمت أيضاً . قال ابن اسحاق : وأما عكرمة بن أبى جهل فهرب الى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام واستأمنت له من رسول الله (س) فأمنه فذهبت فى طلبه حتى أتت به رسول الله (س) فأسلم . وقال البيهقي انبا أبو طاهر محمد بن محمد بن محسن الفقيه انبا أبو بكر محمد بن الحسين القطان انبا احمد بن يوسف السلمى ثنا احمد بن الفضل ثنا اسباط بن نصر الهمداني قال زعم السدى عن مصعب بن سعد عن ابيه قال : لما كان يوم مكة أمن رسول الله (س) الناس الا أربعة نفر وامرأتين . وقال « اقتلوم وإن وجدتموم متعلقين بأستار الكعبة » وم عكرمة بن أبى جهل ، وعبد الله بن خطل ، ومقيس بن صبابه ، وعبد الله ابن سعد بن أبى سرح . فاما عبد الله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق اليه سعيد ابن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً وكان أشب الرجلين قتلته . وأما مقيس فأدركه الناس فى السوق قتلوه ، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم قاصف فقال أهل السفينة لاهل السفينة : أخلصوا فان آلمتكم لا تغنى عنكم شيئاً هاهنا ، فقال عكرمة : والله لئن لم ينج فى البحر الا الاخلاص فانه لا ينجى فى البر غيره ، اللهم إن لك على عهدى إن أنت عافيتنى مما آتا فيه أن آتى محمداً حتى أضع يدى فى يده فلا جدنه عفواً كريماً ، فجاء فأسلم ، وأما عبد الله بن سعد بن أبى سرح فاته اختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله (س) الناس الى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي (س) فقال : يا رسول الله بايع عبد الله ، فرفع رأسه فنظر اليه ثلاثاً كل ذلك يأتى ، فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين رأى كفت يدى عن بيعته فيقتله ؟ » فقالوا ما يدرينا يا رسول الله ما فى نفسك هلا أو مات ! لنا بعينك ؟ فقال « إنه لا ينبغي لنبي أن

تكون له خائنة الأدين . ورواه أبو داود والنسائي من حديث أحمد بن الفضل به نحوه . وقال البيهقي انبا أبو عبد الله الحافظ انبا أبو العباس الاصم انبا أبو زرعة الدمشقي ثنا الحسن بن بشر الكوفي ثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن أنس بن مالك قال : أمن رسول الله (س) الناس يوم فتح مكة الا أربعة ؛ عبد العزى بن خطل ، ومقيس بن صبابه . وعبد الله بن سعد بن أبي مرخ ، وأم سارة ، فاما عبد العزى بن خطل فانه قتل وهو متعلق باستار الكعبة ، قال ونذر رجل أن يقتل عبد الله بن سعد بن أبي مرخ اذا رآه وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاة فأتى به رسول الله (س) ليشفع له ، فلما أبصر به الانصارى اشتغل على السيف ثم أتاه فوجده في حلقة رسول الله (س) فجعل يتردد ويكره أن يقدم عليه ، فبسط انبي (س) فبايعه ، ثم قال للانصارى « قد انتظرتك أن توفي بنذرك ؟ » قال يا رسول الله هبتك أفلا أو مضت الى ؟ قال « إنه ليس للنبي أن يومض » . وأما مقيس بن صبابه فذكر قصته في قتله رجلا مسلماً بعد إسلامه ثم ارتداده بعد ذلك ، قال وأما أم سارة فكانت مولاة لقريش فأتى النبي (س) فشكت اليه الحاجة فأعطاه شيئاً ، ثم بعث معها رجل بكتاب الى أهل مكة فذكر قصة حاطب بن أبي بلتعة . وروى محمد بن اسحاق عن عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن مقيس بن صبابه قتل أخوه هشام يوم بني المصطلق قتله رجل من المسلمين وهو يظنه مشركاً فقدم مقيس مظهراً للإسلام ليطلب دية أخيه ، فلما أخذها عدا على قاتل أخيه فقتله ورجع الى مكة مشركاً ، فلما أهدر رسول الله (س) دمه قتل وهو بين الصفا والمروة وقد ذكر ابن اسحاق والبيهقي شعره حين قتل قاتل أخيه وهو قوله :

شفي النفس من قد بات بالقاع مسنداً يضرج ثوبه دماء الاخادع
وكانت هموم النفس من قبل قتله تلم وتفسيني وطاء المضاجع
قتلت به فهرا وغرمت عقله سراة بني النجار أرباب فارغ
حلت به نذرى وأدركت ثورتى وكنت الى الأوثان أول راجع

قلت : وقيل إن القينتين اللتين أهدر دمهما كانتا لمقيس بن صبابه هذا وأن ابن عمه قتله بين الصفا والمروة . وقال بعضهم : قتل ابن خطل الزبير بن العوام رضي الله عنه . قال ابن اسحاق : حدثني سعيد بن أبي هند عن أبي مرة مولى عقيل بن أبي طالب أن أم هانئ ابنة أبي طالب قالت : لما نزل رسول الله (س) بأعلام مكة فر إلى رجلان من أحماني من بني مخزوم - قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية بن المغيرة - قال ابن اسحاق : وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي ، قالت فدخل على أخي علي بن أبي طالب فقال والله لأقتلها فأغلقت عليهما باب بيتي ثم جئت رسول الله (س) وهو بأعلام مكة فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين ، وناطمة

ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف الى فقال « مرحباً وأهلاً بأم هانئ ما جاء بك ؟ » فأخبرته خبر الرجلين وخبر على ، فقال « قد أجرنا من أجرت وأمننا من أمنت فلا يقتلها » وقال البخارى ثنا أبو الوليد ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن ابن أبي ليلى قال : ما أخبرنا أحد أنه رأى النبي ﷺ . يصلى الضحى غير أم هانئ فانها ذكرت يوم فتح مكة [أن النبي ﷺ] اغتسل في بيتها ثم صلى ثمان ركعات ، قالت ولم أره صلى صلاة أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود . وفي صحيح مسلم من حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن سعد بن أبي هند أن أبا مرة مولى عقيل حدثه أن أم هانئ بنت أبي طالب حدثته أنه لما كان عام الفتح فر إليها رجلان من بنى مخزوم فأجارتهما ، قالت فدخل على عليّ فقال أقتلها ، فلما سمعته أتيت رسول الله ﷺ وهو بأعلا مكة فلما رآني رحّب وقال « ما جاء بك ؟ » قلت يا نبي الله كنت أمنت رجلين من أحمائي فأراد على قتلها ، فقال رسول الله ﷺ ، « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ » ثم قام رسول الله ﷺ الى غسله فسترت عليه فاطمة ثم أخذ ثوباً فالتحف به ثم صلى ثمانى ركعات سبحة الضحى . وفي رواية أنها دخلت عليه وهو يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب ، فقال « من هذه ؟ » قالت أم هانئ قال « مرحباً بأم هانئ » قالت يا رسول الله زعم ابن أم علي بن أبي طالب أنه قاتل رجلين قد أجرتهما ؟ فقال « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ » قالت ثم صلى ثمانى ركعات وذلك ضحى فظن كثير من العلماء أن هذه كانت صلاة الضحى . وقال آخرون بل كانت هذه صلاة الفتح وجاء التصريح بأنه كان يسلم من كل ركعتين وهو يرد على السهلى وغيره ممن بزعم أن صلاة الفتح تكون ثمانياً بتسليمة واحدة ، وقد صلى سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن في إيوان كسرى ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين والله الحمد .

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن صفية بنت شيبة أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده ، [فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمالة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد] وقال موسى بن عقبة ثم سجد سجدتين ثم انصرف الى زمزم فاطلع فيها ودعا بماء فشرب منها وتوضأ والناس يبتعدون وضوءه والمشركون يتعجبون من ذلك ويقولون ما رأينا ملكاً قط ولا معصياً به - يعنى مثل هذا - وآخر المقام الى مقامه اليوم وكان ملصقاً بالبيت . قال محمد بن اسحاق : فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ

قام على باب الكعبة فقال : « لا إله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم
الاحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو موضوع تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت
وسقاية الحاج ، ألا قتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والمصاف فيه الدية مغلظة مائة من الابل ، أرى
منها في بطونها أولادها ، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ،
الناس من آدم وآدم من تراب » ثم تلا هذه الآية [يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى] الآية
كلها ثم قال « يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم ؟ » قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم ، قال
« اذهبوا فأنتم الطلقاء » ثم جلس رسول الله (س) في المسجد ، فقام إليه على بن أبي طالب ومفتاح
الكعبة في يده فقال : يا رسول الله اجعل لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ؟ فقال رسول الله
(س) « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعى له فقال « هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بروفاء »
وقال الامام أحمد حدثنا سفيان عن ابن جده عن القاسم بن ربيعة عن ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وهو على درج الكعبة : « الحمد لله الذى صدق وعده ونصر عبده
وهزم الاحزاب وحده ، ألا إن قتيل العمد الخطأ بالسوط أو المصاف فيه مائة من الابل » وقال مرة
أخرى « مغلظة فيها أربعمائة خلفه في بطونها أولادها ، ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية ودم
ودعوى » وقال مرة « ومال تحت قدمي هاتين إلا ما كان من سقاية الحاج وسدانة البيت فانهما
أمنضيتهما لأهلها على ما كانت » . وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث على بن
زيد بن جده عن القاسم بن ربيعة بن جوشن النخلافى عن ابن عمر به . قال ابن هشام : وحدثني
بعض أهل العلم أن رسول الله (س) دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ،
ورأى ابراهيم مصوراً في يده الأزرار يستقسم بها فقال « فاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام
ما شأن ابراهيم والأزلام ؟ [ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان خنيفاً مسلماً وما كان
من المشركين] ثم أمر بتلك الصور كلها فحُطت . وقال الامام أحمد حدثنا سليمان ابن ابي عبد الرحمن عن
موسى بن عقبة عن أبي الزبير عن جابر قال : كان في الكعبة صور فأمر رسول الله (س) أن يمحوها
فيل عمرثوباً ومحامها به . فسخطها رسول الله (س) ، وما فيها منها شيء . وقال البخارى حدثنا صدقة بن
الفضل ثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله - هو ابن مسعود -
قال : دخل رسول الله (س) مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطمئنها بعد
في يده ويقول « جاء الحق وزهق الباطل ، جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد » . وقد رواه مسلم
من حديث ابن عيينة . وروى البيهقي عن ابن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن علي بن عبد الله
ابن عباس عن أبيه قال : دخل رسول الله (س) يوم الفتح مكة وعلى الكعبة ثلاثمائة صنم فأخذ

قضييه فجعل يهوى الى الصنم وهو يهوى حتى مر عليها كلها ، ثم بروى من طريق سويد بن (١) عن القاسم بن عبد الله عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله (ص) لما دخل مكة وجد بها ثلثمائة وستين صنماً فإشار الى كل صنم بعصا وقال « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » . فكان لا يشير الى صنم الا ويسقط من غير أن يمسه بعصاه ، ثم قال وهذا وإن كان ضعيفاً فالذى قبله يؤكد . وقال حنبل بن اسحاق انبا أبو الربيع عن يعقوب القمي ثنا جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أبرى قال : لما افتتح رسول الله (ص) مكة جاءت عجوز فمطأ حبشية تخش وجهها وتدعو بالويل ، فقال رسول الله (ص) تلك فائله أليست أن تعبد ببلدكم هذا أبداً . وقال ابن هشام : حدثني من أثق به من أهل الرواية في اسناد له عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة [عن ابن عباس] أنه قال : دخل رسول الله (ص) مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول الكعبة أصنام مشدودة بالرصاص ، فجعل النبي (ص) يشير بقضيب في يده الى الأصنام ويقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » فما أشار الى صنم منها في وجهه الا وقع كنفاه ، ولا أشار الى قفاه الا وقع لوجهه ، حتى ما بقي منها صنم الا وقع ، فقال تميم بن أسد الخزاعي :

وفي الأصنام مُعْتَبَرٌ وعلم لمن يرجو الثواب أو العقاب

وفي صحيح مسلم عن سنان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن عبد الله بن رباح عن أبي هريرة في حديث فتح مكة قال : وأقبل رسول الله (ص) حتى أقبل على الحجر فاستلمه وطاف بالبيت وأتى الى صنم الى جنب البيت كانوا يعبدونه وفي يد رسول الله (ص) قوس وهو آخذ بسيتها فلما أتى على الصنم فجعل يطمئن في عينه ويقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فلما عليه حتى نظر الى البيت فرفع يديه وجعل يحمد الله ويدعو عايشه أن يدعو . وقال البخاري ثنا اسحاق بن منصور ثنا عبد الصمد ثنا أبي ثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) لما قدم مكة أبي أن يدخل البيت وفيه الآلهة ، فأمر بها فأخرجت فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وفي أيديهما الأزام ، فقال « قاتلهم الله لقد علموا ما استقسم بها قط » ثم دخل البيت فكبر في نواحي البيت وخرج ولم يصل . تفرد به البخاري دون مسلم . وقال الامام احمد ثنا عبد الصمد ثنا همام ثنا عطاء عن ابن عباس أن رسول الله (ص) دخل الكعبة وفيها ست سواري ، فقام الى كل سارية ودعا ولم يصل فيه . ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن همام بن يحيى العوذى عن عطاء به . وقال الامام احمد حدثنا هارون بن معروف ثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكيراً حدثه عن كريب عن ابن عباس أن رسول الله (ص) :

حين دخل البيت وجد فيه صورة ابراهيم وصورة مريم فقال « أما هم قد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة هذا ابراهيم مصوراً فما بالله يستقسم ؟ » . وقد رواه البخارى والنسائى من حديث ابن وهب به . وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق أنبا معمر أخبرني عثمان الخزرجى أنه سمع مقسماً يحدث عن ابن عباس قال : دخل رسول الله (ص) البيت فدعا في نواحيه ثم خرج فصلى ركعتين . تفرد به احمد . وقال الامام احمد : ثنا اسماعيل انبا ليث عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله (ص) صلى في البيت ركعتين . قال البخارى وقال الليث ثنا يونس أخبرني نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله (ص) أقبل يوم الفتح من أعلا مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد ، ومعه عثمان بن طلحة من الحجبة حتى أفاخ في المسجد فأمر أن يؤتى بفتح الكعبة ، فدخل ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان ابن طلحة فكث فيه نهراً طويلاً ثم خرج فاستمق الناس ، فكان عبد الله بن عمر أول من دخل فوجد بلالاً وراء الباب قائماً ، فسأله أين صلى رسول الله (ص) ؟ فأشاره الى المكان الذى صلى فيه قال عبد الله : ونسيت أن أسأله كم صلى من سجدة . ورواه الامام احمد عن هشيم ثنا غير واحد وابن عون عن نافع عن ابن عمر قال : دخل رسول الله (ص) ، ومعه الفضل بن عباس وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة وبلال فأمر بلالاً فأجاف عليهم الباب فكث فيه ماشاء الله ثم خرج . قال ابن عمر فكان أول من لقيت منهم بلالاً فقلت أين صلى رسول الله (ص) ؟ قال هاهنا بين الاسطوانتين . قلت : وقد ثبت في صحيح البخارى وغيره أنه عليه السلام صلى في الكعبة تلقاء وجهه بابها من وراء ظهره فجعل عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ، وكان بينه وبين الحائط الغربى مقدار ثلاثة أذرع ! وقال الامام احمد حدثنا اسماعيل انبا ليث عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله (ص) صلى في البيت ركعتين [قال ابن هشام وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله (ص) دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال فأمره أن يؤذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا ، فسمع منه ما يفيظه ، فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى ، فخرج عليهم رسول الله (ص) فقال : « قد علمت الذى قلتم » ثم ذكر ذلك لهم فقال الحارث وعتاب نشهد أنك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك . وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني والذى حدثني بعض آل جبير بن مطعم أن رسول الله (ص) لما دخل مكة أمر بلالاً فعلا على الكعبة على ظهرها فأذن عليها بالصلاة ، فقال بعض بنى سعيد بن العاص : لقد أكرم الله سعيداً إذ قبضه

قبل أن يسمع هذا الأسود على ظهر الكعبة . وقال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب قال قال ابن أبي مليكة : أمر رسول الله (س) بلالا فأذن يوم الفتح فوق الكعبة ، قال رجل من قريش للحارث بن هشام : ألا ترى إلى هذا العبد أين صعد ؟ قال : دعه فإن يكن الله يكرهه فيسيغره . وقال يونس بن بكير وغيره عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله (س) أمر بلالا علم الفتح فأذن على الكعبة ليقيظ به المشركين . وقال محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن حرب عن اسماعيل بن أبي خالد عن أبي اسحاق أن أبا سفيان بن حرب بعد فتح مكة كان جالساً فقال في نفسه لو جئت لمحمد جماً ؟ فانه ليحدث نفسه بذلك إذ ضرب رسول الله (س) بين كتفيه وقال « إنا يخزيك الله » قال فرفع رأسه فإذا رسول الله (س) قائم على رأسه فقال : ما أيقنت أنك نبي حتى الساعة . قال البيهقي وقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ - إجازة - أنبأ أبو حامد أحمد بن الحسن المقرئ أنبأ أحمد بن يوسف السلمي ثنا محمد بن يوسف الفريابي ثنا يونس بن أبي اسحاق عن أبي السفر عن ابن عباس قال : رأى أبو سفيان رسول الله (س) يمشي والناس يطئون عقبه ، فقال بينه وبين نفسه : لو علوت هذا الرجل القتال ؟ فجاء رسول الله (س) حتى ضرب بيده في صدره فقال « إنا يخزيك الله » فقال أتوب إلى الله وأستغفر الله مما تفوهت به . ثم روى البيهقي من طريق ابن خزيمة وغيره عن أبي حامد ابن الشرق عن محمد بن يحيى الذهلي ثنا موسى بن أعين الجزري ثنا أبي عن اسحاق بن راشد عن سعيد بن المسيب قال : لما كان ليلة دخل الناس مكة ليلة الفتح لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا ، فقال أبو سفيان لهند : أترى هذا من الله ؟ قالت نعم هذا من الله ، قال ثم أصبح أبو سفيان فندا إلى رسول الله (س) ، فقال رسول الله (س) : قلت لهند أترى هذا من الله ؟ قالت نعم هذا من الله ، فقال أبو سفيان : أشهد أنك عبد الله ورسوله ، والتي يحلف به ما سمع قولي هذا أحد من الناس غير هند . وقال البخاري ثنا اسحاق ثنا أبو عاصم عن ابن جريج أخبرني حسن بن مسلم عن مجاهد أن رسول الله (س) قال « إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بخرام الله إلى يوم القيامة لا تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي ولم تحل لي إلا ساعة من الدهر لا ينفر صيدها ولا يعضد شوكها ولا يختلي خلاؤها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد » قال العباس بن عبد المطلب إلا الأذخر يا رسول الله فانه لا بد منه للدفن والبيوت ؟ فسكت ثم قال « إلا الأذخر فانه حلال » وعن ابن جريج أخبرني عبد الكريم - هو ابن مالك الجزري - عن عكرمة عن ابن عباس بمثل هذا أو نحو هذا . ورواه أبو هريرة عن النبي (س) تفرد به البخاري من هذا الوجه الاول وهو مرسل ، ومن هذا الوجه الثاني أيضا . وبهذا وأمثاله استدلل من ذهب إلى أن مكة فتحت عنوة ، والوقعة التي كانت في الخدمة كما تقدم . وقد قتل فيها قريب من عشرين نفساً من المسلمين والمشركين وهي ظاهرة في

ذلك وهو من ذهب جمهور العلماء . والمشهور عن الشافعي أنها فتحت صلحاً لاتها لم تقسم ، وقوله (س) :
 ليلة الفتح « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل الحرم فهو آمن ، ومن أغلق بابيه فهو آمن »
 وموضع تقرير هذه المسألة في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى . وقال البخاري ثنا سعيد
 ابن شريك ثنا الليث عن المقبري عن أبي شريح الخزازي أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث
 البعوث إلى مكة : إئذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله (س) : الغد من يوم الفتح سمعته
 أذنأي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به ؛ أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال « إن مكة حرمتها الله
 ولم يحرمها الناس لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ولا يعصدها شجرة فإن
 أحد ترخص بقتال رسول الله (س) ، قتلوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإما أذن لي فيها ساعة
 من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب » قيل لأبي شريح ماذا
 قال لك عمرو ؟ قال قال أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يعيد عاصياً ولا قاراً بدم ، ولا
 قاراً بجزية . وروى البخاري أيضاً ومسلم عن قتيبة عن الليث بن سعد به نحوه . وذكر ابن اسحاق
 أن رجلاً يقال له ابن الأنوخ قتل رجلاً في الجاهلية من خزاعة يقال له أحر بامساً ، فلما كان يوم الفتح
 قتلت خزاعة ابن الأنوخ ^(١) وهو بمكة قتله خراش بن أمية ، قال رسول الله (س) : « يا معشر خزاعة
 ارفضوا أيديكم عن القتل لقد كثرت القتل إن فنع لقد قتلتم رجلاً لأدينه » قال ابن اسحاق : وحدثني
 عبد الرحمن بن حرمة الأسدي عن سعيد بن المسيب قال : لما بلغ رسول الله (س) : ما صنع خراش
 ابن أمية قال « إن خراشاً لقتل » وقال ابن اسحاق : وحدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي
 شريح الخزازي قال : لما قسم عمرو بن الزبير ^(٢) مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جثته فقلت له
 يا هذا إنا كنا مع رسول الله (س) ، حين افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عنت خزاعة على
 رجل من هذيل قتلوه وهو مشرك ، قدام رسول الله (س) ، فبنا خطيباً قال « يا أيها الناس إن الله قد
 حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام من حرام الله إلى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن
 بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا ولا يعصدها شجرة ، لم يحل لأحد كان قبلي ولا يحل لأحد
 يكون بعدي ولم يحل لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها ، ألا ثم قد رجعت كجرمتها بالأمس فليبلغ
 الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم إن رسول الله (س) ، قد قاتل فيها قتلوا إن الله قد أحلها لرسوله ولم

(١) كذا في الأصل ولم تقف عليه . (٢) قال السبيل : هذا وهم من ابن هشام وصوابه
 عمرو بن سعيد بن العاصي بن أمية وهو الأشدق ويكنى أبا أمية وكان يسمى لطيم الشيطان وكان
 جباراً شديد البأس حتى خافه عبد الملك على مكة قتله بحيلة وذكر له خبراً طويلاً وهو الذي رُفِعَ
 على منبر رسول الله حتى ساله . محمود الامام .

بجلها لكم يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر إن نفع لقد قتلتم قتيلاً لأدينه فمن قتل
بعد مقامى هذا فأهله بخير النظرين إن شأوا قدم قاتله وإن شأوا فعقله « ثم ودى رسول الله (س) ذلك
الرجل الذى قتلته خزاعة . فقال عمرو لابي شريح : انصرف أيها الشيخ فنحن أعلم بمحرماتها منك ،
إنها لا تمنع سافك دم ، ولا خالم طاعة ، ولا مانع جزية ، فقال أبو شريح : إني كنت شاهداً وكنت
غائباً وقد أمرنا رسول الله (س) ، أن يبلغ شاهداً غائبنا ، وقد أبلغتكَ فأنت وشأنك . قال ابن هشام :
وبلغني أن أول قتيل وداه رسول الله (س) يوم الفتح جنيد بن الاكوع قتله بنو كعب فوداه
رسول الله (س) بمائة ناقة . وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى عن حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه
عن جده قال : لما فتحت مكة على رسول الله (س) قال « كفوا السلاح إلا خزاعة من بنى بكر »
فأذن لهم حتى صلى العصر ثم قال « كفوا السلاح » فلقى رجل من خزاعة رجلاً من بنى بكر من غد
بالمزدلفة فقتله ، فبلغ ذلك رسول الله (س) فقام خطيباً فقال - فرأيتوه وهو مسند ظهره الى الكعبة
قال - « إن أعدى الناس على الله من قتل في الحرم ، أو قتل غير قاتله أو قتل بذحول الجاهلية »
وذ كر تمام الحديث وهذا غريب جدا . وقد روى أهل السنن بعض هذا الحديث فأما ما فيه من
أنه رخص لخزاعة أن تأخذ بثأرها من بنى بكر الى العصر من يوم الفتح فلم أره الا في هذا الحديث
وكأنه إن صح من باب الاختصاص لم مما كانوا أصابوا منهم ليلة الوتير والله أعلم . وروى الامام أحمد
عن يحيى بن سعيد وسفيان بن عيينة ويزيد بن هرون ومحمد بن عبيد كلهم عن زكريا بن أبي زائدة
عن عامر الشعبي عن الحارث بن مالك بن البرص الخزاعي سمعت رسول الله (س) يقول يوم فتح
مكة « لا نفرى هذه بعد اليوم الى يوم القيامة » ورواه الترمذى عن بشار عن يحيى بن سعيد
لقطان به وقال حسن صحيح .

قلت : فان كان نهياً فلا إشكال ، وإن كان نفيّاً قال البيهقي معناه على كفر أهلها وفي صحيح
مسلم من حديث زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي عن عبد الله بن مطيع عن أبيه مطيع بن
الاسود المدنى قال قال رسول الله (س) يوم فتح مكة « لا يقتل قرشى صبراً بعد اليوم الى يوم
القيامة » والكلام عليه كالأول سواء . قال ابن هشام : وبلغني أن رسول الله (س) حين افتتح مكة
ودخلها قام على الصفا يدعو وقد أحذقت به الانصار فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله (س) إذ فتح
الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال « ما ذا قلم ؟ » قالوا لا شئ يا رسول الله ، فلم
يزل بهم حتى أخبروه فقال رسول الله (س) « معاذ الله الحيا محيا كم والمات مماتكم » وهذا الذى
علقه ابن هشام قد أسنده الامام احمد بن حنبل في مسنده فقال ثنا بهز وهاشم قال : حدثنا سليمان بن
المغيرة عن ثابت . وقال هاشم حدثني ثابت البناتى ثنا عبد الله بن رباح قال : وفدت وفود إلى

معاوية أنا فهم وأبو هريرة وذلك في رمضان ، فجعل بعضنا يصنع لبعض الطعام ، قال وكان أبو هريرة يكثر ما يدعوننا ، قال هاشم يكثر أن يدعونا إلى رحله ، قال قلت ألا أصنع طعاماً فدعوم إلى رحلي ؟ قال فأمرت بطعام يصنع فلقيت أبا هريرة من المشاء قال قلت يا أبا هريرة الدعوى عندى الليلة قال استبقنى ^(١) قال هاشم قلت نعم فدعوتهم فهم عندى : فقال أبو هريرة ألا أعلمكم بمحدث من حديثكم يا معشر الانصار قال فذكر فتح مكة قال أقبل رسول الله (س) فدخل مكة قال فبعث الزبير على أحد المجنبتين وبعث خالدًا على المجنبة الأخرى وبعث أبا عبيدة على الجسر وأخذوا بطن الوادى ورسول الله (س) فى كتيبتيه وقد وبشت قريش أوباشها ، قال قالوا تقدم هؤلاء فان كان لهم شئ كنا معهم وإن أصيبوا أعطينا الذى سألنا ، قال أبو هريرة فنظر فرآنى فقال « يا أبا هريرة » فقلت لبيك رسول الله ، فقال « اهتف لى بالانصار ولا يأتينى الا أنصارى » فهتفت بهم فجاءوا فأطافوا برسول الله (س) ، قال فقال رسول الله (س) « أترون إلى أوباش قريش واتباعهم ؟ » ثم قال بيديه إحداها على الأخرى « أحصدوم حصدا حتى توافونى بالصفا » قال فقال أبو هريرة فانطلقنا فما يشاء واحد منا أن يقتل منهم ما شاء ، وما أحد منهم يوجه إلينا منهم شيئاً ، قال فقال أبو سفيان : يا رسول الله أبيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم ، قال فقال رسول الله (س) « من أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » قال فقلق للناس أوابهم ، قال وأقبل رسول الله (س) إلى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت قال وفى يده قوس آخذ بسية القوس ، قال فأتى فى طوافه على صنم إلى جنب البيت يعبدونه قل فجعل يطن بها فى عينه ويقول « جاء الحق وزهق الباطن إن الباطن كان زهوقاً » قال ثم أتى الصفا فلما حيث ينظر إلى البيت فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه ، قال والانصار نحت قال يقول بعضهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته قال أبو هريرة : وجاء الوحي وكان اذا جاء لم يخف علينا ، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله (س) حتى يقضى . قال هاشم : فلما قضى الوحي رفع رأسه ثم قال « يا معشر الانصار ألقم أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته ؟ » قالوا قلنا ذلك يا رسول الله ، قال « فما أصمى إذا ، كلا إني عبد الله ورسوله هاجرت الى الله واليكم فالحيا محيا كم والممات مماتكم » قال فاقبلوا اليه يبيكون ويقولون والله ما قلنا الذى قلنا الا الضن بالله ورسوله ، قال فقال رسول الله (س) « إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذر انكم » وقد رواه مسلم والنسائى من حديث سليمان بن المغيرة زاد النسائى وسلام بن مسكين ورواه مسلم أيضاً من حديث حماد بن سلمة ثلاثهم عن ثابت عن عبد الله بن رباح الانصارى نزىل البصرة عن أبى هريرة به نحوه . وقال ابن هشام :

(١) كذا فى الاصل ولعل الصواب « استبقتنى أو استبقنى » .

وحدثني - يعني بعض أهل العلم - أن فضالة بن عمار بن الملوح - يعني الليثي - أراد قتل النبي (س) ، وهو يطوف بالبيت علم الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله (س) : « أفضالة ؟ » قال نعم فضالة يا رسول الله ، قال « ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ » قال لا شيء كنت أذكر الله ، قال فضحك النبي (س) . ثم قال « استغفر الله » ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شيء أحب إلى منه ، قال فضالة فرجعت إلى أهل فررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت هلم إلى الحديث ؟ فقال لا ، وانبت فضالة يقول :

قالت هلم إلى الحديث قلت لا يابى عليك الله والاسلام
أوما رأيت محمداً وقيله بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحي بيننا والشرك يغشى وجهه الاظلام

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت : خرج صفوان ابن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب : يا بني الله إن صفوان بن أمية سيد قومه وقد خرج هارباً منك ليتغنى نفسه في البحر ، فأمنه يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « هو آمن » فقال يا رسول الله فاعطني آية يعرف بها أمانك ؟ فاعطاه رسول الله (س) ، عمامته التي دخل فيها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر فقال : يا صفوان فذاك أبي وأمي الله الله في نفسك أن تهلكها هذا أمان من رسول الله (س) ، وقد جئت بك به ، قال ويحك أعزب عني فلا تكلمني قال أي صفوان فذاك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشره شرفك وملكه ملكك ؟ قال إني أخافه على نفسي ، قال هو أحلم من ذلك وأكرم . فرجع معه حتى وقف على رسول الله (س) ، فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمنتني ؟ قال « صدق » قال فاجعلني بالخيار فيه شهرين ؟ قال « أنت بالخيار أربعة أشهر » ثم حكى ابن اسحاق عن الزهري أن فاختة بنت الوليد امرأة صفوان وأم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة بن أبي جهل وقد ذهبت وراة إلى اليمن فاسترجعته فأسلم فلما أسلما أقرهما رسول الله (س) ، فنهما بالنكاح الاول . قال ابن اسحاق : وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال : روى حسان بن الزبيري وهو بنجران بيت واحد ما زاد عليه :

لا تَعْدَ مِنْ رَجُلَا أَحَلَّكَ بِنَفْسِهِ نَجْرَانُ فِي عَيْشٍ أَحَدًا لَتَيْمٍ

فلما بلغ ذلك ابن الزبيري خرج إلى رسول الله (س) ، فأسلم وقال حين أسلم :

يا رسولَ المليك إن لساني راتقٌ ما فَتَقْتُ إِذْ أَتَا بُورُ
إِذْ أَبَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَفَنِ النَّفْسِي وَمِنْ مَالِ مَيْلِهِ مُشْبُورُ

آمن اللحم والمظالم لربي ثم قلبي الشهيد أنت التذير
إنني عنك زاجر كم خيأ من لؤي وكلهم مغرور
قال ابن اسحاق : وقال عبد الله بن الزبيري أيضاً حين أسلم :

منع الرقاد بلابل وهموم والبلل مقلنج الرواق بهم
بما أتاني أن أحد لامي فيه فبت كأنني محموم
ياخير من حلت على أوصالها عيرانة سرح اليمين غشوم
إني لمعتذر اليك من الذي أسديت أذنا في الضلال أهب
أليم تأمرني بأغوى خطية سهم وتأمرني بها مخزوم
وأمد أسلب الردى ويقودني أمر الغواة وأمرم مشوم
فاليوم آمن بالنبى محمد قلبي وخطي هذه محروم
مضت المداوة وانقضت أسبابها ودعت أواصر بيننا وحلوم
فاغفر فدى لك والدي كلاهما زلي فإنك راحم رحوم
وعليك من علم المليك علامة نور أغر وخام مختوم
أعطاك بمد محبة برهانه شرفا وبرهان الله عظيم
ولقد شهدت بأن دينك صادق حق وأنت في المعاد جسيم
والله يشهد أن أحمد مصطفى مستقبل في الصالحين كريم
قرم خلا بغيانه من هاشم فرغ تمكّن في القدي وأروم

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكره له .

قلت : كان عبد الله بن الزبيري السهمي من أكبر أعداء الاسلام ومن الشعراء الذين استعملوا
قوام في هجاء المسلمين ، ثم من الله عليه بالتوبة والالتوبة والرجوع إلى الاسلام والقيام بنصره والذب عنه .

فَضْرُوءُكَ

قال ابن اسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف من بني سليم سبعائة
ويقول بعضهم ألف ومن بني غفار أربعائة [ومن أسلم أربعائة] ومن مزينة ألف وثلاثة نفر وسائرهم
من قريش والانصار وحلفائهم وطوائف العرب من نعيم وقيس وأسد . وقال عروة والزهرى وموسى بن
عقبة : كان المسلمون يوم الفتح الذين مع رسول الله (س) اثنا عشر ألفاً والله اعلم . قال ابن اسحاق
وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت :

عفت ذات الاصابع فالجواه (١)
 ديار من بنى الحسحاس قفر
 وكانت لا يزال بها أنيس
 ففسح هذا ولكن من لطيف
 لشعناء التي (٢) قد تيمته
 كأن خبيثة من بيت رأس
 اذا ما الأشربات ذكرن يوماً
 فوليها الملامة أن ألما (٣)
 ونشرها فتتركنا ملوكا
 عدنا خيلنا أن لم تروها
 ينازعن الأعنة مصفيات
 تظل جياتنا متمطرات
 فاما تعرضوا عنا اعتمرنا
 وإلا فاصبروا لجلاد يوم
 وجبريل رسول الله فينا
 وقال الله قد أرسلت عبدا
 شهدت به قهوما صدقوه
 وقال الله قد سيرت جندا
 لنا في كل يوم من معد
 فنحكم بالقوافي من حجانا
 الا أبلغ أبا سفيان عني
 بأن سيوفنا تركتك عبدا
 هجوت محمداً فأجبت عنه
 أنهجوه ولست له بكف
 إلى عذراء منزلها خلا
 تعفها الروامس والسماء
 خلال مروجها نعم وشاء
 يؤرقني اذا ذهب العشاء
 فليس لقلبه منها شفاء
 يكون مزاجها غسل وماء
 فهن لطيب الراح الغداء
 اذا ما كان مفت أو لحاء (٤)
 وأسداً ما ينهها اللقاء
 تنير النقع موعدها كداء
 على أكتافها الأسل الظماء
 يلطمهن بالخمر النساء
 وكان الفتح وانكشف الغطاء
 يعز (٥) الله فيه من يشاء
 وروح القدس ليس له كفاء
 يقول الحق إن نفع البلاء
 فقتل لا تقوم ولا نشاء
 هم الانصار عرضها اللقاء
 سباب أو قتال أو هجاء
 ونضرب حين تختلط الدماء
 مغلفة قد برح الخفاء
 وعبد الدار سادتها الاماء
 وعند الله في ذاك الجزاء
 فشركا خيركا الغداء

(١) مواضع بالشام وعذراء قرية عند دمشق . (٢) شعناء بنت سلام بن مبشم اليهودي .

(٣) قال السهيلي : أتينا بما نلام عليه صرفناه الى الحر . (٤) المفت الضرب باليد والوجه

الملاحاة بالسان . (٥) وفي رواية يعين الله .

هجوت مباركا برآ حنيفاً أمين الله شيمته الوفاء
أمن بهجو رسول الله منكم وبعده وينصر سواء
فان أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وفاء
لساني صارم لا عيب فيه ويجري لا تكلمه الدلاء^(١)

قال ابن هشام : قالها حسان قبل الفتح .

قلت : والذي قاله متوجه لما في اثناء هذه القصيدة مما يدل على ذلك وأبو سفيان المذكور في البيت هو أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب . قال ابن هشام : وبلغني عن الزهري أنه قال : لما رأى رسول الله (س) النساء يلطمن الخيل بالخر تبسم الى أبي بكر رضى الله عنه . قال ابن اسحاق : وقال أنس بن زعيم الدثلي يعتذر الى رسول الله (س) مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعي - يعني لما جاء يستنصر عليهم - كما تقدم :

أأنت الذي تهدي معدي بأمره بل الله يهديهم وقال لك اشهد
وما حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد
أحث على خير وأسبغ نائلاً اذا راح كالسيف الصقيل المهند
وأكسى لبرد الخال^(٢) قبل ابتذاله وأعطى لرأس السابق المتجرد
تعلم رسول الله أنك مذركي وأن وعيداً منك كالأخذ باليد
تعلم رسول الله أنك قادر على كل صرم متهمين ومنجد
تعلم أن الركب ركب عويمر هموا الكاذبون الخلفوا كل موعد
وثبوا رسول الله أني هجوته فلا حملت سوطي الى إذن يدي
سوى أننى قد قلت ويل ام فتية أصيبوا بنحس لا بطلق وأسمد
أصابهموا من لم يكن للمعائم كفاء فغزت عبرتي وتبلى
وإنك قد أخبرت أنك ساعيا بعبد بن عبد الله وابنة مود
ذؤيب وكثوم وسلمى تتابعوا جميعاً فان لا تسمع العين أكد
وسلمى وسلمى ليس حى كئله وأخوته وهل ملوك كأعبد
فانى لا ذنبا فتقت ولا دما هرقت تبين عالم الحق واقصد

قال ابن اسحاق : وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم الفتح :

(١) وقد زاد السهيلي على هذه القصيدة أربعة أبيات . (٢) الخال من برود اليمن وهو من رفيع الثياب ولعله ممي بالخال من الخيلاء اه عن السهيلي .

نقى أهل الحبلق^(١) كل فج مزينة غدوة وبنو خفاف
 ضربناهم بمكة يوم فتح النبي الخير بالبيض الخفاف
 صبحناهم بسبع من سليم والف من بنى عثمان واف
 نطقاً أكتافهم ضرباً وطعناً ورشقاً بالريشة اللطاف
 نرى بين الصفوف لها خيفاً كما انصاع الفواق من الرصاص
 فرحنا والجياد تبول فيهم بارماح مقومة الثقاف
 فأبنا ظامين بما اشتبهنا وآبوا فادمين على الخلاف
 وأعطينا رسول الله مناً موافقاً على حسن التصاق
 وقد معموا مقاتلتنا هموا غداة الروع منا بانصراف
 وقال ابن هشام وقال عباس بن مرداس السلمي في فتح مكة :

منا بمكة يوم فتح محمد ألف تسيل به البطاح مسوم
 نصروا الرسول وشاهدوا آياته وشعارهم يوم اللقاء مقوم
 في منزل ثبتت به أقدامهم ضحك كأن الهام فيه الختم
 جرت سابكها بسجد قبلها حتى استقام لها الحجاز الأدم
 الله مكنه له وأذله حكم السيوف لنا وجد مزحم
 عود الرياضة شامخ عرينه منطلع ثغر المكارم خضم

وذكر ابن هشام في سبب اسلام عباس بن مرداس أن أباه كان يعبد صنماً من حجارة يقال له
 ضمار فلما حضرته الوفاة أوصاه به ، فبينما هو يوماً يخدمه إذ سمع صوتاً من جوفه وهو يقول :

قل للقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعش أهل المسجد
 إن الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدى
 أودى ضمار وكان يعبد مدة قبل الكتاب الى النبي محمد

قال فخر عباس ضمار ثم لحق برسول الله - ﷺ ، فأسلم ، وقد تقدمت هذه القصة بتمامها في باب
 هواتف الجن مع أمثالها وأشكالها والله الحمد والمنة .

بعثه عليه السلام خالد بن الوليد بعد الفتح الى بنى جذيمة من كنانة

قال ابن اسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة عن أبي جعفر محمد بن علي قال

(١) الحبلق أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس . والحبلق الغنم الصغار ولعله أراد أصحاب

الغنم . قاله السهيلي .

بعث رسول الله (ص) خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً ، ومعه قبائل من العرب وسُليم بن منصور ومدلج بن مرة فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح فان الناس قد أسلوا : قال ابن اسحاق : وحدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم : ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد والله ما بعد وضع السلاح الا الأسار ، وما بعد الأسار الا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبداً . قال فأخذته رجال من قومه فقلوا يا جحدم أتريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلوا ووضعت الحرب وآمن الناس ، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم سلاحهم لقول خالد قال ابن اسحاق : فقال حكيم بن حكيم عن أبي جعفر قال : فلما وضعوا السلاح أمرهم سم خالد فكثفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم ، فلما انتهى الخبر الى رسول الله (ص) رفع يديه الى السماء ثم قال « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل أنكر عليه أحد ؟ » فقال نعم قد أنكر عليه رجل أبيض ربة فقهه خالد فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فاشتدت مراجعتهما ، فقال عمر بن الخطاب : أما الاول يا رسول الله فابني عبد الله : وأما الآخر فسالم مولى أبي حذيفة . قال ابن اسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم عن أبي جعفر قال : ثم دعا رسول الله (ص) على بن أبي طالب فقال « يا على اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » فخرج على حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله (ص) فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الاموال حتى أنه ليدى ميلغة الكلب ، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا واده بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم على حين فرغ منهم : هل بقي لكم دم أو مال لم يود لكم ؟ قالوا لا ، قال فأتى أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله (ص) مما لا يعلم ولا تعلمون . ففعل ثم رجع إلى رسول الله (ص) فأخبره الخبر ، فقال « أصبت وأحسن » ثم قام رسول الله (ص) فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه يقول « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » ثلاث مرات . قال ابن اسحاق : وقد قال بعض من يعذر خالداً أنه قال ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي وقال : إن رسول الله (ص) قد أمرك أن تقتلهم لامتناعهم من الاسلام . قال ابن هشام : قال أبو عمرو المديني : لما أتاهم خالد بن الوليد قالوا صباناً صباناً وهذه مرسلات ومنقطعات . وقد قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال : بعث رسول الله (ص) خالد بن الوليد إلى بني - احسبه قال - جذيمة فدعاهم

إلى الاسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صباناً صباناً، وخالد يأخذهم أسراً وقتلاً، قال ودفع إلى كل رجل منا أسيراً حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، قال ابن عمر فقلت والله لا أقتل أسيرى ولا يقتل أحد من أصحابي أسيره، قال قدموا على النبي (ص) فذكروا صنيع خالد فقال النبي (ص) ورفع يديه « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » مرتين. ورواه البخاري والفسائي من حديث عبد الرزاق به نحوه. قال ابن اسحاق: وقد قال لهم جحدم لما رأى ما يصنع خالد: يا بني جذيمة ضاع الضرب قد كنت حذرتكم مما وقعتم فيه. قال ابن اسحاق: وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف - فيما بلغني - كلام في ذلك فقال له عبد الرحمن عملت بأمر الجاهلية في الاسلام؟ فقال إنما تأرت بأبيك، فقال عبد الرحمن كذبت قد قتلت قاتل أبي، ولكنك تأرت بعملك الفاكه بن المغيرة حتى كان بينهما شر، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال « مهلاً يا خالد دع عنك أصحابي فوالله لو كان لك أحد ذهباً ثم أفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته » ثم ذكر ابن اسحاق قصة الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم عم خالد بن الوليد في خروجه هو وعوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ومعه ابنه عبد الرحمن وعفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ومعه ابنه عثمان في تجارة إلى اليمن ورجوعهم ومعه مال لرجل من بني جذيمة كان هلك باليمن فحملوه إلى ورثته فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ولقبهم بارض بنى جذيمة فطلبه منهم [قبل أن يصلوا إلى أهل الميت] فأبوا عليه فقاتلهم فقاتلوه حتى قتل عوف والفاكه وأخذت أموالهما وقتل عبد الرحمن قاتل أبيه خالد بن هشام وفر منهم عفان ومعه ابنه عثمان إلى مكة، فهت قريش بغزو بني جذيمة فبعث بنو جذيمة يعتذرون إليهم بأنه لم يكن عن ملائمتهم ودوا لهم القتيلين وأموالهما ووضعوا الحرب بينهم، يعني فلماذا قال خالد لعبد الرحمن إنما تأرت أباك يعني حين قتلته بنو جذيمة، فأجابوه بأنه قد أخذ ثأره وقتل قاتله ورد عليه بأنه إنما تأر بعصه لفاكه بن المغيرة حين قتلوه وأخذوا أمواله، والمظنون بكل منهما أنه لم يقصد شيئاً من ذلك وإنما يقال هذا في وقت المحاصرة فأتى خالد بن الوليد نصرة الاسلام وأهله وإن كان قد أخطأ في أمر واعتقد أنهم يفتقصون الاسلام بقولهم صباناً صباناً، ولم يفهم عنهم أنهم أسلموا فقتل طائفة كثيرة منهم وأسر بقيتهم، وقتل أكثر الأسرى أيضاً، ومع هذا لم يعزله رسول الله (ص) بل استمر به أميراً وإن كان قد تبرأ منه في صنيعه ذلك وودى ما كان جناح خطأ في دم أو مال فقيه دليل لأحد القولين بين العلماء في أن خطأ الامام يكون في بيت المال لا في ماله والله اعلم. ولهذا لم يعزله الصديق حين قتل مالك بن نويرة أيام الردة وتأول عليه ما تأول حين ضرب عنقه واصطفى امرأته أم تميم فقال له عمر بن الخطاب: اعزله فان في سيفه رهقاً فقال الصديق: لا أعمد سيفاً سله الله على المشركين

وقال ابن اسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس عن الزهري عن ابن أبي حدر
الأسلمى قال : كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد فقال قتي من بني جذيمة وهو في سنى وقد جمعت
يداه الى عنقه برمة ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى قلت ما تشاء ؟ قال هل أنت آخذ بهذه
الرمة فقايدى الى هذه النسوة حتى أقضى اليهن حاجة ثم تردنى بعد فتصنعوا ما بدا لكم ؟ قال قلت
والله ليسير ما طلبت فأخذت برمة فقدته بها حتى وقفته عليهن فقال : أسلمى حبيش على نفد العيش :

أريتك إذ طالبتكم فوجدتكم بحلية أو ألفتكم بالخوانق
ألم يك أهلك أن ينزل عاشق تكلف إدلاج السرى والودائق
فلا ذنب لي قد قلت إذ أهلكنا ما أثبي بؤد قبل إحدى الصفائق
أثبي بؤد قبل أن يشحط النوى وينأى الأمير بالحبيب المفاوق
فأني لا ضيعة سر أمانة ولا راق عيني عنك بعدك رائق
سوى أن ما نال العشرة شاغل عن الود إلا أن يكون التواق

قالت : وأنت فحييت عشراً وتسعاً وترأ وثمانية ترى قال ثم انصرفت به فضربت عنقه . قال
ابن اسحاق : فحدثني أبو فراس بن أبي سنبلة الأسلمى عن أشياخ منهم عن كان حضرها منهم قالوا
قامت اليه حين ضربت عنقه فأبكت عليه فما زالت تقبله حتى ماتت عنده . وروى الحافظ البيهقي
من طريق الحميدى عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق أنه سمع رجلاً من مزينة
يقال له ابن عصام عن أبيه قال : كان رسول الله (س) إذا بعث سرية قال « إذا رأيتم مسجداً أو معتمراً
مؤذناً فلا تقتلوا أحداً » قال فبعثنا رسول الله (س) في سرية وأمرنا بذلك فخرجنا قبل تهامة فأدركنا
رجلاً يسوق بظمائن قلنا له أسلم ، فقال وما الاسلام ؟ فآخبرناه به فاذا هو لا يعرفه ، قال أفرأيتم إن
لم أفعل ما أنتم صانعون ؟ قال قلنا نقتلك ، فقال فهل أنتم منظرى حتى أدرك الظمائن ؟ قال قلنا نعم
ونحن مدركوك ، قال فأدرك الظمائن فقال : أسلمى حبيش قبل نفاد العيش . فقالت الاخرى اسلم عشراً
وتسعاً وترأ وثمانية ترى ثم ذكر الشعر المتقدم الى قوله : وينأى الأمير بالحبيب المفاوق ، ثم رجع
اليها فقال شأنكم قال فقدمناه فضربنا عنقه قال فانحدرت الاخرى من هودجها فجئت عليه حتى
ماتت . ثم روى البيهقي من طريق أبي عبد الرحمن النسائي ثنا محمد بن علي بن حرب المروزي
ثنا علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله
(س) بعث سرية فغنموا وفيهم رجل ، فقال لهم إني لست منهم إني عشقت امرأة فلحقها فدعوني
أنظر اليها نظرة ثم اصنعوا بي ما بدا لكم ، قال فاذا امرأة أدماء طويلة فقال لها : أسلمى حبيش قبل
نفاد العيش . ثم ذكر البيتين بمعناها . قال فقالت نعم فديتك ، قال فقدموه فضربوا عنقه فجاءت

المرأة فوَقعت عليه فشقت شهقة أو شهقتين، ثم ماتت، فلما قدموا على رسول الله (س)، أخبروه الخبر فقال: «أما كان فيكم رجل رحيم»

بعث خالد بن الوليد لهدم العزى

قال ابن جرير: وكان هدمها لخمس بقين من رمضان عامئذ. قال ابن اسحاق: ثم بعث رسول الله (س)، خالد بن الوليد إلى العزى وكانت بيتا بنخله يعظمه قريش وكنانة ومضر، وكان سدنها وحجابها من بني شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم، فلما سمع حاجبها السلمي بمسير خالد بن الوليد إليها علق سيفه عليها ثم اشتد في الجبل الذي هي فيه وهو يقول:

أيا عزى شدي شدة لاشوى لها على خالد ألقى القناعَ وفُخْري

أيا عزى إن لم تقتلي المرأةً خالداً فبئس ما عجل أو تنصري

قال فلما انتهى خالد إليها هدمها ثم رجع إلى رسول الله (س). وقد روى الواقدي وغيره أنه لما قدمها خالد لخمس بقين من رمضان فهدمها ورجع فأخبر رسول الله (س)، فقال: «ما رأيت؟» قال: «لم أر شيئاً فأمره بالرجوع فلما رجع خرجت إليه من ذلك البيت امرأة سوداء فاشرة شعرها تولول فعلاها بالسيف وجعل يقول:

يا عزى كفرانك لا سبحانهك إني رأيت الله قد أهانك

ثم خرب ذلك البيت الذي كانت فيه وأخذ ما كان فيه من الأموال رضى الله عنه وأرضاه، ثم رجع فأخبر رسول الله (س)، فقال: «تلك العزى ولا تعبد أبداً» وقال البيهقي أنبأ محمد بن أبي بكر الغففي أنبأ محمد بن أبي جعفر أنبأ أحمد بن علي ثنا أبو كريب عن ابن فضيل عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل قال: لما فتح رسول الله (س)، مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى، فأناها وكانت على ثلاث سمرة، فقطع السمرة وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى رسول الله (س)، فأخبره فقال: «ارجع فانك لم تصنع شيئاً» فرجع خالد فلما نظرت إليه السدنة وهم حجابها أجمعوا هرباً في الجبل وهم يقولون: يا عزى خيليه يا عزى عوريه والا فتوى برغم. قال فأناها خالد فاذا امرأة عريانة فاشرة شعرها تحمى التراب على رأسها وجهها فعممها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى النبي (س)، فأخبره فقال: «تلك العزى»

فصل في مدة إقامته عليه السلام بمكة

لا خلاف أنه عليه الصلاة والسلام أقام بقية شهر رمضان يقصر الصلاة ويفطر، وهذا دليل من قال من العلماء إن المسافر إذا لم يجمع الإقامة فله أن يقصر ويفطر إلى ثمانين يوماً في أحد القولين وفي القول الآخر إنه هو مقرر في موضعه. قال البخاري ثنا أبو نعيم ثنا سفيان ح وحدثنا قبيصة ثنا

مفيان عن يحيى بن أبي اسحاق عن أنس بن مالك قال: أقننا مع رسول الله (س) عشرة يقصر الصلاة وقد رواه بقية الجماعة من طرق متعددة عن يحيى بن أبي اسحاق الحضرمي البصري عن أنس به نحوه. قال البخاري ثنا عبدان ثنا عبد الله أنبأ عاصم عن عكرمة عن ابن عباس قال: أقام رسول الله (س) تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين. ورواه البخاري أيضاً من وجه آخر زاد البخاري وأبو حصين كلاهما وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عاصم بن سليمان الاحول عن عكرمة عن ابن عباس به وفي لفظ لابي داود سبعة عشر يوماً وحدثننا أحمد بن يونس ثنا أحمد بن شهاب عن عاصم عن عكرمة عن ابن عباس قال أقننا مع رسول الله (س) في سفر تسع عشرة يقصر الصلاة. قال ابن عباس: فنحن نقصر ما بقينا بين تسع عشرة، فإذا زدنا أتممنا. وقال أبو داود ثنا إبراهيم بن موسى ثنا ابن عليه ثنا علي بن زيد عن أبي نضرة عن عمران بن حصين قال: غزوت مع رسول الله (س) وشهدت معه الفتح فأقام ثمانى عشر ليلة لا يصلي الا ركعتين يقول « يا أهل البلد صلوا أربعاً فاما سفر » وهكذا رواه الترمذي من حديث علي بن زيد بن جعدان وقال هذا حديث حسن. ثم رواه من حديث محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: أقام رسول الله (س) عام الفتح خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم قال رواه غير واحد عن ابن اسحاق لم يذكروا ابن عباس. وقال ابن ادريس عن محمد بن اسحاق عن الزهري ومحمد بن علي ابن الحسين وعاصم بن عمرو بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر وعمرو بن شبيب وغيرهم قالوا: أقام رسول الله (س) بمكة خمس عشرة ليلة.

فصل فيما حكم عليه السلام بمكة من الاحكام

قال البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلم عن مالك بن شهاب عن عروة عن عائشة عن النبي (س) وقال الليث حدثني يونس عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة قالت: كان عتبة بن أبي وقاص عهد الى أخيه سعد أن يقبض ابن وليدة زمعة، وقال عتبة إنه ابني، فلما قدم رسول الله (س) مكة في الفتح أخذ سعد بن أبي وقاص ابن وليدة زمعة فاقبل به الى رسول الله (س) وأقبل معه عبد بن زمعة فقال سعد بن أبي وقاص: هذا ابن اخي عهد الى أنه ابنه، قال عبد بن زمعة يا رسول الله هذا أخي هذا ابن زمعة ولد علي فراشه، فنظر رسول الله (س) الى ابن وليدة زمعة فاذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبي وقاص، فقال رسول الله (س) « هولاك هو أخوك يا عبد بن زمعة من أجل أنه ولد علي فراشه » وقال رسول الله (س) « احتجبي منه يا سودة » لما رأى من شبه عتبة ابن أبي وقاص. قال ابن شهاب قالت عائشة قال رسول الله (س) « الولد للفراش وللماهر الحجر » قال ابن شهاب وكان أبو هريرة يصرح بذلك. وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم وأبو داود والترمذي

جميعاً عن قتيبة عن الليث به . وابن ماجه من حديثه وانفرد البخارى بروايته له من حديث مالك عن الزهرى . ثم قال البخارى ثنا محمد بن مقاتل أنبأ عبد الله أنا يونس عن ابن شهاب اخبرنى عروة ابن الزبير أن امرأة سُرقت فى عهد رسول الله (س)، فى غزوة الفتح ففزع قومها الى أسامة بن زيد يستشفعون له قال عروة : فلما كلفه أسامة فيها تلون وجه رسول الله (س)، وقال « أتتكلمنى فى حد من حدود الله ؟ » فقال أسامة استغفرلى يا رسول الله ، فلما كان العشى قام رسول الله (س)، خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال « أما بعد فإنا هلك الناس قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذي نفس محمد بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ثم أمر رسول الله (س)، بتلك المرأة فقطعت يدها فحسفت توبتها بعد ذلك وتزوجت ، قالت عائشة : كانت تأتى بعد ذلك فأرفع حاجتها الى رسول الله (س)، . وقد رواه البخارى فى موضع آخر ومسلم من حديث ابن وهب عن يونس عن الزهرى عن عروة عن عائشة به وفى صحيح مسلم من حديث سبرة بن معبد الجهنى قال : أمرنا رسول الله (س)، بالمنعة عام الفتح حين دخل مكة ثم لم يخرج حتى نهى عنها . وفى رواية فقال « ألا إنها حرام حرام من يومك هذا الى يوم القيامة » وفى رواية فى مسند احمد والسنن أن ذلك كان فى حجة الوداع فأنه أعلم . وفى صحيح مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يونس بن محمد عن عبد الواحد بن زياد عن أبى العيمس عن أياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه أنه قال : رخص لنا رسول الله (س)، عام أوطاس فى متعة النساء ثلاثاً ثم نهانا عنه . قال البيهقى : وعام أوطاس هو عام الفتح فهو وحديث سبرة سواء .

قلت : من أثبت النهى عنها فى غزوة خيبر قال إنها أبيضت مرتين ، وحرمت مرتين ، وقد نص على ذلك الشافعى وغيره . وقد قيل إنها أبيضت وحرمت أكثر من مرتين فأنه أعلم . وقيل إنها إنما حرمت مرة واحدة وهى هذه المرة فى غزوة الفتح ، وقيل إنها إنما أبيضت للضرورة فعلى هذا اذا وجدت ضرورة أبيضت وهذا رواية عن الامام احمد وقيل بل لم تحرم مطلقاً وهى على الاباحة هذا هو المشهور عن ابن عباس وأصحابه وطائفة من الصحابة وموضع تحريم ذلك فى الأحكام .

فَضْرِبَةُ

قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق ثنا ابن جريج أنبأ عبد الله بن عثمان بن خثيم أن محمد بن الأسود بن خلف أخبره أن أباه الاسود رأى رسول الله (س)، يبايع الناس يوم الفتح ، قال جلس عند قرن مستقبله فبايع الناس على الاسلام والشهادة قلت وما الشهادة ؟ قال أخبرنى محمد بن الاسود ابن خلف أنه يبايعهم على الايمان بالله وشهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله تفرد به احمد وعند البيهقى فجاءه الناس الكبار والصغار والرجال والنساء فبايعهم على الاسلام والشهادة . وقال ابن

جبرير : ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله (س)، على الاسلام فجلس لهم - فيما بلغني - على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه ، فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا قال فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة متقبلة لخدمتها لما كان من صغيرها بحمزة | فهي تخاف أن يأخذها رسول الله (س) ، يخدمها ذلك ، فلما دنين من رسول الله (س) ليبياعهن قال « يايعننى على أن لا تشركن بالله شيئاً » فقالت هند والله إنك لتأخذ علينا مالا تأخذه من الرجال ؟ « ولا تسرقن » فقالت والله إني كنت أصبت من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدري أكان ذلك علينا حللاً أم لا ؟ فقال أبو سفيان - وكان شاهداً لما تقول - أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل ، فقال رسول الله (س) : « وإنك لهند بنت عتبة ؟ » قالت نعم فادفع عما سلف بمعا الله عنك ثم قال « ولا يزينن » قالت يا رسول الله وهل تزني الحرة ؟ ثم قال « ولا تقتلن أولادكن » قالت قد ربيتهن صغاراً حتى قتلتهن أنت وأصحابك بيدركبارا ^(١) فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرق ثم قال « ولا يأتين بهتان يقرينه بين أيديهن وأرجلهن » فقالت والله إن إتيان البهتان لقبيح ، ولبعض التجاوز أمثل ثم قال « ولا يمصينني » فقالت في معروف ، فقال رسول الله (س) : لعمر « يايعنن واستغفر لمن الله إن الله غفور رحيم » فبايعهن عمر وكان رسول الله (س) لا يوافق النساء ولا يمس إلا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه . وثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لا والله ما مست يد رسول الله (س) يد امرأة قط وفي رواية ما كان يبايعهن إلا كلاماً ويقول « إنما قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة » وفي الصحيحين عن عائشة أن هنداً بنت عتبة امرأة أبي سفيان أتت رسول الله (س) فقالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني فهل على من حرج إذا أخفت من ماله بغير علمه ؟ قال خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك ^(٢) [وروى البيهقي من طريق يحيى بن بكير عن الليث عن يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن هند بنت عتبة قالت يا رسول الله ما كان مما على وجه الأرض أخباء أو خباء - الشك من أبي بكر - أحب إلى من أن يذلوا من أهل أخبائك - أو خبائك - ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل أخباء أو خباء أحب إلى من أن يعزوا من أهل أخبائك أو خبائك فقال رسول الله (س) : « وأيضاً والذي نفس محمد بيده » قالت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح فهل على حرج أن أطعم من الذي له ؟ قال « لا بالمعروف » ورواه البخاري عن يحيى بن بكير بنحوه وتقدم ما يتعلق بإسلام أبي سفيان ^(٣)

(١) هذه رواية السهيلي وفي الاصول : أفقتلهم كباراً فأنت وهم أعلم . (٢) ما بين المربعين لم يرد

في نسخة دار الكتب المصرية . (٣) ما بين المربعين عن النسخة التيمورية ولم يرد في غيرها .

وقال أبو داود ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طلوس عن ابن عباس قال قال رسول الله (س) : يوم فتح مكة : « لا هجرة ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم الا فأنفروا » ورواه البخاري عن عثمان بن أبي شيبة ومسلم عن يحيى بن يحيى عن جرير . وقال الامام أحمد ثنا عفان ثنا وهب ثنا ابن طلوس عن أبيه عن صفوان بن أمية أنه قيل له إنه لا يدخل الجنة الا من هاجر فقلت له لا أدخل منزلي حتى أسأل رسول الله ما سأله فأتيته فذكرت له فقال « لا هجرة بعد فتح مكة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فأنفروا » تفرد به أحمد وقال البخاري ثنا محمد بن أبي بكر ثنا الفضيل بن سليمان ثنا عاصم عن أبي عثمان النهدي عن مجاشع بن مسعود قال : انطلقت بأبي معبد الى النبي (س) لبياعه على الهجرة فقال « مضت الهجرة لاهلها أبياعه على الاسلام والجهاد » فلقيت ابا معبد فسألته فقال صدق مجاشع . وقال خالد عن أبي عثمان عن مجاشع أنه جاء بأخيه مجالد . وقال البخاري ثنا عمرو بن خالد ثنا زهير ثنا عاصم عن أبي عثمان قال حدثني مجاشع قال : أتيت رسول الله بأخي بعد يوم الفتح فقلت يا رسول الله جئت بأخي لتبأيعه على الهجرة قال « ذهب أهل الهجرة بما فيها » فقلت على أي شيء تبأيعه ؟ قال « أبأيعه على الاسلام والايمان والجهاد » فلقيت ابا معبد بعد وكان أكبرهما سنًا فسألته فقال : صدق مجاشع وقال البخاري ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي بشر عن مجاهد قال قلت لابن عمر : أريد أن أهاجر الى الشام ؟ فقال : لا هجرة ولكن انطلق فاعرض نفسك فان وجدت شيئًا والارجعت . وقال أبو النصر أنا شعبة أنا أبو بشر سمعت مجاهدًا قال : قلت لابن عمر ^(١) فقال لا هجرة اليوم - أو بعد رسول الله (س) - مثله . حدثنا اسحاق ابن يزيد ثنا يحيى بن حمزة حدثني أبو عمرو والاوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة عن مجاهد بن جبير أن عبد الله بن عمر قال : لا هجرة بعد الفتح . وقال البخاري ثنا اسحاق بن يزيد أنا يحيى بن حمزة أنا الاوزاعي عن عطاء بن أبي رباح قال : زرت عائشة مع عبيد بن عمير فسألها عن الهجرة فقالت لا هجرة اليوم . وكان المؤمنون يفر أحدهم بدينه الى الله عز وجل والى رسوله مخافة أن يقتل عليه ، فاما اليوم فقد أظهر الله الاسلام فالؤمن يعبد ربه حيث يشاء ولكن جهاد ونية .

وهذه الاحاديث والآثار دالة على أن الهجرة إما الكاملة أو مطلقا قد انقطعت بعد فتح مكة لان الناس دخلوا في دين الله أفواجا وظهر الاسلام وثبتت أركانه ودعائه فلم تبق هجرة اللهم الا أن يعرض حال يقتضي الهجرة بسبب مجاورة أهل الحرب وعدم القدرة على اظهار الدين عندهم فتجب الهجرة الى دار الاسلام وهذا مالا خلاف فيه بين العلماء ولكن هذه الهجرة ليست كالهجرة قبل الفتح ، كما أن كلام الجهاد والافتاق في سبيل الله مشروع ودرغب فيه الى يوم القيامة وليس كالافتاق ولا اسجد قبل الفتح فتح مكة . قال الله تعالى [لا يستوى منكم من أفق من قبل الفتح

وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أففقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى [الآية . وقد قال الامام أحمد : ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البخري الطائي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله (س) ، أنه قال لما نزلت هذه السورة « إذا جاء نصر الله والفتح » قرأها رسول الله حتى ختمها وقال : « الناس خير وأنا وأصحابي خير » وقال « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » فقال له مروان كذبت : وعنده [(١) . رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير ، فقال أبو سعيد : لو شاء هذان لحبلك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه ، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة ، فرفع مروان عليه الدرة ليضربه فلما رأيا ذلك . قالا : صدق . تفرد به أحمد . وقال البخاري ثنا موسى بن اسماعيل ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكان بعضهم وجد في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من قد علمت فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم فمأرايت أنه أدخلني فيهم يومئذ إلا ليربهم ، فقال ما تقولون في قول الله عز وجل [إذا جاء نصر الله والفتح] فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا ، فقال لي : أ كذاك تقول يا ابن عباس ؟ قلت لا ، فقال ما تقول ؟ قلت هو أجل رسول الله (س) ، أعلمه له قال [إذا جاء نصر الله والفتح] فذلك علامة أجلك [فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا] قال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها الا ما يقول . تفرد به البخاري وهكذا روى من غير وجه عن ابن عباس أنه فسر ذلك بنبي رسول الله (س) ، في أجله ، وبه قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد كما قال ابن عباس وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما . فأما الحديث الذي قال الامام أحمد ثنا محمد بن فضيل ثنا عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما : نزلت [إذا جاء نصر الله والفتح] قال رسول الله (س) ، « نعيم الى نفسي » بأنه مقبوض في تلك السنة تفرد به الامام أحمد وفي إسناد عطاء بن أبي مسلم الخراساني وفيه ضعف تكلم فيه غير واحد من الأئمة وفي لفظه نكارة شديدة وهو قوله بأنه مقبوض في تلك السنة ، وهذا باطل فان الفتح كان في سنة ثمان في رمضان منها كما تقدم بيانه وهذا مالا خلاف فيه . وقد توفي رسول الله (س) ، في ربيع الاول من سنة إحدى عشرة بلا خلاف أيضا ، وهكذا الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني رحمه الله ثنا ابراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي ثنا أبي ثنا جعفر بن عون عن أبي العباس عن أبي بكر بن أبي الجهم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : آخر سورة نزلت من القرآن جميعا إذا جاء نصر الله والفتح . فيه نكارة أيضا وفي إسناد نظر أيضا ويحتمل أن يكون أنها آخر

(١) ما بين المربعين لم يرد في الحلبية . وفي نسخة دار الكتب والتميمورية بهذا السياق .

سورة نزلت جميعها كما قال والله أعلم . وقد تكلمنا على تفسير هذه السورة الكريمة بما فيه كفاية والله الحمد والمنة . وقال البخارى ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن عمرو ابن سلمة - قال لى أبو قلابة : ألا تلقاء فسأله فلقيته فسألته - قال كنا بقاء عمر الناس ، وكان يمر بنا الركبان فسألهم ما للناس ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون يزعم أن الله أرسله وأوحى اليه كذا . فكنت أحفظ ذاك الكلام فكأنما يفرى فى صدرى ، وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح فيقولون اتركوه وقومه فانه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق ، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم ، وبدر أبي قومي بإسلامهم : فلما قدم قال : جئتمكم والله من عند النبي حقا . قال صلوا صلاة كذا فى حين كذا ، وصلاة كذا فى حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنا فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا منى لما كنت أتلقى من الركبان ، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت على بردة اذا سجدت تقلصت عنى ، فقالت امرأة من الحى : ألا تفتنون عنا است قارئكم ؟ فاشترؤا فقطعوا الى قيصا فما فرحت بشئ فرحى بذلك القبيص . تفرد به البخارى دون مسلم .

غزوة هوازن يوم حنين

قال الله تعالى (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم) . وقد ذكر محمد بن اسحاق بن يسار فى كتابه أن خروج رسول الله (س) الى هوازن بعد الفتح فى خامس شوال سنة ثمان ، وزعم أن الفتح كان لعشر بقين من شهر رمضان قبل خروجه اليهم خمس عشرة ليلة وهكذا روى عن ابن مسعود وبه قال عروة بن الزبير واختاره احمد وابن جرير فى تاريخه . وقال الواقدي : خرج رسول الله (س) الى هوازن لست خلون من شوال فانتهى الى حنين فى عاشره . وقال أبو بكر الصديق لن نغلب اليوم من قلة اهل هوازن فانهزموا لمكان أول من انهزم بنو سليم ثم أهل مكة ثم بقية الناس .

قال ابن اسحاق : ولما سمعت هوازن برسول الله (س) وما فتح الله عليه من مكة جمعها ملكها مالك بن عوف النصرى فاجتمع اليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وفاس من بنى هلال وهم قليل ولم يشهدا من قيس عيلان الا هؤلاء . وغلب عنها ولم يحضرها من هوازن كعب وكلاب ولم يشهدا منهم أحد له اسم وفى بنى جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه شئ

الا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخاً مجرباً ، وفي قيف سيدان لهم ؛ وفي الاحلاف قارب ابن الاسود بن مسعود بن معتب ، وفي بني مالك ذو الحارث سبيع بن الحارث واخوه احمر بن الحارث وجماع أمر الناس الى مالك بن عوف النصرى ، فلما أجمع السير إلى رسول الله (ص) أحضر مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم ، فلما نزل بأوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم دريد بن الصمة في شجار له يقاد به ، فلما نزل قال بأى واد أنتم ؟ قالوا بأوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن خرس ولا سهل دهن ، مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم ، قال أين مالك ؟ قالوا هذا مالك ودعى له ، قال يمالك إنك قد أصبحت رئيس قومك وإن هذا يوم كأن له ما بعده من الأيام ، مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قال سقت مع الناس أبنائهم ونساءهم وأموالهم ، قال ولم ؟ قال أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وباله ليقاتل عنهم ، قال فانتقض به ، ثم قال راعى ضأن والله ، هل يرد المهزوم شئ ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه وريحه . وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك ، ثم قال ما فعلت كعب وكلاب ؟ قال لم يشهدا منهم أحد ، قال غاب الحد والجد لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ، فن شهدا منكم ؟ قالوا عمرو بن عامر وعوف بن عامر قال ذاك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران ثم قال يمالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن الى نحر الخيل شيئاً ، ثم قال دريد لمالك ابن عوف : ارفعهم الى متمنع بلادهم وغلبا قومهم ثم القى الصبا على متون الخيل فان كانت لك لحق بك من ورائك ، وإن كانت عليك الفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك ، قال والله لا أفعل إنك قد كبرت وكبر عقلك ، ثم قال مالك : والله لتطيعننى يا معشر هوازن أو لا تكثن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري - وكره أن يكون لدريد فيها ذكر أو رأى - فقالوا : أظعنك فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى :

يا ليتنى فيها جَدَعٌ أخبَّ فيها وأضع
أقودُ وطفاء الزَّمَعِ كأنها شاةٌ صدع

ثم قال مالك للناس : اذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد . قال ابن اسحاق : وحدثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حدث أن مالك بن عوف بعث عيوفا من رجاله فاتوه وقد تفرقت أوصلهم ، فقال ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا رأينا رجلا بيضا على خيل بلقى فوالله ما تمالكنا أن أصابنا ما ترى ، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد . قال ابن اسحاق : ولما سمع بهم نبي الله (ص) بعث اليهم عبد الله بن أبي حمزة الأملى وأمره أن يدخل في

الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن أبي حدرد فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله (س) ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله (س) ، فأخبره الخبر ، فلما أجمع رسول الله (س) السير الى هوازن ذكر له أن عند صفوان ابن أمية أدراعاً له وسلاحاً فارسل اليه وهو يومئذ مشرك فقال « يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا غدا » فقال صفوان أغضباً يا محمد ؟ قال « بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك » قال ليس بهذا بأس ، فاعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله (س) سأل أن يكفيهم حملها ففعل . هكذا اورد هذا ابن اسحاق من غير إسناد . وقد روى يونس بن بكير عن ابن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه . وعن عمرو بن شعيب والزهرى وعبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم وغيرهم قصة حنين فذكر نحو ما تقدم ، وقصة الادراع كما تقدم وفيه أن ابن أبي حدرد لما رجع فأخبر رسول الله (س) خبر هوازن كذبه عمر بن الخطاب ، فقال له ابن أبي حدرد : لئن كذبتني يا عمر فربما كذبت بالحق ، فقال عمر ألا تسمع ما يقول يا رسول الله ؟ فقال « قد كنت ضالاً فهداك الله » . وقد قال الامام أحمد ثنا يزيد بن هارون أنبأ شريك بن عبد العزيز بن رفيع عن أمية بن صفوان بن أمية عن أبيه أن رسول الله (س) استعار من أمية يوم حنين أدراعاً فقال أغضباً يا محمد ؟ فقال « بل عارية مضمونة » قال فضاع بعضها فعرض عليه رسول الله (س) أن يضمها له فقال : أنا اليوم يا رسول الله في الاسلام أرغب . ورواه أبو داود والنسائي من حديث يزيد بن هرون به . وأخرجه النسائي من رواية اسراييل عن عبد العزيز بن رفيع عن ابن أبي مليكة عبد الرحمن بن صفوان بن أمية أن رسول الله (س) استعار من صفوان دروعاً فذكره . ورواه من حديث هشيم عن حجاج عن عطاء أن رسول الله (س) استعار من صفوان أدراعاً وأفراساً وساق الحديث . وقال أبو داود ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا جابر عن عبد العزيز ابن رفيع عن أناس من آل عبد الله بن صفوان أن رسول الله (س) قال « يا صفوان هل عندك من سلاح ؟ » قال عارية أم غضباً ، قال « بل عارية » فأعاره ما بين الثلاثين الى الاربعين درعاً وغزا رسول الله (س) حنيناً فلما هزم المشركون جمعت دروع صفوان ففقد منها أدراعاً ، فقال رسول الله (س) لصفوان « قد فقدنا من أدراعك أدراعاً فهل نفرم لك ؟ » قال لا يا رسول الله إن في قلبي اليوم ما لم يكن فيه يومئذ . وهذا مرسل أيضاً . قال ابن اسحاق : ثم خرج رسول الله (س) معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة فكانوا اثني عشر ألفاً .

قلت : وعلى قول عروة والزهرى وموسى بن عقبة يكون مجموع الجيشين اللذين سار بهما الى

هوازن أربعة عشر ألفاً ، لأنه قدم باثني عشر ألفاً إلى مكة على قولهم وأضيف ألفان من الطلقاء .
وذكر ابن اسحاق أنه خرج من مكة في خامس شوال قال واستخلف على أهل مكة عتاب بن أسيد
ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس الأموي .

قلت : وكان عمره إذ ذاك قريباً من عشرين سنة ، قال ومضى رسول الله (س) يريد لقاء هوازن
وذكر قصيدة السباس بن مرداس السلمي في ذلك ^(١) منها قوله :

أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها متى رسالة نُصح فيه تبيان
إني أظن رسول الله صابحكم جيشاً له في فضاء الأرض أركان
فيهم سليم أخوكم غير تارككم والمسلمون عباد الله غسان
وفي عضادته اليمنى بنو أسد والأجربان بنو عبس وذبيان
تسكاد ترجف منه الأرض رهبته وفي مقدمه أوس وعثمان

قال ابن اسحاق : أوس وعثمان قبيلة مزينة . قال وحدثني الزهري عن سنان بن أبي سنان الدؤلي
عن أبي واقد الليثي أن الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله (س) إلى حنين ونحن حديثوا
عهد بالجاهلية ، قال فسرنا معه إلى حنين ، قال وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة
عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها وينبحون عندها ويعكفون
عليها يوماً ، قال فرأينا ونحن نسير مع رسول الله (س) سدة خضراء عظيمة ، قال فتنادينا من جنبات
الطريق : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ؟ فقال رسول الله (س) : « الله أكبر قلتم
والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون ، إنها السنن
لتركبن سنن من كان قبلكم » . وقد روى هذا الحديث الترمذي عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومي
عن سفيان والنسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر كلاهما عن الزهري كما رواه ابن اسحاق
عنه ، وقال الترمذي حسن صحيح . ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق كثير بن عبد الله بن
عمر بن عوف عن أبيه عن جده مرفوعاً وقال أبو داود ثنا أبو توبة ثنا معاوية بن سلام عن زيد
ابن سلام أنه سمع أبا سلام عن السلولي أنه حدثه سهل بن الحنفلية أنهم ساروا مع رسول الله (س) يوم
حنين فاطمبوا السير حتى كان العشي ، فحضرت صلاة الظهر عند رسول الله (س) فجاء رجل فارس فقال
يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم يظعنهم
و بنعمهم وشأنهم اجتمعوا إلى حنين ، فتبسم رسول الله (س) ، وقال « تلك غنيمة المسلمين غداً إن
شاء الله » ثم قال « من يحرسنا الليلة » قال أنس بن أبي مرثد : أنا يا رسول الله ، قال فركب فرمكب

(١) وأولها : أصابت العام رعلا غول قومهم وسط البيوت ولون الغول ألوان

فرساً له وجاء الى رسول الله (س)، فقال له رسول الله (س)، «استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا نفرن من قبلك الليلة» فلما أصبحنا خرج رسول الله (س)، الى مصلاه فرمى ركنين ثم قال «هل أحسستم فارسكم؟» قالوا يا رسول الله ما أحسنا، فتوب بالصلاة فجعل رسول الله (س)، يصلي ويلتفت الى الشعب حتى اذا قضى صلاته قال «ابشروا فقد جاءكم فارسكم» فجعل ينظر الى خلال الشجر في الشعب واذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله (س)، فقال: إني انطلقت حتى اذا كنت في اعلا هذا الشعب حيث أمرني رسول الله (س)، فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم أر أحداً، فقال له رسول الله (س)، «هل نزلت الليلة؟» قال لا إلا مصلياً أو قاضي حاجة، فقال له رسول الله (س)، «قد أوجبت فلا عليك ألا تعمل بعدها» وهكذا رواه النسائي عن محمد بن يحيى عن محمد بن كثير الحراني عن أبي توبة الربيع بن نافع به .

الوقعة وما كان اول الأمر من الفرار ثم العاقبة للمتقين

قال بونس بن بكير وغيره عن محمد بن اسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن ابن جابر بن عبد الله عن أبيه قال : فخرج مالك بن عوف بمن معه الى حنين فسبق رسول الله (س)، اليها فأعدوا وتهيئوا في مضائق الوادي وأحناؤه وأقبل رسول الله وأصحابه حتى انحط بهم الوادي في عماية الصبح ، فلما انحط الناس نارت في وجوههم الخيل فشلت عليهم وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحد على أحد ، وانحاز رسول الله (س)، ذات اليمين يقول « أين أيها الناس؟ » هلموا الى أنا رسول الله ، أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله » قال فلا شيء ، وركبت الابل بعضها بعضاً فلما رأى رسول الله (س)، أمر الناس ومعه رهط من أهل بيته على بن أبي طالب ، وأبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ، وأخوه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس وقيل الفضيل بن أبي سفيان وأيمن بن أم أيمن وأسامة بن زيد ، ومن الناس من يزيد فيهم قم بن العباس ورهط من المهاجرين منهم أبو بكر وعمر والعباس أخذ بحمكة بفلته البيضاء وهو عليها قد شجرها ، قال ورجل من هوازن على جبل له أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوازن وهوازن خلفه اذا أدرك طعن برمح واذا فاته الناس رفع رمح له لمن وراءه فاتبعوه ، قال فبينما هو كذلك اذ هوى له على بن أبي طالب ورجل من الانصار يريدانه ، قال فيأتني على من خلفه فضرب عرقوبي الجبل فوق على عجزه ووثب الانصارى على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه فأنجف عن رحله ، قال واجتلد الناس فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله (س)، ورواه الامام احمد عن يعقوب بن ابراهيم الزهرى عن أبيه عن محمد

ابن اسحاق قال ابن اسحاق : والتفت رسول الله (ص) الى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، كان ممن صبر يومئذ وكان حسن الاسلام حين أسلم وهو أخذ بثغر بغلة رسول الله (ص) قال « من هذا ؟ » قال ابن أمك يا رسول الله . قال ابن اسحاق : ولما انهزم الناس تكلم رجال من جفاة الاعراب بما في أنفسهم من الضغن فقال أبو سفيان سخر بن حرب - يعني وكان اسلامه بعد مدخولا وكانت الارلام بعد معه يومئذ - قال : لا تقتلهم هزيمتهم دون البحر ، وصرخ كلدة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية - يعني لأمه - وهو مشرك في المدة التي جعل له رسول الله (ص) : ألا بطل السحر اليوم . فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك فوالله لئن يربني رجل من قریش أحب الى من أن يربني رجل من هوازن . وقال الامام أحمد حدثنا عفان بن مسلم ثنا حماد بن سلمة أنبا اسحاق ابن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والنصبين والابل والغنم فحملوها صفوفًا يكثر على رسول الله (ص) ، فلما التقوا ولي المسلمون مدبرين لما قال الله تعالى فقال رسول الله (ص) : « يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله » ثم قال « يا معشر الأنصار أنا عبد الله ورسوله » قال فهزم الله المشركين ولم يضرب بسيف ولم يطعن برمح . قال وقال رسول الله (ص) يومئذ « من قتل كافرًا فله سلبه » قال قتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلا وأخذ أسلابهم ، وقال أبو قتادة : يا رسول الله إني ضربت رجلا على حبل العاتق وعليه درع له فاجهضت عنه فانظر من أخذها قال ققام رجل فقال أنا أخذتها فارضه منها وأعطنيها ، قال وكان رسول الله (ص) لا يسأل شيئًا ألا اعطاه أو سكت فسكت رسول الله (ص) ، فقال عمر : والله لا يفتها الله على أسد من أسد الله ويمطيكمها ، فقال رسول الله (ص) : « صدق عمر » قال ولقي أبو طلحة أم سليم ومعهما خنجر فقال أبو طلحة ما هذا ؟ فقالت إن دنا مني بعض المشركين أن أبعج في بطنه ، فقال أبو طلحة : أما تسمع ما تقول أم سليم ؟ فضحك رسول الله (ص) ، فقالت : يا رسول الله أقتل من بعدها من الطلقاء انهزموا بك ، فقال : « إن الله قد كنى وأحسن يا أم سليم » وقد روى مسلم منه قصة خنجر أم سليم ، وأبو داود قوله « من قتل قتيلًا فله سلبه » كلاهما من حديث حماد بن سلمة به . وقول عمر في هذا مستغرب والمشهور أن ذلك أبو بكر الصديق . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا أبي ثنا نافع أبو غالب شهد أنس بن مالك فقال العلاء بن زياد العدوي : يا أبا حمزة بن أي الرجال كان رسول الله (ص) ، إذ بعث ؟ فقال : ابن أربعين سنة ، قال ثم كان ماذا ؟ قال ثم كان بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتمت له ستون سنة ، ثم قبضه الله اليه . قال بسن أي الرجال هو يومئذ ؟ قال كأشب الرجال وأحسنه وأجله وألحمه ، قال يا أبا حمزة وهل غزوت مع رسول الله (ص) ؟ قال نعم غزوت معه يوم حنين ففرج المشركون بكرة فحملوا علينا حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا وفي

المشركين رجل يحمل علينا فيدقنا ويحططنا ، فلما رأى ذلك رسول الله (ص) ، نزل فهزمهم الله فولوا ، فقام رسول الله (ص) ، حين رأى الفتح فجعل يجهم بهم أسارى رجل رجل فيباليعونه على الاسلام ، فقال . رجل من أصحاب النبي (ص) ، إن على نذراً لئن جئ بالرجل الذي كان منذ اليوم يحططنا لأضربن عنقه ، قال فسكت رسول الله (ص) ، وجئ بالرجل فلما رأى نبي الله (ص) ، قال : يا نبي الله ثبت الى الله ؟ قال وأمسك نبي الله (ص) ، أن يبايعه ليوفى الآخر نذره ، قال وجعل ينظر الى النبي (ص) ، ليأمره بقتله ويهاج رسول الله (ص) ، ، فلما رأى النبي (ص) ، أنه لا يصنع شيئاً بايعه فقال يا نبي الله نذرى ؟ قال « لم أمسك عنه منذ اليوم الا لتوفى نذرك » فقال يا رسول الله ألا أومأت الى ؟ قال « إنه ليس لنبي أن يوحى » . تفرد به احمد وقال أحمد حدثنا يزيد ثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : كان من دعاء رسول الله (ص) ، يوم حنين « اللهم إنك إن تشاء لا تعبد في الارض بعد اليوم » بإسناده ثلاثي على شرط الشيخين ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه . وقال البخاري ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي اسحاق مع البراء بن عازب - وسأله رجل من قيس أفرتم عن رسول الله (ص) ، يوم حنين ؟ - فقال : لكن رسول الله (ص) ، لم يفر ، كانت هوازن رماة وأنا لما حملنا عليهم م انكشفوا فأ كبنا على الغنائم فاستقبلتنا بالسهم . ولقد رأيت رسول الله (ص) ، على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان أخذ بزمامها وهو يقول : أنا النبي لا كذب ، ورواه البخاري عن أبي الوليد عن شعبة به وقال :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

قال البخاري : وقال اسرأئيل وزهير عن أبي اسحاق عن البراء ثم نزل عن بغلته . ورواه مسلم والنسائي عن بشار . زاد مسلم ، وأبي موسى كلاهما عن غندر به . وروى مسلم من حديث زكريا بن أبي زائدة عن أبي اسحاق عن البراء قال ثم نزل فاستنصر وهو يقول :

أنا النبي لا كذب • أنا ابن عبد المطلب « اللهم نزل نصرك » . قال البراء ولقد كنا اذا حى البأس تنق برسول الله (ص) ، وإن الشجاع الذي يحاذي به . وروى البيهقي من طرق أن رسول الله (ص) ، قال يومئذ : « أنا ابن العواتك » [وقال الطبراني : ثنا عباس بن الفضل الاسقاطي ثنا عمرو بن عوف الواسطي ثنا هشيم أنبا يحيى بن سعيد عن عمرو بن سعيد بن العاص عن شعبة عن ابن عاصم السلمي أن رسول الله (ص) ، قال يوم حنين : « أنا ابن العواتك »] وقال البخاري : ثنا عبد الله بن يوسف أنبا مالك عن يحيى بن سعيد عن عمرو بن كثير بن أفلح عن أبي محمد مولى أبي قتادة عن أبي قتادة قال : خرجنا مع رسول الله (ص) ، عام حنين ،

فلما التقينا كانت للمسلمين جولة فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين ف ضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف ف قطعتم الدرع وأقبل على فضيضة وضمت منها ربح الموت ، ثم أدركه الموت فأرسلني فلحقته عمر ، قتل ما بال الناس ؟ فقال أمر الله ، ورجعوا وجلس رسول الله (ص) ، فقال « من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه » فقمت قتل من يشهد لي ، ثم جلست فقال رسول الله (ص) ، مثله ، قتل من يشهد لي ، ثم جلست فقال رسول الله (ص) ، مثله ، قتل من يشهد لي ، ثم قال رسول الله (ص) ، مثله فقمت فقال « مالك يا أبا قتادة ؟ » فأخبرته فقال رجل : صدق سلبه عندي فأرضه مني ، فقال أبو بكر : لاها الله إذاً تعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه ١٢ فقال النبي (ص) ، « صدق فأعطه » فأعطانيه فابتعت به مخرافاً في بني سلمة فانه لأول مال تأثلته في الاسلام . ورواه بقية الجماعة الا النسائي من حديث يحيى بن سعيد به . قال البخاري وقال الليث بن سعد حدثني يحيى بن سعيد عن عمرو بن كثير بن أفلح عن أبي محمد مولى أبي قتادة أن أبا قتادة قال : لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين وآخر من المشركين يختله من ورأته ليقته ، فأمرعت إلى الذي يختله فرفع يده ليضربني فأضرب يده ف قطعتهما ، ثم أخذني فضمني ضماً شديداً حتى تخوفت ثم ترك فتحلل فدفعته ثم قتله ، وانهزم المسلمون فانهزمت معهم ، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس قتل له ما شأن الناس ؟ قال أمر الله ، ثم تراجع الناس إلى رسول الله فقال رسول الله « من أقام بينة على قتيلاً فله سلبه » فقمت لأتيس بينة على قتيلى فلم أر أحداً يشهد لي فجلست ، ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله (ص) ، فقال رجل من جلسائه : سلاح هذا القتيلى الذي يذكرك عندي فأرضه مني . فقال أبو بكر : كلا لا يعطيه أضييع من قريش ويدع أسداً من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله . قال فقام رسول الله فأداه إلى فاشترت به مخرافاً فكان أول مال تأثلته . وقد رواه البخاري في مواضع أخر ومسلم كلاهما عن قتيبة عن الليث بن سعد به ، وقد تقدم من رواية نافع أبي غالب عن أنس أن القائل لذلك عمر بن الخطاب فلمعه قاله متابعة لأبي بكر الصديق ومساعدة وموافقة له ، أو قد اشتبه على الراوى والله أعلم . وقال الحافظ البيهقي أنبأ الحاكم أنبأ الأصم أنبأ أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني عاصم بن عمر عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله أن رسول الله (ص) ، قال يوم حنين حين رأى من الناس ما رأى « يا عباس ناد يا معشر الأنصار يا أصحاب الشجرة » فأجابوه ليبيك ليبيك ، فجعل الرجل يذهب ليعطف بعيره فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه عن عنقه ويأخذ سيفه وترسه ثم يؤم الصوت حتى اجتمع إلى رسول الله (ص) ، منهم مائة ، فاستعرض الناس فاقتلوا وكانت الدعوة أول ما كانت للأنصار ، ثم جمعت آخراً للخزرج وكانوا صبراً عند الحرب ، وأشرف رسول الله (ص) ، في ركابه

فنظر الى مجتلد القوم فقال « الآن حى الوطيس » قال فوالله ما راجعه الناس الا والاسارى عند رسول الله (س)، مكثفون ، قتل الله منهم من قتل ، وانهمز منهم من انهمز ، وأفاه الله على رسوله (س)، أموالهم وأبنائهم . وقال ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة . وذكر موسى بن عقبة فى مغازيه عن الزهري أن رسول الله (س)، لما فتح الله عليه مكة وأقر بها عينه ، خرج إلى هوازن وخرج معه أهل مكة لم يغادر منهم أحداً ركباناً وشاة حتى خرج النساء يمشين على غير دين نظاراً ينظرون ويرجون الفنائم ولا يكرهون مع ذلك أن تكون الصدمة برسول الله (س)، وأصحابه ، قالوا وكان معه أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وكانت امرأته مسلمة وهو مشرك لم يفرق بينهما ، قالوا وكان رئيس المشركين يومئذ مالك بن عوف النصرى ومعه دريد بن الصمة برعش من الكبر ، ومعه النساء والذراري والنعم ، فبعث رسول الله (س)، عبد الله بن أبي حذرد عيناً فبات فيهم فسمع مالك ابن عوف يقول لأصحابه : إذا أصبحتم فاحلوا عليهم حملة رجل واحد واكسروا أعقاد سيوفكم واجعلوا مواشيك صفاً ونساءكم صفاً ، فلما أصبحوا اعتزل أبو سفيان وصفوان وحكيم بن حزام وراءهم ينظرون لمن تكون الدائرة وصف الناس بعضهم لبعض وركب رسول الله (س)، بغلة له شهباء فاستقبل الصفوف فأمرهم وحضهم على القتال وبشرهم بالفتح - إن صبروا - فبينما هم كذلك إذ حمل المشركون على المسلمين حملة رجل واحد فجال المسلمون جولة ثم ولوا مدبرين ، فقال حارثة بن النعمان : لقد حزوت من بقى مع رسول الله (س)، حين أدبر الناس فقلت مائة رجل ، قالوا ومر رجل من قريش بصفوان بن أمية فقتل ابشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجتبرونها أبداً ، فقال له صفوان : تبشرني بظهور الأعراب فوالله لرب من قريش أحب الى من رب من الأعراب ، وغضب صفوان لذلك . قال عروة وبعث صفوان غلاماً له فقال اسمع لمن الشعار ؟ فجاءه فقال سمعتمهم يقولون : يا بنى عبد الرحمن يا بنى عبد الله ، يا بنى عبيد الله ، فقال : ظهر محمد وكان ذلك شعارهم فى الحرب . قالوا وكان رسول الله (س)، لما غشيه القتال قام فى الركابين وهو على البغلة فرفع يديه الى الله يدعو ويقول « اللهم إني أنشدك ما وعدتني اللهم لا ينفى لهم أن يظهروا علينا » ونادى أصحابه وزمرهم « يا أصحاب البيعة يوم الحديبية الله الله السكرة على نبيكم » ويقال حرضهم فقال « يا أنصار الله وأنصار رسوله يا بنى الخزرج يا أصحاب سورة البقرة » وأمر من أصحابه من ينادى بذلك ، قالوا وقبض قبضة من الحصباء فحصب بها وجوه المشركين ونواصيهم كلها وقال « شامت الوجوه » وأقبل أصحابه اليه سراعا يبتدرون ، وزعموا أن رسول الله (س)، قال « الآن حى الوطيس » فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصبهم منها واتبعهم المسلمون يقتلونهم وغنمهم الله نساءهم وذراريهم ، وفر مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف هو وأناس من أشراف قومه ، وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله رسوله (س)،

وإعزازة دينه . رواه البيهقي . وقال ابن وهب : أخبرني يونس عن الزهري أخبرني كثير بن العباس ابن عبد المطلب ، قال قال العباس : شهدت مع رسول الله (س) يوم حنين فلزمته أنا وأبو سفيان بن الحارث لا تفارقه . ورسول الله (س) على بغلة بيضاء أهداها له فروة بن ففاعة الجذامي ، فلما التقى الناس ولي المسلمون مدبرين فطلق رسول الله (س) بركض بغلته قبل الكفار ، قال العباس وأنا أخذ بلجامها أ كنها إرادة أن لا تسرع ، وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله (س) . وقال رسول الله (س) : « أي عباس ناد أصحاب السمر » قال فوالله لكانما عطفهم حين سمعوا صوتي عطفا البقر على أولادها ، فقالوا : يا لبيكاه يا لبيكاه ، قال فاقبلوا هم والكفار والدعوة في الأنصار وهم يقولون : يا معشر الأنصار ، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا يا بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله (س) وهو على بغلته كالتطاول عليها إلى قتالهم فقال « هذا حين حمى الوطيس » ثم أخذ حصيات فرمى بهن في وجوه الكفار ، ثم قل « انهزموا ورب محمد » قال فذهبت انظر فاذا القتال على هيئته فيما أرى ، قال فوالله ما هو الا أن رماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحصياته فما زلت أرى حدهم قليلا ، وأمرهم مدبرا . ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب به نحوه . ورواه أيضا عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري نحوه . وروى مسلم من حديث عكرمة ابن عمار عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قل : غزونا مع رسول الله (س) ، حينئذ فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنية فاستقبلني رجل من المشركين فأرميه بسهم ، وتواري عنى فادريت ما صنع ثم فطرت إلى القوم فاذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى فالتقوا هم وصحابة رسول الله (س) ، فولى أصحاب رسول الله (س) ، وأرجع منهمزما وعلى بردتان متزرا باحداها مرتديا بالآخرى ، قال فاستطلق إزارى فجمعتهما جمعاً ومرت على النبي (س) ، وأنا منهمزم وهو على بغلته الشهباء ، فقال « لقد رأى ابن الأكوع فرعاً » فلما غشوا رسول الله (س) ، نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض واستقبل به وجوههم وقال « شامت الوجوه » فداخلى الله منهم إنسانا الا ملأ عينيه ترابا من تلك القبضة فولوا مدبرين : فهزمهم الله وقسم رسول الله (س) ، غنائمهم بين المسلمين . وقال أبو داود الطيالسي في مسنده ثنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن عبد الله بن يسار عن أبي عبد الرحمن الفهري قال : كنا مع رسول الله (س) ، في حنين فسرنا في يوم قايظ شديد الحر فقلنا نحت ظلال السمر ، فلما زالت الشمس لبست لأتقى وركبت فرسى فأتيت رسول الله (س) ، وهو في فسطاطه قتل السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، قد حان الراح يا رسول الله ؟ قال « أجل » ثم قال رسول الله (س) : « يا بلال » فنار من تحت سمرة كأن ظله ظل طائر فقال إبيك وسعديك وأنا فداؤك ؟ قل « أخرج لي فرسى » فأله بفتين من ليف ليس فيهما أشرو ولا بطر . قال فركب فرسه فسرنا يومنا

فلقينا العدو وتسامت الخيلان فقاتلناهم فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى ، فجعل رسول الله
 (س) يقول « يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله » واقتحم رسول الله (س) عن فرسه ، وحدثني من
 كان أقرب اليه مني أنه أخذ حفنة من التراب فحشي بها وجهه العدو وقال « شأته الوجوه » قال يعلى
 ابن عطاء فحدثنا أبناؤهم عن آبائهم قالوا : ما بقي أحد الا امتلأت عيناه وفقه من التراب ، وممنا
 صلصلة من السماء كمر الحديد على الطست الحديد فهزمهم الله عز وجل . ورواه أبو داود السجستاني
 في سننه عن موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة به نحوه . وقال الامام أحمد ثنا عفان ثنا عبد الواحد
 ابن زياد ثنا الحارث بن حصين ثنا القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال قال
 عبد الله بن مسعود : كنت مع رسول الله (س) يوم حنين فولى عنده الناس وثبت معه ثمانون رجلا
 من المهاجرين والانصار ، فنكصنا على أعقابنا نحواً من ثمانين قدماً ولم نولهم الدبر ، وهم الذين
 أنزل الله عليهم السكينة ، قال ورسول الله (س) : على بقلته يمضى قدما ، فحدث به بقلته قال عن
 السرج فقلت له ارتفع رفعك الله فقال « ناولني كفاً من تراب » فضرب به وجوههم فامتلات
 أعينهم تراباً قال « أين المهاجرين والانصار ؟ » قلت هم أولاء قال « أهتف بهم » فهتفت بهم
 فجاءوا سيوفهم بأيامهم كأنها الشهب وولى المشركون أدبارهم . تفرد به أحمد . وقال البيهقي أنبأنا أبو
 عبد الله الحافظ أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد بن نعيم القنطري ثنا أبو قلابة ثنا أبو عاصم ثنا
 عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي أخبرني عبد الله بن عياض بن الحارث الانصاري عن أبيه أن
 رسول الله (س) أتى هوازن في اثني عشر ألفاً فقتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قتل يوم
 بدر ، قال وأخذ رسول الله (س) كفاً من حصي فرمى بها في وجوهنا فانهزمنا ورواه البخاري في
 تاريخه ولم ينسب عياضاً . وقال مسدد ثنا جعفر بن سليمان ثنا عوف بن عبد الرحمن مولى أم برثن عن
 شهد حنينا كافراً قال : لما التقينا نحن ورسول الله (س) لم يقوموا لنا حلب شاة ، فجثنا نهش سيوفنا
 بين يدي رسول الله (س) حتى إذ غشيناه فاذا بيننا وبينه رجال حسان الوجوه فقالوا : شأته
 الوجوه فارجعوا ، فهزمنا من ذلك الكلام . رواه البيهقي . وقال يعقوب بن سفيان ثنا أبو سفيان ثنا
 أبو سعيد عبد الرحمن بن إبراهيم ثنا الوليد بن مسلم حدثني محمد بن عبد الله الشعبي عن الحارث بن
 بدل النصرى عن رجل من قومه شهد ذلك يوم حنين وعمر بن سفيان الثقفي قال : انهزم المسلمون
 يوم حنين فلم يبق مع رسول الله (س) الا عباس وأبو سفيان بن الحارث ، قال فقبض رسول الله
 (س) قبضة من الحصباء فرمى بها في وجوههم ، قال فانهزمنا فما خيل إلينا إلا أن كل حجر أو شجر
 فارس يطلبنا ، قال الثقفي : فاعجرت على فرسي حتى دخلت الطائف . وروى يونس بن بكير في
 مغازيه عن يوسف بن صهيب بن عبد الله أنه لم يبق مع رسول الله يوم حنين إلا رجل واحد اسمه

زيد . وروى البيهقي من طريق الكندي ثنا موسى بن مسعود ثنا سعيد بن السائب بن يسار
 الطائفي عن السائب بن يسار عن يزيد بن عامر السوائي أنه قال عند انكشافه انكشافها المسلمون
 يوم حنين فتبهم الكفار وأخذ رسول الله (س) قبضة من الأرض، ثم أقبل على المشركين فرمى بها
 وجوههم وقال « ارجعوا شاهت الوجوه » فما أحد يلقى أخاه الا وهو يشكر قذى في عينيه . ثم روى
 من طريقين آخرين عن أبي حذيفة ثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفي حدثني أبي السائب بن يسار
 سمعت يزيد بن عامر السوائي - وكان شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم بعد - قال : فنحن نسأله عن
 الرعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين يوم حنين كيف كان ؟ قال فكان يأخذ لنا بمحصة فيرمي
 بها في الطست فيطن ، قال كنا نجد في اجوافنا مثل هذا . وقال البيهقي أنبأ أبو عبد الله الحافظ ومحمد
 ابن موسى بن الفضل قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا العباس بن محمد بن بكير الحضرمي
 ثنا أبو أيوب بن جابر عن صدقة بن سعيد عن مصعب بن شيبة عن أبيه قال : خرجت مع رسول
 الله (س) يوم حنين والله ما أخرجني إسلام ولا معرفة به ، ولكن أبييت أن تظهر هوازن على قريش
 فقلت وأنا واقف معه : يا رسول الله إني أرى خيلاً بلقاً ، فقال « يا شيبة إنه لا يراها الا كافر »
 فضرب يده في صدرى ثم قال « اللهم أهد شيبة » ثم ضربها الثانية فقال « اللهم أهد شيبة » ثم ضربها
 الثالثة ثم قال « اللهم أهد شيبة » قل فوالله ما رفع يده عن صدرى في الثالثة حتى ما كان أحد
 من خلق الله أحب الى منه . ثم ذكر الحديث في التقاء الناس وانهزام المسلمين ونداء العباس
 واستنصار رسول الله (س) حتى هزم الله المشركين . وقال البيهقي أنبأ أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو
 محمد أحمد بن عبد الله المزني ثنا يوسف بن موسى ثنا هشام بن خالد ثنا الوليد بن مسلم حدثني
 عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة مولى ابن عباس عن شيبة بن عثمان قال : لما
 رأيت رسول الله (س) يوم حنين قد عرى ، ذكرت أبي وعى وقتل على وحرزة إياها ، فقلت اليوم
 أدرك تأري من رسول الله (س) ، قال فذهبت لأجيئه عن يمينه فاذا بالعباس بن عبد المطلب قائم
 عليه درع بيضاء كأنها فضة ينكشف عنها المعجاج ، فقلت عمه ولن يخذله ، قل ثم جئته عن يساره
 فاذا أنا بأبي سفيان بن الحلوث بن عبد المطلب فقلت ابن عمه ولن يخذله ، قال ثم جئته من خلفه
 فلم يبق إلا أن أساوره سورة بالسيف إذ رفع شواظ من نار يبين وبينه كأنه برق نغفت أن يحشني ،
 فوضعت يدي على بصرى ومشيت القهقري فالتفت رسول الله (س) ، وقال « يا شيب أدن مني ،
 اللهم اذهب عنه الشيطان » قال فرفعت اليه بصرى وهو أحب إلى من معي وبصرى ، فقال
 « يا شيب قاتل الكفار » وقال ابن اسحاق : وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة اخو بني عبد الدار
 قلت اليوم أدرك تأري - وكان أبوه قد قتل يوم أحد - اليوم أقتل محمداً ، قال فأدركت برسول الله

(س) لا قتله فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذاك وعلمت أنه ممنوع مني . وقال محمد بن اسحاق : وحدثنى والدي اسحاق بن يسار عن حدثه عن جبير بن مطعم قال : إنا لم رسول الله (س) يوم حنين والناس يقتتلون إذا نظرت إلى مثل البجاد الأسود بهوى من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم فإذا نمل منشور قد ملأ الوادي فلم يكن إلا هزيمة القوم ، فما كنا نشك أنها الملائكة . ورواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق به . وزاد فقال خديج بن العوجا النصرى - يعنى فى ذلك - :

ولما دَوَّنا من حُنين ومائِه رأينا سواداً منكراً اللون أخصفا
بلمومةٍ شبيهةٍ لو قَذَفُوا بها شامِخٌ من عَرَوى إذا عَادَ صَفِصفا
ولو أن قومي طاوَعَتْنى سَرَاتُهُمْ إذا ما لقينا العارضَ المنكشفا
إذا ما لقينا جندَ آلِ محمدٍ ثمانين ألفاً واستمَدُوا بِمُخَدَّفا

وقد ذكر ابن اسحاق من شعر مالك بن عوف النصرى رئيس هوازن يوم القتال وهو فى حومة الوغاب يهجز ويقول :

أقدمُ مجاجٍ إنه يومٌ نَكَرَ مثلي على مثلك يحمي ويكر
إذا أضيع الصفُّ يوما والدُّبُرُ ثم احزالت زمرٌ بعد زمر
كتائبٌ يكلُّ فيهنَّ البَصَرُ قد أطمعن الطعنة تقدى بالسبر
حين يُذَمُّ المستكنُّ المنحَجِرُ وأطمعن النجلاء تعوي وتهر
لها من الجوفِ رشاشٌ منهيرٌ تفهقُ تاراتٍ وحيناً تنفجر
وتعلبُ العاملُ فيها منكسِرٌ يازبنُ يا ابنَ همهم ابنَ قَزَرٍ
قد أفقد الضرسُ وقد طال العمرُ قد علمَ البيضُ الطويلاتُ الحُرَّ
أني في أمثالها غيرُ غمرٍ إذ تخرجُ الحاضنُ من تحت السُّر

وذكر البيهقي من طريق يونس بن بكير عن أبي اسحاق أنه أنشد من شعر مالك أيضاً حين ولى أصحابه منهزمين وذلك قوله بعد ما أسلم وقيل هى لغيره :

أذكر مسيرهم والناسُ كلهم ومالكٌ فوقه الرايات تحنق
ومالكٌ مالكٌ ما فوقه أحدٌ يوم حنينٍ عليه التاج يأتلق
حتى لقوا الناس حين البأس يقدمهم عليهم البيضُ والأبدان والدرق
فضاربوا الناس حتى لم يروا أحداً حول النبي وحتى تجتثُ النسقُ
حتى تنزلَ جبريلٌ بنصرهم فالقومُ منهزمٌ منا ومعتلق

مَنَّا وَلَوْ غَيْرَ جَبْرِيلَ يِقَاتِلُنَا لَمَنْعَتُنَا إِذَا أَسْيَافُنَا الْفَلَقُ
 وَقَدْ وَفَى عَمْرُ الْفَارُوقُ إِذْ هُزِمُوا بِطَعْنَةٍ كَانَ مِنْهَا سَرْجُهُ الْعَلِقُ
 قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَلَمَّا هَزَمَ الْمُشْرِكُونَ وَأَمَكَنَ اللَّهُ رَسُولَهُ مِنْهُمْ قَالَتْ أَمْرَأَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ :
 قَدْ غَلِبَتْ خَيْلُ اللَّهِ خَيْلَ اللَّاتِ وَاللَّهْ أَحَقُّ بِالثَّبَاتِ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَقَدْ أُنْشِدْنِيهِ بَعْضُ أَهْلِ الرِّوَايَةِ لِلشَّعْرِ :
 قَدْ غَلِبَتْ خَيْلُ اللَّهِ خَيْلَ اللَّاتِ وَخَيْلُهُ أَحَقُّ بِالثَّبَاتِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا انْهَزَمَتْ هَوَازَنُ اسْتَحَرَّ الْقَتْلُ مِنْ تَقْيِيفٍ فِي بَنِي مَالِكٍ قَتَلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ
 رَجُلًا نَحَتْ رَايَتَهُمْ وَكَانَتْ مَعَ ذِي الْحَخَارِ ، فَلَمَّا قَتَلَ أَخْذَهَا عُمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رِبْعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ
 حَبِيبٍ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قَتَلَ ، فَأَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ وَهَبٍ بْنُ الْأَسْوَدِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (س) لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُهُ قَالَ
 « أَبْعَدَهُ اللَّهُ فَإِنَّهُ كَانَ يَبْغِضُ قَرِيضًا » وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَتَلَ مَعَ عُمَانَ
 هَذَا غُلَامٌ لَهُ نَصْرَانِي ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لِيَسْلُبَهُ فَأَذَا هُوَ أَغْرَلُ ، فَصَاحَ بِأَعْلَا صَوْتِهِ : يَا مُعَشِّرُ
 الْعَرَبِ إِنْ تَقْيِفًا غَرْلُ ، قَالَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ التَّقْفِي : فَأَخَذَتْ يَدَهُ وَخَشِيتُ أَنْ تَذْهَبَ عَنَّا فِي
 الْعَرَبِ ، فَقُلْتُ لَا تَقُلْ كَذَلِكَ فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي إِنَّمَا هُوَ غُلَامٌ لَنَا نَصْرَانِي ، ثُمَّ جَعَلَتْ أَكْشِفُ لَهُ
 الْقَتْلَى فَأَقُولُ لَهُ أَلَا تَرَاهُم مَخْتَلِبِينَ كَمَا تَرَى ؟ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَتْ رَايَةُ الْأَحْلَافِ مَعَ قَارِبِ بْنِ
 الْأَسْوَدِ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ أَسْنَدَ رَايَتَهُ إِلَى شَجَرَةٍ وَهَرَبَ هُوَ وَبَنُو عَمِّهِ وَقَوْمُهُ فَلَمْ يَقْتُلْ مِنَ الْأَحْلَافِ
 غَيْرَ رَجُلَيْنِ ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي غَيْرَةٍ يُقَالُ لَهُ وَهَبٌ وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي كَبَّةٍ يُقَالُ لَهُ الْجَلَّاحُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 (س) : حِينَ بَلَغَهُ قَتْلُ الْجَلَّاحِ « قَتَلَ الْيَوْمَ سَيِّدَ شَبَابٍ ثَقِيفٍ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ ابْنِ هَنْبِيْدَةٍ » يَعْنِي
 الْحَارِثَ بْنَ أَوْيسَ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ يَذْكُرُ قَارِبَ بْنَ الْأَسْوَدِ وَفَرَارَهُ مِنْ
 بَنِي أَبِيهِ وَذَا الْحَخَارِ وَحَبْسَهُ نَفْسَهُ وَقَوْمَهُ لِلْمَوْتِ :

أَلَا مِنْ مَبْلَغٍ غِيلَانٍ عَنِي وَسَوْفَ أَخْلَى يَأْتِيهِ الْخَبِيرُ
 وَعُرْوَةٌ إِنَّمَا أَهْدَى جَوَابًا وَقَوْلًا غَيْرَ قَوْلِكَا يَسِيرُ
 بَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدٌ رَسُولٌ لَرَبِّ لَا يُضِلُّ وَلَا يَجُورُ
 وَجَدْنَاهُ نَبِيًّا مِثْلَ مُوسَى فَكَلَّ فَنَفَى بِخَبَائِرِهِ مَخِيرُ
 وَبُسَّ الْأَمْرُ أَمْرُ بَنِي قَسِيٍّ بَوَّجَ إِذَا تَقَسَّمَتِ الْأُمُورُ
 أَضَاعُوا أَمْرَهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ أَمِيرٌ وَالِدَوَاتِرُ قَدْ تَدُورُ
 فَبُغْنَا أَسَدَ غَابَتِ إِلَيْهِمْ حَمِيدُ اللَّهِ ضَاحِيَةٌ تَسِيرُ
 قَوْمَ الْجَمْعِ جَمْعُ بَنِي قَسِيٍّ عَلَى حَقِّ نَكَادٍ لَهُ نُظَيْرُ

وَأَقْسَمَ لَوْ هُمَا مَكْثُوا لِسِرْنَا
فَكُنَّا أَسَدِيَّةً ثُمَّ حَقَى
وَيَوْمَ كَانَ قَبْلَ لَدَى حَنِينٍ
مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيَوْمٍ
قَتَلْنَا فِي الْغُبَارِ بَنِي حَطِيطٍ
وَلَمْ يَكْ دُو الْخَنَارِ رُئِيسَ قَوْمٍ
أَقَامَ بِهِمْ عَلَى سَنَنِ الْمَنَابِ
«أَفَلَيْتَ مِنْ نَجَا مِنْهُمْ حَرِيضاً
وَلَا يَغْنِي الْأُمُورَ أَخُو التَّوَانِي
أَحَاتَهُمْ وَحَانَ وَمَلَكُوهُ
بَنُو عَوْفٍ بِمَيْحَ بِهِمْ جِيَادُ
فَلَوْلَا قَارِبٌ وَبَنُو أَبِيهِ
وَلَكِنْ الرِّيَاسَةُ عَمَّوْهَا
أَطَاعُوا قَارِباً وَلَهُمْ جَدُودُ
فَإِنْ يَهْدُوا إِلَى الْإِسْلَامِ يَلْفُوا
فَإِنْ لَمْ يَسْلُمُوا فَهَمُوا أَذَانُ
كَأَحْكَمْتُ بَنِي سَعْدِ وَجَرَتْ
كَأَنَّ بَنِي مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ
فَقَتَلْنَا أَسْلَمُوا إِنْ أَاخُوكُمْ
كَأَنَّ الْقَوْمَ إِذَا جَاؤَا إِلَيْنَا

فَضْلٌ

ولما انتهزت هوازن وقف ملكهم مالك بن عوف النصرى على ثنية مع طائفة من أصحابه فقال : قفوا حتى نجوز ضعفاؤكم وتلحق آخركم . قال ابن اسحاق : فبلغني أن خيلاً طلعت ومالك وأصحابه على الثنية فقال لأصحابه ماذا ترون ؟ قالوا نرى قوماً واضعياً رماحهم بين آذان خيلهم طويلة بوادهم ، فقال هؤلاء بنو سليم ولا بأس عليكم منهم ، فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي ، ثم طلعت خيل أخرى تتبعها فقال لأصحابه ماذا ترون ؟ قالوا نرى قوماً عارضياً رماحهم اغفلاً على خيلهم ، فقال هؤلاء الأوس والخزرج ولا بأس عليكم منهم ، فلما انتهوا إلى أصل الثنية سلكوا

طريق بني سليم ، ثم طلع فارس فقال لأصحابه ماذا ترون ؟ فقالوا نرى فارساً طويلاً الباد واضحاً
رجحه على عاتقه عاصباً رأسه بملاءة حمراء ، قال : هذا الزبير بن العوام وأقسم باللات ليخاطبنكم فأثبتوا
له ، فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم فصمد لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أراحهم عنها .

✽

وأمر رسول الله (س) بالغنائم فجمعت من الأبل والغنم والرقيق وأمر أن تساق إلى الجعرانة
فتحبس هناك ، قال ابن اسحاق : وجعل رسول الله (س) على الغنائم مسعود بن عمرو والغفاري .

✽

قال ابن اسحاق : وحدثني بعض أصحابنا أن رسول الله (س) مر يوماً بامرأة قتلتها خالد بن
الوليد والناس متقصنون عليها فقال لبعض أصحابه « أدرك خالداً فقل له إن رسول الله (س) - ينهاك
أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيقاً » هكذا رواه ابن اسحاق منقطعاً . وقد قال الامام أحمد ثنا
أبو عامر عبد الملك بن عمرو ثنا المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد حدثني المرقع بن صفي عن
جده رباح بن ربيع أخى بني حنظلة الكاتب أنه أخبره أنه رجع رسول الله (س) في غزوة غزاها
وعلى مقدمته خالد بن الوليد ، فر رباح وأصحاب رسول الله (س) على امرأة مقتولة مما أصابت
المقدمة ، فوقفوا ينظرون إليها ويتعجبون من خلقها حتى لحقهم رسول الله (س) على راحلته
فانفرجوا عنها فوقف عليها رسول الله (س) فقال « ما كانت هذه لتقاتل » فقال لأحدهم « الحق
خالداً فقل له لا يقتلن ذرية ولا عسيقاً » وكذلك رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث
المرقع بن صفي به نحوه .

غزوة أوطاس

وكان سببها أن هوازن لما انهزمت ذهبت فرقة منهم فيهم الرئيس مالك بن عوف النصرى
فلجؤوا إلى الطائف فتحصنوا بها ، وسارت فرقة فمسكروا بمكان يقال له أوطاس فبعث إليهم رسول
الله (س) ، سرية من أصحابه عليهم أبو عامر الأشعري فقاتلهم فغلبهم ، ثم سار رسول الله (س) بنفسه
السرية فحاصر أهل الطائف كما سيأتي . قال ابن اسحاق : ولما انهزم المشركون يوم حنين أتوا الطائف
ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نلة ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة
الابنوخيرة من ثقيف ، وتبعته خيل رسول الله (س) من سلك الثنايا قال فأدرك ربيعة بن ربيع بن
أهان السلمي ويعرف بابن الدغنة - وهي أمه - دريد بن الصمة فاخذ بخطام جملة وهو يظن أنه امرأة
وذلك أنه في شجار لهم ، فاذا برجل فأنافخ به فاذا شيخ كبير واذا دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام ،
فقال له دريد : ماذا تريد بي ؟ قال أقتلك ، قال ومن أنت ؟ قال أنا ربيعة بن ربيع السلمي ، ثم

ضربه بسيفه فلم ينف شيثاً، قال : بئس ما سلحتك أمك خذ سيفي هذا من مؤخر رحلي في الشجار
ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فأنى كذلك كنت أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت
أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب والله يوم منعت فيه نساءك ، فزعم بنوسليم أن ربيعة
قال لما ضربته فوق تكشف فاذا بجحانه و بطون تغذيه مثل القراطيس من ركوب الخيل إعراء ، فلما
رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً . ثم ذكر ابن
اسحاق مارنت به عمة بنت دريد أباه فن ذلك قولها :

قالوا قتلنا دريداً قلت قد صدقوا فظللّ دمي على السربال منحدر
لولا الذي قهر الأرقام كلهم رأيت سليم وكعب كيف يامر
إذن لصحبهم غيباً وظاهرة حيث استقرت نواهم جحفل ذفر

قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله (ص) في آثار من توجه قبل أو طلس أبا عامر الأشعري
فأدرك من الناس بعض من انهزم فناوشوه القتال فرمى أبو عامر قتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري
وهو ابن عمه فقاتلهم ففتح الله عليه وهزمهم الله عز وجل ، ويزعمون أن سلمة بن دريد هو الذي رمى
أبا عامر الأشعري بهم فاصاب ركبته فقتله وقال :

إن تسألوا عني فاني سلمة ابن سداب لم توسته
أضرب بالسيف رؤس المشبه

قال ابن اسحاق : وحدثني من أثق به من أهل العلم بالشعر وحديثه أن أبا عامر الأشعري لقي
يوم أو طلس عشرة أخوة من المشركين فحمل عليه أحدهم فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام
ويقول اللهم اشهد عليه فقتله أبو عامر ، ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام
ويقول اللهم اشهد عليه فقتله أبو عامر ، ثم حملوا يحملون عليه وهو يقول ذلك حتى قتل تسعة وبقى
العاشر فحمل على أبي عامر وحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول اللهم اشهد عليه ،
فقال الرجل : اللهم لا تشهد على فكف عنه أبو عامر فأقلت فأسلم بعد فحسن إسلامه ، فكان النبي
(ص) إذا رآه قال : « هذا يريد أبي عامر » قال ورمى أبا عامر ، اخوان الملا وأوفى أبناء الحارث
من بني جشم بن معاوية فأصاب أحدهما قلبه والاخر ركبته فقتلاه ، وولى الناس أبا موسى فحمل
عليهما فقتلها ، فقال رجل من بني جشم يرثيها :

إن الرزية قتل الملا وأوفى جميعاً ولم يسندا
هما القاتلان أبا عامر وقد كان داهية أربدا
هما تركاه لدى متروك كأن على عطفه مجدا

فلم يُرَ في الناس مثليهما أقول عشاراً وأرمي يدا

وقال البخاري : ثنا محمد بن العلاء وحدثنا أبو أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال : لما فرغ رسول الله (ص) من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقى دريد بن الصمة فقتل دريد وهزم الله أصحابه ، قال أبو موسى : وبعثني مع أبي عامر فرمى أبو عامر في ركبته رماد جشمي بسهم فأثبته في ركبته ، قال فأنهيت إليه فقلت ياعم من رماك ؟ فأشار إلى أبي موسى فقال ذلك قاتلي الذي رماني ، فقصدت له فلحقته فلما رأيته ولي فأنهيت وجعلت أقول له ألا تستحي ألا تثبت ؟ فكف فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ، ثم قلت لأبي عامر قتل الله صاحبك ، قال فانتزع هذا السهم فترعته فترا منه الماء . قال يا ابن أخي اقري رسول الله (ص) السلام وقل له استغفر لي ، واستخلفني أبو عامر على الناس فكث يسيراً ثم مات فرجعت فدخلت على رسول الله (ص) في بيته على سرير مرمل وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبه ، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقوله قل له استغفر لي قال فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال « اللهم اغفر لعبيد أبي عامر » ورأيت بياض إبطيه ثم قال « اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك - أو من الناس » فقلت ولي فاستغفر ، فقال « اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريماً » قال أبو بردة إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى رضي الله عنهما . ورواه مسلم عن أبي كريب محمد بن العلاء وعبد الله بن أبي براد عن أبي أسامة به نحوه . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أنبا سفيان - هو الثوري - عن عثمان البقي عن أبي الخليل عن أبي سعيد الخدري قال . أصبنا نساء من سبي أوطاس ولهن أراءاح فكرهنا أن تقع عليهن ولهن أزواج ، فسألنا النبي (ص) فنزلت هذه الآية [والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم] قال فاستحللنا بها فزوجهن . وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث عثمان البقي به . وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث شعبة عن قتادة عن أبي الخليل عن أبي سعيد الخدري . وقد رواه الامام احمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة ، زاد مسلم وشعبة والترمذي من حديث همام عن يحيى ثلاثهم عن قتادة عن أبي الخليل عن أبي علقمة الهامشي عن أبي سعيد أن أصحاب رسول الله (ص) أصابوا سبائاً يوم أوطاس لهن أزواج من أهل الشرك فكان أناس من أصحاب رسول الله (ص) كفوا وتأنموا من غشيانهم ، فنزلت هذه الآية في ذلك . [والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم] وهذا لفظ احمد بن حنبل فزاد في هذا الاسناد أبا علقمة الهامشي وهو ثقة وكان هذا هو المحفوظ والله أعلم . وقد استدلل جماعة من السلف بهذه الآية الكريمة على أن بيع الامة طلاقها . روى ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب وجابر بن عبد الله وابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن البصري وخالفهم الجمهور مستدلين بحديث بريدة

حيث بيعت ثم خيرت في فسخ نكاحها أو إبقائه ، فلو كان بيعها طلاقها لما خيرت ، وقد تفصينا الكلام على ذلك في التفسير بما فيه كفاية وسند كره إن شاء الله في الأحكام الكبير ، وقد استدل جماعة من السلف على إباحة الأمة المشتركة بهذا الحديث في سبأيا أوطاس وخالفهم الجمهور وقالوا هذه قضية عين فاعلمن أسلمن أو كن كتابيات وموضع تقرير ذلك في الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى .

من استشهد يوم حنين وأوطاس

أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله (ص) ، وهو أيمن بن عبيد ، وزيد بن زمة بن الأسود بن المطلب ابن أسد جمع به فرسه الذي يقال له الجناح فات ، وسراقة بن مالك بن الحارث بن عدى الانصاري من بني العجلان ، وأبو عامر الأشعري أمير سرية أوطاس ، فهؤلاء أربعة رضى الله عنهم .

ما قيل من الأشعار في غزوة هوازن

فإن ذلك قول بجير بن زهير بن أبي سلمى :

لولا الإله وعيده ولقيتم
بالجزع يوم حيالنا أقراننا
من بين سائر ثوبه في كفه
والله أكرمنا وأظهر ديننا
والله أهلكهم وفرق جمعهم

حين استخفَّ الرعب كلَّ جبان
وسوايح يكبون للأذواق
ومقطر بسناك ولبان
وأغرنا بعبادة الرحمن
وأذلهم بعبادة الشيطان

قال ابن هشام وروى فيها بعض الرواة :

إذ قام عم نبيكم ووليه
أين الذين هم أجابوا ربهم

يدعون يالكتيبة الإيمان
يوم العريض ويعبر الرضوان

وقال عباس بن مرداس السلمي :

فأني والسوايح يوم جمع
لقد أحبت ما لقيت قيف
م رأس العدو من أهل نجد
هزمتنا الجمع جمع بني قسي
وعبرمأ من هلال غادرهم
ولو لاقين جمع بني كلاب
ركضنا الخيل فيهم بين بس
بذي الجبر رسول الله فيهم

وما يتلو الرسول من الكتاب
بجنب الشعب أمس من العذاب
فقتلهم الله من الشراب
وحلت بركها بيني رباب
بأوطاس تعر بالتراب
لقام نساؤهم والنقع كافي
إلى الأوراد تمنح بالتهاب
كتيبته تعرض للضراب

وقال عباس بن مرداس أيضا :

يا خاتم النبأ إنك مرسل
 إن الآلهة بنى عليك محبة
 ثم الذين وقوا بما عاهدتم
 رجلاً به دَرَبُ السلاح كأنه
 يغشى ذوى النسب القريب وإنما
 أنبتك أني قد رأيت مكره
 طوراً يعانق باليد بن وفارة
 يغشى به هام الكرامة ولو ترى
 وبنو سليم مُعْتَقُونَ أمامه
 بمشون تحت لوائه وكأنهم
 ما يرتجون من القريب قرابة
 هدى مشاهدنا التي كانت لنا

وقال عباس بن مرداس أيضاً (٢) :

عنا مجل من أهله فتألم
 ديار لنا يا جل إذجل عيشنا
 حبيبة ألوت بها غربة النوى
 فان تبني الكفر غير ملوم
 دعا اليه خير وفدى علمهم
 فجتنا بألف من سليم عليهم
 نباهم بالأخشين وإنما
 فجتنا مع المهدي مكة عنوة
 علانية والخليل يغشى متونها
 وبوم حنين حين سلت هوازن
 صبرنا مع الضحك لا يستغزنا
 أمام رسول الله يخفق فوقنا

فقطلاً أريك قد خلا فالمصانع
 رخي وصيرف الدهر للحي جامع
 لبنين فهل ماضي من العيش راجع
 فاني وزبر للنبي وقابع
 خزعة والمرار منهم وواسع
 لبوس لهم من نسج داود رائع
 يد الله بين الأخشين نبايح
 بأسافنا والنقع كابٍ وساطع
 حيم وأن من دم الجوف فاقم
 البنا وضقت بالنفوس الأضالع
 قراع الأعادي منهم والوقائع
 لواء كخندوفر السحابة لامع

(١) هذا البيت زده من سيرة ابن هشام . (٢) سقط من التيمورية هذه القصائد الى آخر الفيل .

عَشِيَّةَ ضَحَّاكَ بِنُ سَفِيَانٍ مَقْنَصٍ بِسِفْرِ رَسُولِ اللَّهِ وَالْمَوْتُ كَانَعٍ
 نَدَوْدَ أَخَاكَ عَنْ أَحِينَا وَلَوْ نَرَى مَصَالًا لَكُنَّا الْأَقْرَبِينَ تَتَابِعِ
 وَلَكِنْ دِينَ اللَّهِ مَدِينٍ مُحَمَّدٍ رَضِينَا بِهِ فِيهِ الْهَدَى وَالشَّرَائِعِ
 أَتَمَّ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ أَمْرَنَا وَلَيْسَ لِأَمْرِ سِوَةِ اللَّهِ دَافِعٍ
 وَقَالَ عَبَّاسٌ أَيْضًا :

تَقَطَّعَ بَاقِي وَصَلِ أَمُّ مُؤَلِّرٍ بِعَاقِبَةٍ وَاسْتَبْدَلَتْ رَيْتَهُ خَلْفَا
 وَقَدْ حَلَفْتُ بِاللَّهِ لَا تَقَطَّعَ الْقَوَى فَمَا صَدَقَتْ فِيهِ وَلَا بَرَّتْ الْخَلْفَا
 خَفَافِيَّةً بَطْنُ الْعَفِيقِ مَصِيفُهَا وَتَحُلُّ فِي الْبَادِيْنَ وَجَرَّةً فَالْمَرْفَا
 فَإِنْ تَتَّبِعِ الْكُفَّارُ أُمَّ مُؤَلِّرٍ فَقَدْ زَوَّدَتْ قَلْبِي عَلَى نَأْيِهَا شَفْنَا
 وَسَوْفَ يَنْبَغِيهَا الْخَبِيرُ بَأْتِنَا أَتَيْنَا وَلَمْ نَطْلُبْ سِوَى رَبِّنَا حِلْفَا
 وَإِنَّا مَعَ الْهَادِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَفِينَا وَلَمْ يَسْتَوْفِهَا مَعْشَرُ أَلْفَا
 بَهْتِيَانِ صَدَقَ مِنْ سَلِيمٍ أَعَزَّةٍ أَطَاعُوا فَمَا يَعْصُونَ مِنْ أَمْرِهِ حَرْفَا
 خَفَافٌ وَذِكْرَانُ وَعَوْفٌ نَحْلَمُ مَصَاعِبُ زَاغَتْ فِي طَرَوْقِهَا كَلْفَا
 كَانَ نَسِيجَ الشَّهْبِ وَالْبَيْضِ مَلْبَسَ أَسْوَدًا تَلَاقَتْ فِي مَرَايِدِهَا خُضْفَا
 بَنَا عَزَّ دِينَ اللَّهِ غَيْرَ تَنْحَلِّ وَزِدْنَا عَلَى الْحَيِّ الَّذِي مَعَهُ ضَعْفَا
 بِمَكَّةَ إِذْ جِئْنَا كَانَ لَوَائِفَا عُقَابٌ أَرَادَتْ بَعْدَ تَحْلِيْقِهَا خُطْفَا
 عَلَى شَخْصِ الْأَبْصَارِ نَحْسَبُ يَنْبَا إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي مَرَاوِدِهَا عَرْفَا
 غَدَاةَ وَطَنِنَا الْمَشْرُكِينَ وَلَمْ نَجِدْ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ عَدْلًا وَلَا صَرْفَا
 بِمَعْرُكَةٍ لَا يَسْمَعُ الْقَوْمُ وَسْطَهُ لَنَا زَيْجَةً إِلَّا التَّنَادِمَ وَالْتِفَا
 بِبَيْضِ طَلِيرِ الْهَامِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا وَتَقَطُّعُ أَعْنَاقِ الْكِبَاكِ بِهَا قُطْفَا
 فَكَائِنْ تَرَكْنَا مِنْ قَتِيلٍ مَلْحَبٍ وَأَرْمَلَةٍ تَدْعُو عَلَى بَطْلِهَا لُفَا
 رَضَا اللَّهُ تَتَوَيَّ لَا رَضَا النَّاسُ بِنْتِنِي وَفِي مَا يَبْدُو جَمِيعًا وَمَا يَخْفَى
 وَقَالَ عَبَّاسٌ أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

مَا بَالُ عَيْنِكَ فِيهَا عَائِرٌ سَهْرٍ مِثْلَ الْحَمْلَةِ أَغْضَى فَوْقَهَا الشَّفَرِ
 عَيْنٌ تَأْوِيهَا مِنْ شَجْوِهَا أَرْقٍ فَالْمَاءُ يَغْمُرُهَا طَوْرًا وَيَنْحَدِرُ
 كَأَنَّهُ نَظْمٌ دَرَّ عِنْدَ نَاطِلِهِ تَقَطَّعَ السَّلَكُ مِنْهُ فَهُوَ مَنْتَرُ
 يَا بَعْدَ مَنْزِلٍ مَنْ تَرْجُو مَوَدَّتَهُ وَمَنْ أَتَى دُونَهُ الصَّمَانُ فَالْخُرُ

دَعَّ مَا قَدَّمَ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ قَدْ
وَإِذْ كُرِّ بِلَاءٌ سَلِيمٍ فِي مَوَاطِنِهَا
قَوْمٌ هُمَا نَصَرُوا الرَّحْمَنَ وَاتَّبَعُوا
لَا يَفْرِسُونَ فَيْلَ النَّخْلِ وَشَطَمَ
إِلَّا سَوَاجِحَ كَالْقَبَابِ مَفْرِيَّةً
تَدْعَى خِفَافٌ وَعَوْفٌ فِي جَوَانِبِهَا
الضَّارِبُونَ جُنُودَ الشَّرْكَ ضَاحِيَةً
حَتَّى رَفَعْنَا وَقْتْلَامَ كَانِهِمْ
وَنَحْنُ يَوْمَ حَنِينٍ كُنَّا مُشْهَدًا
إِذْ نَرَكِبُ الْمَوْتَ مَخْضَرًا بِطَائِنِهِ
نَحْتُ الْوَاءَ مَعَ الضَّحَاكِ يَقْدُمُنَا
فِي مَازِقٍ مِنْ مَجَرِّ الْحَرْبِ كُلِّهَا
وَقَدْ صَبَرْنَا بِأَوَاطِسٍ أَسْتَقْنَا
حَتَّى تَأَوَّبَ أَقْوَامٌ مَنَازِلَهُمْ
فَمَا تَرَى مَعشَرًا قَلَّوْا وَلَا كَثُرُوا

وقال عباس أيضاً رضى الله عنه :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الَّذِي تَهْوِي بِهِ
إِنَّمَا أَتَيْتَ عَلَى النَّهْيِ قَتْلَ لَه
يَاخِرُ مِنْ رِكَبِ الْمُطْعِيِّ وَمِنْ مَشَى
إِنَّمَا وَقَيْنَا بِاللَّيِّ عَاهِدَتَنَا
إِذْ سَالَ مِنْ أَفْنَاءِ بَهْتَةٍ كُلِّهَا
حَتَّى صَبَحْنَا أَهْلَ مَكَّةَ فَيْلَقًا
مِنْ كُلِّ أَغْلَبٍ مِنْ سَلِيمٍ فَوْقَهُ
يُرْوِي الْقَنَاءَ إِذَا تَجَاسَرَفَى الرَّوْحَى
يَنْشَى لِكُتَيْبَةٍ مَقْلًا وَبِكُفَةٍ
وَعَلَى حَنِينٍ قَدْ وَفَى مِنْ جَوْنَا
كَأَنَّا أَمَلُ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيثَةً

وَجَنَاءُ بِحَرَّةِ الْمَنَاسِمِ حُرُومِ
حَقًّا عَلَيْكَ إِذَا اطْمَأَنَّ الْمَجْلِسُ
فَوْقَ التَّرَابِ إِذَا تَمَدَّدَ الْأَنْفُسُ
وَالْخَيْلُ تَقَدَّعُ بِالسَّكَّةِ وَتَفْرُسُ
جَمْعٌ تَقْلُ بِهَ الْخَارِمْ تَرْجِسُ
شِبَاءٌ يَقْنَمُهَا الْهَامُ الْأَشْوَسُ
بِيضَاءُ مُحْكَمُ الدَّخَالِ وَقَوْنُسُ
وَنَخْلَةٌ أَسَدًا إِذَا مَا يَعْجِسُ
عَضْبٌ يَقْدُ بِهِ وَلَهْدٌ مَدْعَسُ
أَلْفَ أَمَدٍ بِهِ الرَّسُولُ عَرْنَسُ
وَالشَّمْسُ يَوْمُئِذٍ عَلَيْهِمُ أَفْخَسُ

نصي ويحرسنا الله بحفظه
ولقد خبئنا بالمناقب نجساً
وغداة أو طاس شدداً شدة
تدعو هوازن بالأخوة بيننا
حتى تركنا جمعهم وكأنه
وقال أيضاً رضى الله عنه :

من مبلغ الأقسام أن محمداً
دعا ربه واستنصر الله وحده
سريتنا وواعدنا قديداً محمداً
تماروا بنا في الفجر حتى تبينوا
على الخيل مشدوداً علينا دروعنا
فان سراة الحبي إن كنت سائلاً
وجدت من الأنصار لا يخذلونه
فان تلك قد أمرت في القوم خالداً
بجند هداة الله أنت أميره
حلفت يميناً برةً لحمد
وقال نبي المؤمنين قدسوا
وبئنا بنهي المستدبر ولم يكن
أطمناك حتى أسلم الناس كلهم
يظل الحصان الأبلق الورد وسطه
محموا لهم ورد القطا زفه ضحى
لن غدوة حتى تركنا عشية
إذا شئت من كل رأيت طمرة
وقد أحرزت منا هوازن ميرها

هكذا أورد الإمام محمد بن اسحاق هذه القصائد من شعر عباس بن مرداس السلمي رضى الله
عنه وقد تركنا بعض ما أوردته من القصائد خشية الاطالة وخوف الملالة ، ثم أورد من شعر غيره
أيضاً وقد حصل فيه كفاية من ذلك والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم - غزوة الطائف

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري : قاتل رسول الله (س) يوم حنين وحاصر الطائف في شوال سنة ثمان : وقال محمد بن اسحاق : ولما قدم فل قتيب الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال ولم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة كما يجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور : قال ثم سار رسول الله (س) الى الطائف حين فرغ من حنين فقال كعب بن مالك في ذلك : *

قضينا من نهامة كل ربيب	وخير ثم أجمعنا السيرة
نحبرها ولو نطقت لقالت	قواطعهم دوساً أو قتيفا
فلست لحاضن إن لم نرؤها	بساحة داركم منا ألوتا
ونتزع العروش نيطن وجـ	وتصبح دوركم منكم خلوتا
ويأتيكم لنا سرعان خيل	يفادر خلفه جمعاً كثيفا
إذا نزلوا بساحتكم معتم	لها مما أفاخ بها رجيفا
بأيديهم قواضب مرهفات	يزرن المصطلين بها الختوتا
كأمثال العقائر أخلصها	قيون الهند لم تضرب كتيفا
فخال جدية الأبطال فيها	غداة الزحف جادياً مدوفا
أجدم أليس لهم نصيح	من الأقوام كان بنا عريفا
يحبرم بأنا قد جمعنا	عتاق الخيل والتجيب الطروفا
وأنا قد أتيناكم بزحف	يحيط بسور حصنهم صفوفا
رئيسهم النبي وكان صلينا	نقي القلب مصطبراً عزوفا
رشيده الأمر ذا حكم وعلم	وحلم لم يكن نزفاً خفيفا
نطيع نبينا ونطيع رباً	هو الرحمن كان بنا رؤفا
فان تلقوا اليها السلم قبل	ونصلكم لنا عضداً وريفا
وإن تابوا نجاهدكم ونصبر	ولا يك أمراً رعشاً ضعيفا
نجاهد ما بقينا أو تقيبوا	الى الاسلام إذعافاً مضيفا
نجاهد لا نبالي ما لقينا	أأهلكنا التلاد أم الطريفا
وكم من معشر ألبوا علينا	صميم الجفم منهم والخليفا
أنونا لا يرون لهم كفاء	فبدقنا المسامح والأنوفا

بكل مهتدٍ لينٍ صقيل نسوقهم بها سَوْقًا عنيفًا
 لأمر الله والأسلام حتى يقوم الدين معتدلاً حنيفًا
 ونفسى اللات والعزى وودهم ونسلها القلائد والشنوقا
 فأمسوا قد أقروا واطمأنوا ومن لا يمتنع يقبل خسوفًا

وقال ابن اسحاق : فاجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي :

قلت : قد وفد على رسول الله (س) بعد ذلك في وفد ثقيف فأسلم معهم . قاله موسى بن عقبة
 وأبو اسحاق وأبو عمرو بن عبد البر وابن الاثير وغير واحد ، وزعم المدايني أنه لم يسلم بل صار الى بلاد
 الروم فتنصر ومات بها :

من كان يبغي لنا بريد قائلنا فإنا بدار معلم لا نزيها
 وجدنا بها الآباء من قبل ما ترى وكانت لنا أطواؤها وكرومها
 وقد جربنا قبل عمرو بن عامر فأخبرها ذو رأيها وحليمها
 وقد علمت - إن قالت الحق - أننا إذا ما أتت صغر الخمر نقيها
 فقوتها حتى يلين شريشها ويعرف للحق المبين ظلوها
 علينا دلاص من تراب محرق كلون السماء زيتها نجومها
 زرقها عنا بيض صوارم إذا جردت في غمرة لا نسيها

قال ابن اسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمي في مسير رسول الله (س) الى الطائف :

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها وكيف ينصر من هو ليس ينصر
 إن التي حرق بالسد فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها هدر
 إن الرسول متى ينزل بلادكم يظن وليس بها من أهلها بشر

قال ابن اسحاق : فلك رسول الله (س) - يعني من حين الى الطائف - على نخلة الجمانية ثم

على قن ثم على الملبح ثم على بحيرة الرغاء من لية فابتنى بها مسجداً فصلى فيه . قال ابن اسحاق :
 فحدثني عمرو بن شعيب أنه عليه السلام أقاد يومئذ ببحيرة الرغاء حين نزلما بدم وهو أول دم أقيده
 في الاسلام رجل من بني ليث قتل رجلاً من هذيل فقتله به وأمر رسول الله (س) وهو بولية بمحصن
 مالك بن عوف فهدم . قال ابن اسحاق : ثم سلك في طريق يقال لها الضيقة فلما توجه رسول الله (س) .
 سأل عن اسمها فقال ما اسم هذه الطريق فقيل الضيقة فقال بل هي اليسرى ، ثم خرج منها على
 نخب حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة قريباً من مال رجل من ثقيف ، فأرسل اليه رسول الله
 (س) إما أن تخرج إلينا وإما أن نخرب عليك حائطك ، فأبى أن يخرج فأمر رسول الله (س) .

باخرا به . وقال ابن اسحاق : عن اسماعيل بن أمية عن بجير بن أبي بجير سمعت عبد الله بن عمرو
 سمعت رسول الله (س) يقول حين خرجنا معه الى الطائف فررنا بقبر فقال رسول الله (س) « هذا
 قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف وكان من نمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج أصابته النقرة التي
 أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب إن أنتم نبشتم عنه
 أصبتموه » قال فابتدره الناس فاستخرجوا معه الفصن . ورواه أبو داود عن يحيى بن معين عن وهب
 ابن جرير بن حازم عن أبيه عن محمد بن اسحاق به . ورواه البيهقي من حديث يزيد بن زريع
 عن روح بن القاسم عن اسماعيل بن أمية به . قال ابن اسحاق : ثم مضى رسول الله (س) حتى
 نزل قريبا من الطائف ف ضرب به عسكره فقتل ناس من أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب
 من حائط الطائف فتأخروا الى موضع مسجده عليه السلام اليوم بالطائف الذي بنه ثقيف بعد
 اسلامها ، بناء عمرو بن أمية بن وهب وكانت فيه سارية لا تطلع عليها الشمس صبيحة كل يوم الا
 مع لها تقيض فيما يذكرون ، قال فحاصروهم بضعا وعشرين ليلة ، قال ابن هشام ويقال سبع عشرة
 ليلة ، وقال هروة وموسى بن عقبة عن الزهري : ثم سار رسول الله (س) إلى الطائف وترك السبي
 بالجرانة وملئت عرش مكة منهم قتل رسول الله (س) ، بالاكفة عند حصن الطائف بضع عشرة ليلة
 يقاتلهم ويقاثلونه من وراء حصنهم ولم يخرج اليه أحد منهم غير أبي بكر بن مسروح أخى زياد
 لأمه ، فأعتقه رسول الله (س) ، وكثرت الجراح وقطعوا طائفة من أعنابهم ليغيظوهم بها فقالت لهم
 ثقيف : لا تفسدوا الأموال فانها لنا أولكم . وقال عروة أمر رسول الله (س) كل رجل من المسلمين
 أن يقطع خمس نخلات وخمس حبلات وبمئذ مناديا ينادى من خرج اليها فهو حر ، فأقتحم اليه نفر
 منهم فيهم أبو بكر بن مسروح أخو زياد بن أبي سفيان لأمه فأعتقهم ودفع كل رجل منهم الى رجل
 من المسلمين يعوله ويحمه . وقال الامام أحمد ثنا يزيد ثنا حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن
 عباس أن رسول الله (س) كان يمتق من جاءه من العبيد قبل مواليهم اذا أسلموا ، وقد أعتق يوم
 الطائف رجلين . وقال أحمد ثنا عبد القدوس بن بكر بن خنيس ثنا الحجاج عن الحكم عن مقسم
 عن ابن عباس قال : حاصر رسول الله (س) أهل الطائف فخرج اليه عبدان فأعتقهما أحدهما أبو
 بكر وكان رسول الله (س) يعتق العبيد اذا خرجوا اليه . وقال أحمد أيضا ثنا نصر بن رئاب عن
 الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه قال قال رسول الله (س) يوم الطائف « من خرج
 الينا من العبيد فهو حر » فخرج عبيد من العبيد فيهم أبو بكر فأعتقهم رسول الله (س) ، هذا الحديث
 تفرد به أحمد ومداره على الحجاج بن أرطاة وهو ضعيف ، لكن ذهب الامام أحمد إلى هذا فضده
 أن كل عبد جاء من دار الحرب الى دار الاسلام عتق حكما شرعيا مطلقا عاما ، وقال آخرون إنما كان

هذا شرطاً لا حكماً عاماً ولو صح الحديث لكان التشريع العام أظهر كما في قوله عليه السلام « من قتل قتيلاً فله سلبه » وقد قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن المكرم النخعي قال : لما حاصر رسول الله (س) أهل الطائف خرج اليه رقيق من رقيقهم أبو بكره عبداً للحارث بن كلدة والمنبعث وكان اسمه المضطجع فمناه رسول الله (س) المنبعث ، ويخفس ووردان في رهط من رقيقهم فأسلموا . فلما قدم وفد أهل الطائف فأسلموا قالوا يا رسول الله رد علينا رقيقنا الذين أتوك ؟ قال « لا أولئك عتقاء الله » ورد على ذلك الرجل ولاء عبده فجعله له . وقال البخاري ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن عاصم سمعت أبا عثمان قال سمعت سـمدا - وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وأبا بكره وكان تسور حصن الطائف في أناس فجاء إلى رسول الله (س) - قال : سمعنا رسول الله (س) يقول « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه فالجنة عليه حرام » ورواه مسلم من حديث عاصم به . قال البخاري : وقال هشام أنبا معمر عن عاصم عن أبي العالبيه أو أبي عثمان النهدي قال سمعت سـمدا وأبا بكره عن النبي (س) قال عاصم : قلت لقد شهد عندك رجلان حبسك بهما ، قال أجل أما أحدهما فاول من رمى بسهم في سبيل الله ، وأما الآخر فقتل إلى رسول الله (س) ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف . قال محمد بن اسحاق : وكان مع رسول الله (س) امرأتان من نسائه إحداهما أم سلمة فضرب لهما قبتين فكان يصلي بينهما ، فحاصرهم وقاتلهم قتلاً شديداً وتراموا بالنبل قال ابن هشام : ورامهم بالمنجنيق . فحدثني من أثنى به أن النبي (س) أول من رمى في الاسلام بالمنجنيق رمى به أهل الطائف . وذكر ابن اسحق أن نفرا من الصحابة دخلوا تحت دبابة ثم زحفوا ليحرقوا جدار أهل الطائف فأرسلت عليهم سلك الحديد محمداً فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجلاً ، فحينئذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعقاب ثقيف فوقع الناس فيها يقطعون ، قال وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فتناديا ثقيفاً بالامان حتى يكلموهم فأنهم فدعوا نساء من قريش وبنى كنانة ليخرجن اليهم وهما يخافان عليهن السباء اذا فتح الحصن ، فأبين فقال لهما أبو الاسود بن مسعود : ألا أدلكما على خير مما جئتما به ؟ إن مال أبي الاسود حيث قد علمتا ، وكان رسول الله (س) تازلاً بوادي قال له العتيق وهو بن مال بنى الاسود وبين الطائف وليس بالطائف مال أبعد رشاء ولا أشد مؤونة ولا أبعد عمارة منه ، وإن محمداً إن قطعه لم يعمر أبداً فكلما فليأخذه لنفسه أو ليحرقه الله وللرحم . فزعموا أن رسول الله (س) تركه لهم . وقد روى الواقدي عن شيوخه نحو هذا وعنده أن سلمان الفارسي هو الذي أشار بالمنجنيق وعمله بيده وقيل قدم به وبدهابتين فأنهم أعلم . وقد أورد البيهقي من طريق ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة أن عيينة بن حصن استأذن رسول الله (س) في أن يأتي أهل الطائف فيدعوم إلى الاسلام فأذن له ، فجاءهم فأمرهم بالنبات في حصنهم وقال

لا يهولنكم قطع ما قطع من الأشجار في كلام طويل ، فلما رجع قال له رسول الله (ص) : « ما قلت لهم » قال دعوتهم إلى الاسلام وأندرتهم النار وذكرتهم بالجنة ، فقال « كذبت بل قلت لهم كذا وكذا » فقال صدقت يا رسول الله أتوب إلى الله واليك من ذلك . وقد روى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن احمد ابن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن هشام الدستوائي عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان ابن أبي طلحة عن ابن أبي نجيح السلمي وهو عمرو بن عبسة رضى الله عنه قال : حاصرنا مع رسول الله (ص) قصر الطائف فسمعت رسول الله (ص) يقول « من بلغ بهم فله درجة في الجنة » فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً ، وسمعت يقول « من رمى بسهم في سبيل الله فهو عمل محرر ، ومن شاب شبية في سبيل الله كانت له ثوراً يوم القيامة وأيا رجل أعتق رجلاً مسلماً فإن الله جلجل كل عظم من عظامه وقاه كل عظم بعظم وأيا امرأة أسلمت امرأة مسلمة فإن الله جاعل كل عظم من عظامها وقاه كل عظم من عظامها من النار » . ورواه أبو داود والترمذي وصححه النسائي من حديث قتادة به . وقال البخاري ثنا الحميدي سمع سفيان ثنا هشام عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة قالت : دخل على رسول الله (ص) . وعندى مخنث فسمعه يقول لعبد الله بن أبي أمية : أرايت إن فتح الله عليكم الطائف غدا فعليك بابنة غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان فقال رسول الله (ص) : « لا يدخلن هؤلاء عليكن » قال ابن عيينة وقال ابن جريج : المخنث هيت . وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه به وفي لفظ وكانوا يروونه من غير أولى الأربعة من الرجال ، وفي لفظ قال رسول الله (ص) : « ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا لا يدخلن عليكن هؤلاء » يعني إذا كان ممن يفهم ذلك فهو داخل في قوله تعالى [أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء] والمراد بالمخنث في عرف السلف الذي لا همه له إلى النساء وليس المراد به الذي يؤتى إذ لو كان كذلك لوجب قتله حتماً كما دل عليه الحديث وكما قتله أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ومعنى قوله تقبل بأربع وتدبر بثمان يعني بذلك عكن بطنها فانها تكون أربما إذا أقبلت ثم تصير كل واحدة ففتين إذا أدبرت ، وهذه المرأة هي بادية بنت غيلان بن سلمة من سادات قتيب ، وهذا المخنث قد ذكر البخاري عن ابن جريج أن اسمه هيت وهذا هو المشهور . لكن قال يونس عن ابن اسحاق قال : وكان مع رسول الله (ص) نولى لخالته بنت عمرو بن عابد مخنث يقال له مائع يدخل على نساء رسول الله (ص) في بيته ولا يرى أنه يفتن لشيء من أمور النساء مما يراه من الرجال ، ولا يرى أن له في ذلك إرباً فسمعه وهو يقول لخالد ابن الوليد : يا خالد إن افتتح رسول الله (ص) الطائف فلا تنفلتن بجهنم بادية بنت غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان ، فقال رسول الله (ص) : حين سمع هذا منه « ألا أرى هذا يفتن لهذا » الحديث ثم قال لنسائه « لا يدخلن عليكن » فحجب عن بيت رسول الله (ص) وقال البخاري ثنا علي بن عبد الله

ثنا سفيان عن عمرو عن أبي العباس الشاعر الاعشى عن عبد الله بن عمرو قال : لما حاصر رسول الله
 ﷺ الطائف فلم ينل منهم شيئاً قال « إنا قاتلون غداً إن شاء الله » فنقل عليهم وقالوا نذهب ولا
 نفتح ؟ فقال « اعدوا على القتال » فعدوا فأصابهم جراح فقال « إنا قاتلون غداً إن شاء الله » فأعجبهم
 فضحك النبي ﷺ . وقال سفيان مرة فتبسم ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به وعنده عن
 عبد الله بن عمر بن الخطاب واختلف في نسخ البخاري ففي نسخة كذلك عن عبد الله بن عمرو بن
 العاص والله أعلم . وقال الواقدي حدثني كثير بن زيد بن الوليد بن رباح عن أبي هريرة قال : لما مضت
 خمس عشرة من حصار الطائف استشار رسول الله ﷺ . نوفل بن معاوية الدثلي فقال « يا نوفل ما ترى
 في المقام عليهم ؟ » قال يا رسول الله ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرك . قال
 ابن اسحاق : وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وهو محاصر ثقيفاً « يا أبا بكر إني رأيت أُنَى
 أهديت لي قبة مملوءة زبداً فنقرها ديك فهراق ما فيها » فقال أبو بكر رضي الله عنه : ما أظن أن
 تدرك منهم يوماً ما تريد ، فقال رسول الله ﷺ « وأنا لا أرى ذلك » قال ثم إن خولة بنت
 حكيم السلمية وهي امرأة عثمان بن مظعون قالت : يا رسول الله اعطني إن فتح الله عليك حلي بادية بنت
 غيلان بن سلمة أو حلي الفارعة بنت عقيل . وكانت من أحلى نساء ثقيف . فذكر أن رسول الله
 ﷺ قال لها « وإن كان لم يؤذن في ثقيف يا خويلة » فخرجت خولة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب
 فدخل على رسول الله ﷺ . فقال : يا رسول الله ما حديث حدثتني خولة زعمت أنك قلته ؟ قال
 « قد قلته » قال أو ما أذن فيهم ؟ قال لا ، قال أفلا أؤذن بالرحيل ؟ قال بلى ، فأذن عمر بالرحيل فلما
 استقبل الناس فادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبي عمرو بن علاج : ألا إن الحى مقيم ، قال يقول
 عيينة بن حصن أجل والله مجدة كراماً ، فقال له رجل من المسلمين قاتلك الله يا عيينة أتمدح المشركين
 بالامتناع من رسول الله ﷺ . وقد جئت تنصره ؟ فقال إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم ،
 ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أطؤها لعلها تلد لي رجلاً فان ثقيفاً
 منا كبير . وقد روى ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة قصة خولة بنت حكيم وقول رسول الله
 ﷺ ما قال . وتأذين عمر بالرحيل ، قال وأمر رسول الله ﷺ . الناس أن لا يسرحوا ظهريهم فلما
 أصبحوا ارتحل رسول الله ﷺ . وأصحابه ودعا حين ركب قافلاً فقال « اللهم اهدموا كفننا مؤمنهم »
 وروى الترمذي من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر قالوا : يا رسول الله
 أحرقتنا نبال ثقيف فادع الله عليهم فقال « اللهم اهد ثقيفاً » ثم قال هذا حديث حسن غريب .
 وروى يونس عن ابن اسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر وعبد الله بن المكرم عن أدركوا من أهل
 العلم قالوا : حاصر رسول الله ﷺ . أهل الطائف ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك ، ثم انصرفوا عنهم ولم

يؤذن فيهم ، قدم المدينة فجاءه وفدم في رمضان فأسلموا وسيأتى ذلك مفصلاً في رمضان من سنة تسع
 إن شاء الله . وهذه تسمية من استشهد من المسلمين بالطائف فيما قاله ابن اسحاق فبن قريش ؛ سعيد
 ابن سعيد بن العاص بن أمية ، وعرفطة بن حباب حليف لبني أمية بن الأسد بن الغوث ، وعبدالله
 ابن أبي بكر الصديق رمى بهم فتوفى منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله (س) ، وعبدالله بن أبي أمية بن
 المغيرة المخزومي من رمية رميها يومئذ ، وعبدالله بن عامر بن ربيعة حليف لبني عدى ، والسائب بن
 الحارث بن قيس بن عدى السهمي وأخوه عبد الله ، وجليحة بن عبد الله من بني سعد بن ليث ،
 ومن الانصار ثم من الخزرج نابت بن الجذع الأسلمي ، والحارث بن سهل بن أبي صعصعة المازني ،
 والمنذر بن عبد الله من بني ساعدة ، ومن الأوس رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لؤذان بن
 معاوية فقط ، فجميع من استشهد يومئذ اثنا عشر رجلاً سبعة من قريش وأربعة من الأنصار ،
 ورجل من بني ليث رضى الله عنهم أجمعين . قال ابن اسحاق : ولما انصرف رسول الله (س) راجعاً
 عن الطائف قال بجير بن زهير بن أبي سلمى يذكر حنيناً والطائف :

كانت علائاً يومَ بطنِ حنينٍ وغداةَ أوطاسٍ ويومَ الأبرق
 جمعت باغواءَ هوازنَ جمعها فنبذوا كالطائرِ المتفرّق
 لم يمنعوا منا مقاماً واحداً إلا جدارهمُ وبطنَ الخندق
 ولقد تعرّضنا لِكَيْلِا يَخْرُجُوا فاستحصنوا منا يبابِ مُغلَق
 تردّد حيراناً الى زجراجةٍ شهباءَ تلمعُ باللنايا فيلق
 ملومةٌ خضراءَ لو قدنوا بها حصناً لظلّ كأنه لم يخلق
 مثني الصّراء على المراس كأننا قدّرَ تفرّقَ في القياد ويلتقي
 في كل سائفةٍ إذا ما استحصنتُ كالتّهي هبت ربحه المتفرّق
 جدلٍ تمسّ فضولهن نعالنا من نسجِ داودَ وآلِ مُحَرّق

وقال أبو داود ثنا عمر بن الخطاب أبو حفص ثنا الفريابي ثنا أبان ثنا عمرو - هو ابن عبد الله
 ابن أبي حازم - ثنا عثمان بن أبي حازم عن أبيه عن جده صخر - هو أبي العيلة الأحمسي - أن
 رسول الله (س) غزا تقيفاً فلما أن سمع ذلك صخر ركب في خيل يمد النبي (س) فوجده قد انصرف
 ولم يفتح ، فجعل صخر حيثئذ عهد وذمة لا أفارق هذا القصر حتى ينزلوا على حكم رسول الله (س)
 ولم يفارقهم حتى نزلوا على حكم رسول الله (س) ، وكتب اليه صخر ؛ أما بعد فإن تقيفاً قد نزلت على
 حكمك يا رسول الله وأنا مقبل بهم وهم في خيل فأمر رسول الله (س) بالصلاة جامعة فدعا لأحس عشر
 دعوات « اللهم بارك لأحس في خيلها ورجالها » . وأتى القوم فتكلم المغيرة بن شعبه فقال :

يارسول الله إن صخرًا أخذ عني ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ، فدعاه فقال « يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم فادفع إلى المغيرة عنته » فدفعها إليه وسأل رسول الله (س) ماء لبني سليم قد هربوا عن الإسلام وتركوا ذلك الماء فقال : يارسول الله أنزلني أنا وقومي ؟ قال « نعم » فأنزله وأسلم - يعني المسلمين ، فأتوا صخرًا فسألوه أن يدفع إليهم الماء فأبى فأتوا رسول الله (س) فقالوا : يارسول الله أسلمنا وأتيننا صخرًا ليدفع إلينا ماءنا فأبى علينا ، فقال « يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم فادفع إليهم ماءهم » قال نعم يا نبي الله فرأيت وجه رسول الله (س) يتغير عند ذلك حمرة حياء من أخذه الجارية وأخذه الماء . تفرد به أبو داود وفي إسناده اختلاف قلت : وكانت الحكمة الالهية تقتضي أن يؤخر الفتح عائدًا لثلاث استأصلوا قتلا لأنه قد تقدم أنه عليه السلام لما كان خرج إلى الطائف فدعاهم إلى الله تعالى وإلى أن يؤدوه حتى يبلغ رسالة ربه عز وجل وذلك بعد موت عمه أبي طالب فردوا عليه قوله وكذبوه فرجع مهمومًا فلم يستبق إلا عند قرن الثعالب ، فإذا هو بغمامة وإذا فيها جبريل فناده ملك الجبال فقال يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام وقد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك فأن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال رسول الله (س) « بل أستأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد وحده لا يشرك به شيئا » فناسب قوله بل أستأني بهم أن لا يفتح حصنهم لثلاث يقتلوا عن آخرهم وأن يؤخر الفتح ليقدموا بعد ذلك مسلمين في رمضان من العام المقبل كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

مرجعه عليه السلام من الطائف وقسمة غنائم هوازن

قال ابن اسحاق : ثم خرج رسول الله (س) حين انصرف عن الطائف على دحنا حتى نزل الجعرانة فيمن معه من المسلمين ومعه من هوازن سبي كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف : يارسول الله ادع عليهم فقال « اللهم اهد ثقيفا واثبت بهم » قال ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة وكان مع رسول الله (س) من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الإبل والشاة مالا يدرى عدته . قال ابن اسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب وفي رواية يونس بن بكير عنه قال عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده كنا مع رسول الله (س) بخنن فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسبائهم أدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا فقالوا : يارسول الله إنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامن علينا من الله عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد أبو صرد فقال : يارسول الله إنما في الحظائر من السبائ خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ولو أنا ملحننا لابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهم وعظفهما

وأنت رسول الله خير المكفولين ، ثم أنشأ يقول :

أمنن علينا رسول الله في كرم فإنك المرء نرجوه وقتنظر
أمنن على بيضة قد عاقها قدر ممزق فحملها في دهرها غير
أبقت لنا الدهر هتافاً على حزن على قلوبهم النماء والغمر
ياخير طفل ومولودٍ ومنتجب في العالمين إذا ما حصل البشر^(١)
إن لم تداركها نماء تشرها يا أرجح الناس جلاً حين يختبر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك تملؤه من مخضها الدرر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها^(٢) وإذ بزنيك ما تأتي وما تذر
لا نجعلنا كن شالت نعمته واستبق منا فإنا معشر زهر
إنا لنشكر آلاء وإن كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

قال فقال رسول الله (س) : « نساؤكم وأبناؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ » قالوا يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ؟ بل أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا ، قال رسول الله (س) : « أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وإذا أنا صليت بالناس قوموا يقولوا إنا نستشفع برسول الله (س) إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله (س) . في أبنائنا ونسائنا فإني سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم » فلما صلى رسول الله (س) بالناس الظهر قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله (س) ، قال « أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم » فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله (س) ، وقالت الانصار وما كان لنا فهو لرسول الله (س) ، وقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا ، وقال عيينة : أما أنا وبنو فزارة فلا ، وقال العباس بن مرداس السلمي : أما أنا وبنو سليم فلا ، فقالت بنو سليم بل ما كان لنا فهو لرسول الله (س) ، قال يقول عباس بن مرداس لبني سليم وهنتموني ؟ قال رسول الله (س) : « من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ستة فرائض من أول في نصيبه » فردوا إلى الناس نساءهم وأبنائهم ثم ركب رسول الله (س) ، وأتبعه الناس يقولون : يا رسول الله اقسم علينا أيماً ، حتى اضطروه إلى شجرة فانتزعت رداءه فقال « أيها الناس ردوا على ردائي فوالذي نفسي في يده لو كان لكم عندي عدد شجر نهامة نعماً قسمت عليكم ثم ما ألقيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً » ثم قام رسول الله (س) إلى جنب بعير فأخذ من سنامه وبرة فجعلها بين إصبعيه ثم رفعها فقال « أيها الناس والله مالي من فيشكم ولا هذه البرة إلا الخنس والخنس مردود عليكم فأدوا الخياط والخيط فان الغلول

(١) هذا البيت زيادة من السهيلي وزاد عليها ثلاثة أبيات أخر . (٢) في السهيلي : إذ كنت

طفلاً صغيراً كنت ترضعها .

عار ونار وشار على أهله يوم القيامة » فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر فقال : يا رسول الله
 أخذت هذه لأخيط بها برذعة بعير لي دير ، فقال رسول الله (س) : « أما حق منها فلك » فقال
 الرجل : أما إذا بلغ الأمر فيها فلا حلجة لي بها فرمي بها من يده . وهذا السياق يقتضى أنه عليه
 السلام رد إليهم سبيهم قبل القسمة كما ذهب إليه محمد بن اسحاق بن يسار خلافاً لموسى بن عقبة
 وغيره . وفي صحيح البخارى من طريق الليث عن عقيل عن الزهرى عن عروة عن المسور بن
 مخزومة ومروان بن الحكم أن رسول الله (س) قام حين جاء وفد هوازن مسلمين فسألوا أن ترد إليهم
 أموالهم ونسأؤهم فقال لهم رسول الله (س) : « معى من ترون وأحب الحديث الى أصدقه فاختاروا
 إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال ؟ وقد كنت أستاذيت بكم » وكان رسول الله (س) انتظرهم
 بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف ، فلما تبين لهم أن رسول الله (س) غير راد إليهم أموالهم إلا
 إحدى الطائفتين قالوا إنا نختار سبيننا ، فقام رسول الله (س) فى المسلمين وأثنى على الله بما هو أهله
 ثم قال « أما بعد فان إخوانكم هؤلاء قد جاؤا قائمين وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم فمن أحب
 أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى تعطيه إياه من أول مال بقى الله
 علينا فليفعل » فقال الناس : قد طيننا ذلك يا رسول الله فقال لهم « إنا لا ندرى من أذن منكم ممن
 لم يأذن فارجعوا حتى نرفع اليك عرؤاكم أمركم » فرجع الناس فكلهم عرؤاؤهم ثم رجعوا الى رسول
 الله (س) فآخبروه بأنهم قد طيبوا وأذنوا . فهذا ما بلغنا عن سبي هوازن ولم يتعرض البخارى لمنع
 الأقرع وعيينة وقومهما بل سكت عن ذلك والمثبت مقدم على الناقى فكيف الساكت . وروى
 البخارى من حديث الزهرى اخبرنى عمر بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أخبره جبير بن مطعم
 أنه بينما هو مع رسول الله (س) ومعه الناس مقفلة من حين عقلت الأعراب برسول الله (س)
 يسألونه حتى اضطرروه الى شجرة فخطفت رداؤه فوقف رسول الله (س) ثم قال « أعطوني ردائي فلو
 كان عدد هذه العضاة فمما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كئوباً ولا جباناً » ففرد به
 البخارى . وقال ابن اسحاق : وحدثنى أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدى أن رسول الله (س) أعطى
 على بن أبى طالب جارية يقال لها ريلة بنت هلال بن حيان بن عميرة ، وأعطى عثمان بن عفان
 جارية يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان ، وأعطى عمر جارية فوهها من ابنه عبد الله
 وقال ابن اسحاق : وحدثنى نافع عن عبد الله بن عمر قال : بعثت بها الى أخوالى من بنى جمح ليصلحوا
 لي منها ويهشوها حتى أطوف بالبيت ثم آتيتهم وأما أريد أن أصيها إذا رجعت إليها ، قال فبئت
 من المسجد حين فرغت فاذا الناس يشتدون قلقت ما شأنكم ؟ قالوا رد علينا رسول الله (س) نساءنا
 وابناءنا ، قلت تلکم صاحبکم فی بنی جمح فاذهبوا فخذوها فذهبوا إليها فأخذوها . قال ابن اسحاق :

ولما هيئته بن حصن فأخذ هجوزاً من مجائز هوازن وقال حين أخذها أرى هجوزاً أبى لأحسب لها في الحى نسباً وعسى أن يعظم فذلونها ، فلما رد رسول الله (س) السبايا بست فرائض أبى أن يردها ، فقال له زهير بن صرد : خذها عنك فوالله ما فرها بيارد ، ولا نسيها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ، ولا درها بماكد ، إنك ما أخذتها والله بيضاء غريرة ولا نصفاً وثيرة | فردها بست فرائض [قال الواقدي : ولما قسم رسول الله (س) القنائم بلجمرة أصلب كل رجل أربع من الابل وأربعون شاة . وقال سلمة عن محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً ممن شهد حنين قال والله إني لأسير إلى جنب رسول الله (س) على ناقة لي وفي رجلي نعل غليظة إذ زحمت ناقتي ناقة رسول الله (س) ويقع حرف نعلي على ساق رسول الله (س) فأوجعه ، ففرع قدمي بالسوط وقال « أوجعتني فأنخر عني » فأنصرفت فلما كان الغد إذا رسول الله (س) يلتمسني قال قلت هذا والله لما كنت أصبت من رجل رسول الله (س) بالأمس ، قال لمثته وأنا أتوقع فقال « إنك أصبت رجلي بالأمس وأوجعتني ففرعت قدمك بالسوط فدعوتك لأعوضك منها » فأعطاني ثمانين نعمة بالضربة التي ضربني ، والمقصود من هذا أن رسول الله (س) رد إلى هوازن سببهم بعد القسمة كما دل عليه السياق وغيره ، وظاهر سياق حديث عمر وبن شبيب الذي أورد محمد بن اسحاق عن أبيه عن جده أن رسول الله (س) رد إلى هوازن سببهم قبل القسمة ، ولهذا لما رد السبي وركب علفت الاعراب برسول الله (س) يقولون له اقسم علينا فيئنا حتى اضطرره إلى محمرة فغطفت رداءه فقال « ردوا على ردائي أيها الناس فوالذي نفسي بيده لو كان لكم عدد هذه المضة نعماً لتقسمته فيكم ثم لا تبهمونني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً » كما رواه البخاري عن جبير بن مطعم بنحوه . وكأنهم خشوا أن يرد إلى هوازن أموالهم كما رد إليهم نساءهم وأطفالهم فسألوه قسمة ذلك قسمها عليه الصلاة والسلام بلجمرة كما أمره الله عز وجل وآثر أناساً في القسمة وتآلف أقواماً من رؤساء القبائل وأمرائهم فعتب عليه أناس من الأنصار حتى خطبهم وبين لهم وجه الحكمة فيما فعله تطبيعاً لقبولهم ، وتنقذ بعض من لا يعلم من الجهلة والخوارج كذى الخويصرة واشباهه قبحه الله كما سيأتي تفصيله وبياناه في الأحاديث الواردة في ذلك وبالله المستعان . قال الامام أحمد حدثنا عازم ثنا معتمر بن سليمان سمعت أبي يقول ثنا السميطة السدوسي عن أنس بن مالك قال : فتحنا مكة ثم إما غزونا حينئذ فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت فصفت الخيل ثم صفت المقاتلة ثم صفت النساء من وراء ذلك ، ثم صفت الغنم ، ثم النعم ، قال ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف وعلى مجنبة خيلنا خالد بن الوليد ، قال فجملت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا قل فلم نلبث أن انكشف خيلنا وفرت الاعراب ومن لم يعلم من الناس ، قال فننادى رسول الله (س) يا للهاجرين يا للهاجرين يا للأنصار ؟ - قال أنس هذا حديث

عمته - قال قلنا لبيك يا رسول الله قال وتقدم رسول الله (ص)، قال وأيم الله ما أتيناكم حتى هزمهم الله قال فقبضنا ذلك الدل ثم انطلقنا الى الطائف فحاصرناهم أربعين ليلة ثم رجعنا الى مكة ، قال فنزلنا فجعل رسول الله (ص) يعطى الرجل المائة ويعطى الرجل المائتين ، قال فتحدث الانصار بينها أمان قاتله فيعطيه ، وأمان لم يقاتله فلا يعطيه ؟ فرفع الحديث الى رسول الله (ص) ثم أمر بسراة المهاجرين والانصار أن يدخلوا عليه ثم قال « لا يدخلن على إلا أنصاري - أو الانصار » قال فدخلنا القبة حتى ملأناها قال نبي الله (ص) ، « يا معشر الأنصار » أو كما قال « ما حديث أناني ؟ » قالوا ما أناك يا رسول الله قال « ما حديث أناني » قالوا ما أناك يا رسول الله ، قال « ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون برسول الله حتى تدخلوه بيوتكم ؟ » قالوا رضينا يا رسول الله ، قال فرضوا أو كما قال . وهكذا رواه مسلم من حديث معتمر بن سليمان وفيه من الغريب قوله أنهم كانوا يوم هوازن ستة آلاف وإنما في كانوا اثني عشر ألفاً ، وقوله إنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة وإنما حاصروها قريباً من شهر ودون للمشرين ليلة فأنه أعلم . وقال البخاري ثنا عبد الله بن محمد ثنا هشام ثنا ميمر عن الزهري حدثني أنس بن مالك قال قال ناس من الانصار حين أفاء الله على رسوله ما أفاء من أموال هوازن. فطلق النبي (ص) يعطى رجلاً المائة من الابل ، فقالوا : يغفر الله لرسول الله (ص) يعطى قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ؟ قال أنس بن مالك فحدث رسول الله (ص) بمقاتلتهم فأرسل إلى الانصار فجمعهم في قبة آدم ولم يدع معهم غيرهم ، فلما اجتمعوا قام النبي (ص) فقال « ما حديث بلغني عنكم ؟ » قال قهواء الأنصار : أما رؤسائنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً ، وأما ناس منا حديثه أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله (ص) يعطى قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ، فقال رسول الله (ص) ، « فاني لأعطي رجلاً حديثي عهد بكفر أتألفهم أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رجالكم ؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به » قالوا يا رسول الله قد رضينا فقال لهم النبي (ص) ، « فستجدون أثره شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فاني على الخوض » قال أنس : فلم يصبروا . تفرد به البخاري من هذا الوجه ، ثم رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عوف عن هشام بن زيد عن جده أنس بن مالك قال : لما كان يوم حنين التقى هوازن ومع النبي (ص) عشرة آلاف والطلاق فأدبروا فقال « يا معشر الأنصار » قالوا لبيك يا رسول الله وسعديك لبيك نحن بين يديك . فنزل رسول الله (ص) ، فقال « أنا عبد الله ورسوله » فانهم المشركون فأعطى الطلقاء والمهاجرين ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالوا ، فدعاهم فأدخلهم في قبته فقال « أما ترضون أن يذهب الناس بالثأب والبمير وتذهبون برسول الله ؟ » (ص) [قالوا بلى] فقال رسول الله (ص) : « لو

سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار . وفي رواية للبخاري من هذا الوجه قال لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذرائعهم ومع رسول الله ﷺ عشرة آلاف والطلقاء ، فأدبروا عنه حتى بقي وحده فنادى يومئذ نداهم لم يخلط بينهما ، التفت عن يمينه فقال « يا معشر الأنصار ؟ » قالوا لبيك يا رسول الله ابشر نحن معك ، ثم التفت عن يساره فقال « يا معشر الأنصار ؟ » قالوا لبيك يا رسول الله ابشر نحن معك ، وهو على بغلة بيضاء قفز فقال « أنا عبد الله ورسوله » فانهزم المشركون وأصاب يومئذ مقام كثيرة قسم بين المهاجرين والطلقاء ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالت الأنصار إذا كانت شديدة فنحن ندعى ويعطى الغنيمة غيرنا فبلغه ذلك فجمعهم في قبة فقال « يا معشر الأنصار ما حديث بلغني ؟ » فسكتوا فقال « يا معشر الأنصار ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله ﷺ تحوزونه إلى بيوتكم ؟ » قالوا بلى فقال « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار » . قال هشام : قلت يابا حمزة وأنت شاهد ذلك ؟ قال وأين أغيب عنه ؟ ثم رواه البخاري ومسلم أيضاً من حديث شعبة عن قتادة عن أنس قال : جمع رسول الله ﷺ الأنصار فقال « إن قريشاً حديثوا عهد ببجاهدية ومصيبة وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم ؟ » قالوا بلى ، قال « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت وادى الأنصار أو شعب الأنصار » . وأخرجه أيضاً من حديث شعبة عن أبي التياح يزيد بن حميد عن أنس بنحوه وفيه فقالوا : والله إن هذا هو العجب إن سيفنا لتقطر من دمائهم والفتائم تقسم فيهم ، فخطبهم وذكر نحو ما تقدم . وقال الامام احمد ثنا عفان ثنا حماد ثنا ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أعطى أبا سفيان وعيينة والأقرع وسهيل بن عمرو في آخرين يوم حنين ، فقالت الأنصار : يا رسول الله سيفنا تقطر من دمائهم وهم يذهبون بالفتح ؟ فبلغ ذلك النبي ﷺ فجمعهم في قبة له حتى فاضت فقال « فيكم أحد من غيركم ؟ » قالوا لا إلا ابن اختنا ، قال « ابن اخت القوم منهم » ثم قال « أقتل كذا وكذا ؟ » قالوا نعم ، قال « أنتم الشعار والناس الدثار أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ » . إلى دياركم ؟ قالوا بلى ، قال « الأنصار كرشى وعيبق لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعبهم ، ولولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار » . وقال قال حماد أعطى مائة من الإبل فسمى كل واحد من هؤلاء . فرد به احمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم . وقال الامام احمد حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « يا معشر الأنصار ألم آتكم ضللاً فهداكم الله بي ؟ ألم آتكم متفرقين فجمعكم الله بي ، ألم آتكم أعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال « أفلا تقولون جئنا خائفين فأمنناك ، وطريدنا

فأويناك ، ومخذولاً فنصرناك ؟ قالوا بل الله المن علينا ورسوله . وهذا إسناد ثلاثي على شرط الصحيحين
 فهذا الحديث كالتواتر عن أنس بن مالك . وقد روى عن غيره من الصحابة قال البخاري ثنا موسى
 ابن اسماعيل ثنا وهيب ثنا عمرو بن يحيى عن عباد بن نعيم عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال : لما
 آناه الله على رسوله . يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً فكانهم
 وجدوا في أنفسهم إذ لم يصيبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال « يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً
 فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فآلفكم الله بي ؟ وعالة فأغناكم الله بي ؟ » كلها قال شيئاً قالوا الله
 ورسوله أمن ، قال « لو شئتم قلتم جئتكم كذا وكذا أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير
 وتذهبون برسول الله إلى رحاكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً
 وشعباً لسلكت وادى الأنصار وشعباً ، الأنصار شعار والناس دثار ، إنكم ستلقون بعدي أثرة
 فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » . ورواه مسلم من حديث عمرو بن يحيى المازني به وقال يونس بن
 بكير عن محمد بن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبي سعيد الخدري
 قال : لما أصاب رسول الله . الغنائم يوم حنين وقسم للمتألفين من قريش وسائر العرب ما قسم
 ولم يكن في الأنصار منها شيء قليل ولا كثير ، وجد هذا الحى من الأنصار في أنفسهم حتى قال
 قائلهم : لقي واه رسول الله قومه ، فشى سعد بن عباد إلى رسول الله . فقال : يا رسول الله إن
 هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم ؟ فقال « فيم ؟ » قال فيما كان من قسمة هذه
 الغنائم في قومك وفي سائر العرب ولم يكن فيهم من ذلك شيء ، فقال رسول الله . « فأين أنت
 من ذلك يا سعد ؟ » قال ما أنا إلا امرؤ من قومي : قال فقال رسول الله . « فاجمع لى قومك في
 هذه الخطيرة فإذا اجتمعوا فاعلمنى » فخرج سعد فصرخ فيهم فجمعهم في تلك الخطيرة فجاء رجل من
 المهاجرين فأذن له فدخلوا وجاء آخرون فرددوا حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له آناه
 فقال : يا رسول الله قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم ، فخرج رسول الله
 . « فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال « يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالاً
 فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا بلى ثم قال رسول الله . « ألا
 تحببون يا معشر الأنصار ؟ » قالوا وما نقول يا رسول الله ؟ وبماذا نجيبك ؟ المن لله ورسوله قال « والله لو
 شئتم لقلتم فصدقم وصدقم جئتكم طريقاً فأويناك ، وعائلة فأغناكم ، وخائفنا فأمنناك ، ومخذولاً
 فنصرناك » فقالوا المن لله ورسوله فقال رسول الله . « أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في
 لعاعة من الدنيا تألفتم بها قوماً أسلموا وولتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام ، أفلا ترضون
 يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحاكم فوالذي

نفسى بيده لو ان الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار. اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار، قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحامهم وقالوا: رضينا بالله رباً ورسوله قسماً ثم انصرف وتفرقوا. وهكذا رواه الامام أحمد من حديث ابن اسحاق ولم يروه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه وهو صحيح وقد رواه الامام أحمد عن يحيى بن بكير عن الفضل بن مرزوق عن عطية بن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري قال رجل من الأنصار لاصحابه: أما والله لقد كنت أحدثكم أنه لو استقامت الأمور قد آثر عليكم، قال فردوا عليه رداً عنيفاً فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاءهم فقال لهم أشياء لا أحفظها قالوا بلى يا رسول الله، قال: وكنتم لا تركبون الخيل، وكلما قال لهم شيئاً قالوا بلى يا رسول الله ثم ذكر بقية الخطبة كما تقدم. تفرد به أحمد أيضاً. وهكذا رواه الامام أحمد منفرداً به من حديث الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد بنحوه. ورواه أحمد أيضاً عن موسى بن عقبة عن ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر مختصراً. وقال سفيان بن عيينة عن عمر بن سعيد بن مسروق عن أبيه عن عباية بن رفاع بن رافع بن خديج عن جده رافع بن خديج أن رسول الله ﷺ أعطى المؤلفة قلوبهم م من سبي حنين مائة من الابل، وأعطى أبا سفيان بن حرب مائة. وأعطى صفوان ابن أمية مائة، وأعطى عيينة بن حصن مائة. وأعطى الأقرع بن حابس مائة. وأعطى علقمة بن علاثة مائة، وأعطى مالك بن عوف مائة، وأعطى العباس بن مرداس دون المائة، ولم يبلغ به أولئك فأنشأ يقول:

أتجمل نهي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
فما كان حصن ولا حابس يوقان مرداس في الجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن يخفض اليوم لا يرفع
وقد كنت في الحرب ذاتدرى فلم أعط شيئاً ولم أمنع

قال فأنشأ له رسول الله ﷺ مائة. رواه مسلم من حديث ابن عيينة بنحوه وهذا اللفظ البيهقي وفي رواية ذكرها موسى بن عقبة وعروة بن الزبير وابن اسحاق فقال:

كانت نهباً تلافيتها بكري على المهر في الأجرع
وايتناظي الحي أن يرقدوا إذا جمع الناس لم أجمع
فأصبح نهي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
وقد كنت في الحرب ذاتدرى فلم أعط شيئاً ولم أمنع
إلا أفايل أعطيتها عديد قوائمها الأربع

وما كان حصن ولا حابس فوقان مرداس في الجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري : فبلغ ذلك رسول الله (س) فقال له « أنب القائل أصبح نبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة ؟ » فقال أبو بكر ما هكذا قال يا رسول الله ولكن والله ما كنت بشاعر وما ينبغي لك : فقال « كيف قال ؟ » فأنشده أبو بكر فقال رسول الله (س) « هما سواء ما يضرك بأيهما بدأت » ثم قال رسول الله (س) « اقطعوا عني لسانه » فغشى بعض الناس أن يكون أراد المنلة به وإنما أراد النبي (س) العطية ، قال وعبيد فرسه . وقال البخاري حدثنا محمد ابن العلاء ثنا أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال : كنت عند النبي (س) وهو نازل بالجرمارة بين مكة والمدينة ومعه بلال ، فأتى رسول الله (س) أعرابي فقال : الا تنجز لي ما وعدتني ؟ فقال له « ابشر » فقال قدأ كثرت على من أبشرا فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الفضبان فقال « رد البشري فأقبلا أنما » ثم دعا بقدر فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه ثم قال « اشربا منه وافرغا على وجوهكما ونحوركما وابشرا » فأخذوا القدح ففعلوا ، فنادت أم سلمة من وراء الستار أن أفضلا لأمكما . فأفضلها منه طائفة . هكذا رواه . وقال البخاري حدثنا يحيى بن بكير ثنا مالك عن اسحاق بن عبيد الله عن أنس بن مالك قال : كنت أمشي مع رسول الله (س) وعليه برد فخراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي ف جذبته جذبة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله (س) . قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ، قال : مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بمطاه . وقد ذكر ابن اسحاق الذين أعظمهم رسول الله (س) يومئذ مائة من الابل وهم أبو سفيان صخر بن حرب ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن كلدة أخو بني عبد الدار ، وعلقمة بن علاثة ، والعلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة ، والحارث بن هشام ، وجبير بن مطعم ، ومالك بن عوف النضري ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، وعيينة ابن حصن ، وصفوان بن أمية ، والأقرع بن حابس ، قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي أن قائلًا قال لرسول الله (س) من أصحابه : يا رسول الله أعطيت عيينة والأقرع مائة مائة وترك جعيل بن سراقه الضمري ؟ فقال رسول الله (س) « أما والذي نفس محمد بيده لجعيل خير من طلاع الارض كلهم مثل عيينة والأقرع ، ولكن تألفتهما ليسلما ، وولكت جعيل بن سراقه إلى اسلامه » ثم ذكر ابن اسحاق من أعطاه رسول الله (س) دون المائة ممن يطول ذكره . وفي الحديث الصحيح عن صفوان بن أمية أنه قال : ما زال رسول الله (س) يعطيني من غنائم حنين وهو أبفض الخلق إلى حق ما خلق الله شيئا أحب إلى منه .

قدوم مالك بن عوف النصري على الرسول

قال ابن اسحاق : وقال رسول الله (ص) ، لوفد هوازن وسألم عن مالك بن عوف ما فعل ؟ فقالوا هو بالطائف مع قتيب فقال « أخبروه إنه إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل » فلما بلغ ذلك مالكا أنسل من قتيب حتى أتى رسول الله (ص) ، وهو بالجرانة - أو بجكة - فأسلم وحسن إسلامه ، فرد عليه أهله وماله ولما أعطاه مائة فقال مالك بن عوف رضى الله عنه :

ما إن رأيت ولا سمعتُ بمثله في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى ومنى تشأ يجزك عما في غد
وإذا السكتية عرّكت أنيابها بالسهمي وضرب كل مهند
فكانه ليث على أشباله وسطاً الهابة خادراً في مرصد

قال واستعمله رسول الله (ص) ، على من أسلم من قومه وتلك القبائل ثمانية وسلمة وفهم ، فكان يقاتل بهم تقيفاً لا يخرج لهم مخرج إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم . وقال البخاري ثنا موسى بن اسماعيل ثنا جرير بن حازم ثنا الحسن حدثني عمرو بن تغلب قال : أعطى رسول الله (ص) ، قوماً ومنع آخرين فكانهم عتبوا عليه فقال « إني أعطى قوماً أخاف عليهم وجزعهم وأكل قوماً إلى ما جبل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب » قال عمرو : فما أحب أن لي بكلمة رسول الله (ص) ، حر النعم ، زاد أبو عاصم عن جرير سمعت الحسن ثنا عمرو بن تغلب أن رسول الله (ص) ، أتى بمال - أو سبي - فقسمة بهذا . وفي رواية للبخاري قال أتى رسول الله (ص) ، بمال - أو بشئ - فأعطى رجلاً وترك رجلاً فبلغه أن الذين ترك عتبوا لخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد » فذكر مثله سواء . تفرد به البخاري (١) وقد ذكر ابن هشام أن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال فيها كان من أمر الانصار وتأخرهم عن الغنينة :

ذر الهموم فناء المين منحدر	سحاً إذا حفلته عبيرة ددر
وجداً بشماء إذ شماء (٢) بهكنة	هيفاء لا ذنن فيها ولا خور
دع عنك هماء إذ كانت موكتها	نزرأ وشرراً وصال الواصل التزور
وائت الرسول وقل ياخير مؤتمن	للمؤمنين إذ ما عتد البشر
علام تدعى سليم وهي فازحة	قدام قوم هموا آووا وهم نصرورا
ممام الله أنصاراً بنصرهم	دين الهدى وعوان الحرب تستمر
وسارعوافى سبيل الله واعترضوا	للتائبين وما خاتوا وما ضجروا

(١) هذا الحديث مؤخر في التيمورية بعد قصيدة حسان . (٢) في الحلبية : شفاء .

والناس إلب علينا فيك ليس لنا
نجالد الناس لا تُبقي على أحد
ولا نهر جنة الحرب فادينا
كما رددنا بيد دون ما طلبوا
ونحن جندك يوم النصف من أحد
فما وثقنا وما خفنا وما خبروا
إلا السيوف وأطراف القناوِز
ولا نصيغ ما توحى به السور
ونحن حين تلظى فأرها مضر
أهل النفاق وفيها ينزل الظفر
إذ حرّبت بطراً أحزابها مضر
منّا عثارا وكل الناس قد عثروا

اعتراض بعض اهل الشقاق على الرسول

قال البخاري : ثنا قبيصة ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال : لما قسم النبي صلى الله عليه وسلم لقسمه حنين قال رجل من الأنصار : ما أراد بها وجه الله ، قال فأتيت رسول الله (س) ، فأخبرته فتغير وجهه ثم قال « رحمة الله على موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر » . ورواه مسلم من حديث الأعمش به ثم قال البخاري ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال : لما كان يوم حنين آثر النبي صلى الله عليه وسلم ناسا أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى ناسا فقال رجل : ما أريد بهذه القسمة وجه الله فقلت لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم ، [فأخبرته] فقال « رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر » . وهكذا رواه من حديث منصور عن المعتمر به . وفي رواية للبخاري فقال رجل والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله ، فقلت والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته فأخبرته فقال « من يعمل إذا لم يعمل الله ورسوله ؟ » رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر » . وقال محمد بن اسحاق : وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي حتى أتينا عبد الله بن عمرو ابن العاص وهو يطوف بالبيت معلقا نعله بيده ، فقلنا له هل حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كلمه التميمي يوم حنين ؟ قال نعم جاء وجل من بني تميم يقال له ذوالخويصرة فوقف عليه وهو يعطى الناس فقال له : يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم ، فقال رسول الله (س) ، « أجل فكيف رأيت ؟ » قال لم أرك عدلت ، قال فغضب النبي (س) ، فقال « ويمحك إذا لم يكن العدل عندي فعد من يكون ؟ » قال عمر بن الخطاب : ألا قتله ؟ فقال « دعوه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يوجد شيء ثم في القمح فلا يوجد شيء ثم في الفوق فلا يوجد شيء سبق الفرث والدم » وقال الليث بن سعد عن يحيى

ابن سعيد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : أتى رجل بالجعرانة النبي (ص)، منصرفه من حنين وفي ثوب بلال فضة ورسول الله (ص)، يقبض منها ويعطي الناس ، قال : يا محمد اعدل ، قال « ويلك ومن يعمل إذا لم أكن أعدل لقد خبت وخسرت إذا لم أكن أعدل » فقال عمر بن الخطاب ذعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق ؟ فقال « معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يتجاوز حنا جرمهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية » ورواه مسلم عن محمد بن ربيع عن الليث . وقال أحمد ثنا أبو عمر ثنا قرّة عن عمرو بن دينار عن جابر قال : بينا رسول الله (ص)، يقسم مقام حنين إذ قام إليه رجل فقال اعدل ، فقال « لقد شقيت إذا لم أعدل » ورواه البخاري عن مسلم بن إبراهيم عن قرّة بن خالد السدوسي به . وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد قال : بينا نحن عند رسول الله (ص)، وهو يقسم قسما إذا أتاه ذواظن يصرة رجل من بني تميم قال : يا رسول الله اعدل ، فقال رسول الله (ص)، « ويلك ومن يعمل إن لم أعدل لقد خبت وخسرت ، إذا لم أعدل فمن يعمل ؟ » فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله إيدن لي فيه فاضرب عنقه ؟ فقال رسول الله (ص)، « دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر الى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم الى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر الى نصبه - وهو قدحه - فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر الى قدذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدرر ويخرجون على حين فرقة من الناس » قال أبو سعيد : فاشهد أني سمعت هذا من رسول الله (ص)، ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معهم ، وأمر بذلك الرجل فالتبس فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله (ص)، الذي نعت . ورواه مسلم أيضا من حديث القاسم بن الفضل عن أبي نضرة عن أبي سعيد به نحوه .

جمي اخت رسول الله (ص) من الرضاعة عليه بالجعرانة .

قال ابن اسحاق : وحدثني بعض بني سعد بن بكر أن رسول الله (ص)، قال يوم هوازن « إن قدرتم على نجاد - رجل من بني سعد بن بكر - فلا يفلتنكم » وكان قد أحدث حديثا ، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه الشيا بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله (ص)، من الرضاعة ، قال فضعوها عليها في السوق فقالت للمسلمين : تعلمون والله إنني لأخت صاحبكم من الرضاعة ؟ فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله (ص)، . قال ابن اسحاق : فحدثني يزيد بن عبيد السعدي - هو أبو وجزة - قال فلما انتهى بها إلي رسول الله (ص)، قالت : يا رسول الله إنني أختك من الرضاعة ، قال « وما علامة ذلك ؟ » قالت عضة عضضتها في ظهري وأنا متوركتك ، قال فعرف رسول الله (ص)، .

العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخيرها وقال : « إن أحببت فعندي محبة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتك وترجي إلى قومك فعلت ؟ » قالت : بل تمتعني وتردني إلى قومي ، ففتح رسول الله (س) وردها إلى قومها فزعمت بنو سعد أنه أعطاهم غلاماً يقال له مكحول وجارية فزوجت أحدهما الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية . وروى البيهقي من حديث الحكم بن عبد الملك عن قتادة قال : لما كان يوم فتح هوازن جاءت جارية إلى رسول الله (س) فقالت : يا رسول الله أنا أختك أنا شياء بنت الحارث ، فقال لها « إن تكوئي صادقة فإن بك مني أثر لا يبلى » قال فكشفت عن عضدها فقالت : نعم يا رسول الله وأنت صغير فعرضتني هذه العضة ، قال فبسط لها رسول الله (س) رداءه ثم قال « سلى تعطى واشفعي تشفعي » . وقال البيهقي أنبأ أبو نصر بن قتادة أنبأ عمرو بن اسماعيل ابن عبد السلمي ثنا مسلم ثنا أبو عاصم ثنا جعفر بن يحيى بن ثوبان أخبرني عمي عمارة بن ثوبان أن أبا الطفيل أخبره قال : كنت غلاماً أحمل عضو البعير ، ورأيت رسول الله (س) يقسم نعماً بالجرانة ، قال فجاءته امرأة فبسط لها رداءه فقلت من هذه ؟ قالوا أمه التي أرضعته . هذا حديث غريب ولعله يريد أخته وقد كانت تحضنه مع أمها حليلة السعدية وإن كان محفوظاً فقد عمرت حليلة دهرراً فإن من وقت أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقت الجرانة أزيد من ستين سنة ، وأقل ما كان عمرها حين أرضعته صلى الله عليه وسلم ثلاثين سنة ، ثم الله أعلم بما عاشت بعد ذلك ، وقد ورد حديث مرسل فيه أن أبويه من الرضاة قعدا عليه والله أعلم بصحته . قال أبو داود في المراسيل ثنا أحمد بن سعيد الهمداني ثنا ابن وهب ثنا عمرو بن الحارث أن عمر بن السائب حدثه أنه بلغه أن رسول الله (س) كان جالساً يوماً فجاءه أبوه من الرضاة فوضع له بعض ثوبه فقعده عليه ، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم جاءه أخوه من الرضاة فقام رسول الله (س) فأجلسه بين يديه ، وقد تقدم أن هوازن بكاملها متوالية برضاة من بني سعد بن بكر وهم شرذمة من هوازن ، فقال خطيبهم زهير بن صرد : يا رسول الله إنما في الحظائر أمهاتك وخالاتك وحواضنك فأمّن علينا من الله عليك وقال فيها قال :

أمّن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فؤك يملؤه من محضها كدر

أمّن على نسوة قد كنت ترضعها وإذ بزيتك ما تأتي وما تذر

فكان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم فعادت فواضله عليه السلام عليهم قديماً وحديثاً خصوصاً وعموماً . وقد ذكر الواقدي عن إبراهيم بن محمد بن شرحبيل عن أبيه قال : كان النضير بن الحارث ابن كادة من أجل الناس فكان يقول : الحمد لله الذي من علينا بالاسلام ، ومن علينا بمحمد (س) ، ولم نمت على ما ملأ عليه الآباء ، وقتل عليه الأخوة ، وبنو الم . لم ذكر عداوته للنبي (س) وأنه

خرج مع قومه من قريش الى حنين وهم على دينهم بعد ، قال ونحن نريد ان كانت دائرة على محمد أن
غير عليه فلم يمكننا ذلك ، فلما صار بالجمرانة فوالله اني لعلى ما أنا عليه ان شعرت إلا برسول الله
س. فقال « أنضير ؟ » قلت لبيك ، قال « هل لك الى خير مما أردت يوم حنين مما حل الله
بينك وبينه ؟ » قال فأقبلت اليه سريماً فقال « قد آن لك أن تبصر ما كنت فيه توضع » قلت
قد أدري أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً ، وإني أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ،
فقال رسول الله س. « اللهم زده ثباتاً » قال النضير : فوالذي بعثه بالحق لكان قلبي حزيناً ما
في الدين ، وتبصرة بالحق . فقال رسول الله س. « الحمد لله الذي هداه
عمره الجمرانة في ذي القعدة

قال الامام أحمد ثنا بهز وعبد الصمد المصنفى قالوا : ثنا همام بن يحيى ثنا قتادة قال سألت أنس بن
مالك قلت كم حج رسول الله س. قال : حجة واحدة ، واعتمر أربع مرات . عمرته زمن الحديبية
وعمرته في ذي القعدة من المدينة ، وعمرته من الجمرانة في ذي القعدة ، حيث قسم غنيمة حنين ،
وعمرته مع حجته . ورواه البخارى ومسلم وابوداود والترمذى من طرق عن همام بن يحيى به . وقال
الترمذى حسن صحيح . وقال الامام أحمد ثنا أبو النضر ثنا داود - يعنى المطار - عن عمرو بن
عكرمة عن ابن عباس قال : اعتمر رسول الله س. أربع عمر ؛ عمره الحديبية ، وعمره القضاء ،
والثالثة من الجمرانة ، والرابعة التى مع حجته . ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث داود
ابن عبد الرحمن المطار المكي عن عمرو بن دينار به . وحسنه والترمذى . وقال الامام أحمد ثنا يحيى
ابن زكريا بن أبى زائدة ثنا حجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص - قال : اعتمر رسول الله س. ثلاث عمر ، كل ذلك في ذي القعدة يلبي حتى
يستلم الجمر . غريب من هذا الوجه وهذه الثلاث عمر اللاتى وقمن في ذي القعدة ماعدا عمرته مع
حجته فانها وقعت في ذي الحجة مع الحجة وان أراد ابتداء الاحرام بهن في ذي القعدة فلعله لم يرد
عمره الحديبية لانه صد عنها ولم يضعها والله أعلم .

قلت : وقد كان نافع ومولاه ابن عمر ينكران أن يكون رسول الله س. اعتمر من الجمرانة بالكلية
وذلك فيما قال البخارى ثنا أبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر أن عمر بن
الخطاب قال : يا رسول الله إنه كان على اعتكاف يوم في الجاهلية فأمره أن يقى به ، قال وأصاب
عمر جارتين من سبي حنين فوضعهما في بعض بيوت مكة ، قال فن رسول الله س. على سبي حنين
فجعلوا يسمون في السكك ، فقال عمر : يا عبد الله انظر ما هذا ؟ قال من رسول الله س. على السبي ،
قال اذهب فارسل الجاريتين . قال نافع ولم يعتمر رسول الله س. من الجمرانة ولو اعتمر لم يخف على

عبد الله ، وقد رواه مسلم من حديث أيوب السخيتاني عن نافع عن ابن عمر به . ورواه مسلم أيضاً عن أحمد بن عبد الصبي عن حماد بن زيد عن أيوب عن نافع قال ذكر عند ابن عمر عمرة رسول الله (س) من الجمرات فقال : لم يصر منها وهذا غريب جداً عن ابن عمر وعن مولاة نافع في إنكارها عمرة الجمرات وقد أطبق النقلة من عداها على رواية ذلك من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد وذكر ذلك أصحاب المغازي والسنن كلهم . وهذا أيضاً كما ثبت في الصحيحين من حديث عطاء بن أبي رباح عن عروة عن عائشة أنها أنكرت على ابن عمر قوله إن رسول الله (س) اعتمر في رجب وقالت : يغفر الله لأبي عبد الرحمن ما اعتمر رسول الله (س) الا وهو شاهد ، وما اعتمر في رجب قط . وقال الامام أحمد ثنا ابن نمير ثنا الأعمش عن مجاهد قال سأل عروة بن الزبير ابن عمر في أي شهر اعتمر رسول الله (س) قال في رجب ، فسمعتنا عائشة فسألها ابن الزبير وأخبرها بقول ابن عمر فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر عمرة إلا وقد شهدها وما اعتمر عمرة قط الا في ذي القعدة ، وأخبره البخاري ومسلم من حديث جرير عن منصور عن مجاهد به نحوه . ورواه أبو داود والنسائي أيضاً من حديث زهير عن أبي اسحاق عن مجاهد سئل ابن عمر كم اعتمر رسول الله (س) ؟ فقال مرتين ، فقالت عائشة لقد علم ابن عمر أن رسول الله (س) اعتمر ثلاثاً سوى التي قرن بها حجة الوداع . قال الامام أحمد ثنا يحيى بن آدم ثنا مفضل عن منصور عن مجاهد قال : دخلت مع عروة بن الزبير المسجد فإذا ابن عمر مستند إلى حجرة عائشة وأمس يمسون الضحى : قال عروة : أبا عبد الرحمن ما هذه الصلاة ؟ قال بدعة ، فقال له عروة أبا عبد الرحمن كم اعتمر رسول الله ؟ قال أربعاً إحداها في رجب ، قال وسمعتنا استأذن عائشة في الحجرة ، فقال لها عروة إن أبا عبد الرحمن يزعم أن رسول الله اعتمر أربعاً إحداها في رجب ؟ فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر النبي (س) الا وهو معه ، وما اعتمر في رجب قط . وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع عن الحسن بن موسى عن شيبان عن منصور وقال حسن صحيح غريب . وقال الامام أحمد ثنا روح ثنا ابن جريج أخبرني مزاحم بن أبي مزاحم عن عبد العزيز بن عبد الله عن غرشي السلمي أن رسول الله (س) خرج من الجمرات ليلاً حين أمسى مقسماً فدخل مكة ليلاً يقضى عمرته ، ثم خرج من تحت ليلته فأصبح بالجرات كبائت حين إذا زالت الشمس خرج من الجمرات في بطن سرف ، حتى جاء مع الطريق - طريق المدينة - بسرة قال غرشي : فلذلك خفيت عمرته على كثير من الناس . ورواه الامام أحمد عن يحيى بن سعيد عن ابن جريج كذلك وهو من أفراد والمقصود أن عمرة الجمرات ثابتة بالنقل الصحيح الذي لا يمكن منعه ولا دفعه ومن نفاها لا حجة معه في مقابلة من أثبتها والله أعلم . ثم وهم كالجمعين على أنها كانت في ذي القعدة بعد غزوة الطائف وقسم غنائم حنين ، وما رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه

الكبير قائلا : حدثنا الحسن بن اسحاق التستري ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا محمد بن الحسن الأسدي
ثنا ابراهيم بن طهمان عن أبي الزبير عن عمير مولى عبد الله بن عباس عن ابن عباس قال : لما قدم
رسول الله (س) من الطائف نزل الجعرة فقسّم بها الغنائم ثم اعتمر منها وذلك ليلتين بقيتا من شوال
فانه غريب جداً وفي إسناده نظر والله أعلم . وقال البخاري ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا اسماعيل ثنا ابن
جريح أخبرني عطاء أن صفوان بن يعلى بن أمية أخبره أن يعلى كان يقول : ليتني أرى رسول الله (س)
حين ينزل عليه ، قال فبينما رسول الله (س) بالجعرة وعليه ثوب قد أغل به معه فيه فأس من أصحابه
إذ جاءه اعرابي عليه جبة منضوخ بطيب ، قال فأشار عمر بن الخطاب الى يعلى بيده أن تعال فجاء يعلى
فادخل رأسه فإذا النبي (س) محم الوجه ينفذ كذلك ساعة ثم سرى عنه فقال « ابن الذي يسألني عن
العمرة آتفا ؟ » فالتمس الرجل فأتى به ، قال « أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات ، وأما الجبة
فارتعها ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجبك » ورواه مسلم من حديث ابن جريح وأخرجاه من وجه
آخر عن عطاء كلاهما عن صفوان بن يعلى بن أمية به . وقال الامام احمد ثنا أبو أسامة أنا هشام عن
أبيه عن عائشة قالت : دخل رسول الله (س) عام الفتح من كداء من أعلى مكة ودخل في العمرة من
كدى . وقال أبو داود ثنا موسى أبو سلمة ثنا حماد عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس أن رسول الله (س) وأصحابه اعتمرُوا من الجعرة فرموا بالبيت ثلاثاً ومشوا
أربعاً وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم ثم قدفوها على عواتقهم اليسرى . تفرد به أبو داود ورواه أيضاً وابن
ماجه من حديث ابن خثيم عن أبي الطفيل عن ابن عباس مختصراً . وقال الامام احمد ثنا يحيى بن
سعيد عن ابن جريح حدثني الحسن بن مسلم عن طلوس أن ابن عباس أخبره أن معاوية أخبره قال
قصرت عن رسول الله (س) بمشقص أو قال : رأيته يقصر عنه بمشقص عند المروة . وقد أخرجاه
في الصحيحين من حديث ابن جريح به . ورواه مسلم أيضاً من حديث سفیان بن عيينة عن هشام
ابن حجير عن طاوس عن ابن عباس عن معاوية به . ورواه أبو داود والفساني أيضاً من حديث عبد
الرازق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه به . وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثني سمرو بن محمد
الناقد ثنا أبو أحمد الزبيري ثنا سفیان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن ابن عباس عن معاوية قال :
قصرت عن رأس رسول الله (س) عند المروة . والمقصود أن هذا إما يتوجه أن يكون في عمرة الجعرة
وذلك أن عمرة الحديبية لم يدخل إلى مكة فيها بل صد عنها كما تقدم بيانه ، وأما عمرة القضاء فلم يكن
أبو سفیان أسلم ولم يبق بمكة من أهلها أحد حين دخل رسول الله (س) بل خرجوا منها ، وتغيّبوا عنها
مدة مقامه عليه السلام بها تلك الثلاثة الأيام ، وعمرته التي كانت مع حجته لم يتحل منها بالاتفاق .
فتمين أن هذا التقصير الذي تعاطاه معاوية بن أبي سفیان رضي الله عنهما من رأس رسول الله (س) .

عند المروة إنما كان في عمرة الجمرانة كما قلنا والله تعالى أعلم . وقال محمد بن اسحاق رحمه الله : ثم خرج رسول الله (س) من الجمرانة معتمراً وأمر ببقاء النخس بمجئة بناحية مر الظهران .

قلت : الظاهر أنه عليه السلام إنما استبقى بعض المغنم ليتألف به من يلقاه من الأعراب فيما بين مكة والمدينة . قال ابن اسحاق : فلما فرغ رسول الله (س) من عمرته انصرف راجعاً الى المدينة واستخلف عتاب بن أسيد على مكة وخلف معه معاذ بن جبل يققه الناس في الدين ويعلمهم القرآن . وذكر عروة وموسى بن عقبة أن رسول الله (س) خلف معاذاً مع عتاب بمكة قبل خروجه الى هوازن ثم خلفهما بها حين رجع الى المدينة . وقال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال لما استعمل رسول الله (س) عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما فقام فخطب الناس فقال : أيها الناس أجاج الله كبد من جاع على درهم فقد رزقني رسول الله (س) درهما كل يوم فليست لي حاجة الى أحد . قال ابن اسحاق : وكانت عمرة رسول الله (س) في ذي القعدة وقدم المدينة في بقية ذي القعدة أوفى أول ذي الحجة . قال ابن هشام : قدمها لست بقين من ذي القعدة فيما قال أبو عمرو المديني . قال ابن اسحاق : وحج الناس ذلك العام على ما كانت العرب تخرج عليه وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد وهي سنة ثمان . قال وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم في طائفتهم ما بين ذي القعدة إلى رمضان من سنة تسع .

اسدوم كعب بن زهير بن أبي سلمى وذكر قصيدته : بانت سعاد

قال ابن اسحاق : ولما قدم رسول الله (س) من منصرفه عن الطائف كتب بجير بن زهير بن أبي سلمى الى أخيه لابيويه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله (س) قتل رجالاً بمكة ممن كان بهجوه ويؤذيه وأن من بقي من شعراء قريش وابن الزبيري وهبيرة بن أبي وهب هربوا في كل وجه فان كانت لك في نفسك حاجة فطر الى رسول الله (س) فانه لا يقتل أحداً جاءه تائباً وإن أنت لم تفعل فانج الى نجائك من الارض . وكان كعب قد قال :

ألا بلغنا عني بُجَيْرًا رسالةً فويحك^(١) فهاقلت ويحك هل لك
فبين لنا إن كنت لست بفاعلٍ على أي شيء غير ذلك ذلكا
على خلق لم ألف يوماً أباً له عليه وما تلقى عليه أباً لك
فإن أنت لم تفعل فلست بأسف ولا قاتلٍ إماً عثرت لئالك

(١) كذا في الاصل وفي ابن هشام والتميمورية : فهل لك فهاقلت ويحك هل لك

سقاكَ بها المأمونُ كأساً رويَةً فانْهَلَكَ المأمونُ منها وَعَلَّكَ
قال ابن هشام : وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر :

من مبلغ عني بجبراً رسالة فهل لك فيما قلت بالخيف هل لك
شربت مع المأمون كأساً رويَةً فانْهَلَكَ المأمونُ منها وَعَلَّكَ
وخالفت أسباب الهدى واتبعته على أي شيء وثب غيرك دلِكَ
على خلق لم تَلَفَ أما ولا أباً عليه ولم تُدرِكْ عليه أخاً لك
فإن أنت لم تفعل فلست بأسف ولا قائل إنا عثرت لعلنا لك

قال ابن اسحاق : وبث بها إلى بجير فلما أتت بجيراً كره أن يكتمها رسول الله (س) ،
فأنشده إياها ، فقال رسول الله (س) ، لما سمع سقاكَ بها المأمون « صدق وإنه لكذوب أنا المأمون »
ولما سمع على خلق لم تَلَفَ أما ولا أباً عليه قال « أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه » قال ثم كتب بجير
إلى كعب يقول له :

من مبلغ كعباً فهل لك في التي تلوم عليها باطلاً وهي أحزَمُ
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده فتنبؤ إذا كن النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بملت من الناس إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه ودين أبي سلمى علي محرم

قال فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان في حاضره
من عدوه وقالوا هو مقتول ، فلما لم يجد من شيء بدأ قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله (س) ، وذكروا
فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة فترى على رجل كانت بينه وبينه معرفة
من جبهة كما ذكر لي فتدا به إلى رسول الله (س) ، في صلاة الصبح فصلى مع رسول الله (س) ، ثم أشار
له إلى رسول الله (س) ، فقال هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه ، فذكر لي أنه قام إلى رسول الله (س) ،
فجلس إليه ووضع يده في يده ، وكان رسول الله (س) لا يعرفه فقال : يا رسول الله إن كعب بن زهير
قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً فهل أنت قابل منه إن جئتك به ؟ فقال رسول الله (س) : « نعم »
فقال إذا أنا يا رسول الله كعب بن زهير . قال ابن اسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب
عليه رجل من الانصار فقال : يا رسول الله دعني وعدوا الله أضرب عنقه ؟ فقال رسول الله (س) :
« دعه عنك فإنه جاء تائباً فارهاً » قال ففضض كعب بن زهير على هذا الحى من الانصار لما صنع به
صاحبهم وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال في قصيدته التي قال حين قدم
على رسول الله (س) :

بانث سعاد فتاى اليوم مشول
 وما سعاد غداة النين إذ رحلوا
 هيفاء مقبلة عجراة مدبرة
 فجلو عوارض ذى ظم إذا ابتسمت
 شجت بندي شيم من ماء محنية
 تنفي الرياح التذى عند وأمره
 فيلها خلّة لو أنها صدقت
 لسكرنا خلّة قد سيط من دمها
 فما لدوم على حال تكون بها
 وما تمسك بالعهد الذي زعمت
 فلا يقرنك ما ممت وما وعدت
 كانت مواعيد عرقوب لها مثلا
 أرجو وآمل أن تدنو مودتها
 أمست سعاد بارض لا تبلغها
 ولن يبلغها إلا عذافرة
 من كل نضاعة الذفري اذا عرفت
 نرمى الغيوب بعيني مفرد لوقي
 ضخم مقلدها فعم مقبدها
 حرف أخوها أبوها من مهجته
 يمتنى الفراد عليها ثم يزله
 عبرانة قدفت بالنحض عن عرض
 فنواء في حربتها للبصير بها
 كأنما فات عينها ومذبحها
 نمر مثل عسيب النخل ذا خصل
 تهوي على يسرات وهى لاهية
 يوما تظل به الحرباء مصطخدا
 متيم عندها لم يفد مكبول
 إلا أغرن غضيض الطرف مكحول
 لا يشنكي قصر منها ولا طول (١)
 كأنه منهل بالراح معلول
 صاف باطح أضحي وهو مشمول
 من صوب غادية ييض يعاليل
 بوعدها أولو أن النصح مقبول
 فجع وولع وإخلاف وتبديل
 كما تلون في أنوارها القول
 إلا كما يمسك الماء الغرايل
 إن الأماني والاحلام تفضيل
 وما واعيدها إلا الأباطيل
 وما لمن إخان الدهر تعجيل
 إلا العتاق النجيبات المراسيل
 فيها على الأبن إرقال وتبغيل
 عرفت بها طامس الاعلام مجهول
 اذا توقدت الحزان والميل
 في خلقها عن بنات الفحل تفضيل
 وعما خالها قوداه شمليل
 منها لبان وأقارب زهاليل
 مرقةها عن بنات الزور مفتول
 عنق مبين وفي الحدين تسهيل
 من خطمها ومن اللحين برطيل
 في غادر لم نخونه الأحاليل
 ذوابل وقعن الارض لتحليل
 كأن ضاحية بالشمس محلول

(١) لم يورد المصنف هذا البيت واختصر بعض آيات منها مع تقديم وتأخير وهى مشهورة فلتراجع.

وقال للقوم حاديههم وقد جعلت
 أوبى بنى فاقده مخطاً معوله
 نواحة رخوة الضمير ليس لها
 تفري اللبان بكفها ومدرعها
 نسى الفؤاد جنبها وقولهم
 وقال كل صديق كنت آمله
 قلت خلوا سبيلي لا أبالك
 كل ابن أنثى وإن طالت ملأته
 نبئت أن رسول الله أوعدي
 مهلاً هداك الذى أعطاك فافقه القرآن فيه مواعظ وتفصيل
 لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
 لقد أقوم مقاماً لو يقوم به
 لظل برعد من وجع موارده
 حتى وضعت يميني ما أفازعها
 فلهو أخوان عندي إذا أكله
 من ضيغم بشرار الأرض مخدرة
 يغدو فيلجم ضرغامين عيشهما
 إذا يساور قرناً لا يحمل له
 منه تظل حمير الوحش فافرة
 ولا يزال بواديه أخو قفة
 إن الرسول لنور يستضاء به
 في عصبة من قریش قال قائلهم
 زالوا فما زال أنكاس ولا كشف
 بمشون مشي الجمال الزهر يصمهم
 شم العرائن أبطال لبوسهم
 ييض مواضع قد شككت لها خلق
 ليسوا معاريج إن قالت رماحهم
 ورق الجنادب ركض الحصا قبلوا
 ظمت فجاء بها نكر مشا كيل
 لما نعى بكرها الناعون معقول
 مشق عن مراقبها رعايل
 إنك يا ابن أبي سلى لمقتول
 لا ألهيتك إني عنك مشغول
 فكل ما قدر الرحمن مفعول
 يوماً على آله حذاء محمول
 والعفو عند رسول الله مأمول
 أذن ولو كثرت في الأقاويل
 أرى وأسمع ما قد يشنع الفيل
 من الرسول بإذن الله تنويل
 في كف ذي ثقات قوله القيل
 وقيل إنك منسوب ومسئول
 في بطن عثر غيلة ذوة غيل
 لحم من الناس مغرور خاديل
 أن يترك القرن إلا وهو مغلول
 ولا تمشي بواديه الأراجيل
 مضرج البر والبرسان ما كول
 مهنة من سيوف الله مسلول
 يبطن مكة لما أسلوا زولوا
 عند القاء ولا ميل معازيل
 ضرب إذا عرد السود التنائيل
 من نسيج داود في الهيجا سرايل
 كأنها خلق القفاة مجبول
 قوماً وليسوا مجازيماً إذا نيلوا

لا يَقَعُ الطَّمَنُ إِلَّا فِي نَحْوِهِمْ وَلَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

قال ابن هشام هكذا أورد محمد بن اسحاق هذه القصيدة ولم يذكر لها إسناداً ، وقد رواها الحافظ البيهقي في دلائل النبوة بإسناد متصل فقال أنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن ابن أحمد الاسدي بهذان ثنا إبراهيم بن الحسين ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ثنا الحجاج بن ذى الرقية ابن سبب الرحمن بن كعب بن زهير بن أبي سلمى عن أبيه عن جده قال : خرج كعب وبجير ابنا زهير حتى أتيا أبرق العزاف فقال بجير لكعب أثبت في هذا المكان حتى آتى هذا الرجل - يعني رسول الله - . فأمع ما يقول فثبت كعب وخرج بجير فجاء رسول الله - . فعرض عليه الاسلام فاسلم فبلغ ذلك كعباً فقال :

أَلَا أَبْلَغَا عَنِّي بِجِيرَا رِسَالَةً عَلَى أَى شَيْءٍ وَيَبَّ غَيْرِكَ دَلَكَا
عَلَى خُلُقٍ لَمْ تَلَفْ أَمَّا وَلَا أَبَاً عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخْلَاكَا
سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ وَأَنْهَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَاكَا

فلما بلغت الأبيات رسول الله - . أهدر دمه وقال « من لقي كعباً فليقتله » فكتب بذلك بجيرا إلى أخيه وذكر له أن رسول الله - . قد أهدر دمه ويقول له النجاء وما أراك تنفقت ، ثم كتب اليه بعد ذلك يعلم أن رسول الله - . لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا قبل ذلك منه وأسقط ما كان قبل ذلك فإذا جاءك كتابي هذا فاسلم وأقبل ، قال فاسلم كعب وقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله - . ثم أقبل حتى أناخ راحلته بيباب مسجد رسول الله - . ثم دخل المسجد ورسول الله مع أصحابه كالمائدة بين القوم متعلقون معه حلقة خلف حلقة يلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم قال كعب : فأنخت راحلتي بيباب المسجد ففرقت رسول الله - . بالصفة حتى جلست اليه فأسلمت وقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنيك محمد رسول الله الأمان يا رسول الله ، قال « ومن أنت ؟ » قال كعب بن زهير ، قال « الذي يقول » ثم التفت رسول الله - . فقال « كيف قال يا أبا بكر ؟ » فأنشده أبو بكر :

سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ وَأَنْهَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَاكَا

قال يا رسول الله ما قلت هكذا ، قال « فكيف قلت ؟ » قال قلت :

سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأْسًا رَوِيَّةً وَأَنْهَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَاكَا

فقال رسول الله - . مأمون والله ثم أنشده القصيدة كلها حتى أتى على آخرها وهي هذه القصيدة

بانت سعاد قلبي اليوم متبول متيم عندها لم يفد مكبول

وقد تقدم ما ذكرناه من الرمز لما اختلف فيه إنشاد ابن اسحاق والبيهقي رحمهما الله عز وجل

وذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب أن كعباً لما انتهى إلى قوله :

إن الرسول لنورٍ يُستضاء به مَهْدٌ من سيوف الله مسلول
نُبْتُ أن رسول الله أُوْعِدني والعفو عند رسول الله مأمول

قال : فأشار رسول الله (س) إلى من معه أن امضوا . وقد ذكر ذلك قبله موسى بن عقبة في

مغازيه والله الحمد والمنة .

قلت : ورد في بعض الروايات أن رسول الله (س) أعطاه برده حين أنشده القصيدة وقد نظم ذلك الصرصري في بعض مدائحه وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن بن الأثير في الغابة قال وهي البردة التي عند الخلفاء .

قلت : وهذا من الأمور المشهورة جداً ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه الله أعلم . وقد روى أن رسول الله (س) قال له لما قال بائت سعاد ومن سعاد قال زَوْجِي يارَسُولَ اللَّهِ ، قال لم تبين ولكن لم يصح ذلك وكأنه على ذلك توهم أن بأسلامه تبين امرأته والظاهر أنه إنما أراد البينونة الحسية لا الحكيمة والله تعالى اعلم . قال ابن اسحاق : وقال عاصم بن عمر بن قتادة فلما قال كعب - يعني في قصيدته - إذا عرد السود التنايل وإنما يريدنا معشر الانصار لما كان صاحبنا صنع به وخص المهاجرين من قريش بمدحته غضبت عليه الانصار فقال بعد أن أُلِم بما مدح الانصار ويذكر بلاءهم من رسول الله (س) وموضعهم من اليمن :

مَنْ سَرَهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ	فِي مَقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ
وَرَبُّوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ	إِنْ الْخِيَارَ هُمَا بَنُو الْإِخْيَارِ
الْمَكْرُ هَيْنَ السَّمَرِيِّ بِأَذْرَعِ	كِسَافِ الْمَهْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ
وَالنَّاطِرِينَ بِأَعْيُنِ حَمْرَةٍ	كَالْجَرِّ غَيْرِ كَلِيلَةِ الْأَبْصَارِ
وَالْبَائِعِينَ نَفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ	لِلْمَوْتِ يَوْمَ تَمَاقُتِ وَكِرَارِ
[وَالْقَائِدِينَ النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ	بِالْمَشْرِقِ وَبِالْقَنَا الْخَطَارِ]
يَتَطَهَّرُونَ بِرَوْثِهِ نُسْكَأَ لَهُمْ	بِدِمَائِهِ مِنْ عُلُقُوا مِنَ الْكِفَادِ
دَرَبُوا كَمَا دَرَبْتُ بَطُونُ خَفِيَةٍ	غَلَبَ الرِّقَابِ مِنَ الْأَسْوَدِ ضَوَارِ
وَإِذَا حَلَّتْ ابْنَعُوكَ إِلَيْهِمْ	أَصْبَحَتْ عِنْدَ مَعَاقِلِ الْأَغْفَارِ
ضَرَبُوا عَلَيَّ يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً	دَانَتْ لَوْقَتِهَا جَمِيعُ نَزَارِ
لَوْ يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ عَلِيَّ كَلِّهِ	فِيهِمْ لَصَدَّقِي الَّذِينَ أُمَارِ
قَوْمٌ إِذَا خَوَّتِ النُّجُومُ قَاتِمٌ	لِلطَّارِقِينَ النَّازِلِينَ مَقَارِ

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله (س) قال له حين أنشده بانث سعاد « لولا ذكرت الانصار بخير فاتهم لثلك أهل » فقال كعب هذه الآيات وهي في قصيدة له قال وبلغني عن علي بن زيد بن جدعان أن كعب بن زهير أنشد رسول الله (س) في المسجد بانث سعاد قلبي اليوم متبول . وقد رواه الحافظ البيهقي بإسناده المتقدم إلى إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثني معن بن عيسى حدثني محمد بن عبد الرحمن الأقطس عن ابن جدعان فذكره وهو مرسل . وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب بعد ما أورد طرقاتاً من ترجمة كعب بن زهير إلى أن قال : وقد كان كعب بن زهير شاعراً مجوداً كثير الشعر مقدماً في طبقة هو وأخوه بجير وكعب أشعرهما وأبوهما زهير فوقهما ومما يستجاد من شعر كعب بن زهير قوله :

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني سعي الفتي وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتي لأموال ليس يدركها فالنفس واحدة والمهم منتشر
والمرء ما عاش ممدود له أمل لا تنهي العين حتى يفتي الأثر

ثم أورد له ابن عبد البر أشعاراً كثيرة يطول ذكرها ولم يورخ وفاته ، وكذا لم يورحها أبو الحسن بن الأثير في كتاب الغابة في معرفة الصحابة ولكن حكى أن أباه توفي قبل المبعث بسنة فأنه أعلم . وقال السهيلي ومما أجاد فيه كعب بن زهير قوله بمدح رسول الله (س) :

نجري به الناقة الأدماء معنجر بالبرد كالبدبر جلي ليلة الظلم
ففي عطافيه أو أثناء برزته ما يعلم الله من دين ومن كرم
الحوادث المشهورة في سنة ثمان والوفيات

فكان في جمادى منها وقعة مؤتة ، وفي رمضان غزوة فتح مكة ، وبعدها في شوال غزوة هوازن بجنين ، وبعده كان حصار الطائف ، ثم كانت عمرة الجمرانة في ذي القعدة ، ثم عاد إلى المدينة في بقية السنة . قال الواقدي : رجع رسول الله (س) إلى المدينة ليالي بقين من ذي الحجة في سفرته هذه . قال الواقدي : وفي هذه السنة بعث رسول الله (س) عمرو بن العاص إلى جيفر وعمرو ابني الجلندي من الأزد ، وأخذت الجزية من مجوس بلدهما ومن حولها من الأعراب ، قال وفيها تزوج رسول الله (س) فاطمة بنت النضحاك بن سفيان السكلابي في ذي القعدة فاستعافت منه عليه السلام ففارقها ، وقيل بل خيرها فاختارت الدنيا ففارقها . قال وفي ذي الحجة منها ولد إبراهيم ابن رسول الله (س) من مارية القبطية فاشتدت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولداً ذكرًا وكانت قابليتها فيه سلى

مولاة رسول الله (س)، فخرجت الى أبي رافع فأخبرته فذهب فبشر به رسول الله (س)، فاعطاه مملوكا ودفعه رسول الله (س)، الى أم برة بنت المنذر بن أسيد بن خدش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار وزوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مبدول، وكانت فيها وفاة من ذكرنا من الشهداء في هذه الوقائع وقد قدمنا هدم خالد بن الوليد البيت الذي كانت العزى تعبد فيه بنخلة بين مكة والطائف وذلك لخمس بئين من رمضان منها. قال الواقدي: وفيها كان هدم سواع الذي كانت تعبد هذيل برهاط، هدمه عمرو بن العاص رضى الله عنه ولم يجد في خزانته شيئا، وفيها هدم مناة بالمشلل وكانت الأنصار أوسها وخزرجها يعظمونه هدمه سعد بن زيد الأشهلي رضى الله عنه وقد ذكرنا من هذا فصلا مفيدا مبسوطا في تفسير سورة النجم عند قوله تعالى [أفرأيتم اللات والعزى ومنة الثالثة الأخرى

قلت: وقد ذكر البخاري بعد فتح مكة قصة تخريب خشم البيت الذي كانت تعبده ويسمونه لكعبة البمانية مضاهية للكعبة التي بمكة ويسمون التي بمكة الكعبة الشامية ولتلك الكعبة البمانية فقال البخاري: ثنا يوسف بن موسى ثنا أبو أسامة عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن جرير قال قال لي رسول الله (س)، «ألا ترى يحيى من ذى الخلصة؟» قلت بلى فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحسن وكانوا أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبي (س)، فضرب يده في صدرى حتى رأيت أثر يده في صدرى وقال «اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا» قال فما وقعت عن فرس بعد. قال وكان ذوا الخلصة بيتا باليمن لخشم وبجيلة فيه نصب تعبد يقال له الكعبة البمانية. قال فأقامها فخرقها في النار وكسرتها، قال فلما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالآزالام فقيل له إن رسول الله (س)، هاهنا فإن قدر عليك ضرب عنقك، قال فبينما هو يضرب بها اذ وقف عليه جرير فقال لتكسرتها وتشهد أن لا اله الا الله أو لأضرب عنقك؟ فكسرها وشهد. ثم بعث جرير رجلا من أحسن يكنى أرملة الى النبي (س)، يبشره بذلك، قال فلما أتى رسول الله (س)، قال: يا رسول الله والذي بمنك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال فبارك رسول الله (س)، على خيل أحسن ورجالها خمس مرات. ورواه مسلم من طرق متعددة عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي بنحوه.

ثم والحمد لله الذى بنعمته تم الصالحات الجزء الرابع من تاريخ البداية والنهاية لابن كثير
ويتلوه الجزء الخامس وأوله ذكر غزوة تبوك في رجب منها

فهرس الجزء الرابع

من البداية والنهاية

صفحة	صفحة
٤٦	٢ سنة ثلاث من الهجرة
٤٨	٣ غزوة الفرع من بجران
٤٨	٣ خبر يهود بني قينقاع من المدينة
٥٢	٤ سرية زيد بن حارثة
٥٢	٥ مقتل كعب بن الاشرف
٦١	٩ غزوة أحد في شوال سنة ثلاث
٦١	١٧ مقتل حمزة رضي الله عنه
٦١	٢٢ فضة
٦١	٢٩ فضة
٦١	٢٩ فيما لقي النبي (ص) يومئذ من المشركين قبحهم الله
٦١	٢٣ فضة
٦٢	٣٤ فضة
٦٩	٣٥ فضة
٧١	٢٨ دعاء النبي (ص) يوم أحد
٧٤	٣٩ فضة
٧٤	٤٠ الصلاة على حمزة وقتل أحد
٨٠	٤٦ فضة
٨١	
٨٣	
٨٤	

مصحفة	مصحفة
١٤١ قصة عمرو بن العاص مع النجاشي	٨٥ قصة الذي أصيبت امرأته يومذاك
١٤٣ <u>فَضْلٌ</u>	
١٤٣ فصل في تزيج النبي (ص) بأم حبيبة	٨٦ قصة جل جابر
١٤٥ تزويجه بزینب بنت جحش	٨٧ قصة بدر الآخرة
١٤٧ نزول الحجاب صبيحة عرس زينب	٨٩ <u>فَضْلٌ</u>
١٤٩ سنة ست من الهجرة	٨٩ في جملة من الحوادث الواقعة سنة
١٥٠ غزوة ذي قرد	اربع من الهجرة
١٥٦ غزوة بني المصطلق من خزاعة	٩٢ سنة خمس من الهجرة النبوية
١٦٠ قصة الأفك	غزوة دوحه الجندل في ربيع
١٦٤ غزوة الحديبية	الأول منها
١٧٣ سياق البخاري لعسرة الحديبية	٩٢ غزوة الخندق او الأحزاب
١٧٨ فصل في السرايا	١٠٢ <u>فَضْلٌ</u>
التي كانت في سنة ست من الهجرة	١١١ <u>فَضْلٌ</u>
١٨٠ فصل فيما وقع من الحوادث في	١١١ فصل في دعائه عليه السلام على
هذه السنة	الأحزاب
١٨١ سنة سبع من الهجرة	١١٦ <u>فَضْلٌ</u>
غزوة خيبر في اولها	١١٦ فصل في غزوة بني قريظة
١٩٢ <u>فَضْلٌ</u>	١٢٦ وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه
١٩٦ ذكر قصة صفية بنت حيي النضرية	١٣١ <u>فَضْلٌ</u>
١٩٨ <u>فَضْلٌ</u>	١٣١ فصل الأشعار في الخندق وبني قريظة
١٩٨ فتح حصونها وقسيمة ارضها	١٣٧ مقتل ابي رافع اليهودي
	١٤٠ مقتل خالد بن سفيان الهزلي

صفحة	صفحة
٢٠٤	فَضْلُكَ
٢٠٥	ذكر قوم جعفر بن ابي طالب ومسلمو
	الحبشة المهاجرون
٢٠٨	قصة الشاة المسمومة والبرهان الذي
	ظهر
٢١٢	فَضْلُكَ
٢١٤	فَضْلُكَ
٢١٤	من استشهد بخير من الصحابة
٢١٥	خبر الحجاج بن علاط البهزي
٢١٨	فَضْلُكَ
٢١٨	مروره (س) بوادي القرى ومحاصرة
	اليهود ومصالحتهم
٢١٩	فَضْلُكَ
٢٢٠	سرية أبي بكر الصديق الى بني فزارة
٢٢١	سرية عمر بن الخطاب الى تربة وراء
	مكة بأربعة اميال
٢٢١	سرية عبد الله بن رواحة الى يسير
	بن رزام اليهودي
٢٢١	سرية اخرى مع بشير بن سعد
٢٢٣	سرية بني حدرود الى الغابة
٢٢٤	السرية التي قتل فيها محم بن جثامة
	عامر بن الاضبط
٢٢٦	سرية عبد الله بن حزافة السهمي
٢٢٦	عمرة القضاء
٢٢٣	قصة ترويجه عليه السلام بميمونة
٢٣٤	ذكر خروجه (س) من مكة بعد قضاء
	عمرك
٢٣٥	فَضْلُكَ
٢٣٦	سنة ثمان من الهجرة النبوية
٢٣٧	فَضْلُكَ
٢٣٧	فَضْلُكَ
٢٣٧	اسلام عمرو بن العاص وخالد بن
	الوليد وعثمان بن طلحة
٢٣٨	طريق اسلام خالد بن الوليد
٢٤٠	سرية شعاع بن وهب الأسدي الى
	هوازن
٢٤١	غزوة مؤتة
٢٤١	سرية كعب بن عمير الى بني قضاة
٢٥٣	فَضْلُكَ
٢٥٤	فَضْلُكَ
٢٥٤	في فضل هؤلاء الأمراء الثلاثة زيد
	وجعفر وعبد الله رضي الله عنهم
٢٥٩	فصل في من استشهد يوم مؤتة
٢٥٩	حديث فيه فضيلة عظيمة لامراء
	هذه المرية
٢٦٠	ما قيل من الاشعار في غزوة مؤتة
٢٦٢	كتاب بعث رسول الله (ص) الى
	ملوك الافاق وكتبه اليهم
٢٦٨	ارساله (ص) الى ملك العرب من
	النصارى بالشام
٢٦٨	بعثه الى كسرى ملك الفرس
٢٧٢	بعثه (ص) الى المنوقس صاحب مدينة
	الاسكندرية واسمه جريج بن مينا
	القيبطي
٢٧٣	غزوة ذات السلاسل
٢٧٦	سرية ابي عبيدة الى سيف البحر
٢٧٨	بسم الله الرحمن الرحيم
٢٨٣	قصة حاطب بن ابي بلتعة
٢٨٥	فَضْلُكَ
٢٨٧	فَضْلُكَ

صفحة	محتوى	صفحة	محتوى
٢٨٨	فضيلة	٣٤٥	بسم الله الرحمن الرحيم - غزوة
٢٩٢	صفة دخوله مكة		الطائف
٣٠	فضيلة	٣٥٢	مرجعه عليه السلام من الطائف
٣١٦	بعث خالد بن الوليد لهدم العزى		وقسمة غنائم هوازن
٣١٦	فصل في مدة اقامته عليه السلام بمكة	٣٦١	قدوم مالك بن عوف النصري على
٣١٧	فصل فيما حكم عليه السلام بمكة من		الرسول
	الاحكام	٣٦٢	عتراض بعض اهل الشقاق على الرسول
٣١٨	فضيلة	٣٦٣	مجيء اخذ رسول الله (ص) من
٣٢٢	غزوة هوازن يوم حنين		الرضاغة عليه بالجعرانة
٣٢٦	الوقعة وما كان اول الامر من الفرار	٣٦٥	عمرة الجعرانة في ذي القعدة
	ثم العاقبة للمتقين	٣٦٨	اسلام كعب بن زهير بن ابي مسلمى وذكر
٣٣٦	فضيلة		قصيدته : بانت سعاد
٣٣٧	غزوة أوطاس	٣٧٥	الحوادث المشهورة في سنة ثمان
٣٤٠	من استشهد يوم حنين وأوطاس		والوفيات
٣٤٠	ما قيل من الأهعار في غزوة هوازن	٣٧٦	فهرست الجزء الرابع











